تفسير ابن عربي

تفسير ابن عربي

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين بن علي بن محمد
ابن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي
المعروف بابن عربي

٥٦٠ - ٦٣٨ هـ

طبعة جديدة مصححة ومخرجة الآيات

اعداد

سمير مصطفى رباب

الجزء الأول

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفاته، وطوالع صفاته مطالع نور ذاته، صفى مشارع مسامع قلوب أصفيائه لتحقق السماع، وروّق موارد مشاعر فهوم أوليائه لتيقن الاطلاع، ولطف أسرارهم بإشراق أشعة المحبة في أرجائها، وشوّق أرواحهم إلى شهود جمال وجهه بفنائها، ثم ألقى إليهم الكلام فاستروحوا إليه بكرة وعشياً، وقرّبهم بذلك منه حتى خلصوا لديه نجياً، فزكّى بظاهره نفوسهم فإذا هو ماء ثجاج، وروى بباطنه قلوبهم فإذا هو بحر موّاج، فلما أرادوا الغوص ليستخرجوا درر أسراره طغى الماء عليهم فغرقوا في تياره، لكن أودية الفهوم سالت من فيضه بقدرها، وجداول العقول فاضت من رشحه بنهرها، فأبرزت الأوادي على السواحل جواهر ثاقبة ودرراً، وأنبتت الجداول على الشواطىء زواهر ناضرة وثمراً، فأخذت القلوب عند مفيض مدّها واقفة على حدّها، تملأ الحجور والأردان، عاجزة عن عدّها، وطفقت النفوس في اجتناء الثمار والأنوار، شاكرة بوجدها، قاضية بها الأوطار.

وأما الأسرار، فإذا قرع سمعها قوارع الآيات تطلعت، فاطلعت منها على طلائع الصفات، فتحيرت في حسنها إذ رأتها، وطاشت ودهشت عند تجلياتها وتلاشت حتى إذا بلغ الروح منها التراقي طلع من ورائها جمال طلعة وجهه الباقي، وحكم الشهود عليها بنفي الوجود، وألزمها الإقرار.

فسبحان من لا إله إلا هو الواحد القهار، سبحان من يتجلىٰ في كلامه بحلل صفات جلاله وجماله على عباده في صورة بهاء ذاته وكماله، والصلاة على الشجرة المباركة التي أنطقها بهذا الكلام وجعلها مورده ومصدره منها، ولها، وإليها، وعليها السلام وعلى آله الذين هم مخزن علمه وكتابه العزيز، وأصحابه الذين أصبح الدين بهم في حرز حريز.

(وبعد)، فإني طالما تعهدت تلاوة القرآن وتدبرت معانيه بقوّة الإيمان وكنت مع المواظبة على الأوراد حرج الصدر قلق الفؤاد، لا ينشرح بها قلبي ولا يصرفني عنها ربي، حتى استأنست بها فألفتها وذقت حلاوة كأسها وشربتها، فإذا أنا بها نشيط النفس، فلج الصدر، متسع البال، منبسط القلب، فسيح السرّ، طيب الوقت والحال، مسرور الروح بذلك الفتوح كأنه دائماً في غبوق وصبوح، تنكشف لي تحت كل آية من المعاني ما يكلّ بوصفه لساني، لا القدرة تفي بضبطها وإحصائها، ولا القوة تصبر عن نشرها وإفشائها، فتذكرت خبر من أتى ما

ازدهاني مما وراء المقاصد والأماني، قول النبيّ الأميّ الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق: «ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع». وفهمت منه أنّ الظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل، والحدّ ما يتناهى إليه الفهوم من معنى الكلام، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام.

وقد نقل عن الإمام المحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «لقد تجلىٰ الله لعباده في كلامه، ولكن لا تبصرون». وروي عنه عليه السلام أنه خرّ مغشياً عليه وهو في الصلاة، فسئل عن ذلك، فقال: «ما زلت أردّد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها».

(فرأيت) أن أعلق ببعض ما يسنح لي في الأوقات من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات دون ما يتعلق بالظواهر والحدود، فإنه قد عين لها حدّ محدود. وقيل من فسر برأيه فقد كفر. وأما التأويل فلا يبقي ولا يذر، فإنه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته في مراتب سلوكه وتفاوت درجاته. وكلما ترقى عن مقامه انفتح له باب فهم جديد واطلع به على لطيف معنى عتيد.

(فشرعت) في تسويد هذه الأوراق بما عسى يسمح به الخاطر على سبيل الاتفاق، غير حائم بقعة التفسير ولا خائض في لجة من المطلعات ما لا يسعه التقرير، مراعياً لنظم الكتاب وترتيبه، غير معيد لما تكرّر منه أو تشابه في أساليبه. وكلّ ما لا يقبل التأويل عندي أو لا يحتاج إليه فما أوردته أصلاً ولا أزعم أني بلغت الحدّ فيما أوردته. كلا، فإنّ وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت، وعلم الله لا يتقيد بما علمت، ومع ذلك فما وقف الفهم مني على ما ذكر فيه، بل ربما لاح لي فيما كتب من الوجوه ما تهت في محاويه وما يمكن تأويله من الأحكام الظاهر منها إرادة ظاهرها فما أوّلته إلا قليلاً ليعلم به أن للفهم إليه سبيلاً، ويستدل بذلك على نظائرها إن جاوز مجاوز عن ظواهرها إذ لم يكن في تأويلها بدّ من تعسف. وعنوان المروّة ترك التكلف، وعسى أن يتجه لغيري وجوه أحسن منها طوع القياد فإن ذلك سهل لمن تيسر له من أفراد العباد. ولله تعالى في كلّ كلمة كلمات ينفد البحر دون نفادها، فكيف السبيل إلى حصرها وتعدادها، لكنها أنموذج لأهل الذوق والوجدان يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن، فينكشف لهم ما استعدوا له من مكنونات علمه، ويتجلىٰ عليهم ما استطاعوا له من خفيات غيبه، والله الهادي لأهل المجاهدة إلى سبيل المكاشفة والمشاهدة، ولأهل الشوق إلى مشارب الذوق، إنه وليّ التحقيق وبيده التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فاتحة الكتاب ﴾

اسم الشيء ما يعرف به، فأسماء الله تعالىٰ هي الصور النوعية التي تدلّ بخصائصها وهوياتها على صفات الله وذاته، وبوجودها على وجهه، وبتعينها على وحدته، إذ هي ظواهره التي بها يعرف. والله اسم للذات الإلٰهية من حيث هي هي على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها بالصفات، ولا باعتبار لا اتصافها.

و ﴿الرحمٰن﴾ هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما تقتضي الحكمة وتحتمل القوابل على وجه البداية. و ﴿الرحيم﴾ هو المفيض للكمال المعنويّ المخصوص بالنوع الإنساني بحسب النهاية، ولهذا قيل: يا رحمٰن الدنيا والآخرة، ورحيم الآخرة. فمعناه بالصورة الإنسانية الكاملة الجامعة الرحمة العامّة والخاصة، التي هي مظهر الذات الإلٰهي والحق الأعظمي مع جميع الصفات أبداً وأقرأ، وهي الاسم الأعظم وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله: «أوتيت جوامع الكلم، وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، إذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها. كما سمي عيسى عليه السلام كلمة من الله، ومكارم الأخلاق كمالاتها وخواصها التي هي مصادر أفعالها جميعها محصورة في الكون الجامع الإنساني. وههنا لطيفة وهي أن الأنبياء عليهم السلام وضعوا حروف التهجي بإزاء مراتب الموجودات. وقد وجدت في كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأمير المؤمنين علي عليه السلام وبعض الصحابة ما يشير إلى ذلك. ولهذا قيل: ظهرت الموجودات من باء بسم الله إذ هي الحرف الذي يلي الألف الموضوعة بإزاء ذات الله. فهي إشارة إلى العقل الأول الذي هو أول ما خلق الله المخاطب بقوله تعالى: «ما خلقت خلقاً أحب إليّ ولا أكرم عليّ منك، بك أعطي، وبك آخذ، وبك أثيب، وبك أعاقب. . .» الحديث.

والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر، والمكتوبة تسعة عشر، وإذا انفصلت الكلمات انفصلت الحروف إلى اثنين وعشرين، فالثمانية عشر إشارة إلى العوالم المعبر عنها بثمانية عشر ألف عام، إذ الألف هو العدد التام المشتمل على باقي مراتب الأعداد فهو أمّ المراتب الذي لا عدد فوقه، فعبر بها عن أمّهات العوالم التي هي عالم الجبروت، وعالم الملكوت، والعرش، والكرسي، والسمٰوات السبع، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة التي ينفصل كل واحد منها إلى جزئياته.

والتسعة عشر إشارة إليها مع العالم الإنساني، فإنه وإن كان داخلاً في عالم الحيوان إلا أنه باعتبار شرفه وجامعيته للكل وحصره للوجود عالم آخر له شأن وجنس برأسه له برهان،

كجبريل من بين الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾[1].

والألفات الثلاثة المحتجبة التي هي تتمة الاثنين والعشرين عند الانفصال إشارة إلى العالم الإلٰهيّ الحقّ، باعتبار الذات، والصفات، والأفعال. فهي ثلاثة عوالم عند التفصيل، وعالم واحد عند التحقيق، والثلاثة المكتوبة إشارة إلي ظهور تلك العوالم على المظهر الأعظميّ الإنسانيّ ولاحتجاب العالم الإلٰهي.

حين سئل رسول الله ﷺ عن ألف الباء من أين ذهبت؟ قال ﷺ: «سرقها الشيطان». وأمر بتطويل باء بسم الله تعويضاً عن ألفها إشارة إلى احتجاب ألوهية الإلٰهية في صورة الرحمة الانتشارية وظهورها في الصورة الإنسانية بحيث لا يعرفها إلا أهلها، ولهذا نكرت في الوضع.

وقد ورد في الحديث: «إنّ الله تعالىٰ خلق آدم على صورته»، فالذات محجوبة بالصفات، والصفات بالأفعال، والأفعال بالأكوان والآثار. فمن تجلّت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل، ومن تجلّت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلّم. ومن تجلّت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فني في الوحدة فصار موحداً مطلقاً فاعلاً ما فعل وقارئاً ما قرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم، فتوحيد الأفعال مقدّم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات وإلى الثلاثة أشار صلوات الله عليه في سجوده بقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك».

[٢ ـ ٥] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

﴿**الحمد لله ربّ العالمين**﴾ إلى آخر السورة، الحمد بالفعل ولسان الحال هو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الأشياء إذ هي أثنية فاتحة ومدح رائعة لموليها بما يستحقه. فالموجودات كلها بخصوصياتها وخواصها، وتوجهها إلى غاياتها، وإخراج كمالاتها من حيز القوّة إلى الفعل، مسبحة، حامدة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[2]، فتسبيحها إياه تنزيهه عن الشريك وصفات النقص والعجز باستنادها إليه وحده، ودلالتها على وحدانيته وقدرته، وتحميدها إظهار كمالاتها المترتبة، ومظهريتها لتلك الصفات الجلالية والجمالية.

وخصّ بذاته بحسب مبدئيته للكل، وحافظيته ومدبريته له التي هي معنىٰ الربوبية للعالمين، أي لكلّ ما هو علم لله يعلم به كالخاتم لما يختم به، والقالب لما يقلب فيه، وجمع جمع السلامة لاشتماله على معنى العلم أو للتغليب، وبإزاء أفاضلة الخير العامّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

والخاص، أي النعمة الظاهرة كالصحة والرزق. والباطنة كالمعرفة والعلم. وباعتبار منتهائيته التي هي معنى مالكية الأشياء في يوم الدين إذ لا يجزي في الحقيقة إلا المعبود الذي ينتهي إليه الملك وقت الجزاء بإثابة النعمة الباقية عن الفانية عند التجرّد عنها بالزهد وتجليات الأفعال عند انسلاخ العبد عن أفعاله، وتعويض صفاته عند المحو عن صفاته وإبقائه بذاته، وهبته له الوجود الحقاني عند فنائه فله تعالىٰ مطلق الحمد وماهيته أزلاً وأبداً على حسب استحقاقه إياه بذاته باعتبار البداية والنهاية وما بينهما في مقام الجمع على ألسنة التفاصيل، فهو الحامد والمحمود تفصيلاً وجمعاً، والعابد والمعبود مبدأ ومنتهى.

ولما تجلىٰ في كلامه لعباده بصفاته شاهدوه بعظمته وبهائه، وكمال قدرته وجلاله، فخاطبوه قولاً وفعلاً بتخصيص العبادة به، وطلب المعونة منه، إذ ما رأوا معبوداً غيره، ولا حول ولا قوّة لأحد إلاّ به. فلو حضروا لكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة له وبه، فكانوا على صلاتهم دائمين داعين بلسان المحبة لمشاهدتهم جماله من كل وجه على كل وجه.

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي: ثبتنا على الهداية ومكّنا بالاستقامة في طريق الوحدة التي هي طريق المنعم عليهم بالنعمة الخاصة الرحيمية التي هي المعرفة والمحبة والهداية الحقانية الذاتية من النبيين والشهداء والصدّيقين والأولياء، الذين شاهدوه أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً، فغابوا في شهودهم طلعه وجهه الباقي عن وجود الظل الفاني.

[٦، ٧] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

﴿غير المغضوب عليهم﴾ الذين وقفوا مع الظواهر، واحتجبوا بالنعمة الرحمانية، والنعيم الجسمانيّ، والذوق الحسيّ عن الحقائق الروحانية، والنعيم القلبي، والذوق العقليّ كاليهود إذ كانت دعوتهم إلى الظواهر والجنان والحور والقصور، فغضب عليهم لأن الغضب يستلزم الطرد والبعد والوقوف مع الظواهر التي هي الحجب الظلمانية غاية البعد. ﴿ولا الضالين﴾ الذين وقفوا مع البواطن التي هي الحجب النورانية واحتجبوا بالنعمة الرحيمية عن الرحمانية، وغفلوا عن ظاهرية الحقّ، وضلّوا عن سواء السبيل، فحرموا شهود جمال المحبوب في الكلّ كالنصارى إذ كانت دعوتهم إلى البواطن وأنوار عالم القدّوس ودعوة المحمديين الموحدين إلى الكلّ، والجمع بين محبة جمال الذات، وحسن الصفات، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[1]، ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾[١]، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٢]. فأجابوا الدعوات الثلاث. كما جاء في حقهم: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[٣]، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾[٥]. فأثيبوا بالجميع على ما أخبر الله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾[٦]، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[٧]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٨]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٩].

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.
(٤) سورة التحريم، الآية: ٨.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٦) سورة البينة، الآية: ٨.
(٧) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٩) سورة يونس، الآية: ٢٦.

﴿ سورة البقرة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

[١ ـ ٢] ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

﴿الم * ذٰلك الكتابُ﴾ أشار بهذه الحروف الثلاثة إلى كلّ الوجود من حيث هو كلّ لأن (ا) إشارة إلى ذات الذي هو أوّل الوجود على ما مرّ. و (ل) إلى العقل الفعّال المسمّى جبريل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى. و (م) إلى محمد الذي هو آخر الوجود تتمّ به دائرته وتتصل بأوّلها، ولهذا ختم وقال: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمٰوات والأرض». وعن بعض السلف أن (ل) ركبت من ألفين، أي: وضعت بأزاء الذات مع صفة العلم اللذين هما عالمان من العوالم الثلاثة الإلٰهية التي أشرنا إليها، فهو اسم من أسماء الله تعالىٰ، إذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع صفة ما. وأمّا (م) فهي إشارة إلى الذات مع جميع الصفات والأفعال التي احتجبت بها في الصورة المحمدية التي هي اسم الله الأعظم، بحيث لا يعرفها إلا من يعرفها. ألا تدري أن (م) التي هي صورة الذات كيف احتجب فيها، فإن الميم فيها الياء، وفي الياء ألف. والسرّ[1] في وضع حروف التهجيّ هو أن لا حرف إلا وفيه ألف، ويقرب من هذا قول من قال: معناه القسم بالله العليم الحكيم، إذ جبريل مظهر العلم، فهو اسمه العليم. ومحمد مظهر الحكمة، فهو اسمه الحكيم. ومن هذا ظهر معنى قول من قال: تحت كلّ اسم من أسمائه تعالىٰ أسماء بغير نهاية. والعلم لا يتمّ ولا يكمل إلا إذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الأسباب والمسببات، فيصير حكمة. ومن ثم لا يحصل الإسلام بمجرّد قول: لا إلٰه إلا الله، إلا إذا قُرِنَ: بمحمد رسول الله.

فمعنى الآية ﴿الم * ذلك الكتاب﴾ الموعود، أي: صورة الكلّ المومى إليها بكتاب الجفر والجامعة المشتملة على كل شيء، الموعود بأنه يكون مع المهدي في آخر الزمان لا يقرأه كما هو بالحقيقة إلا هو، والجفر لوح القضاء الذي هو عقل الكلّ والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكلّ، فمعنى كتاب الجفر والجامعة: المحتويان على كلّ ما كان ويكون، كقولك سورة (البقرة) وسورة (النمل).

﴿لا ريبَ فيه﴾ عند التحقيق بأنه الحق، وعلى تقدير القول معناه بالحق الذي هو الكلّ

---

(١) قوله: والسرّ في وضع الخ. . . كذا في الأصل وهو محل نظر اهـ.

من حيث هو كلّ لأنه مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الأنبياء وفي كتبهم بأنه سيأتي كما قال عيسى عليه السلام: «نحن نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتي به المهديّ في آخر الزمان». وحذف جواب القسم لدلالة ذلك الكتاب عليه، كما حذف في غير موضع من القرآن مثل (والشمس) (والنازعات) وغير ذلك. أي إنّا منزلون لذلك الكتاب الموعود في التوراة والإنجيل بأن يكون مع محمد حذف لدلالة قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ عليه أي: ذلك الكتاب المعلوم في العلم السابق، الموعود في التوراة والإنجيل حق بحيث لا مجال للريب فيه. ﴿هُدىً للمُتقينَ﴾ أي هدى في نفسه للذين يتقون الرذائل والحجب المانعة لقبول الحق فيه.

واعلمْ أن الناس بحسب العاقبة سبعة أصناف لأنهم: إمّا سعداء، وإمّا أشقياء. قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1]، والأشقياء أصحاب الشمال، والسعداء إمّا أصحاب اليمين، وإمّا السابقون المقرّبون. قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾[2] الآية. وأصحاب الشمال إمّا المطرودون الذين حقّ عليهم القول وهم أهل الظلمة والحجاب الكلي المختوم على قلوبهم أزلاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[3] إلى آخر الآية. وفي الحديث الربانيّ: «هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالي». وأما المنافقون الذين كانوا مستعدّين في الأصل، قابلين للتنوّر بحسب الفطرة والنشأة، ولكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي، ومباشرة الأعمال البهيمية، والسبعية، ومزاولة المكايد الشيطانية، حتى رسخت الهيئات الفاسقة والملكات المظلمة في نفوسهم، وارتكمت على أفئدتهم فبقوا شاكين حيارى تائهين، قد حبطت أعمالهم، وانتكست رؤوسهم فهم أشدّ عذاباً وأسوأ حالاً من الفريق الأول لمنافاة مسكة استعدادهم لحالهم. والفريقان هم أهل الدنيا وأصحاب اليمين.

أما أهل الفضل والثواب، الذين آمنوا وعملوا الصالحات للجنة راجين لها، راضين بها، فوجدوا ما عملوا حاضراً على تفاوت درجاتهم، ولكلّ درجات مما عملوا. ومنهم أهل الرحمة الباقون على سلامة نفوسهم، وصفاء قلوبهم، المتبوّؤن درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم، لا على حسب كمالاتهم من ميراث عملهم.

وأما أهل العفو الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم قسمان: المعفوّ عنهم رأساً لقوة اعتقادهم، وعدم رسوخ سيئاتهم لقلّة مزاولتهم إياها، أو لمكان توبتهم عنها. فأولئك

(١) سورة هود، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

يبدّل الله سيئاتهم حسنات، والمعذبون حيناً بحسب ما رسخ فيهم من المعاصي حتى خلصوا عن درن ما كسبوا، فنجوا وهم أهل العدل والعقاب، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا. لكن الرحمة تتداركهم وثلاثتهم أهل الآخرة.

والسابقون إمّا محبون وإمّا محبوبون، فالمحبون هم الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده، وأنابوا إليه حقّ إنابته، فهداهم سبله. والمحبوبون هم أهل العناية الأزلية الذين اجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم. والصنفان هما أهل الله، فالقرآن ليس هدىً للفريق الأول من الأشقياء لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم، ولا للثاني لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية بفساد اعتقادهم، فهم أهل الخلود في النار إلا ما شاء الله. فبقي هدىً للخمسة الأخيرة الذين يشملهم المتقون، والمحبوب يحتاج إلى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه في الله لقوله تعالى لحبيبه كذلك: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[2]. والمحبّ يحتاج إليه قبل الوصول والجذب وبعده لسلوكه إلى الله وفي الله.

فعلى هذا، المتقون في هذا الموضع هم المستعدّون الذين بقوا على فطرتهم الأصلية، واجتنبوا رين الشرك والشك لصفاء قلوبهم وزكاء نفوسهم، وبقاء نورهم الفطري، فلم ينقضوا عهد الله. وهذه التقوى مقدّمة على الإيمان، ولها مراتب أخرى متأخرة عنه كما سيأتي إن شاء الله.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

﴿الذينَ يُؤمنونَ بالغَيبِ ويقيمُونَ الصلوٰةَ﴾ أي: بما غاب عنهم الإيمان التقليديّ، أو التحقيقيّ العلميّ، فإنّ الإيمان قسمان: تقليديّ وتحقيقيّ. والتحقيقيّ قسمان: استدلالي وكشفيّ، وكلاهما إمّا واقف على حدّ العلم والغيب، وإما غير واقف. والأول هو الإيقان المسمّى علم اليقين. والثاني: إمّا عيني، وهو المشاهدة المسمى عين اليقين، وإما حقيّ، وهو الشهود الذاتي المسمّى حق اليقين. والقسمان الأخيران لا يدخلان تحت الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب يستلزم الأعمال القلبية التي هي التزكية، وهي تطهير القلب عن الميل إلى السعادات البدنية الخارجية، الشاغلة عن إحراز السعادة الباقية. فإن السعادات ثلاث: قلبية، وبدنية، وما حول البدن. فالقلبية هي المعارف، والحكم، والكمالات العلمية والعملية الخلقية. والبدنية هي الصحة والقوّة واللذّات الجسمانية والشهوات الطبيعية. وما حول البدن

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
(٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.

هي الأموال والأسباب، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وأنّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة الجسد، وتقوى القلب». ويجب الاحتراز عن الأوليين لإحراز الأخيرة المطلوبة بالزهد والعبادة.

فإقامة الصلاة ترك الراحات البدنية وإتعاب الآلات الجسدية، وهي أمّ العبادات التي إذا وجدت لم يتأخر عنها البواقي ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1] إذ هي تحامل على البدن والنفس، ومشقة فادحة عليهما، وإنفاق المال هو الإعراض عن السعادة الخارجية المحبوبة إلى النفس المسمّى بالزهد، فإن الإنفاق ربما كان أشدّ عليها من بذل الروح للزوم الشحّ إياها، ولم يكتف بالقدر الواجب فقال: ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ ليعتاد القلب ترك الفضول المالية بالجود والسخاء وبذل المال، في وجوه المروّات، والهبات، والصدقات الغير الواجبة، فيوقي شحّ نفسه، وخصص الإنفاق بالبعض بإيراد من التبعيضية لئلا يقع في رذيلة التبذير ببذل القدر الضروري فيحرم فضيلة الجود الذي هو من باب التخلق بأخلاق الله.

[٤ ـ ٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾ أي: الإيمان التحقيقيّ الشامل للأقسام الثلاثة المستلزم للأعمال القلبية التي هي التحلية، وهي تفرّس القلب بالحكم والمعارف المنزّلة في الكتب الإلٰهية والعلوم المتعلقة بأحوال المعاد، وأمور الآخرة، وحقائق علم القدس. ولهذا قال: ﴿**وبالآخرة هم يوقنون**﴾ وأهل الآخرة الذين ما جاوزوا حدّ التزكية، ولم يصلوا إلى التحلية التي هي ميراثها، لقوله عليه السلام: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم». وأهل الله الموقنون الجامعون لها كلهم على هدى من ربهم إمّا إليه وإما إلى داره، دار السلامة والفضل والثواب واللطف، وهم أهل الفلاح لا غير أما من العقاب وأما من الحجاب ولهذا قال:

﴿**أولئك**﴾ أي: الموصوفون بهذه الصفات المذكورة من التزكية والتحلية. ﴿**على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ لأجلها، فعلى هذا الذين يؤمنون مبتدأ، والذين يؤمنون الثاني معطوف عليه، وأولئك خبره، ولو جعل صفة للمتقين لكان المراد بهم الكاملين في التقويْ بعد الهداية. وكان مجازاً من باب تسمية الشيء بما سيؤول إليه.

[٦ ـ ٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿إن الذين كفروا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿عظيم﴾ هم الفريق الأول من الأشقياء الذين هم أهل القهر الإلٰهي لا ينجح فيهم الإنذار ولا سبيل إلى خلاصهم من النار، أولئك حقّت عليهم كلمة ربّك أنهم لا يؤمنون، وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار، سدّت عليهم الطرق، وأغلقت عليهم الأبواب، إذ القلب هو المشعر الإلٰهيّ الذي هو محلّ الإلهام، فحجبوا عنه بختمه. والسمع والبصر هما المشعران الأنسيان، أي الظاهران اللذان هما بابا الفهم والاعتبار، فحرموا عن جدواهما لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى القلب، فلا سبيل لهم في الباطن إلى العلم الذوقيّ الكشفيّ ولا في الظاهر إلى العلم التعلميّ والكسبيّ، فحبسوا في سجون الظلمات، فما أعظم عذابهم.

[٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿ومن الناس من يقول آمنا﴾ هم الفريق الثاني من الأشقياء، سُلِبَ عنهم الإيمان مع ادّعائهم له بقولهم ﴿آمنا بالله﴾ لأنّ محلّ الإيمان هو القلب لا اللسان. ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[(١)]. ومعنى قولهم: آمنا بالله ﴿وباليوم الآخر﴾ ادّعاء علمي التوحيد والمعاد اللذين هما أصل الدين وأساسه أي لسنا من المشركين المحجوبين عن الحق ولا من أهل الكتاب المحجوزين عن الدين والمعاد، لأن اعتقاد أهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقاً للحق. واعلم أن الكفر هو الاحتجاب، والحجاب إما عن الحق كما للمشركين وإمّا عن الدين كما لأهل الكتاب، والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذي هو طريق الوصول إليه ضرورة، وأما المحجوب عن الدين فقد لا يحجب عن الحق، فهؤلاء ادّعوا رفع الحجابين معاً فكذبوا بسلب الإيمان عن ذواتهم، أي ليسوا بمؤمنين ما داموا إياهم يخادعون. المخادعة استعمال الخدع من الجانبين، وهو إظهار الخير واستبطان الشرّ. ومخادعة الله مخادعة رسوله ﷺ لقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[(٣)] ولأنه حبيبه.

وقد ورد في الحديث: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ولسانه الذي به يتكلم، ويده الذي بها يبطش، ورجله الذي بها يمشي» فخداعهم لله وللمؤمنين إظهار الإيمان والمحبة، واستبطان الكفر

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

والعداوة، وخداع الله والمؤمنين إياهم مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك، وادّخار العذاب الأليم والمآل الوخيم، وسوء المغبة لهم وخزيهم في الدنيا لافتضاحهم بإخباره تعالى وبالوحي عن حالهم لكن الفرق بين الخداعين أنّ خداعهم لا ينجح إلا في أنفسهم بإهلاكها وتحسيرها وإيراثها الوبال والنكال بازدياد الظلمة والكفر والنفاق واجتماع أسباب الهلكة والبعد والشقاء عليها، وخداع الله يؤثر فيهم أبلغ تأثير ويوبقهم أشدّ إيباق، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[1] وهم من غاية تعمقهم في جهلهم لا يحسون بذلك الأمر الظاهر.

[٩ ـ ١٣] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿في قلوبِهِم مرضٌ﴾ أي شك ونفاق تنكير المرض. وإيراد الجملة الظرفية إشارة إلى عروض المرض واستقراره ورسوخه فيها كما أشرنا إليه في التقسيم، وإلا لقال قلوبهم مرضى أو موتى. ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ أي: آخر حقداً وحسداً وغلاً بإعلاء كلمة الدين، ونصرة الرسول والمؤمنين، والرذائل كلها أمراض القلوب لأنها أسباب ضعفها وآفتها في أفعالها الخاصة، وهلاكها في العاقبة. وفرق بين العذابين بالألم للمنافقين، والعظم للكافرين، لأن عذاب المطرودين في الأزل أعظم فلا يجدون شدّة ألمه لعدم صفاء إدراك قلوبهم، كحال العضو الميت، أو المفلوج والخدل بالنسبة إلى ما يجري عليه من القطع والكيّ وغير ذلك من الآلام. وأما المنافقون فلثبوت استعدادهم في الأصل وبقاء إدراكهم يجدون شدّة الألم فلا جرم كان عذابهم مؤلماً مسبباً عن المرض العارض المزمن الذي هو الكذب ولواحقه.

وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض، أي في الجهة السفلية التي هي النفوس وما يتعلق بها من المصالح بتكدير النفوس، وتهييج الفتن والحروب، والعداوة والبغضاء بين الناس، أنكروا وبالغوا في إثبات الإصلاح لأنفسهم، إذ يرون الصلاح في تحصيل المعاش وتيسير أسبابه، وتنظيم أمور الدنيا لأنفسهم خاصة، لتوغلهم في محبة الدنيا وانهماكهم في اللذات البدنية، واحتجابهم بالمنافع الجزئية، والملاذ الحسيّة عن المصالح العامة الكليّة، واللذات العقلية، وبذلك يتيسر مرادهم، ويتسهل مطلوبهم وهم لا يحسون بإفسادهم المدرك بالحس.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

وإذا دعوا إلى الإيمان الحقيقي، كإيمان فقراء المسلمين والصعاليك المجرّدين، سفهوهم لمكان تركهم لحطام الدنيا وإعراضهم عن متاعها ولذاتها وطيباتها، لزهدهم الحقيقي. إذ قصارى همومهم، وقصوى مقاصد عقولهم الأسيرة في قيد الهوى المشوبة بالوهم، المؤدّية إلى الردىٰ هي تلك اللذات يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ولا يعلمون أن غاية السفه هو اختيار الفاني الأخس على الباقي الأشرف. وفرق بين الفاصلتين بالشعور والعلم، لأنّ تأثير خداعهم في أنفسهم وإفسادهم في الأرض أمر بين كالمحسوس. وأما ترجيح نعيم الآخرة على نعيم الدنيا المستلزم للفرق بين السفه والحكمة فأمر استدلالي عقليّ صرف.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وإذا لقُوا الذينَ آمنُوا﴾ حكاية لنفاقهم اللازم لحصول استعدادين فيهم الفطريّ النوريّ، الضعيف المغلوب، القريب من الانطفاء، الذي ناسبوا به المؤمنين، والكسبيّ الظلماني القويّ الغالب الذي تألفوا به الكفار، إذ لو لم يكن فيهم أدنى نور لم يقدروا على مخالطة المؤمنين ومصاحبتهم أصلاً كغيرهم من الكفار لتنافي الضروري بين النور والظلمة من جميع الوجوه.

والشيطان فيعال من الشطون، الذي هو البعد، وشياطينهم المتعمقون في البعد وهم المطرودون، ورؤساؤهم البالغون في النفاق واستهزاؤهم بالمؤمنين يدلّ على ضعف جهة النور وقوّة جهة الظلمة فيهم، إذ المستخف بالشيء هو الذي يجد ذلك الشيء في نفسه خفيفاً، قليل الوزن والقدر. فهم يستخفون النورانيين لخفة النور عندهم، إذ بالنور يعرف قدر النور، وبرجحان الظلمة فيهم أووا إلى الكفار وألفوهم.

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿الله يستهزِئ بِهِم﴾ أي: يستخفهم، لأن الجهة التي هم بها ناسبوا الحضرة الإلٰهية فيهم خفيفة، ضعيفة. فبقدر ما فنيت فيهم الجهة الإلٰهية ثبتوا عند أنفسهم، كما أنّ المؤمنين بقدر ما فنيت فيهم أينيتهم النفسانية وجدوا عند الله شتان بين المرتبتين. ﴿ويمدهُم﴾ في ظلماتهم البهيمية والسبعية التي هي الصفات الشيطانية والنفسانية بتهيئة موادّها وأسبابها التي هي مشتهياتهم ومستلذاتهم وأموالهم ومعايشهم من الدنيا التي اختاروها بهواهم في حالة كونهم متحيرين. ﴿في طغيانهم يعمهُونَ﴾ والعمه: عمى القلب. وطغيانهم: التعدّي عن حدّهم الذي كان ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك الحدّ هو الصدر، أي وجه القلب الذي يلي النفس كما أن الفؤاد وجهه الذي يلي الروح، فإنه متوسط بينهما ذو وجهين إليهما. والوقوف على ذلك الحدّ

هو التعبد بأوامر الله تعالى ونواهيه، مع التوجه إليه طلباً للتنوّر ليستنير ذلك الوجه فتتنوّر به النفس. كما أنّ الوقوف على الحدّ الآخر هو تلقي المعارف والعلوم والحقائق والحِكَم والشرائع الإلٰهية لينتقش بها الصدر، فتتزين به النفس. فالطغيان هو الانهماك في الصفات النفسانية البهيمية والسبعية والشيطانية واستيلاؤها على القلب ليسودّ ويعمى، فتتكدّر الروح.

[١٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أُولٰئكَ الذين اشتَرَوا الضلالةَ بالهُدىٰ﴾ أي: الظلمة، والاحتجاب عن طريق الحق الذي هو الدين، أو عن الحق. فإنّ الضلالة تنقسم بإزاء الهداية بالنور الاستعداديّ الأصليّ. **﴿فما ربِحَت تجارتُهُم﴾** إذ كان رأس مالهم من عالم النور والبقاء ليكتسبوا به ما يجانسه من النور الفيضيّ الكماليّ، بالعلوم والأعمال والحكم والمعارف والأخلاق والملكات الفاضلة، فيصيرون أغنياء في الحقيقة، مستحقين للقرب والكرامة والتعظيم والوجاهة عند الله، فما ربحوا بكسبها وضاعت الهداية الأصلية التي كانت بضاعتهم ورأس مالهم بإزالة استعدادهم وتكدير قلوبهم بالرين الموجب للحجاب والحرمان الأبديّ، فخسروا بالخسران السرمديّ، أعاذنا الله من ذلك.

[١٧] ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَثَلُهُم﴾ أي: صفتهم في النفاق كصفة المستوقد للإضاءة الذي إذا أضاءت ما حوله من الأشياء القريبة منه خمدت ناره وبقي متحيّراً، لأن نور استعدادهم بمنزلة النار الموقدة، وإضاءتها لما حولهم هي اهتداؤهم إلى مصالح معاشهم القريبة منهم دون مصالح المعاد البعيدة بالنسبة إليهم وصحبة المؤمنين وموافقتهم في الظاهر وخمودها سريعاً انطفاء نورهم الاستعداديّ وسرعة زوال ما متّعوا به من دنياهم ووشك انقضائه. **﴿ذهب الله بنُورِهم﴾** الاستعداديّ بإمدادهم في الطغيان، وخلاهم محجوبين عن التوفيق في ظلمات صفات النفس **﴿لا يبصرون﴾** ببصر القلب، ووجه المخرج ولا ما ينفعهم من المعارف كمن تنطفىء ناره وهو في تيه بين أشغال وأسباب.

[١٨ ـ ١٩] ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿صمٌ بكمٌ عميٌ﴾ بالحقيقة لاحتجاب قلوبهم عن نور العقل الذي به تسمع الحق وتنطق به، وتراه في الظاهر لعدم فوائدهما، لانسداد الطرق من تلك المشاعر إلى القلب لمكان

الحجاب، فلم يصل إليها نور القلب ليحتفظوا بفوائدها ولم ترد مدركاتها على القلب ليفهموا ويعتبروا. ﴿فهم لا يرجِعُونَ﴾ إلى الله لوجود السّدين المضروبين على قلوبهم المذكورين في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾[١]. وفائدة التشبيه تصوير المعقول بصورة المحسوس، ليتمثل في نفوس العامة. ثم شبههم ثانياً بقوم أصابهم مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فالمطر هو نزول الوحي الإلٰهي ووصول إمداد الرحمة إليهم ببركة صحبة المؤمنين، وبقية استعدادهم مما يفيد قلوبهم أدنى لين، وحصول النِعَم الظاهرة لهم بموافقتهم في الظاهر. والظلمات هي الصفات النفسانية، والشكوك الخيالية والوهمية، والوساوس الشيطانية مما تحيرهم وتوحشهم. والرعد هو التهديد الإلٰهيّ والوعيد القهريّ الوارد في القرآن والآيات والآثار المسموعة والمشاهدة مما يخوّفهم فيفيد أدنى انكسار لقلوبهم الطاغية وانهزام لنفوسهم الآبية. والبرق هو اللوامع النورية والتنبهات الروحية عند سماع الوعد وتذكير الآلاء والنعماء مما يطمعهم ويرجيهم، فيفيدهم أدنى شوق وميل إلى الإجابة.

ومعنى ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذرَ الموت﴾ يتشاغلون عن الفهم بالملاهي والملاعب عن سماع آيات الوعيد، ولكي لا ينجع فيهم فيقطعهم عن اللذات الطبيعية بهمّ الآخرة، إذ الانقطاع عن اللذات الحسيّة هو موتهم، والله قادر عليهم، قاطع إياهم عن تلك اللذات المألوفة بالموت الطبيعي، قدرة المحيط بالشيء الذي لا يفوته منه، فلا فائدة لحذرهم.

[٢٠] ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿يكادُ البرقُ﴾ أي: اللامع النوريّ ﴿يخطَفُ أبصارَهُم﴾ أي: عقولهم المحجوبة بالنعاس عن نور الهداية والكشف، إذ العقل بصر القلب ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ أي: ترقوا وقربوا من قبول الحق والهدى، ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي: ثبتوا على حيرتهم في ظلمتهم ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ لطمس أفهامهم وعقولهم، ومحا نور استعدادهم، كما للفريق الأول فلم يتأثروا بسماع الوحي أصلاً ﴿إن الله على كلّ شيء قدير﴾ الشيء الموجود الخارجيّ الواجب والممكن، والموجود الذهني الممكن والممتنع، إذ اللاشيء هو المعدوم الصرف الذي ليس في الذهن ولا في الخارج، لكن تعلق القدرة به خصصه بالممكن وأخرج عنه الواجب والممتنع بدليل العقل.

هذا آخر الكلام في الأصناف السبعة على سبيل الإجمال، وفصل بين فريقي الأشقياء

(١) سورة يس، الآية: ٩.

وأوجز ذكر الفريق الأوّل وأعرض عنهم، إذ الكلام فيهم لا يجدي. وبالغ في ذكر الفريق الثاني، وذمّهم، وتعييرهم، وتقبيح صورة حالهم، وتهديدهم، وإبعادهم، وتهجين سيرهم، وعاداتهم لإمكان قبولهم للهداية وزوال مرضهم العارض، واشتعال نور قرائحهم بمدد التوفيق الإلٰهيّ عسى التقريع يكسر أعواد شكائمهم، والتوبيخ يقلع أصول رذائلهم، فتتزكى بواطنهم وتتنوّر قلوبهم بنور الإرادة، فيسلكوا طريق الحق. ولعل موادعة المؤمنين وملاطفتهم إياهم ومجالستهم معهم، تستميل طباعهم فتهيج فيهم محبة مّا، وشوقاً تلين به قلوبهم إلى ذكر الله، وتنقاد به نفوسهم لأمر الله، فيتوبوا ويصلحوا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[1].

[٢١ ـ ٢٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس﴾ ثم لما فرغ من ذكر السعداء والأشقياء، دعاهم إلى التوحيد. وأوّل مراتب التوحيد: توحيد الأفعال، فلهذا علّق العبودية بالربوبية ليستأنسوا برؤية النعمة، فيحبوه، كما قال: «خلقت الخلق وتحببت إليهم بالنِعَم». فيشكروه بإزائها، إذ العبادة شكر فلا تكون إلا في مقابلة النعمة، وخصص ربوبيته بهم ليخصوا عبادتهم به، وقصد رفع الحجاب الأول من الحجب الثلاثة التي هي حجب الأفعال والصفات والذات، ببيان تجلي الأفعال لأن الخلق في الثلاثة كلهم محجوبون عن الحق بالكون مطلقاً، فنسب إنشاءهم وإنشاء ما توقف عليه وجودهم من المبادىء والأسباب والشرائط كمن قبلهم من الآباء والأمهات، وجعل الأرض فراشاً لهم لتكون مقرّهم ومسكنهم، وجعل السماء بناء لتظللهم، وأنزل الماء من السماء وأخرج النبات به من الأرض ليكون رزقاً لهم إلى نفسه لعلهم يتقون نسبة الفعل إلى غيره، فيتنزهون عن الشرك في الأفعال عند مشاهدة جميعها من الله، ولهذا ذكر نتيجة هذه المقدّمات بالفاء فقال: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾، ما ذكرنا من المقدمات كأنه قال: هو الذي فعل هذه الأفعال، فلا تحق العبادة إلا له، ولا تنبغي أن تجعل لغيره، فلا تجعلوا له نداً بنسبة الفعل إليه، فيستحق أن يعبد عندكم فتعبدوه مع علمكم بهذا. فعبادتهم إنما هي

(١) سورة النساء، الآيات: ١٤٥ ـ ١٤٦.

للصانع، وربهم هو المتجلّي في صورة الصنع، إذ كل عابد لا يعبد إلا ما يعرفه، ولا يعرف الله إلا بقدر ما وجد من الألوهية في نفسه، وهم ما وجدوا إلا الفاعل المختار فعبدوه. وغاية هذه العبادة الوصول إلى الجنّة التي هي كمال عالم الأفعال، فالله مهد لهم أراضي نفوسهم، وبنى عليها سموات أرواحهم، وأنزل من تلك السموات ماء علم توحيد الأفعال، فأخرج به من تلك الأرض نبات الاستسلام والأعمال والطاعات والأخلاق الحسنة ليرزق قلوبهم منها ثمرات الإيقان والأحوال والمقامات، كالصبر والشكر والتوكل.

ولما أثبت التوحيد، استدل على إثبات النبوّة ليصح بهما الإسلام، فإنه لا يصح إلا بشهادتين لأن مجرّد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المؤديّ إلى الزندقة والإباحة، ومجرّد إسناد الفعل والقول إلى الرسول، احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف القدر المؤدّي إلى المجوسية والثنوية، والإسلام طريق بينهما بالجمع بين قولنا: لا إلٰه إلا الله، وبين قولنا: محمد رسول الله، واعتقاد مظهريته لأفعاله تعالىٰ. فإن أفعال الخلق بالنسبة إلى أفعال الحق كالجسد بالنسبة إلى الروح، فكما أن مصدر الفعل هو الروح ولا يتم إلا بالجسد، فكذلك مبدىء الفعل هو الحق ولا يظهر إلا بالخلق. ولا بدّ من الرسالة لأن الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف من ربهم، فيجب وجود واسطة يجانس بروحه الشاهدة للحق الحضرة الإلٰهية، وبنفسه المخالطة للخلق الرتبة البشرية، ليتلقى قلبه من روحه الكلمات الربانية، ويلقي إلى نفسه القدسية، ويقبل منه الخلق برابطة الجنسية فقال:

﴿**وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا**﴾ أي: في تنزيلنا على محمد فتشكوا في حقيقة نبوّته، فروزوا قواكم البشرية، وأحرزوا عقولكم المحتنكة بالقياس، المحجوبة عن نور الهداية، وأفكاركم الدريّة بتركيب الكلام ونظم المعاني، وأنتم ومن حضركم من أبناء جنسكم، هل تقدرون على الإتيان بسورة أي: طائفة من الكلام مثله ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في نسبته إلى محمد، ﴿**فإن لم تفعلوا**﴾ فأذعنوا وأسلموا وآمنوا، واتركوا العناد المفضي بكم إلى النار. فحذف الملزوم الذي هو الإيمان أو الإسلام، وأقام لازمه الذي هو اتقاء النار مقامه ليكون أدلّ على أن الإنكار موجب لدخول النار وحصول العذاب لهم. وقوله: ﴿**ولن تفعلوا**﴾ اعتراض على طريق الإخبار بالغيب للعلم بامتناع عقول المحجوبين عن مثله. والمراد بالنار احتراقهم بثورة نفوسهم، وشرر طباعهم المصروفة عن الروح القدسيّ الروحانيّ، والنسيم الذوقيّ الرحمانيّ، المحرومة عن لذّة برد اليقين، وسلامة دار القرار المقطوعة بالمألوفات الحسيّة، واللذات البدنيّة الممنوعة، بما ضريت به وألفته مع بقاء حنينها إليه وولهها، ورسوخ

هيئات التعلّق بالأمور السفليّة، ومحبة الأجساد الأرضية فيها التي هي سبب استيقاد نيرانها، ولهذا قال: ﴿وقُودُها الناسُ والحجارةُ﴾ أي: الأمور الجاسية، السفلية، الصامتة، التي تعلقوا بها بالمحبة فرسخت صورها في أنفسهم، وسجنت نفوسهم بميلهم إليها، كما قال رسول الله ﷺ: «المرء يحشر مع من أحبّ حتى لو أحبّ أحدكم حجراً حشر معه»، وكيف لا، وقد ركزت صورته في نفسه بالمحبة بحيث صار صورة قلبه صورته.

واعلم أن حرارة النار تابعة لصورتها النوعية التي هي روحانيتها وملكوتها، وإلاّ ساوت سائر الأجسام في خواصها، وتلك الروحانية شرر من نار، قهر الله المعنوية بعد تنزلها في مراتب كثيرة كتنزلها في مرتبة النفس بثورة الغضب، إذ ربما تؤثر ثورة الغضب في إحراق الأخلاق ما لا تؤثر النار في الحطب. ومن هذا يعلم أن كل مسخن لا يجب أن يكون حارّاً. وإذا كانت النار الجسمانية أثراً للنار الروحانية، فلا جرم أنّ إيلامها أشدّ وأدوم من إيلام هذه النار، كيف وكل قوّة جسمانية متناهية دون القوى الروحانية؟، ولهذا المعنى يقال: إن نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرّة، ثم أنزلت إلى الدنيا ليمكن الانتفاع بها ﴿أُعِدت للكافرينَ﴾ المحجوبين عن الدين لانقطاعهم دون مرادهم.

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وبشر الذينَ آمنُوا﴾ بالصانع وعملوا ما يصلحهم للجنة بمقتضى علمهم بتوحيد الأفعال إن لهم مراداتهم ومشتهياتهم فوق ما تصوّروا وتمنوا، لتنكير الجنات، والجنات الجارية من تحتها الأنهار أبهى وأطيب ما يكون من مقام، وألذّ وأحلى ما يكون من مرام لأهل الدنيا، فهي لنفوسهم من جنس جنات الدنيا، وأصفى منها بحسب المعاد الجسمانيّ، فإنه حق كما ستعلم. ﴿كلما رُزِقُوا منها من ثمرةٍ رِزقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا من قبلُ﴾ في الدنيا، فإنها مألوفهم ﴿وأُتُوا﴾ بالرزق ﴿مُتَشابِهاً﴾ ولقلوبهم[1] هي مقاماتهم، كالتوكل مثلاً، وروضات عالم القدوس التي تنشأ من كل مرتبة منها أنهار علوم تنفع السالكين، وتنفع علّة المتعطشين المشتاقين. والثمرات هي الحكم والمعارف، وقولهم: ﴿هذا الذي رُزِقنا من قبلُ﴾ إشارة إلى أن تلك العلوم والحكم كانت ثابتة للقلب حالة التجرّد، فاحتجبت عنها بالتوغل في الأمور الطبيعية عند التعلق فنسيتها، ثم تذكرت حين تجرّدت عن ملابسها لقوله عليه الصلاة والسلام: «الحكمة ضالة المؤمن». والأزواج لنفوسهم الحور العين المطهرّة عن الطمث والفواحش،

(١) قوله: ولقلوبهم بهم الخ... كذا في الأصل وظاهر أن فيه سقطاً وليحرّر، اهـ مصححه.

ولقلوبهم النفوس القدسيّة المطهرّة عن دنس الطبائع وكدر العناصر، ولا جنة لأرواحهم لاحتجابهم عن المشاهدة.

[٢٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إن الله لا يَستَحِي﴾ لا يمتنع امتناع المستحيي **﴿أن يضرب مثلاً مّا بعوضة فما فوقها﴾** إذ الكافر عنده أحقر من بعوضة، والدنيا من جناحها، كما نطق به الحديث. **﴿أنه الحقّ من ربهم﴾** لمناسبة الممثل به الممثل له **﴿وما يضل به إلا الفاسقِين﴾** الذين خرجوا من مقام القلب إلى مقام النفس، ومن طاعة الرحمٰن إلى طاعة الشيطان. وهم الفريق الثاني من الأشقياء لا الفريق الأول، فإنهم ضالون في نفس الأمر على أيّ حال كان لا به ولا بسبب آخر. وإضلالهم به مسبّب عن فسقهم في الحقيقة، إذ ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعليّة وهي زيادة عنادهم وإنكارهم وحقدهم وغلبة صفات نفوسهم على قلوبهم بورود القرآن فيزيدهم بعداً وظلمة على ظلمة.

[٢٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿الذين يَنقُضُونَ عهد الله من بعد ميثاقِهِ﴾ هو الذي أشار إليه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[١]. وقد ورد في الحديث: «أن الله تعالىٰ مسح ظهر آدم بيده وأخرج ذريّته منه كهيئة الذرّ»... الحديث. فيد الله هو العقل الأقدس، والروح الأول الذي هو روح العالم المسمّى يمين الرحمٰن، وآدم هو النفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم. ومسحه ظهره تأثير العقل فيها وتنويره إياها بنوره بالاتصال الروحاني، وإخراج ذريّته منه إيجاد النفوس الشخصية الجزئية التي كانت فيها بالقوّة، وإخراجها إلى الفعل. وعهد الله إليهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ إيداع علم التوحيد في ذواتهم وميثاق ذلك العهد ركز أدلة التوحيد في عقولهم وإلزام ذلك العلم إياهم وجعله من اللوازم الذاتية لهم، بحيث إذا تجرّدوا عن الصفات النفسانية والغواشي الجسمانية تبين لهم ذلك، وانكشف عليهم أظهر شيء وأبينه وهو إشهادهم على أنفسهم لكون ذلك العلم ضرورياً حينئذ، وإجابتهم لذلك بقولهم: ﴿بلىٰ﴾ قبولهم الذاتيّ له، ونقض ذلك العهد انهماكهم في اللذات البدنية والغواشي الطبيعية وتعبدهم لهواهم وشهواتهم، بحيث احتجبوا بها عن وحدة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

الله وتعبده، وقطعهم ما أمر الله بوصله إعراضهم عن اتصال روح القدس والمبادىء العالية والأرواح السماوية التي هي الملأ الأعلى، وسكان الحضرة الإلٰهية من أهل الجبروت والملكوت الذين يجانسونهم بذواتهم وصفاتهم، وهم أهل قرابتهم الحقيقية، ورحمهم الظاهر المأمور بوصله حقيقة بتوجههم إلى العالم السفليّ ومحبتهم للجواهر الفاسقة المظلمة، وعشقهم وشغفهم بالأمور الخسيسة الفانية. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويبغض سفاسفها»، إذ كلما كان مطلوب النفس أخسّ كانت عن العالم الشريف أبعد.

ضروب الناس عشاق ضروبا ... فأغدرهم أشقهم جيوبا

وقد مرّ تفسير الإفساد في الأرض، والخسران الذي هو تضييع الجوهر النوريّ الباقي لأجل الظلمانيّ الفاني.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿كيف تكفرون بالله﴾ أي: على أيّ حال تحجبون عنه ﴿و﴾ الحال أنكم ﴿كنتم أمواتاً﴾ نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فأحياكُم﴾ أي: لِمَ لا تستدلون بالخلق على الخالق ﴿ثم يُمِيتُكُم﴾ بالموت الطبيعي ﴿ثم يُحْيِيكُم﴾ بالبعث، إذ الأوّل معلوم بالمشاهدة، والثاني بالاستدلال عليه بالإنشاء الأوّل ﴿ثم إليه تُرْجَعُونَ﴾ للمجازاة، أو ثم يميتكم عن أنفسكم بالموت الإراديّ الذي هو الفناء في الوحدة ثم يحييكم بالحياة الحقيقية التي هي البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب الحقانيّ. ثم إليه ترجعون للمشاهدة إن كانت الوحدة وحدة الصفات، أو الشهود إن كانت وحدة الذات.

[٢٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ أي: الجهة السفليّة التي هي العالم العنصريّ جميعاً لكونها مبادىء خلقكم وموادّ وجودكم وبقائكم ﴿ثم استوىٰ﴾ أي: قصد قصداً مستوياً إلى الجهة العلوية، وثم للتفاوت بين الجهتين والإيجادين الإبداعيّ والتكويني لا للتراخي بين الزمانين ليلزم تقدّم خلق الأرض على السماء.

فعدّلهنّ سبع سموات بحسب ما تراه العامة، إذ الثامن والتاسع هو الكرسيّ والعرش الظاهران. والحقيقة أنّ الجهة السفليّة هي العالم الجسمانيّ كالبدن وأعضائه لدنوّ رتبته بالنسبة إلى العالم الروحانيّ الذي هو الجهة العلوية المعبر عنها بالسماء. وثم للتفاوت بين الخلق

والأمر. وسواهنّ سبع سموات إشارة إلى مراتب عالم الروحانيات، فالأول: هو عالم الملكوت الأرضية والقوىٰ النفسانية والجنّ. والثاني: عالم النفس. والثالث: عالم القلب. والرابع: عالم العقل. والخامس: عالم السرّ. والسادس: عالم الروح. والسابع: عالم الخفاء الذي هو السرّ الروحيّ غير السرّ القلبيّ. وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «سلوني عن طرق السماء، فإني أعلم بها من طرق الأرض»، وطرقها: الأحوال والمقامات كالزهد، والتوكل، والرضا، وأمثالها.

واعلم أنّ العقل باصطلاح الحكمة هو الروح باصطلاح أهل التصوّف، والذي سميناه ههنا بالعقل على اصطلاح المتصوّفة هو القوّة العاقلة التي للنفس الناطقة عند الحكماء. ولهذا قالت المتصوّفة: العقل هو موضع صقيل من القلب، متنوّر بنور الروح. والقلب هو النفس الناطقة، فاحفظه لئلا يتشوّش الفهم باختلاف الاصطلاح.

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وإذْ قالَ ربكَ للملائكةِ﴾ إذ: إشارة إلى السرمد الذي هو من الأزل إلى الأبد، والقول هو إلقاء معنى تعلق مشيئة الله تعالى بإيجاد آدم في الذوات القدسية الجبروتية التي هي الملائكة المقرّبون والأرواح المجرّدة والملكوتية التي هي النفوس السماوية إذ كل ما يحدث في عالم الكون له صورة قبل التكوين في عالم الروح الذي هو عالم القضاء السابق، ثم في عالم القلب الذي هو قلب العالم المسمّى باللوح المحفوظ، ثم في عالم النفس أي: نفس العالم الذي هو لوح المحو والإثبات المعبر عنه بالسماء الدنيا في التنزيل كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾(١)، فذلك قوله تعالىٰ للملائكة: ﴿إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً﴾ واعتبر بحالك في نفسك، فإنّ كل ما يظهر على جوارحك التي هي عالم كونك وشهادتك من القول والفعل، له وجود في روحك التي هي ما وراء غيب غيبك، ثم في غيب غيبك، ثم في نفسك التي هي غيبك الأدنى وسماؤك الدنيا، ثم يظهر على جوارحك. والجعل أعم من الإبداع والتكوين، فلم يقل (خالق) لأن الإنسان مركب من العالمين: خليفة يتخلق بأخلاقي، ويتصف بأوصافي، وينفذ أمري، ويسوس خلقي، ويدبر أمرهم، ويضبط نظامهم، ويدعوهم إلى طاعتي.

وإنكار الملائكة بقولهم:

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

﴿قالوا: أتجعل فيها من يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدماءَ﴾ وتعريضهم بأولويتهم لذلك بقولهم: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك﴾ هو احتجابهم عن ظهور معنى الإلهية والأوصاف الربانية فيه التي هي من خواص الهيئة الاجتماعية والتركيب الجامع للعالمين الحاصر لما في الكونين. وعلمهم بصدور الأفعال البهيمية التي هي الإفساد في الأرض، والسبعية المعبر عنها بسفك الدماء اللتين هما من خواص قوّة الشهوة والغضب الضروري وجودهما في تعلق الروح بالبدن، وبنزاهة ذواتهم وتقدّس نفوسهم عن ذلك، إذ كل طبقة من الملائكة المقدّسة تطلع على ما تحتها وما في أنفسها ولا تطلع على ما فوقها، فهي تعلم أنه لا بدّ في تعلق الروح العلوي النوراني بالبدن السفلي الظلماني من واسطة تناسب الروح من وجه، وتناسب الجسم من وجه، هي النفس، وهي مأوى كل شرّ، ومنبع كل فساد. ولا تعلم أن الجمعية الإنسانية جالبة للنور الإلٰهيّ الذي هو سرّ ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ والفرق بين التسبيح والتقديس، أن التسبيح: هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص. والتقديس: هو التنزيه عن التعلق بالمحل وقبول الانفعال وشوائب الإمكان والتعدّد في ذاته وصفاته وكون شيء من كمالاته بالقوة. فالتقديس أخص، إذ كل مقدّس مسبح وليس كلّ مسبح مقدساً، فالملائكة المقرّبون الذين هم الأرواح المجرّدة بتجرّدهم وعدم احتجابهم عن نور ربهم وقهرهم ما تحتهم بإفاضة النور عليهم، وتأثيرهم في غيرهم، وكون جميع كمالاتهم بالفعل مقدّسون وغيرهم من الملائكة السماوية والأرضية مسبّحون ببساطة ذواتهم وخواص أفعالهم وكمالاتهم.

[٣١ - ٣٣] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ أي: ألقى في قلبه خواص الأشياء التي تعرف بها هي ومنافعها ومضارّها ﴿ثم عَرَضَهُم﴾ أي: عرض مسمياتها ﴿على الملائكةِ﴾ بشهودهم البنية الإنسانية ومرافقتهم لآدم في التنزيل. ومعنى قوله: ﴿فقال أنبؤني بأسماءِ هٰؤلاءِ إن كنتمْ صادقينَ﴾ إرادته لانتعاشهم ببعض معلومات الإنسان باقتضاء التركيب الإنساني، وتأدّي محسوساته ومعلوماته المتنوعة منها والحادثة فيه بخاصية التركيب والهيئة الاجتماعية إلى ذواتهم بعد ما لم تكن، إذ علومهم تابعة لعلمه وهو معنى إفحامهم وتعلق إرادته بذلك أمر آدم بالإنباء إذ جميع القوى الإنسانية والملائكة التي بحضرته تنتعش بما لا تنتعش هي في غير ذلك المحل، وهو معنى إنباء آدم إياهم.

ومعنى قوله: ﴿قالوا سبحانك لا عِلْمَ لنا إلا ما علمتَنا إنك أنت العليمُ الحكيمُ﴾ شهادة وجوداتهم بالدلالة وألسنة الحال على قصورهم عن الكمالات الإنسانية وتخلفهم عن شأوها، وبتنزيه الله عن فعل ما فيه مفسدة بالإجمال، وعلمهم بامتناع ترقيهم إلى مراتبهم بكسب العلوم، إذ كمالاتهم مقارنة لوجوداتهم، وبأن علمه تعالى فوق علمهم فهو العليم المطلق، والحكيم الذي لا يفعل إلا ما ينبغي. ولهذا قال:

﴿يا آدمُ أنبئهم﴾ ولم يقل علمهم، لأنّ العلم المكتسب الموجب للترقي هو من خاصية الجمعية الإنسانية فلا يقبل كل منها إلا ما في طباعه من جنس مدركاته لا غير، وكما أن البصر مثلاً من كثرة مبصراته لا يزيد علماً ورتبة ولا يقبل إلا ما هو من جنس المبصرات فقط، وإن تكثرت عنده فكذلك حال كل قوة باطنة. ومعنى: ﴿ألم أقُلْ﴾ تقريره في طباع الملائكة أنه تعالى يعلم ما لا يعلمون من غيب السموات والأرض الذي هو سرّ المعرفة والمحبة المودع في الإنسان الذي استأثر الله بعلمه ﴿وأعلم ما تُبدُونَ﴾ من علمكم بمفاسد الإنسان ﴿وما كُنتم تكتمونَ﴾ من ترجيحكم ذواتكم عليه لنزاهتها وتقدّسها.

[٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وإذْ قلنا للملائكةِ أسجُدُوا لآدَمَ﴾ سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له ومطاوعتهم وتسخرهم له ﴿فسجدوا إلا إبليس أبىٰ وواستكبرَ﴾ وإبليس هو القوة الوهمية لأنها ليست من الملائكة الأرضية الصرفة المحجوبة عن إدراك المعاني بإدراك الصور، فيذعن بالقهر مطاوعة لأمر الله، ولا من السماوية العقلية فتدرك شرف آدم وتوافق عقله فيذعن بالمحبة طالباً لرضا الله. وكان جنيّاً: أي من جملة الملكوت السفلية والقوىٰ الأرضية، نشأ وتربى بين ظهور الملائكة السماوية لإدراكه المعاني الجزئية وترقيه إلى الأفق العقليّ ولهذا كان في الحيوانات العجم بمنزلة العقل في الإنسان وإباؤه عدم انقياده للعقل، وامتناعه لقبول حكمه، واستكباره تفوّقه على الخلقة الطينية والملائكة السماوية والأرضية بعدم وقوفه على حدّه من إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وتعدّيه عن طوره بخوضه في المعاني العقلية والأحكام الكلية. ﴿وكانَ مِنَ الكافرينَ﴾ المحجوبين في الأزل عن الأنوار العقلية والزوجية فضلاً عن نور الوحدة.

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وقلنا يا آدم أَسكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنة﴾ زوجته: هي النفس، وسميّت حواء لملازمتها

الجسم الظلماني إذ الحياة هي اللون الذي يغلب عليه السواد كما أن القلب سمي آدم لتعلقه بالجسم دون الملازمة بالانطباع إذ الأدمة هي السمرة أي: اللون الذي يضرب إلى السواد ولولا تعلقه لما سمي آدم. والجنة المأمور بملازمتهما إياها هي سماء عالم الروح التي هي روضة القدس أي ألزِمَا سماء الروح.

﴿وكلا منها رَغداً حيثُ شِئتُما﴾ أي: توسّعا وتفسحا في تلقي معانيها ومعارفها وحكمها التي هي الأقوات القلبية والفواكه الروحية توسعاً بالغاً على أي وجه ومن أي مرتبة وحال ومقام شئتما إذ هي دائمة غير منقطعة ولا محجورة ﴿فتكونا من الظالمين﴾ الواضعين النور في محل الظلمة الذي ليس موضعه والناقصين من نور استعدادكما وحظكما من عالم النور، فإن الظلم في العرف هو وضع الشيء في غير موضعه وفي اللغة نقص الحق والحظ الواجب.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فأزلهما الشيطانُ عنها﴾ أي: حملهما على الزلة من مقامهما إلى مهوى الطبيعة عن الجنة بتسويل الملاذ الجسمانية ودوامها عليهما ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم والروح الدائم. وقيل: بينما هما يتفرّجان في الجنة إذ راعهما طاووس تجلّى لهما على سور الجنة، فدنت حواء منه وتبعها آدم فوسوس لهما الشيطان من وراء الجدار. وقيل: توسل بحيّة تتسوّر الجنة فأخذ بذنبها وصعد الجنة. والأوّل إشارة إلى توسله من قبل الشهوة خارج الجنة. والثاني: إلى توسله بالغضب. وتسوّره جدار الجنة: إشارة إلى أن الغضب أقرب إلى الأفق الروحانيّ والحيز القلبيّ من الشهوة. ﴿وقلنا اهبطوا﴾ أي: ألزمناهم الهبوط إلى الجهة السفلية التي هي العالم الجسمانيّ ﴿بعضكم لبعضٍ عدو﴾ حال من الهبوط مقيد له إذ الهبوط إلى الدنيا التي هي الجهة السفلية يستلزم كون مطالبها جزئية في ضيق المادة محصورة لا تحتمل الشركة. وكلما حظي بها أحد حرم منها غيره فمنعه، فيقع بينهما العداوة والبغضاء بخلاف المطالب الكلية وجمع الخطاب لأن خطابهما خطاب النوع إذ الأصل يتناول الفرع ﴿ولكم في الأرض﴾ أي: في هذه الجهة ﴿مُستَقر﴾ استقرار ﴿ومتاعٌ﴾ تمتع ﴿إلىٰ حينٍ﴾ أي: حين تجرّدهما بالموت الإرادي أو انقطاع حظوظهما بالموت الطبيعي وقيام أحد القيامتين الكبرى أو الصغرى.

[٣٧] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فتلقىٰ آدم من ربهِ كلماتٍ﴾ أي: استقبل من جهة ربّه أنواراً وأطواراً، أي: مراتب من

الملكوت والجبروت وأرواحاً مجرّدة، إذ كل مجرد كلمة لأنه من عالم الأمر كما سمي عيسى كلمة أو تلقن منه معارف وعلوماً وحقائق. ﴿فتابَ عليه﴾ تقبّل رجوعه إليه بالتجرّد عن الملابس الطبيعية والانخراط في سلك الأنوار الملكوتية، والاتصاف بالكمالات القُدسية، والتجلّي بالعلوم الحقيقية. وأصل تاب عليه: ألقى الرجوع عليه وجعله راجعاً. ولعمري إنها هي التوبة المقبولة لا الرجوع الناشىء من قبله. ﴿إنه هو التوابُ﴾ الكثير القبول لتوبة عباده ﴿الرحيم﴾ الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في حين غضبه، كما جعل غضبه على آدم سبب كماله ورجوعه إليه وبعده ليقرب منه.

[٣٨] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قلنا اَهبِطوا منها جميعاً﴾ كرر ذلك الأمر بالهبوط ليفيد أنه هو الذي أراد ذلك ولولا إرادته لما قدر إبليس على إغوائهم، ولهذا أسند الإهباط إلى نفسه مجرداً عن التعليق بالسبب بعد إسناد إخراجهما إلى الشيطان، فهو قريب مما قال لنبيه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١] فتفطن منه سرّ قضائه وقدره وبين وجه حكمة الإهباط بتعقيبه بقوله: ﴿فإما يأتينكم مني هُدىً فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنُونَ﴾ وإيراده بالفاء إذ لولا الهبوط لما أمكنهم من متابعة الهدى، ولما تميز السعيد والشقيّ، ولا حصل استحقاق الثواب والعقاب، ولبطل دار الجزاء من الجنة والنار، بل ما وجدت. والهدى هو الشرع فمن تبعه أمن سوء العاقبة فلم يخف مما يأتي من العقاب والفناء، وتسلىٰ عن الشهوات واللذات، فلم يحزن على ما فاته من حطام الدنيا ونعيمها لاكتحال بصيرته بنور المتابعة واهتدائه إلى ما لا يقاس بلذات الدنيا من الأذواق الروحانية، والفتوحات السريّة، والمشاهدات القلبية، والعلوم العقلية، والمواجيد النفسية.

[٣٩ - ٤٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿والذينَ كَفروا﴾أي: حجبوا عن الدين لكونه في مقابلة اتباع الهدى. وإردافه بقوله: ﴿وكَذبوا بآياتِنا أُولٰئكَ أصحابُ النارِ﴾ أي: نار الحرمان ﴿هم فيها خالدون * يا بَني إسرائيلَ اُذكُروا نِعْمتي التي أنعمتُ عليكم وأوفُوا بِعَهدي أُوفِ بعهدكم وإيايَ فارهبون﴾ بنو إسرائيل هم أهل اللطف الإلٰهيّ، وأرباب نعمة الهداية والنبوة، دعاهم باللطف وتذكير النعمة السابقة،

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

والعهد السالف المأخوذ منهم في التوراة بتوحيد الأفعال بعد العهد الأزليّ كما هو عادة الأحباب عند الجفاء.

ألم يك بيننا رحم ووصل وكان بنا المودّة والإخاء

وهذه الدعوة مخصوصة بتوحيد الصفات الذي هو رفع الحجاب الثاني، فهي أخص من الدعوة الأولى العامة لتذكير النعمة الدينية والعهد والتجلّي بصفة المنعم والوليّ، والتهديد على عدم إجابتها بالرهبة-التي هي أخصّ من الخوف، فإن الخوف إنما يكون من العقاب، والرهبة من السخط والقهر، والإعراض والاحتجاب والخشيّة أخص منها لكونها مخصوصة باحتجاب الذات. قال الله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[1]. وكذا الهيبة لأنها قرنت بعظمة الذات.

﴿وآمنوا بما أنزلتُ﴾ من القرآن على حبيبي من توحيد الصفات ﴿مصدقاً لما معكم﴾ في التوراة من توحيد الأفعال ﴿ولا تكونوا أوّل كافرٍ به﴾ أي: أول محجوب عنه لاحتجابكم باعتقادكم ﴿ولا تشتروا﴾ أي: لا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ الدالة على تجليّات ذاتي وصفاتي كسورة (الإخلاص) وآية (الكرسي) وأمثالهما، ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي: جنتكم النفسية لتألفكم بالملاذ الحسيّة وثواب الأعمال بتوحيد الأفعال. وإن اتقيتم عن الشرك فاتقوا سطوة قهري وجلالي وحجابي بابتغاء رضاي فلا تثبتوا صفة لغيري.

[٤٢] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطلِ﴾ أي: ولا تخلطوا صفاته تعالى الثابتة كعلمه وقدرته وإرادته بالباطل الذي هو صفات نفوسكم بظهورها بصفاتها وعدم تمييزكم بين دواعيها وخواطرها ودواعي الحق وخواطره، ولا تكتموها بحجاب صفات النفس وسترها إياها عند ظهورها ﴿وأنتم تعلمون﴾ من علم توحيد الأفعال أنّ مصدر الفعل هو الصفة، فكما لم تسندوا الفعل إلى غيره لا تثبتوا صفة لغيره.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وأقيموا الصلوٰة وآتوا الزكوٰة﴾ طلباً لمرضاتي لا رجاء لثوابي، ومصداقه قوله: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ إذ الركوع هو الخضوع والإذعان لما يفعل به فهو علامة الرضا الذي هو ميراث تجلّي الصفات وغايته، أي: ارضوا بقضائي عند مطالعة صفاتي والتوجه عند القيام بالفعل علامة طلب الثواب والأجر لاستقلال النفس بصورتها، والسجود الذي هو غاية

(١) سورة الرعد، الآية: ٢١.

الخضوع علامة الفناء في الوحدة عند تجلي الذات.

[٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿أتأمرونَ الناسَ بالبرِ﴾ الذي هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب، وزكاء النفس الزائد منها بالتنوّر ﴿وتَنسَونَ أنفسكم﴾ أفلا تفعلون ما ترتقون به من مقام تجلّي الأفعال إلى تجلّي الصفات ﴿وأنتم تَتْلُونَ﴾ كتاب فطرتكم الذي يأمركم باتباع محمد في دينه السالك بكم سبيل التوحيد ﴿أفلا تعقِلونَ﴾ تعيير بالغ، وتهييج لحميتهم.

[٤٥ ـ ٤٦] ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿واْستَعينوا﴾ واطلبوا العون والمدد ممن له القدرة، إذ لا قدرة لكم على أفعالكم ﴿بالصبْرِ﴾ على ما تكرهون مما يفعل بكم وتكلفكم ونيتكم به لكي تصلوا إلى مقام الرضا ﴿والصلوٰة﴾ التي هي حضور القلب لتلقي تجليّات الصفات ﴿وإنها﴾ وإنّ المراقبة أي الحضور القلبيّ ﴿لكبيرةٌ﴾ لشاقة ثقيلة ﴿إلا علىٰ الخاشعينَ﴾ المنكسرة، اللينة قلوبهم لقبول أنوار التجليات اللطيفة واستيلاء سطوات التجليات القهرية، الذين يتيقنون أنهم بحضرة ربهم، أي: حضرة الصفات لدلالة الربّ عليها في حال لقائه، ﴿وأنهم إليهِ راجِعونَ﴾ بفناء صفاتهم ومحوها في صفاته.

كرّر الخطاب ليفيد أنّ الذي هداهم أولاً ولطف بهم وفضلّهم على عالمي زمانهم المحجوبين بالهداية إلى رفع الحجاب الأول هو الذي يهديهم ثانياً، فكما لم يرد بهم شرّاً في الهداية الأولى فكذلك في الثانية لا يريد بهم إلا خيراً.

[٤٨] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿واتقوا يوماً لا تَجزِي﴾ أي: حال تجلي صفة القهر حين لا تغني ﴿نَفسٌ عنْ نَفسٍ شَيئاً﴾ من الإغناء لعدم القدرة لأحد ﴿ولا يُقبلُ منها شفاعةٌ﴾ لعدم الشفاعة والمدد إذ كلهم ملوبو الصفات والأفعال، كقوله:

ولا تــرى الــضــب بــهــا يــنــحــجــر

﴿ولا يؤخذُ منها عدلٌ﴾ أي: فدية لعدم الملك لأحد ﴿ولا هم يُنصَرونَ﴾ لامتناع القوّة والنصرة لغيره تعالى.

[٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

﴿نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾

﴿وإذْ نَجيناكم من ءَالِ فِرعونَ﴾ ظاهره وتفسيره على ما يفهم من تذكير النعمة لتهييج المحبة وباطنه وتأويله وإذ نجيناكم من آل فرعون النفس الأمارة المحجوبة بأنانيتها المستعلية على ملك الوجود ومصر مدينة البدن التي استعبدت هي وقواها التي هي الوهم والخيال والمتخيلة والغضب والشهوة والقوى الروحانية التي هي أبناء صفوة الله يعقوب الروح والقوى الطبيعية البدنية من الحواس الظاهرة والقوى النباتية.

﴿يَسُومونَكم سُوءَ العَذَابِ﴾ يكلفونكم المتاعب الصعبة والكدّ والأعمال الشاقّة في جمع المال وادّخاره بالحرص والأمل وترتيب الأقوات والملابس وغيرها مما يكدح فيه الحرّاص من أبناء الدنيا ويستعبدونكم في التفكر فيها والاهتمام بها وضبطها وتحصيل لذاتهم التي هي عذاب لمنعها إياكم عن لذاتكم. ﴿يذبحونَ أبناءَكُم﴾ التي هي تلك القوى الروحانية عن العاقلة النظرية، والعاقلة العملية اللتين هما عينا القلب النظرية اليمنى والعملية اليسرى، والفهم الذي هو سمع القلب، والسرّ الذي هو قلب القلب، والفكر والذكر ﴿ويستحيونَ نِساءَكم﴾ القوى الطبيعية المذكورة بمنع الطائفة الأولى عن أفعالها الخاصة بالقهر والاستيلاء وحجبها عن حياة نور الروح ومددها وأقدار الطائفة الثانية عن أفعالها وتمكينها.

﴿وفي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء نعمة عظيمة ﴿من ربكم﴾ هي نعمة مطالعة صفات جلاله وجماله، أو في ذلكم التعذيب نقمة عظيمة من ربكم هي نقمة الاحتجاب والحرمان والبعد، إذ البلاء الذي هو الامتحان يحصل بهما. قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1].

[٥٠] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾

﴿وإذْ فرقنا﴾ بوجودكم ﴿البَحرَ﴾ أي البحر الأسود الزعاق الذي هو المادة الجسمانية لانفلاقها بوجودكم انفلاق الأرض من النبات ﴿فأنجَيناكُم﴾ بالتجرّد منها ﴿وأغرَقنا ءَالَ فِرْعونَ﴾ أي: القوى النفسانية فيها بملازمتها إياها وهلاكها بفسادها، ﴿وأنتم﴾ تشاهدون ذلك. وعلى هذا يمكن أن يؤوّل بنو إسرائيل في أوّل الخطاب بتلك القوى الروحانية والنِعمة التي أنعم بها عليهم هي التهدي إلى قبول الأنوار الفائضة عليها من عالم الروح وتلقي المعارف والحكم، وإيفاؤهم بالعهد، وإبرازهم ما ركز فيها بحسب الاستعداد الأول من الأدلة التوحيدية والمعاني الكلية الكامنة فيها بالتصفية ومزاولة ما يختص بها من الأفعال، وإيفاؤه بعهدهم إفاضة النور الكماليّ عليها عند قيامها بحق النور الاستعدادي بالتصفية واستعمال ما

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

عندها من المعاني. وإن كنتم رهبتم شيئاً فارهبوا احتجاب أنواري بزوال استعدادكم، وآمنوا أي: واقبلوا ما أفيض عليكم من الإشراقات النورية والسوانح الغيبية مصدّقاً لما في استعدادكم من النور الفطريّ، ولا تكونوا في أوّل رتبة المحتجبين عن قبولها بالتوجه إلى الجهة السفلية ولا تستبدلوا بها لذات النفس ومقاصدها، ولا تخلطوا حق المعارف الروحية والأنوار القدسية بباطل المطالب الحسية والصفات النفسية، وتكتموا تلك الأنوار والمعارف بظهور هذه عليكم. وأقيموا وأديموا التوجه إلى حضرة الروح وامتثال أمره، وآتوا زكاة معلوماتكم التي هي أموالكم بتصفحها وتركيبها لتحرزوا بها ثواب النتائج واللوازم، وأنفقوها على فقرائكم الذين بحضرتكم من القوى البدنية الطبيعية ليعيشوا بها، ويكتسبوا بها الأخلاق الفاضلة والملكات الجميلة، وعلموها أبناء جنسكم ليكملوا بها، واركعوا واخضعوا لقبول الأوامر العقلية والأنوار الروحية والأعمال القلبية. أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم؟ أتسوسون ما تحتكم من القوى بالعبادات الجميلة والآداب الحسنة والترقي إلى مقامكم والتأدب بآدابكم وتنسون أنفسكم في التأدّب بين يدي الله بآداب الروحانيين والتمرّن في المراقبة، والتنوّر بأنوار الروح في مقام المشاهدة والترقي إلى مقامه عند الفناء في الوحدة، وأنتم تتلون كتاب المعقولات النازلة من ربّ الروح بواسطة ملك العقل إلى نبيّ القلب. أفلا تعقلون بالعقل المجرّد عن شوب الهوى والوهم؟ واستعينوا بالصبر على ما يظهر عليكم ويرد من سلطنة أنوار سلطان الروح وأحكامه وقهر تجليات العظموت والحضور مع الحق، وإن هذه الاستعانة لشاقّة إلا على الخاشعين، المرتاضين، المذعنين لانقياد أمر القلب والروح، المتيقنين بأنهم بحضرته وفي لقائه، وأنهم يرجعون إليه في قبول أنواره. وتفضيلهم على العالمين هو شرفهم على جميع ما في الإنسان من القوى.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وإذ وَاعدنا مُوسىٰ﴾ بعد فراغه من مقاومة آل فرعون وإهلاكهم ﴿أربعينَ ليلةً﴾ يخلص لنا فيها لترفع بها الغشاوات الطبيعية التي حجبت قلبه عن معدن النور في الأربعين التي خلق فيها بدنه عند تكوّنه جنيناً واحتجابه بالنشأة عن الفطرة كما ورد في الحديث: «خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً». وعن وجه قلبه، وتظهر حكمة التوراة من قلبه على لسانه ﴿ثم اتخذتم﴾ عجل النفس الحيوانية الناقصة إلٰهاً من بعد اعتزاله وغيبته عنكم ﴿وأنتم ظَالِمُون﴾ واضعون العبادة في غير موضعها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ثم عَفَونا عنكم من بعدِ ذٰلك﴾ الفعل الشنيع، والظلم القبيح، بتوبتكم عند رجوع

موسى إليكم لكي تشكروا نعمة عفوي بتصوّر تلك النعمة عن المنعم فتستعدّوا لقبول تجلّي صفة المنعم. وعلى التأويل الثاني: واعدنا موسىٰ القلب عند تعلقه بالبدن واحتجابه عن قومه القوى الروحانية الأربعين التي خلقت فيها بنية بدنه ثم تعبّدتم عجل النفس الحيوانية الطفل من بعد غيبته واحتجابه في حال الصبا ﴿لعلكم تشكرون﴾ التعبد بالبلوغ الحقيقيّ، وظهور نور القلب بتجرّدكم لكي تشكروا نعمة توفيقي إياكم لذلك التجرّد وتهيئتي لأسباب كمالكم بسلوك سبيل صفاتي.

[٥٣ ـ ٥٤] ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذ آتينا موسىٰ﴾ القلب كتاب المعقولات والحكم والمعارف والتمييز الفارق بين الحق والباطل، لكي تهتدوا بنور هداه. وعلى الوجه الأول غنيّ عن التأويل ﴿ظلمتم أنفسكم﴾ نقصتم حقوقها وحظوظها من الثواب والتجليات المذكورة ﴿فتوبوا﴾ إلى خالقكم برفع الحجاب الأول لدلالة ذكر البارىء عليه ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ بسيف الرياضة ومنعها عن حظوظها وأفعالها الخاصة بها على سبيل الاستقلال وقمع هواها التي هي روحها التي تحيا هي بها، وعلى الثاني ألهم القلب قواه أنكم نقصتم حقوقكم بتعبد النفس فارجعوا إلى بارئكم بنور هداه فامنعوا أنفسكم بالرياضة عما ضريتم فاقتلوها عن حياتها العارضة لها بغلبة الهوى لتحيوا بحياتكم الأصلية فتقبل توبتكم.

[٥٥ ـ ٥٧] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وإذ قلتم يا موسىٰ لن نؤمن﴾ لأجل هدايتك الإيمان الحقيقي حتى تصل إلى مقام المشاهدة والعيان ﴿فأخذتكم﴾ صاعقة الموت الذي هو الفناء في التجلي الذاتي ﴿وأنتم﴾ تراقبون أو تشاهدون. ﴿ثم بعثناكم﴾ بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله ﴿وظللنا عليكم﴾ غمام تجلي الصفات لكونها حجب شمس الذات المحرقة بالكلية، ﴿وأنزلنا عليكم﴾ من الأحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة وإسهال رذائل أخلاق النفس كالتوكل والرضا، وسلوى الحكم، والمعارف والعلوم الحقيقية التي تحشرها عليكم رياح الرحمة، والنفحات الإلٰهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها. ﴿كلوا﴾ أي: تناولوا وتلقوا هذه الطيبات ﴿وما ظلمونا﴾ ما نقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم

بصفات نفوسهم ﴿ولكن كانوا﴾ ناقصين حقوق أنفسهم بحرمانها وخسرانها. هذا على التأويلين، والخطاب وإن كان عاماً لكنه مخصوص بالسبعين المختارين.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ أي: روضة الروح المقدسة التي هي مقام المشاهدة ﴿وادخلوا الباب﴾ الذي هو الرضا كما ورد في الحديث: «الرضا بالقضاء باب الله الأعظم»، ﴿سجداً﴾ منحنين، خاضعين، لما يرد عليكم من التجليات الوصفية والفعلية والحملية. وقوله: ﴿وقولوا حِطةٌ﴾ أي: اطلبوا أن يحط الله عنكم ذنوب صفاتكم وأخلاقكم وأفعالكم ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ تلويناتكم وذنوب أحوالكم ﴿وسَنَزِيدُ المُحْسنين﴾ أي: المشاهدين لقوله عليه الصلاة والسلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه». ثواب إحسانهم الذي هو كشف الذات أو إحسانهم بالسلوك في الله.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فبدل الذين ظَلَموا قولاً غير الذي قِيلَ لهم﴾ أي: طلبوا الاتصاف بصفات النفس ابتغاء حظوظها سوى طلب الاتصاف بصفات الله ابتغاء الحظوظ الروحية. كما روي عنهم حنطاً سمقاثاً أي: نطلب غذاء النفس. ﴿فأنزلنا﴾ على الظالمين خاصة ﴿رِجزاً﴾ عذاباً وضنكاً وضيقاً وظلمة في حبس النفس وأسراً في وثاق التمني واحتجاباً في قيد الهوى، وحرماناً وذلاً بمحبة المادة السفلية وتغيرها وزوالها من جهة قهر سماء الروح، ومنع اللطف والروح عنهم بسبب فسقهم أي خروجهم عن طاعة القلب إلى طاعة النفس، وتركنا التأويل الثاني لقربه منه جداً.

[٦٠ - ٦١] ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

(٦٠) ﴿وإذ استسقىٰ موسىٰ﴾ طلب نزول أمطار العلوم والحكم والمعاني من سماء الروح، فأمرناه بضرب عصا النفس التي يتوكأ عليها في تعلقه بالبدن وثباته على أرضه بالفكر على

حجر الدماغ الذي هو منشأ العقل ﴿فانفجرتْ مِنه اثنتَا عشرةَ عيناً﴾ من مياه العلوم على عدد المشاعر الإنسانية التي هي الحواس الخمس الظاهرة، والخمس الباطنة، والعاقلة النظرية والعملية. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «من فقد حسّاً فقد فَقَدَ علماً». ﴿قد علم كل أُناسٍ مشربهم﴾ أي: أهل كل علم مشربهم من ذلك العلم، كأهل الصناعات، والعلماء العاملين من مشرب العقل العمليّ، والحكماء والعارفين من النظريّ والصباغين من علم الألوان المبصرة، وأهل صناعة الموسيقى من علم الأصوات وغير ذلك. وعلى التأويل الثاني: أمرنا موسى القلب، بضرب عصا النفس على حجر الدماغ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً هي المشاعر المذكورة التي تختص كلّ واحدة منها بقوّة من القوى الاثنتي عشرة المذكورة التي هي أسباط يعقوب الروح، قد عِلم كل منها مشربه ﴿كُلُوا واشربُوا من رِزقِ الله﴾ أي: انتفعوا بما رزقكم الله من العلم والعمل والأحوال والمقامات. ﴿ولا تعثوا في الأرضِ مُفْسدين﴾ ولا تبالغوا في الفساد بالجهل.

﴿لنْ نصبِرَ على طعامٍ واحِدٍ﴾ أي: الغذاء الروحاني من العلم والمعرفة والحكمة ﴿فَادْعُ لنا ربك﴾ أي: اسأل لنا ربّك يوسع علينا، ويرخص لنا فيما تنبته أرض نفوسنا من الشهوات الخبيثة واللذات الخسيسة والتفكهات الباردة وكل ما فيه حظ النفس وعذابها. ﴿اهبطوا مِصْراً﴾ أي: مدينة البدن ﴿فإنّ لكم﴾ فيها ﴿ما سألتم وضُرِبَتْ عليهم الذلة﴾ اللازمة لاتباع الشهوات والحرص في المقتنيات ﴿والمَسكنةُ﴾ أي: دوام الاحتياج ودوام سكنى الجهة السفلية ﴿وبَاءُوا﴾ واستحقوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ البعد والطرد ﴿مِن الله ذَلكَ﴾ باحتجابهم عن آيات الله وتجلياته، والباقي ظاهر. وعلى الوجه الثاني: ويقتلهم أنبياء القلوب بغير أمر ثابت لهم عليهم يتوجه به ذلك بل بصرف باطلهم ذلك بعصيانهم أوامر القلوب والعقول واعتدائهم عن ظهورهم.

[٦٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إن الذينَ آمنُوا﴾ الإيمان التقليديّ، والظاهريين والباطنيين والذين تعبدوا ملائكة العقول، لاحتجابهم بالمعقولات وكواكب القوى النفسانية لاحتجابهم بالوهميات والخياليات ﴿مَن آمَن﴾ منهم الإيمان الحقيقي ﴿بالله﴾ والمعاد وأيقنوا علم التوحيد والقيامة، وعملوا ما يصلحهم للقاء الله ونيل السعادة في المعاد، فلهم الثواب الباقي الروحانيّ عند ربهم من جنّات الأفعال والصفات ﴿ولا خوفٌ عليهِم﴾ من عقوبة أفعالهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ بفوات تجليّات الصفات. والجملة اعتراض بين خطاب بني إسرائيل.

[٦٣ ـ ٦٦] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ أي: عهدكم السابق أو اللاحق المأخوذ منهم في التوراة أو بدلائل العقل بتوحيد الأفعال والصفات ﴿ورفعنا فوقكم﴾ طور الدماغ للتمكن من فهم المعاني وقبولها. وقلنا ﴿خذوا﴾ أي: اقبلوا ﴿ما آتيناكم﴾ من التوراة أو كتاب العقل الفرقاني بجدّ ﴿واذكروا﴾ وعوا ما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع، لكي تتقوا الشرك والجهل والفسق ﴿ثم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ بإقبالكم إلى الجهة السفلية ﴿فلولا فضل الله عليكم﴾ بهدايته العقل ﴿ورحمته﴾ بنور البصيرة والشرع ﴿لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا﴾ اعلم: إن الناس لو أهملوا وتركوا وخلّى بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا في اللذات الجسمانية، والغواشي الظلمانية لضراوتهم بها واعتيادهم من الطفولية والصبا حتى زالت استعداداتهم وانحطوا عن رتبة الإنسانية، فمسخوا كما قال تعالى: من لعنه الله وغضب عليه، وجعل منهم القردة والخنازير، وإن حفظوا وروّعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب والمواعظ الوعدية والوعيدية ترقوا وتنوروا، كما قال الشاعر:

هي النفس إن تهمل تلازم خساسة وإن تبتعث نحو الفضائل تبهج

فلهذا وضعت العبادات، وفرض عليهم تكرارها في الأوقات المعينة ليزول عنهم بها درن الطباع المتراكم في أوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة في أزمنة اتخاذ اللذات، وارتكاب الشهوات. فتتنوّر بواطنهم بنور الحضور، وتنتعش قلوبهم بالتوجه إلى الحق عن السقوط في هاوية النفس والعثور، وتستريح بروح الروح، وحبّ الوحدة عن وحشة الهوى، وتعلق الكثرة، كما قال عليه السلام: «الصلاة بعد الصلاة كفارة ما بينهما من الصغائر إذا اجتنبت الكبائر». ألا ترى كيف أمرهم عند الحدث الأكبر ومباشرة الشهوة بتطهير الغسل، وعند الأصغر بالوضوء، وعند الاشتغال بالأشغال الدنيوية في ساعات اليوم والليل بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات الحواس الخمس الحاصلة في النفس بسببها، كل بما يناسبه، فلذلك وضعوا بإزاء وحشة تفرقة الأسبوع وظلمة انفرادهم بدؤوب الأشغال والمكاسب، والملابس البدنية، والملاذ النفسانية، اجتماع يوم واحد على العبادة والتوجه لتزول وحشة التفرقة بأنس الاجتماع وتحصل بينهم المحبة والأنس وتزول ظلمة الاشتغال بالأمور الدنيوية والإعراض عن الحق بنور العبادة والتوجه، ويحصل لهم التنوّر فوضع لليهود أول أيام الأسابيع لكونهم أهل

المبدأ والظاهر، وللنصارى بعده لأنهم أهل المعاد والروحاني والباطن المتأخرين عن المبدأ والظاهر بالنسبة إلينا، وللمسلمين آخرها الذي هو يوم الجمعة لكونهم في آخر الزمان أهل النبوّة الخاتمة وأهل الوحدة الجامعة للكل، وإن جعل السبت آخر الأيام ـ على ما نقل أنه السابع ـ فبالنسبة إلى الحقّ تعالى لأن عالم الحسّ الذي إليه دعوة اليهود هو آخر العوالم، وعالم العقل الذي إليه دعوة النصارى أوّلها، والجمعة هي يوم الجمع والختم، فمن لم يراع هذه الأوضاع والمراقبات أصلاً زال نور استعداده، فمسخ كما مسخت أصحاب السبت. نهوا عن الصيد، أي: إحراز الحظوظ النفسانية واقتنائها في يوم السبت، فاحتالوا فيه فاتخذوا حياضاً على ساحل البحر ليحبسوا فيها الحيتان ويصطادوها يوم الأحد. أي: ادخروا في سائر أيام الأسبوع من ماء بحر الهيولى الجرمية والجرمانيات المادية في حياض بيوتهم فجمعوا بها أنواع المطاعم والمشارب والملاذ والملاهي، فاجتمع لهم من كل الحظوظ النفسانية في يوم السبت ما اكتفوا به سائر أيام الأسبوع ليفرغوا فيها إلى الاشتغال بالمكاسب والصناعات والمهن، كما هو عادة اليهود اليوم وشطار المسلمين في الجماعات فإن أكثر فسقهم فيها، فذلك اعتيادهم في السبت وهو يدل على أنّ جميع أوقات حضورهم مصروفة في هموم الدنيا وطلب حظوظ النفس والهوى. كما ترى اليوم واحداً من المسلمين قالبه في المسجد في الصلاة وقلبه في السوق في المعاملة، حتى قال أحدهم: جريدة حسابي هي الصلاة. أي: إذا فرغت من أشغال الدنيا إلى الصلاة أخذ قلبي في تصفح تجاراتي وما لي على الناس وما للناس عليّ، وذلك موجب للانحطاط عن العالم العلويّ الإنساني إلى الأفق السفليّ الحيواني. وهو معنى قوله:

﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾ أي: مشابهين الناس في الصورة وليسوا بهم **﴿خَاسِئِينَ﴾** بعيدين، طريدين. والمسخ بالحقيقة حق غير منكر في الدنيا والآخرة، وردت به الآيات والأحاديث كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾[(1)]، وقول رسول الله ﷺ: «يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير». وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام: «المسوخ ثلاثة عشر»، ثم عدّهم وبين أعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم. والحاصل أنّ من غلب عليه وصف من أوصاف الحيوانات ورسخ فيه بحيث أزال استعداده وتمكن في طباعه وصار صورة ذاتية له كالماء الذي منبعه معدن الكبريت مثلاً صار طباعه طباع ذلك الحيوان ونفسه نفسه، فاتصلت روحه عند المفارقة ببدن يناسب صفته فصارت صفته صورته والله أعلم بذلك.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وإذْ قال موسىٰ لِقومِه إن الله يَأمركم أنْ تذبحوا بَقرةً﴾ هي النفس الحيوانية، وذبحها قمع هواها الذي هو حياتها ومنعها عن أفعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة ﴿قالوا أتتخذنا﴾ مهزوّاً بنا، وتستخفنا لنطيعك ونتسخر لك كما جاء في حق فرعون: فاستخف قومه فأطاعوه. ﴿قال أعوذُ بالله أنْ أكونَ مِن الجاهلين﴾ الاستخفاف والاستهزاء وطلب الترؤس هو فعل الجهال.

[٦٨ - ٧١] ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قالوا ادْعُ لنَا ربك يُبين لنا ما هِيَ﴾ أي: سل لنا ربّك ما هي ﴿إنها بقرةٌ لا فارِضٌ﴾ أي: غير مسنّة لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها بعاداتها كما قيل: الصوفيّ بعد الأربعين بارد. ﴿ولا بِكرٌ﴾ أي: فتيّة، لقصور استعدادها عما يراد منها وعسر احتمالها للرّياضة لغلبة القوى الطبيعية وقوتها فيها ﴿عَوانٌ﴾ نصفة ﴿بين﴾ ما ذكر ﴿صفراء﴾ لأن لون الجسم أسود لعدم النورية فيه أصلاً، ولون النفس النباتية أخضر لظهور النورية فيها، وغلبة السواد عليها لعدم إدراكها، ولون القلب أبيض لتجرّده عن الجسم، وقوّة إدراكه، وكمال نوريته. فلزم أن يكون لون النفس الحيوانية في الحيوانات العجم أحمر لتركب نورية إدراكها وسواد تعلقها بالجسم، إذ الحمرة لون بين البياض والسواد ومركب منهما، لكن السواد فيه أكثر. وفي الإنسان أصفر لغلبة نورية إدراكها بمجاورة القلب، إذ الصفرة حمرة عليها البياض ﴿فاقعٌ لونها﴾ لصفاء استعدادها وشعشعان شعاع نور القلب عليها ﴿تسر الناظرينَ﴾ لقوة نور استعدادها وتشعشعها والناظرون هم الكاملون المطلعون على الاستعدادات لوجوب محبتهم للمستعدّين المستبصرين وذوقهم بحضورهم. ﴿إنّ البقَرَ تشابه علينا﴾ لكثرة البقر الموصوف بهذه الصفة، أي: كثرة أصناف المستعدّين وما كل مستعدّ طالباً. كما قيل: ما كلّ طبع قابلاً ولا كل قابل طالباً، ولا كلّ طالب صابراً، ولا كلّ صابر واجداً. ﴿وإنّا إنْ شاء الله لمهتدون﴾ إلى ذبح هذه البقرة. وقولهم: إن شاء الله، دليل على استعدادهم لعلمهم بأن الأمور متعلقة بمشيئة الله، ميسّرة بتوفيقه. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لو لم يستثنوا لما ظفروا بها أبد الدهر».

﴿لا ذَلولٌ﴾ غير مذلّلة، منقادة لأمر الشرع ﴿تثيرُ﴾ أرض الاستعداد بالأعمال الصالحة والعبادات ﴿ولا تسقي﴾ حرث المعارف والحكم التي فيها بالقوّة باستقاء ماء العلوم الكسبية والأفكار الثاقبة، لعدم احتياج مثل هذه البقرة إلى الذبح ﴿مُسلمةٌ﴾ سلمها أهلها لترعى، غير مسوسة برسوم وعادات وشرائع وآداب ﴿لا شِيةَ فيها﴾ أي: لم يرسخ فيها اعتقاد ومذهب لعدم صلاحيتها للذبح.

﴿جِئتَ بالحقِ﴾ الثابت في بيان المستعد المشتاق، الطالب للكمال ﴿فذبحوها وما كادوا يَفعلون﴾ لكثرة سؤالاتهم ومبالغاتهم وتعمقهم في البحث والتفتيش عن حالها، وفضول كلامهم في بيانها التي تدلّ على عدم انقياد النفس بالسرعة، وإبائها للرياضة، وغلبة الفضول عليها، وتعذر مطلوبهم، وتأخرهم عنه بسبب ذلك. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم»، أي: لو لم يكن منهم كثرة فضول البحث والسؤال لما عزّ عليهم مطلوبهم لقوّة قبولهم وإرادتهم، فكان سلس القياد، سهل الانقياد. ونهى ﷺ عن كثرة السؤال، وقال: «إنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال». قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(١).

وقيل في قصتها: إنّ شيخاً من بني إسرائيل نتجت له عجلة على هذه الصفة، وكان له ابن طفل، فجاء بها إلى عجوزة وقال: إنها لهذا الطفل، سلميها في مرعاها عساها تنفعه إذا بلغ. فلما وقعت هذه الواقعة وسعى بنو إسرائيل في طلب البقرة أربعين سنة سمعت العجوز بها، فأخبرت ابنها بما فعل أبوه وقد ترعرع، فجاء إلى المرعى فوجدها، فأتى بها فساوموه في شرائها ومنعته العجوز عن بيعها حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً. فالشيخ هو الروح، والعجوز الطبيعة الجسمانية، وابنه الطفل هو العقل الذي هو نتيجة الروح، والشابّ المقتول هو القلب.

سلّم شيخ الروح عجل النفس إلى عجوز الطبع ليرعى في مرعى اللذات الطبيعية حتى يكبر عسى طفل العقل أن ينتفع بها وقت البلوغ في انتزاع المعقولات من محسوساتها واستعمال الفكر الذي هو من قواها في اكتساب العلوم العقلية. وهو الذي جاء بها من المرعى وسعي بني إسرائيل أربعين سنة إشارة إلى السير إلى الله بالأعمال والآداب والتخلق بالأخلاق، إلى أوان البلوغ الحقيقي، وتجرّد القلب، كما قال الله تعالى: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾(٢) وبلغ أربعين سنة. ومساومتهم إياها في شرائها إشارة إلى طلب القوى الروحانية المنوّرة بنور

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

الهداية الشرعية والإرادة، وانتزاعها من العقل المشوب بالوهم، واستعباد العقل إياها بالمعقولات القياسية، وتسخيرها بالفكريات، وحجبها عن نور الهداية الشرعية بالقياسات العقلية، وعدم تحليتها بالشرعيات. وهذا هو الموجب لتشدّدهم في السؤال وتأخرهم وتباطئهم في الامتثال. ومنع العجوز إياه هو ممانعة الطبع في الانقياد للشرع، وموافقة العقل إياه في ذلك لرعاية العقل جانب الطبع في مصالح المعاش وترفيهه إياه، وترخيصه والتوسيع عليه أكثر من الشرع. وبيعها بملء مسكها ذهباً إشارة إلى تحليها بعد الذبح والسلخ بالعلوم النافعة الشرعية والعقلية الخلقية والأحكام الفرعية الدينية، واشتمال صورتها عليها التي توافق العقل والطبع وتنفعهما باستعمالهما إياها في تحصيل مصالح المعاش والمباغي الطبيعية والمطالب العقلية العملية بإذن الشرع من الوجه الحلال والتصرّف المباح وأنواع الرخص في جميع التمتعات بعد حصول الكمال وتمام السلوك.

[٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وإذ قتلتم نفساً فادارءتم فيها﴾ إشارة إلى بيان سبب الأمر بذبح البقرة، وهو أنه كان شيخ موسر من بني إسرائيل وله ابن شاب فقتله ابنا عمه، أو بنو عمه، طمعاً في ميراث أبيه وطرحوه بين أسباط بني إسرائيل على الطريق، فتدافعوا في قتله، فورد الأمر بذبح البقرة وضربه ببعضها ليحيا فيخبر بالقاتل. فالشاب هو القلب الذي هو ابن الروح الموسر بأموال المعارف والحكم، وقتله منعه عن حياته الحقيقية وإزالة العشق الحقيقي الذي هو حياته عنه باستيلاء قوّتي الشهوة والغضب اللذين هما ابنا عمه النفس الحيوانية أو جميع قواها عليه، إذ الروح والنفس إخوان باعتبار فيضانهما وولادتهما من أب هو العقل الفعال المسمّى «روح القدس» على قياس ما ورد في الحديث: «أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من بقية طين آدم». فإن النفس النباتية الكاملة التي إذا كانت عمّة النفس الإنسانية، كانت النفس الحيوانية عمّتها. قتلاه طمعاً في استعمال المعاني العقلية والحكم التي هي ميراث أبيه في تحصيل مطالبهما وكمالاتهما ولذاتهما بأنواع الحيل والمكر وصناعة الفكر. وطرحاه على طرق القوى الروحانية والطبيعية بين محالها وتدافعهم في قتله هو إحالة كلّ قوة منها الفساد والإثم إلى الأخرى، والصلاح والبراءة إلى نفسها لتنازعها وتجاذبها في أفعالها ولذاتها واحتجاب كلّ منها بما يلائمها عما يلائم الأخرى ورؤيتها الصلاح فيه والفساد في ضدّه. ﴿والله مُخرجٌ ما كنتم تكتُمون﴾ من نور القلب وحياته، بالاستيلاء عليه.

[٧٣] ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فقلنا اَضربوه ببعضها﴾ بذنبها أو لسانها، على ما ورد في القصة، ليحيا، فيخبركم

بالقاتل. وضرب الذنب إشارة إلى إماتة النفس وتبقية أضعف قواها وآخرها، وجهتها التي تلي النفس النباتية ورابطتها بها كالحسّ اللمسيّ مثلاً وسائر الحواس الظاهرة فإنها ذنبها. وضرب اللسان إشارة إلى تعديل أخلاقها وقواها وتبقية فكرها الذي هو لسانها، وهما طريقان: طريق الرياضة وإماتة الغضب والشهوة، كما هو طريق التصوّف وهو بالنفوس القوية الجانية المستولية الطاغية أولى، وطريق التحصيل وتعديل الأخلاق كما هو سبيل العلماء والحكماء، وهو بالنفوس الضعيفة والصافية المنقادة اللينة أولى. فضربوه، فقام وأوداجه تشخب دماً، وأخبر بقاتليه، أي: صار حياً قائماً بالحياة الحقيقية وعليه أثر القتل لتعلقه بالبدن وتلوّثه بمطالبه بحسب الضرورة، وعرف حال القوى البدنية في منعها إياه عن إدراكه وحجبها له عن نوره. ﴿**كذلك يُحيي الله المَوتىٰ**﴾ أي: مثل ذلك الإحياء العظيم، يحيي الله موتىٰ الجهل بالحياة الحقيقية العملية ﴿**ويُريكم**﴾ دلائله وآيات صفاته لكي تعقلون.

[٧٤ ـ ٧٩] ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)**﴾

﴿**ثم قسَتْ قُلوبُكم**﴾ أي: بعد تطاول الأمد، وتراخي مدّة الفترة، وتتابع التلوينات، وتوالي النزغات، قست قلوبكم بكثرة مباشرة الأمور واللذات البدنية، وملابسة الصفات النفسانية ﴿**فهي كالحجارةِ**﴾ من عدم تأثرها بالنقش العلميّ ﴿**أو**﴾ شيء ﴿**أشد قسوةً**﴾ منها، كالحديد مثلاً. ثم بين أن الحجارة ألين منها بأنّ حالها منحصر في الوجوه الثلاثة المذكورة، فأفاد أن القلوب أربعة: قلب تنوّر بالنور الإلٰهيّ منطمساً فيه، واستغرق في البحر العلميّ منغمساً فيه، فانفجرت منه أنهار العلم، فمن شرب منها يحيا أبداً كقلوب أهل الله السابقين وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**وإنّ منَ الحجارةِ لَمَا يتفجّرُ منه الأنهارُ**﴾ وقلب ارتوىٰ من العلم، فحفظ ووعى، فانتفع به الناس، كقلوب العلماء الراسخين وهو المشار إليه بقوله: ﴿**وإن مِنها لَمَا يَشقَّقُ فيخرُجُ منه المَاءُ**﴾ وقلب خشع وانقاد واستسلم وأطاع، كقلوب العباد

والزهّاد من المسلمين، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وإنّ منها لمَا يَهبطُ من خَشيةِ الله﴾ وأدنى أحوال حاله هو الهبوط من خشية الله، أي: الانقياد لما أمر الله من الميل إلى المركز بالسلاسة. وبقي قلب لم يتأثر قطّ بالعلم ولم يتلين بالخوف آبياً للهدى، متكبراً، ممتلئاً بالهوى، متمرّداً، فلا يوجد من الجواهر ما يشبهه لقبول جميعها ما أمر الله به، فكيف بالحديد الذي يلين لما يراد منه؟ قال النبي عليه السلام: «مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضاً فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أجادب[1] أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء. فذلك مثل من فقه في الدين فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». فبين عليه السلام القلوب الثلاثة الأخيرة، والأول من الأربعة هو القلب المحمديّ. ﴿وما الله بغافِلٍ عما تَعمَلونَ﴾ تهديد للقاسية قلوبهم، أي: الله مطلع فيحجبهم عن نوره ويتركهم في ظلماتهم، والآيات التي تتلوها ظاهره.

وتأويل الأولىٰ: ﴿أفتطمعُونَ﴾ أن يوحدوا بتوحيد الصفات لأجل هدايتكم ﴿وقد كان فريقٌ منهم﴾ يقبلون صفات الله ثم يحرّفونها بنسبتها إلى أنفسهم ﴿من بعد ما عَقَلُوهُ﴾ أي: علموا توحيد الصفات وما وجدوه بالعيان ﴿وهم يعلمونَ﴾ أن تلك الصفات لله، لكن نفوسهم ينتحلونها بالإشراك حالة ذهول العقل عن استيلائها على القلب لعدم كون توحيدهم ملكة وحالاً، بل علماً. ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾، أي: ويل لمن بقيت منه بقايا صفات النفس وهو لا يشعر بها أو يشعر فيحتال أو لا يحتفل بها فيفعل ويقول بنفسه وصفاتها، ويدّعي أنه من عند الله ليكتسب به حظاً من حظوظ النفس، بل عين ذلك القول والفعل ونسبته إلى الله حظ تامّ لها وذنب لا ذنب أقوى منه. ويمكن أن تؤوّل الآيات الثلاث الأول على الوجه الثاني المبني على التطبيق فيقال: أفتطمعون، أيتها القوى الروحانية، أن تؤمن هذه القوى النفسانية لأجل هدايتكم منقادة. وقد كان فريق منهم كالوهم والخيال يسمعون كلام الله، أي: يتلقفون المعاني الواردة من عند الله على القلب ثم يحرّفونه بالمحاكاة وكثرة الانتقالات وجعلها جزئية، وإعطائها أحكام الجزئيات كما في المنامات والواقعات. من بعد ما عقلوه، أي: أدركوه على حاله وهم يعلمون تحريفها وانتقالاتها إلى اللوازم والأشباه والأضداد.

وإذا لقوكم بالتوجه نحوكم، وتلقن مدركاتكم عند حضوركم، ومشايعتها إياكم،

(١) في المطبوع: «أخاذات». والمثبت من «فتح الباري» (١/ ١٧٥)، و «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٨٧).

وعروجها، أذعنوا وصدّقوا. ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾ في أوقات الغفلات، منع بعضهم بعضاً عن إلقاء ما فتح الله عليهم من مدركاتهم المحسوسة والمخيلة والموهومة ليركبوا منها الحجج ويحاجوهم بها في الحضرة الروحانية عند ربهم.

﴿أو لا يَعلَمونَ أن الله يَعلَم ما يُسِرّون﴾ عنكم من مدركاتهم ﴿وما يُعلِنون﴾ فيطلعكم عليها وينصركم عليهم ﴿ومنهم﴾ أي: القوى الطبيعية الغير المدركة والحواس الظاهرة ﴿لا يعلمون﴾ كتاب المعاني المعقولة ﴿إلا أماني﴾ لذاتهم وشهواتهم وما يتيقنون خاتمة عاقبتها ومضرّتها في طريق الكمال، بل يظنون نفعها وخيريتها.

[٨٠ ـ ٨٢] ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وقالوا لن تمسنا النار﴾ إلى آخر الآية. اعتقدوا أن زمان العقاب يساوي زمان مباشرة الذنب، ولم يعلموا أنّ الذنب إذا كان معتقداً فاسداً، ثابتاً في النفس، وهيئة راسخة فيها، وصار ملكة كصورة ذاتية لها، كان سبباً لتخليد العذاب. وهو معنى قوله تعالى: ﴿وأحاطَتْ به خطِيئتُه﴾ أي: استولت عليه واستوعبت كالسواد المستوعب للثوب. ولو لم يكن كذلك لما كانت الطاعة أيضاً سبب خلود الثواب.

[٨٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وإذْ أخذْنا مِيثاق بَني إسرَائيلَ﴾ عاهدناهم بالتوحيد. ومقتضى التوحيد ملاحظة الحضرة الربوبية ومشاهدة تجلياتها في مظاهرها، والقيام بحقها على حسب ظهور أوصافها. وأول من يظهر عليه صفات الربوبية وآثارها في الظاهر وعالم الشهادة هما الأبوان لمكان النسبة والتربية والعطوفية، التي هي آثار الموجد الربّ الرحيم فيهما له. فالإحسان إليهما يجب أن يلي عبادة الله بحسب ظهوره في مظهريهما، ثم ذوي القربىٰ لظهور المواصلة والمرحمة الإلٰهية فيهم بالنسبة إليه، ثم اليتامىٰ لاختصاص ولايته وحفظه تعالىٰ بهم فوق من عداهم إذ هو وليّ من لا وليّ له، ثم المساكين لتوليته رعايتهم ورزقهم بنفسه بلا واسطة غيره، ثم سائر الناس للمرحمة العامّة بينهم التي هي ظلّ الرحمانية. فالإحسان المأمور به في الآية على درجاته وتفاضله في مراتبه هو تخصيص العبادة بالله مع مشاهدة صفاته في مظاهرها ورعاية حقوق تجلياتها وأحكامها.

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وإذ أخذنا ميثاقَكم لا تسفِكون دِماءَكُم﴾ بهواكم إلى مقارّ النفس وصفاتها وميلكم إلى هواها وطباعها، ومتاركتكم حياتكم الحقيقية، وخواص أفعالكم لأجل تحصيل مآربها ولذاتها ﴿ولا تُخرِجون أنفسَكم﴾ أي: ذواتكم. إذ يعبر بالنفس عن الذات ﴿من دِيارِكُم﴾ أي: مقارّكم الروحانية والروضات القدسية ﴿ثم أقرَرْتم﴾ بقبولكم لذلك ﴿وأنتُم تشهدون﴾ عليه باستعداداتكم الأوليّة وعقولكم الفطرية.

[٨٥ ـ ٨٦] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿ثم أنتُم هٰؤلاءِ﴾ الساقطون عن الفطرة، المحتجبون عن نور الاستعداد الأصليّ ﴿تَقتلون أنفُسَكم﴾ بغوايتكم ومتابعتكم للهوى ﴿وتُخرجون فَريقاً منكُم من دِيارهم﴾ أوطانهم القديمة الأصلية، بإغوائهم وإضلالهم وتحريضهم على ارتكاب المعاصي واتباع الهوى ﴿تَظاهرون عليهم﴾ تتعاونون عليهم ﴿بالإثم﴾ بارتكاب الفواحش والمعاصي ليروكم فيتبعوكم فيها ﴿والعدوانِ﴾ والاستطالة على الناس ليتعدّى إليهم ظلمكم، وإلزامكم إياهم رذائل القوّتين البهيمية والسبعية وتحريضكم لهم عليها، وتزيينكم لهم إياها كما هو عادة ملاحدة المسلمين من أهل الإباحة المدّعين للتوحيد. ﴿وإن يأتُوكم أَسارىٰ﴾ في قيد تبعات ارتكبوها وشين أفعالهم القبيحة، أخذتكم الندامة وعيرتهم عقولهم وعقول أبناء جنسهم بما لحقهم من العار والشنار ﴿تُفادُوهم﴾ بكلمات الحكمة والموعظة والنصيحة الدالة على أنّ اللذات المستعلية هي: العقلية والروحية وعاقبة اتباع الهوى والنفس والشيطان وخيمة، ومشاركة البهائم والهوامّ في أفعالها مذمومة رديئة، فيتيقظوا بها ويتخلصوا من قيد الهوى سويعة كما نشاهد من حال علوج مدّعي التوحيد والمعرفة والحكمة وأتباعهم في زماننا هذا.

﴿أفتُؤمنون بِبَعض الكِتاب﴾ أي: كتاب العقل والشرع قولاً وإقراراً، فتقرون به وتصدّقونه وهو أنّ اتباع الهوىٰ والنفس مذموم، موجب للوبال والهلاك والخسران ﴿وتكْفرون بِبعض﴾ فعلاً وعملاً فلا تنتهون عما نهاكم عنه، وهو إباحتهم واستحلالهم للمحرّمات والمنهيات ﴿فما جَزاء من يَفعل ذٰلك مِنكم إلا خِزيٌ﴾ افتضاح وذلة ﴿في الحياة الدنيا ويوم القيامة﴾ أي: حال

المفارقة التي هي القيامة الصغرى ﴿يُرَدون إلى أشد العذابِ﴾ الذي هو تعذيبهم بالهيئات المظلمة الراسخة في نفوسهم واحتراقهم بنيرانها أو مسخهم عن صورهم بالكلية، وتضاعف البليّة ﴿وما الله بغافلٍ﴾ عن أعمالكم، أحصاها وضبطها في أنفسكم وكتبها عليكم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[1].

[٨٧ ـ ١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ
مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا
جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا
جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن
يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ
غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ
ظَٰلِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣) قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ
فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا
لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾

﴿ولقد آتينا موسىٰ الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿لا يعلمون﴾ ظاهر ومعلوم مما مرّ. والظاهر أن جبرائيل هو العقل الفعال. وميكائيل هو روح الفلك السادس، وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بأرزاق العباد. وإسرافيل هو روح الفلك الرابع، وعقله المفيض للنفس

(١) سورة المجادلة، الآية: ٦.

الحيوانية الكلية، الموكلة بالحيوانات. وعزرائيل هو روح الفلك السابع الموكل بالأرواح الإنسانية كلها، يقبضها بنفسه أو بالوسايط التي هي أعوانه ويسلمها إلى الله تعالى.

[١٠٢] ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾

﴿**واتبعوا**﴾ أي: اتبع اليهود والقوى الروحانية ﴿**ما تتلوا**﴾ شياطين الأنس الذين هم المتمرّدة العصاة الأشرار، الأقوياء، وشياطين الجنّ وهم الأوهام والخيالات والمتخيلات المحجوبة عن نور الروح، العاصية لأمر العقل المتمرّدة عن طاعة القلب ﴿**على**﴾ عهد ﴿**ملك سليمان**﴾ النبيّ أو سليمان الروح من كتب السحر وعلومه، يزعمون أنه علم سليمان وبه استولى على الملك وسخّر ما سخّر من الجنّ والإنس والطير وعلم الحيل والشعبذة والموهومات والمتخيلات والسفسطة. ﴿**وما كفر سليمان**﴾ بإسناد التأثير إلى غير الله، إذ السحر كفر واحتجاب عن مؤثرية الله، بإسناد التأثير إلى غيره ﴿**ولكنّ الشياطين كفروا**﴾ احتجبوا ولم يعلموا أن لا مؤثر إلا الله ﴿**يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين**﴾ أي: العقل النظري والعمليّ المائلين إلى النفس المنكوسين من بثر الطبيعة لتوجههما إليها باستجذاب النفس إياهما إليها ﴿**ببابل**﴾ الصدر المعذبين بضيق المكان بين أبخرة الموادّ وأدخنة نيران الشهوات من العلوم والأعمال من باب الحيل والنيرنجات والطلسمات على التأويلين ﴿**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة**﴾ امتحان وبلاء من الله لقوّة النورية وبقية الملكوتية فيهما، فينبهان على حالهما بالنور العقليّ ﴿**فلا تكفر**﴾ باستعمال هذا العلم في المفاسد والمناهي وإسناد التأثير إليه ﴿**فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين**﴾ القلب والنفس، وبين الروح والنفس، وتكدير القلب ﴿**وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله**﴾ أي: إلا إذا أراد الله أن يضرّه عند ذلك الفعل، فيفعل ما يريد ويكون زيادة ابتلاء للساحر وإمهالاً له في كفره واحتجابه لرؤيته ذلك من تأثير سحره. ﴿**ويتعلمون ما يضرّهم**﴾ بزيادة الاحتجاب وشدّة الميل والهوى ﴿**ولا ينفعهم**﴾ في رفع الحجاب برؤيتهم ذلك ابتلاء من الله واستعاذاتهم بالله ليقيهم من شرّه. ﴿**ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق**﴾ أي: نصيب، لإقباله على النفس والهوى بالكلية واستعمال ذلك في اكتساب حطام الدنيا وتمتعاتها.

[١٠٣ - ١٠٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)﴾

﴿ولو أنهم آمنوا﴾ برؤية الأفعال من الله ﴿واتقوا﴾ الشرك بنسبة التأثير إلى غيره ﴿لمثوبة﴾ دائمة كائنة ﴿من عند الله﴾ من الأنوار الروحية، والمواهب الفتوحية، والأحوال القلبية، والمعارف الإلْهية ﴿خير لو كانوا يعلمون﴾.

[١٠٦] ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾

﴿ما ننسخ من آية﴾ بإبطال حكمها وإبقاء لفظها ﴿أو ننسها﴾ ونذهب بها من قلبك بإزالة لفظها ومعناها، أو لفظها دون معناها، كآية الرجم ﴿نأت بخير منها﴾ أي: بما هو أصلح في بابه منها في بابها أو يساويها في الخير والصلاح. واعلم أن الأحكام المثبتة في اللوح المحفوظ إما مخصوصة وإما عامة، والمخصوصة إما أن تختص بحسب الأشخاص وإما أن تختص بحسب الأزمنة، فإذا نزلت بقلب الرسول فالتي تختص بالأشخاص تبقى ببقاء الأشخاص، والتي تختص بالأزمنة تنسخ وتزال بانقراض تلك الأزمنة، قصيرة كانت كمنسوخات القرآن، أو طويلة كأحكام الشرائع المتقدمة. ولا ينافي ذلك ثبوتها في اللوح إذ كانت فيه كذلك، والعامة تبقى ما بقي الدهر كتكلم الإنسان واستواء قامته مثلاً.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧)﴾

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ أي: له ملك سموات عالم الأرواح وأرض الأجساد وهو المتصرف فيهما بيد قدرته بل كله ظاهره وباطنه فلم يبق شيء غيره ينصركم ويليكم.

[١٠٨] ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ (١٠٨)﴾

﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ من قبل اللذات الدينية الحسيّة والشهوات الخسيسة النفسية ﴿كما سئل موسىٰ من قبل ومن يتبدل﴾ الظلمة بالنور ﴿فقد ضلّ﴾ الطريق المستقيم.

[١٠٩ - ١١٢] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارىٰ﴾ أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة المعهودة عندهم، أي: جنة الظاهر وعالم الملك التي هي جنة الأفعال وجنة النفس إلا من كان هوداً. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة المعهودة عندهم، أي: جنة الباطن وعالم الملكوت التي هي جنة الصفات، وجنة القلب إلا من كان نصرانياً. ولهذا قال عيسى عليه السلام في دعوتهم إلى جنتهم: «لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرّتين»، وكانت دعوته إلى السماء، أي: السماء الروحانية ﴿تلك أمانيهم﴾ أي: غاية مطالبهم التي وقفوا على حدّها واحتجبوا بها عما فوقها ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أي: دليلكم الدال على نفي دخول غيركم جنتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم، بل الدليل دلّ على نقيض مدعاكم.

فإنّ ﴿من أسلم وجهه﴾ أي: ذاته الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها ﴿لله﴾ بالتوحيد الذاتيّ عند المحو الكليّ والفناء في ذات الله ﴿وهو محسن﴾ أي: مستقيم في أحواله بالبقاء بعد الفناء، مشاهد ربّه في أعماله، راجع من الشهود الذاتيّ إلى مقام الإحسان الصفاتيّ الذي هو المشاهدة بالوجود الحقانيّ لمكان الاستقامة والعبادة، لا بالوجود النفساني ﴿فله أجره عند ربّه﴾ أي: ما ذكرتم من الجنة وأصفى وألذّ لاختصاصها بمقام العندية أي المشاهدة التي احتجبتهم عنها ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي: وزيادة على ما لكم من الجنة وهو عدم خوفهم من احتجاب الذات وبقاء النفس اللازم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم على ما فاتهم بسبب الوقوف بحجاب جنّة الأفعال والصفات والتلذّذ بها والاستراحة فيها والاستدامة إليها من شهود جمال الذات. فإنهم وإن تركوها بالشوق إلى تجلّي الذات فإنها حاصلة لهم وأدنى مقامهم تحت جنة الذات.

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ لاحتجابهم بدينهم عن دينهم، وكذا قالت النصارىٰ لاحتجابهم بالباطن عن الظاهر كما احتجب اليهود بالظاهر عن الباطن على ما هو حال أهل المذاهب اليوم في الإسلام.

﴿وهم يتلون الكتاب﴾ وفيه ما يرشدهم إلى رفع الحجاب، ورؤية حق كل دين ومذهب، وليس أهل ذلك الدين والمذهب حقهم بباطل لتقيّدهم بمعتقدهم، فما الفرق بينهم وبين الذين لا علم لهم ولا كتاب، كالمشركين، فإنهم يقولون مثل قولهم بل هم أعذر، إذ ليس عليهم إلا حجة العقل وهم بحجة العقل والشرع ﴿فالله يحكم بينهم﴾ بالحق في اختلافاتهم ﴿يوم﴾ قيام ﴿القيامة﴾ الكبرى وظهور الوحدة الذاتية عند خروج المهديّ عليه السلام. وفي الحديث ما معناه: «إنّ الله يتجلىٰ لعباده في صورة معتقداتهم فيعرفونه، ثم يتحوّل عن صورته إلى صورة أخرى فينكرونه»، وحينئذ يكونون كلهم ضالّين محجوبين إلا ما شاء الله وهو الموحد الذي لم يتقيد بصورة معتقده.

[١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿ومن أظلم﴾ أي: أنقص حقاً وأبخس حظاً ﴿ممن منع مساجد الله﴾ أي: مواضع سجود الله التي هي القلوب التي يعرف فيها فيسجد بالفناء الذاتيّ ﴿أن يذكر فيها اسمه﴾ الخاص الذي هو الاسم الأعظم، إذ لا يتجلى بهذا الاسم إلا في القلب، وهو التجلي بالذات مع جميع الصفات أو اسمه المخصوص بكل واحد منها، أي الكمال اللائق باستعداده المقتضى له. ﴿وسعىٰ في خرابها﴾ بتكديرها بالتعصبات الباردة وغلبة واستيلاء التمنيات عليها، ومنع أهلها المستعدّين عنها بالهرج والمرج وتهييج الفتن اللازمة لتجاذب قوى النفس ودواعي الشيطان والوهم ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ ويصلوا إليها، أي: منكسرين لظهور تجلّي الحق فيها ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ أي: افتضاح وذلّة بظهور بطلان دينهم ومعتقدهم، وفسخه بدين الحق وانقهارهم وتحسرهم ومغلوبيتهم. ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هو الاحتجاب عن الحق بدينهم.

[١١٥] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿ولله المَشرق﴾ أي: عالم النور والظهور الذي هو جنّة النصارى وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه ﴿والمغرب﴾ أي: عالم الظلمة والاختفاء الذي هو جنة اليهود وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره ﴿فأينما تولوا﴾ أي: أي جهة تتوجهوا من الظاهر والباطن ﴿فثمّ وجه الله﴾ أي: ذات الله المتجلية بجميع صفاته، أو ولله الإشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلي لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم، والغروب فيها بتستره واحتجابه بصورها وذواتها، واختفائه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء. فأيّ جهة تتوجهوا حينئذ فثمّ وجهه لم يكن شيء إلا إيّاه وحده ﴿إن الله واسع﴾ جميع الوجود شامل لجميع الجهات والوجودات ﴿عليم﴾ بكل العلوم والمعلومات.

[١١٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ أي: أوجد موجوداً مستقلاً بذاته مخصوصاً دونه ﴿سبحانه﴾ ننزّهه عن أن يكون غيره شيء فضلاً عما يجانسه ﴿بل له ما في السمٰوات والأرض﴾ أي: له عالم الأرواح والأجساد وهي باطنه وظاهره، كما تقول: له الذات والوجه والصفات وأمثال ذلك. ﴿كلّ له قانتون﴾ موجودون بوجوده، فاعلون بفعله، معدومون بذواتهم، وهو غاية الطاعة والقيام بحقه إذ هو الوجود المطلق، فلا يوجد بدونه شيء. والوجودات المعينة صفاته وأسماؤه لامتيازها بتعيّناتها التي هي أمور إمكانية عدمية ليست عينه بالاعتبار العقليّ الذي يقسمها إلى الوجود والماهية التي هي بدون الوجود ليست شيئاً في الخارج، لكن في العقل. والعقليات باطنه، فهي في الحقيقة ليست غيره فلا يكون غيره موجوداً حتى يكون ولداً، أي: معلولاً أو مخلوقاً أو ما شئت فسمه.

[١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

﴿بديع السمٰوات والأرض﴾ أي: مبدع سمواته وأرضه غير مسبوقة بمادّة ومدة، بل هي ظلال ذاته ومنشأ عالميته منورة باسمه النورانيّ، موجودة بوجوده الخارجيّ ولو لم يكن جهات الإمكان واعتبارات العقل بحسب اليقينيات لما اعتبرت وجوداتها أصلاً إذ هي بلا هو غير شيء فلا تكون معه موجودة بالمقارنة بل بالتحقيق بوجوده، ولا تكون غيره بالمفارقة بل بالاعتبار العقلي. فهي باعتبار تعيناتها خلق، وباعتبار حقيقتها حق.

﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي حكم به ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي: فلا يكون إلا تعلق إرادته به فيوجد بلا تخلل زمان ولا توسط شيء، بل معاً. وذلك التعلق هو قوله وإلا لم يكن ثمّ قول ولا صوت.

[١١٨ - ١٢٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ
حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ
مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ
بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ علم التوحيد من المشركين ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ إلى قوله: ﴿تشابهت قلوبهم﴾ في الجهل بعلم التوحيد وبكلام الله وآياته، إذ العلم بهما فرع علم التوحيد ﴿قد بينا﴾ دلائل التوحيد وكيفية المكالمة لأهل الإيقان ﴿ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾ أي: ولا تؤخذ باحتجابهم وما عليك أن تنقذهم من ظلمات حجبهم، إنما عليك أن تدعوهم بالبشارة والإنذار. ﴿قل إنّ هدىٰ الله هو الهدىٰ﴾ أي: طريق الوحدة المخصوصة بالحق هو الطريق لا غير. كما قال عليّ عليه السلام: «اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادّة». ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ أي: من علم التوحيد والمعرفة ﴿ما لك من الله من وليّ ولا نصير﴾ لامتناع وجود غيره.

[١٢٤ ـ ١٢٥] ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربّه بكلماتٍ﴾ أي: بمراتب الروحانيات، كالقلب والسرّ والروح والخفاء والوحدة والأحوال والمقامات، التي يعبر بها على تلك المراتب كالتسليم والتوكل والرضا وعلومها ﴿فأتمهنّ﴾ بالسلوك إلى الله وفي الله حتى الفناء ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ بالبقاء بعد الفناء، والرجوع إلى الخلق من الحق تؤمّهم وتهديهم سلوك سبيلي ويقتدون بك فيهتدون. ﴿قال ومن ذرّيتي﴾ أي: واجعل بعض ذرّيتي أيضاً إماماً ﴿قال﴾ قد يكون منهم ظالمون ﴿ولا ينال عهدي﴾ إياهم، أي: لا يكونون خلفائي ولا أعهد إلى الظالمين بالإمامة ﴿وإذ جعلنا﴾ بيت القلب ﴿مثابة﴾ أي: مرجعاً ومبوأً ﴿للناس وأمناً﴾ ومحل أمن أو سبب أمن وسلامة لهم يأمنون بالوصول إليه والسكون فيه شرّ غوائل صفات النفس وفتك فتاك القوىٰ الطبيعية وإفسادها، وتخييل شياطين الوهم والخيال، وإغوائهم ومكائدهم ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم﴾ الذي هو مقام الروح ومقام الخلة ﴿مصلىٰ﴾ موطناً للصلاة الحقيقية التي هي المشاهدة والمواصلة الإلٰهية والخلة الذوقية ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسمٰعيل﴾ أمرناهما بتطهير بيت القلب من قاذورات أحاديث النفس، ونجاسات وساوس الشيطان، وأرجاس دواعي الهوى، وأدناس صفات القوى ﴿للطائفين﴾ أي: للسالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب في سيرهم ﴿والعاكفين﴾ الواصلين إلى مقام القلب بالتوكل الذي هو توحيد الأفعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس وإزعاجها منه ﴿والركع﴾ أي: الخاضعين الذين بلغوا إلى مقام تجلي الصفات، وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين في الوحدة.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا﴾ الصدر الذي هو حرم القلب ﴿بلداً آمناً﴾ من استيلاء صفات النفس واغتيال العدوّ اللعين، وتخطف جنّ القوى البدنية أهله ﴿وارزق أهله﴾ من ثمرات معارف الروح أو حكمه وأنواره ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ من وحد الله منهم وعلم المعاد ﴿قال ومن كفر﴾ أي: ومن احتجب أيضاً من الذين سكنوا الصدر ولا يجاوزون حدّه بالترقي إلى مقام العين لاحتجابهم بالعلم الذي وعاؤه الصدر ﴿فأمتعه﴾ تمتيعاً ﴿قليلا﴾ من المعاني العقلية، والمعلومات الكلية النازلة إليهم من عالم الروح على قدر ما تعيشوا به ﴿ثم أضطرّه إلى عذاب﴾ نار الحرمان والحجاب ﴿وبئس المصير﴾ مصيرهم، لتعذبهم بنقصانهم وتألمهم بحرمانهم.

[١٢٧ - ١٢٩] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ قيل: إنّ الكعبة أنزلت من السماء في زمان آدم ولها بابان إلى المشرق والمغرب، فحجّ آدم عليه السلام من أرض الهند واستقبله الملائكة أربعين فرسخاً فطاف بالبيت ودخله. ثم رفعت في زمان طوفان نوح عليه السلام، ثم أنزلت مرة أخرى في زمان إبراهيم صلوات الله عليه، فزارها ورفع قواعدها وجعل بابيها باباً واحداً. وقيل: ثم تمخض أبو قبيس فانشق عن الحجر الأسود وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة نزل بها جبرائيل فخبئت فيه في زمان الطوفان إلى زمن إبراهيم عليه السلام، فوضعه إبراهيم مكانه، ثم اسودّ بملامسة النساء الحيض.

فنزولها في زمان آدم إشارة إلى ظهور القلب في زمانه بوجوده عليه. وكونه ذا بابين شرقيّ وغربيّ إشارة إلى ظهور علم المبدأ والمعاد، ومعرفة عالم النور، وعالم الظلمة في زمانه دون علم التوحيد. وقصده زيارتها من أرض الهند إشارة إلى توجهه بالتكوين والاعتدال من عالم الطبيعية الجسمانية المظلمة إلى مقام القلب، واستقبال الملائكة إشارة إلى تعلق القوىٰ الحيوانية والنباتية بالبدن وظهور آثارها فيه قبل آثار القلب في الأربعين التي تكوّنت فيها بنيته وتخمرت طينته أو توجهه بالسير والسلوك من عالم النفس الظلماني إلى مقام القلب. واستقبال الملائكة تلقي القوىٰ النفسانية والبدنية إياه بقبول الإذعان والأخلاق الجميلة

والملكات الفاضلة والتمرّن فيها والتنقل في المقامات قبل وصوله إلى مقام القلب. وطوافه بالبيت إشارة إلى وصوله إلى مقام القلب وسلوكه فيه مع التلوين، ودخوله إشارة إلى تمكنه واستقامته فيه. ورفعه في زمان الطوفان إلى السماء إشارة إلى احتجاب الناس بغلبة الهوى وطوفان الجهل في زمان نوح عليه السلام عن مقام القلب. وبقاؤه في السماء الرابعة، أي: البيت المعمور الذي هو قلب العالم ونزوله مرة أخرى في زمان إبراهيم عليه السلام إشارة إلى اهتداء الناس في زمانه إلى مقام القلب بهدايته. ورفع إبراهيم قواعده وجعله ذا باب واحد إشارة إلى تلقي القلب بسلوكه عليه السلام من مقامه إلى مقام الروح الذي هو السر وارتفاع مراتبه ووصوله إلى مقام التوحيد، إذ هو أوّل من ظهر عليه التوحيد الذاتيّ كما قال عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1]. والحجر الأسود إشارة إلى الروح. وتمخض أبي قبيس وانشقاقه عنه إشارة إلى ظهوره بالرياضة وتحرّك آلات البدن باستعمالها بالتفكر والتبعد في طلب ظهوره، ولهذا قيل: خبئت فيه، يعني: احتجبت بالبدن. واسوداده بملامسة النساء الحِيض إشارة إلى اختفائه وتكدّره بغلبة القوىٰ النفسانية على القلب واستيلائها عليه وتسويدها الوجه النورانيّ الذي يلي الروح منه. وكذا إسماعيل أيضاً كان من الموحدين لعطفه عليه في رفع قواعد البيت.

﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ أي: لا تكلنا إلى أنفسنا فنسلم بأنفسنا بل بك وبجعلك ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً﴾ هو محمد ﷺ، ولهذا قال عليه السلام: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرىٰ عيسى، ورؤيا أمي» وقد رأت في المنام أن نوراً خرج منها فأضاءت لها قصور الشام.

[١٣٠ ـ ١٣٤] ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿ومن يرغب عن ملّة إبراهيم﴾ أي: ملّة التوحيد ﴿إلا من سفه نفسه﴾ إلا من احتجب عن نور العقل بالكلية وبقي في مقام ظلمة نفسه. أي: سفه نفساً على التمييز أو في نفسه على انتزاع الخافض ﴿ولقد اصطفيناه﴾ أي: من كان من المحبوبين المرادين بالسابقة الأزلية فاخترناه حالة الفناء في التوحيد ﴿وهو في الآخرة﴾ أي: حالة البقاء بعد الفناء من أهل

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

الاستقامة الصالحين لتدبير النظام وتكميل النوع ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ أي: وحد وأسلم ذاتك إلى الله، يعني: جعله في الأزل من أهل الصف الأول مسلماً موحداً مذعناً لربّ العالمين، فانياً فيه ﴿ووصىٰ بها﴾ أي: بكلمة التوحيد ﴿إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ بنيه تأسياً ﴿يا بنيّ إن الله اصطفىٰ لكم الدين﴾ أي: دينه الذي يدين به الموحد، لا دين له غيره، ولا ذات، فدينه دين الله وذاته ذات الله ﴿فلا تموتنّ﴾ إلا على هذا الدين، أي: لا تموتنّ بالموت الطبيعي موت الجهل، بل كونوا ميتين بأنفسكم، أحياء بالله أبداً، فيدرككم موت البدن على هذه الحالة ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أي: لا تكونوا مقلدين ولا تكتفوا بالتقليد الصرف في الدين إذ لا اعتماد على النقل، فليس لأحد إلا ما كسب من العلم والعمل والاعتقاد والسيرة، لا يجازىٰ أحد بمعتقد غيره ولا بعمله، فكونوا على بصائركم واطلبوا اليقين واعملوا عليه.

[١٣٥ ـ ١٣٧] ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارىٰ﴾ كلّ محجوب بدينه يزعم أنّ الحق دينه لا غير ﴿قل بل ملّة إبراهيم﴾ فإنّ الهدى المطلق هو التوحيد الذي يشمل كلّ دين، ويرفع كل حجاب كما ذكر بعده في قوله ﴿قولوا آمنا بالله﴾ إلى آخره ﴿لا نفرّق بين أحد منهم﴾ بنفي دين البعض وإبطال ملّته وإثبات الآخر وحقيته، بل نقول باجتماعهم على الحق واتفاقهم على التوحيد، ونقبل جميع أديانهم بالتوحيد الشامل لكلها ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ من التوحيد الجامع من كل دين ومذهب ﴿فقد اهتدوا﴾ الاهتداء المطلق، أي: كل الاهتداء ﴿وإن تولوا فإنما هم﴾ في طرف من الدين وشقّ من الهداية يشاقونكم فيه.

[١٣٨ ـ ١٤١] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿صبغة الله﴾ أي: آمنا بالله وصبغنا الله صبغة، فإن كل ذي اعتقاد ومذهب باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ودينه ومذهبه. فالمتعبدون بالملل المتفرّقة مصبوغون بصبغ نيتهم، والمتمذهبون

بصبغ إمامهم وقائدهم، والحكماء بصبغ عقولهم، وأهل الأهواء والبدع المتفرّقة بصبغ أهوائهم ونفوسهم، والموحدون بصبغة الله خاصة التي لا صبغ أحسن منها ولا صبغ بعدها. كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالىٰ خلق الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدىٰ، ومن أخطأ ضلّ»، فذلك النور هو صبغته.

[١٤٢ ـ ١٤٣] ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ سمّاهم سفهاء خفاف العقول، لعدم وفاء عقولهم بإدراك حقيقة دين الإسلام وقضائها على ما عرفت بحق مذهبها ووقوفها به، ولذلك كانت محاجتهم في الله مع اتفاقهم في التوحيد واختصاص المسلمين بالإخلاص، إذ لو أدركوا الحق لأدركوا إخلاصهم فلم تبق محاجتهم معهم. ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وأدركت في كل دين ومذهب حقه، وفرّقت بين ذلك الدين الحق الذي هو كالروح لذلك، وبين باطل أهله الذي اختلط به ولبسه خاصة دين الإسلام، فإن كله حق، بل هو حق الحقوق ولذلك جعلوا أمّة وسطاً أي: عدلاً بين الأمم، فضلاء شهداء عليهم. **﴿ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾** لأنهم كانوا مقيدين بالجهة فلم يقبلوا إلا مقيداً ولم يعرفوا التوحيد الوافي بالجهات كلها **﴿قل لله المَشرق والمَغرب﴾** على ما مرّ من التأويلين **﴿يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾** أي: طريق الوحدة التي تتساوى الجهات بالنسبة إليها لكون الحق المتوجه إليه لا في جهة، وكون الجهات كلها فيه وبه وله، كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1]. ومعنى شهادتهم على الناس وشهادة الرسول عليهم، اطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الأديان ومعرفتهم بحق أهل كل دين وحق، كل ذي دين من دينه وباطلهم الذي ليس حقهم الذي هو مخترعات نفوسهم وتمنياتها وأكاذيب أخبارهم وملفقاتهم، ووقوفهم على حدّ دينهم، وإبطالهم لما عداه من الأديان، واحتجابهم وتقيدهم بظاهره دون التعمّق إلى باطنه وأصله وإلا عرفوا حقيّة دين الإسلام لأن طريق الحق واحد فلا يستخفون بحق سائر الأديان وخاصة دين الإسلام الذي هو الحق الأعظم الأظهر، والرسول مطلع على رتبة كل متدين بدينه في دينه، وحقيقته التي هو عليها من دينه، وحجابه الذي هو به محجوب عن كمال دينه، فهو يعرف ذنوبهم

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

وحدود إيمانهم وأعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم وإخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق، وأمّته يعرفون ذلك من سائر الأمم بنوره.

﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم﴾ بالعلم التفصيليّ التابع لوقوع المعلوم لا العلم السابق في عين جميع أوّل الوجود فإنه معلوم له بذلك العلم قبل وجوده، لأن العلم كله له لا علم لأحد غيره. فعلومنا التي نعلم بها الأشياء تظهر على مظاهرنا من علمه وذلك علمه التفصيليّ أي: علمه في تفاصيل الموجودات. فهو يعلم بذلك العلم التفصيلي بالظاهر في مظاهرنا الأشياء بعد وجودها، كما يعلمها بالعلم الأول الذي هو في عين الجمع قبل وجودها.

﴿من يتّبع الرسول﴾ في توحيده ﴿مِمن يَنقلب على عقبيهِ﴾ لاحتجابه بالتقييد بالدين ﴿وإنْ كانَت لكبيرة﴾ أي: أنه كانت التحويلة الكبيرة لشاقة ثقيلة ﴿إلا علىٰ الذين﴾ هداهم الله إلى التوحيد ونجاهم عن الاحتجاب بالتقييد ﴿وما كانَ الله ليضيعَ إيمانكم﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس لكونها لله، وإذا كانت له فحيثما توجهتم قبلها. ولعمري أنها إنما شقت على طائفتين: المحجوبين بالحق عن الخلق، والمحجوبين بالخلق عن الحق. فإنّ الأولى عرفت أن التحويلة الأولى التي كانت من الكعبة إلى بيت المقدس هي صورة العروج من مقام القلب والسرّ، أي: المكاشفة والمكالمة إلى مقام الروح والخفاء، أي: المشاهدة والمعاينة فحسبوا التحويلة الثانية التي كانت صورة الرجوع إلى مقام القلب حالة الاستقامة والتمكين للدّعوة والنبوّة ومشاهدة الجمع في عين التفصيل، والتفصيل في عين الجمع، حيث لا احتجاب عن الخلق بالحق، ولا عن الحق بالخلق، هو النزول بعد العروج، والبعد بعد القرب. وظنوا ضياع السعي إلى المقام الأشرف وحصول الهجر بعد الوصول، والسقوط عن الرتبة، فشقّ عليهم ذلك. وأما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة نسكهم وعملهم وما عرفوا حكمة التحويلة، فظنوا صحة العبادة الثانية دون الأولى، فشقّ عليهم ضياعها وبطلانها الذي توهموه فهدينا إلى خلاف ما توهموه بما فهم من الآية. ﴿إن الله بالناس لَرؤوف﴾ يرؤف بهم بشرح الصدر، ورفع الحجاب حال البقاء بعد الفناء للأولى، وبقبول ما عملت الثانية بصدقهم، وإن لم يعلموا ما يفعلون ﴿رَحِيمٌ﴾ يرحمهم بالوجود الحقانيّ للأولى وثواب الأعمال والهداية إلى الحقيقة للثانية، وتوفيقهم للترقي من حالهم ومقامهم إلى مقام اليقين.

[١٤٤] ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿قد نرىٰ تقلب وجهك﴾ في جهة سماء الروح في مقام الجمع عند الاستغراق في الوحدة والاحتجاب بالحق عن الخلق يؤدك وزر النبوّة ومقام الدعوة، لعدم التفاتك إلى الكثرة، ويعسر عليك الرجوع إلى الحق في أوّل حال البقاء بعد الفناء قبل التمكن لقوة توجهك إلى الحق ﴿فلنولينك قِبلةً ترضاها﴾ فلنجعلنّ وجهك يلي قبلة القلب بانشراح الصدر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾[1] فإنها قبلة ترضاها لوجود الجمع هناك في صورة التفصيل وعدم احتجاب الوحدة بالكثرة، فترضى تلك القبلة بدعوة الخلق إلى الحق مع بقاء شهود الوحدة ﴿فوَل وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرامِ﴾ جانب الصدر المشروح المحرّم من وصول صفات النفس، ودواعي الهوى والشيطان ﴿وحيثُ ما كنتم﴾ أيها المؤمنون والمحققون، سواء كنتم في جهة مشرق الروح ومغرب النفس ﴿فولوا وجوهكم﴾ جانبه ليتيسر عليكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأولى، أي: الجهة الشرقية. والترقي عن حالكم ومقامكم، والتوقي عن احتجابكم بدواعي الهوىٰ والشيطان في الثانية. ﴿وإنّ الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: التوراة والإنجيل وكتاب العقل الفرقاني، أي: العقل المستفاد ﴿ليعلمون أنه الحق من ربّهم﴾ لاهتدائهم بما في الكتاب من توحيد الأفعال، والصفات، والدلالة على التوحيد المحمديّ الذاتيّ إليه، أو بنور العقل المنوّر بالنور الشرعيّ لا المحجوب بالقياس الفكريّ.

[١٤٥] ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۝١٤٥﴾

﴿ولئِنْ أتيتَ الذين أوتوا الكتاب بكل آيةٍ﴾ دالة على صحة نبوّتك وحقية قبلتك ولو من كتابهم، أو ما كانت عقلية قطعية ﴿ما تبِعوا قِبلتكَ﴾ لاحتجابهم بدينهم ومعقولهم وتقيدهم به ﴿وما أنت بِتابع قبلتُهم﴾ لعلوك عن رتبة دينهم وترقيك عن مقامهم ﴿وما بعضهم بتابع قبلةَ بعضٍ﴾ لاحتجاب كلّ بدينه وتضادّ وجههم الناشىء من التضادّ المركوز في طباعهم ﴿ولئِن اتبعت أهواءهم﴾ المتفرّقة ﴿من بعد ما جاءكِ من﴾ علم التوحيد الجامع إيّاك ﴿إنك إذاً لمن﴾ الناقصين حقك وحقّ مقامك.

[١٤٦ ـ ١٥٠] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤٦ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝١٤٧ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٤٨ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ

(١) سورة الشرح، الآيات: ١ ـ ٣.

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إيتاء فهم ودراية ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ أي: كالمحسوس المشاهد، القريب الدائم الإحساس لقربهم منه بالحقيقة، وتوسمهم إيّاه بالدلائل الواضحة ﴿ولكلّ وجهة هو مُوَليها﴾ أي: ولكلّ أحد منكم غاية وكمال بحسب استعداده الأول، الله موجه وجهه إليها أو هو نفسه موجه نفسه إليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده بإذن الله ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ الأمور المقرّبة إياكم من كمالكم وغايتكم التي خلقتم لأجلها وندبتم إليها ﴿أينما تكونوا﴾ من مقام وحال دونها أو تخالفها لكونها في مقابلها ﴿يأت بكم الله جميعاً﴾ إلى تلك الغاية قريباً أو بعيداً بحسب اقتضاء المقرّبات واستباقها ﴿إنّ الله على كل شيء قدير * ومن حيث خرجت﴾ من طرق حواسك وميلك إلى حظوظك والاهتمام بمصالحك ومصالح المؤمنين ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي: فكن حاضراً للحق في قلبك، مواجهاً صدرك، تشاهد مشاهد فيه، مراعياً جانبه لتكون في الأشياء بالله لا بالنفس ﴿وحيث ما كنتم﴾ أيها المؤمنون ﴿فولوا وجوهكم﴾ جانب الصدر، تشاهدون مشاهدكم فيه، مراعين له غير معرضين عنه في حال ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجةٌ﴾ سلطنة بوقوعهم في أعينكم واعتباركم إياهم عند غيبتكم عن الحق، وترفعهم عليكم، أو غلبة بالقول أو الفعل في مقاصدكم ومطالبكم لكونكم بالحق فيها حينئذ، بل يخضعون وينقادون لكم، فإنّ حزب الله هم الغالبون ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ أي: الكفار المردودين الذين احتجبوا عن الحقّ مطلقاً، فإنهم يرتفعون عليكم ولا يخضعون، ولا ينقادون لعدم انفعالهم عن الحق مطلقاً. وسمّى شبهتهم التي يسوقونها مساق الحجة، واعتراضهم على المسلمين قولاً وفعلاً، وترفهم عليهم في أنفسهم حجة مجازاً. وقرىء ألا للتنبيه واستؤنف الذين ظلموا ﴿فلا تخشوهم﴾ لأنهم لا يغلبونكم ولا يضرّونكم ﴿واخشوني﴾ كونوا على هيبة من تجلي عظمتي لئلا يقعوا في قلوبكم وأعينكم ولا يميلوا صدوركم فتميلوا إلى موافقتهم إجلالاً لهم وتعظيماً لكونكم في الغيبة وبالنفس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك». ولإتمامي نعمة الكمال عليكم ولإرادتي اهتداءكم أمرتكم بدوام الحضور والمراقبة.

[١٥١ ـ ١٥٢] ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿كما أرسلنا﴾ أي: كما ذكرتم بإرسال رسول ﴿فيكم﴾ من جنسكم ليمكنكم التلقيّ والتعلم، وقبول الهداية منه لجنسية النفس ورابطة البشرية ﴿فاذكروني﴾ بالإجابة والطاعة والإرادة ﴿أذكركم﴾ بالمزيد والتوالي للسلوك وإفاضة نور اليقين ﴿واشكروني﴾ على نعمة الإرسال والهداية بسلوك صراطي على قدم المحبة أزدكم عرفاني ومحبتي ﴿ولا تكفرون﴾ بالفترة والاحتجاب بنعمة الدين عن المنعم، فإنه كفران بل كفر.

[١٥٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الإيمان العيانيّ ﴿استعينوا بالصبر﴾ معي عند سطوات تجليّات عظمتي وكبريائي ﴿والصلوٰة﴾ أي: الشهود الحقيقي بي ﴿إنّ الله مع الصابرين﴾ المطيقين لتجليات أنواره.

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله﴾ أي: يجعل فانياً مقتولة نفسه في سلوك سبيل التوحيد ميتاً عن هواه، كما قال رسول الله ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا». هم ﴿أموات﴾ أي: عجزة مساكين ﴿بل﴾ هم ﴿أحياء﴾ عند ربهم بالحياة الحقيقية، وحياة الله الدائمة السرمدية، شهداء الله بالحضور الذاتيّ، قادرون به ﴿ولكن لا تشعرون﴾ لعمىً بصيرتكم وحرمانكم عن النور الذي تبصر به القلوب أعيان عالم القدّوس وحقائق الأرواح.

[١٥٥ ـ ١٥٧] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾ أي: خوفي الموجب لانكسار النفس وانهزامها ﴿والجوع﴾ الموجب لنهك البدن، وضعف قواه، ورفع حجاب الهوى، وسدّ طريق الشيطان إلى القلب ﴿ونقص من الأموال﴾ التي هي موادّ الشهوات المقوّية للنفس الزائدة في طغيانها ﴿والأنفس﴾ المستولية على القلب بصفاتها، والمستغنية بذاتها، ليزيد بنقصها القلب ويقوى، أو أنفس الأقرباء والأصدقاء الذين تأوون إليهم وتستظهرون بهم لتنقطعوا إليّ وتبتلوا ﴿والثمرات﴾ أي: الملاذ والمتمتعات النفسانية لتلتذوا بالمكاشفات والمعارف القلبية، والمشاهدات الروحية عند صفاء بواطنكم بالانقطاع منها وخلوص بصائر قلوبكم بنار الرياضة والبلاء والعزلة من غشّ صفات نفوسكم.

﴿وبشر الصابرين﴾ يعني: الصابرين عن مألوفاتهم بلذّة محبتي وقوّة إرادتي ﴿الذين إذا

أصابتهم مصيبة﴾ من تصرّفاتي فيهم دائماً شاهدوا آثار قدرتي، بل أنوار تجليات صفتي و ﴿قالوا إنّا لله﴾ أي: سلموا وأيقنوا أنهم ملكي، أتصرّف فيه ﴿وإنّا إليه راجعون﴾ أي: تفانوا فيّ، وشاهدوا تهلكهم فيّ بي ﴿أولئك عليهم صلوات من ربّهم﴾ بالوجود الموهوب لهم بعد الفناء الموصوف بصفاتي المنوّر بأنواري ﴿ورحمة﴾ ونور وهداية يهدون بها الخلق إليّ ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ بهداي كما ورد في الدعاء: «واجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين».

[١٥٨] ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿إنّ الصفا والمروة﴾ أي: إنّ صفاء وجود القلب ومروة وجود النفس ﴿من شعائر الله﴾ من أعلام دينه ومناسكه القلبية كاليقين، والرضا، والإخلاص، والتوكل، والقالبية، كالصلاة والصيام وسائر العبادات البدنية ﴿فمن حجّ البيت﴾ أي: بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الإلٰهية بالفناء الذاتيّ الكليّ ﴿أو أعتمر﴾ نار الحضرة بتوحيد الصفات والفناء في أنوار تجليات الجمال والجلال ﴿فلا جناح عليه﴾ حينئذ في ﴿أن يطوّف بهما﴾ أي: يرجع إلى مقامهما، ويتردّد بينهما، لا بوجودهما التكويني، فإنه جناح وذنب، بل بالوجود الموهوب بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الحرج، فإنّ في هذا الوجود سعة بخلاف الأوّل ﴿ومن تطوّع خيراً﴾ أي: ومن تبرّع خيراً من باب التعاليم وشفقة الخلق والنصيحة ومحبة أهل الخير والصلاح بوجود القلب، ومن باب الأخلاق، وطرق البر والتقوى، ومعاونة الضعفاء والمساكين، وتحصيل الرفق لهم ولعياله بوجود النفس بعد كمال السلوك والبقاء بعد الفناء ﴿فإن الله شاكر﴾ يشكر عمله بثواب المزيد ﴿عليم﴾ بأنه من باب التصرّف في الأشياء بالله لا من باب التكوين والابتلاء والفترة.

[١٥٩ ـ ١٦١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدىٰ﴾ أي: يكتمون ما أفضنا عليهم من بينات أنوار المعارف وعلوم تجليات الأفعال والصفات، وهدى الأحوال والمقامات أو الهداية إلى التوحيد الذاتيّ بطريق علم اليقين، فإنّ العيانيّ لا ينكتم بالتلوينات النفسية أو القلبية الحاجبة للمكاشفات القلبية والمسامرات السريّة والمشاهدات الروحية ﴿من بعد ما بيّناه

للناس﴾ في كتاب عقولهم المنوّرة بنور المتابعة المدركة لآثار أنوار القلوب والأرواح ببركة الصحبة ﴿أولئك يلعنهم الله﴾ يرذهم ويطردهم ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ من الملأ الأعلى بخذلانهم وترك إمدادهم من عالم الأبد والنور، ومن المستعدّين المشتاقين الذين كانوا قد استأنسوا بنور قلوبهم واستفاضوا منهم النور بقوّة صدقهم، واستراحوا إلى صحبتهم وملازمتهم يتبرّكون بهم وبأنفاسهم عند استشراق لمعان أحوالهم بالهجران والانقطاع عن صحبتهم والصدّ والإعراض عنهم لفقدانهم ذلك واستشعارهم بتكدّر صفائهم ﴿إلا الذين تَابُوا﴾ أي: رجعوا عن ذنوب أحوالهم وعلموا أن ذلك كان ابتلاء من الله ﴿وأصْلَحوا﴾ أحوالهم بالإنابة والرياضة ﴿وبيّنُوا﴾ أي: كشفوا وأظهروا بصدق المعاملة مع الله والإخلاص ما احتجب عنهم ﴿فأولئِك﴾ أتقبل توبتهم وألقي التوبة عليهم ﴿وأنا التوّاب الرحيم * إنّ الذين كَفَرُوا﴾ حجبوا عن الدين أو الحق ﴿وماتُوا وهم كفّار﴾ أي: بقوا على احتجابهم حتى زال استعدادهم وانطفأ نور فطرتهم بدين الحجاب، وانقطعوا عن الأسباب التي يمكن بها رفع حجاب الموت ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجْمَعِين﴾ أي: استحقوا البعد والحرمان والطرد الكليّ عن الحق وعن عالم الملكوت وعن الفطرة الإنسانية المعبر عنه بالطمس.

[١٦٢ ـ ١٦٤] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿خالِدِينَ فيها﴾ لطموس استعدادهم وانطفاء نور فطرتهم ﴿لا يُخَفف عنهم العَذَاب﴾ لرسوخ هيئاتهم المعذّبة في جواهر نفوسهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ للزوم تلك الهيئات المظلمة إياهم ﴿وإلٰهكم إله واحِد﴾ ومعبودكم الذي خصصتموه بالعبادة أيها الموحدون معبود واحد بالذات، واحد مطلق لا شيء في الوجود غيره، ولا موجود سواه فيعبد، فكيف يمكنكم الشرك به وغيره العدم البحت فلا شرك إلا للجهل به. ﴿الرحمٰن﴾ الشامل الرحمة لكلّ موجود ﴿الرحيم﴾ الذي يخصّ رحمة هدايته بالمؤمنين الموحدين وهي أوّل آية نزلت في التوحيد بحسب الرتبة، أي: أقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا. فإنّ أول التوحيد من طرفنا توحيد الأفعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ أفهام الناس تنزل إلى مقام توحيد الأفعال ليستدلّ به عليه فقال:

﴿إنّ في خلق السمٰوات والأرضِ﴾ إلى آخره، أي: أنّ في إيجاد سمٰوات الأرواح

والقلوب والعقول وأرض النفوس ﴿واختلاف﴾ النور والظلمة بينهما وفلك البدن التي تجري في بحر الجسم المطلق ﴿بما ينفع الناس﴾ في كسب كمالاتهم ﴿وما أنزل الله من السماء﴾ أي: الروح من ماء العلم ﴿فأحيا به﴾ أرض النفس بعد موتها بالجهل ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ القوى الحيوانية الحية بحياة القلب ﴿وتصريف﴾ عصوف زيادة الأفعال الحقانية، وسحاب تجلي الصفات الربانية المسخر المهيأ بين سماء الروح وأرض النفس ﴿لآيات﴾ لدلائل ﴿لقوم يعقلون﴾ بالعقل المنوّر بنور الشرع، المجرّد عن شوب الوهم.

[١٦٥ - ١٦٧] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿ومن الناس من يَتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبّ الله﴾ أي: من يعبد من دون الله أشياء إمّا أناسيّ من جنسهم كالأزواج، والأولاد، والآباء، والأجداد، والإخوان، والأحباب، والرؤساء، والملوك، وغيرهم. وإمّا غير أناسيّ كالحيوانات، والجمادات، وسائر أموالهم، بالإقبال عليهم والتوجه نحوهم، ومراعاتهم، وحفظهم، والاهتمام بهم وبحالهم، والتفكّر في بابهم، يحبونهم كحبهم الله، أي: كما يجب أن يحب الله، فتكون تلك الأشياء عندهم مساوية في المحبة مع الله فتكون أنداداً أو شركاء لله بالنسبة إليهم، أو تكون هي محبوباتهم ومعبوداتهم لا غير، فهي آلهتهم كما أن الله إلٰه الخلق فهم جعلوا لأنفسهم آلهة أنداداً لإله سائر الخلق، إله العالمين.

﴿والذين آمنوا أشدّ حباً لله﴾ من غيره لأنهم لا يحبون إلا الله، لا يختلط حبهم له بحب غيره ولا يتغير، ويحبون الأشياء بمحبة الله ولله، وبقدر ما يجدون فيها من الجهة الإلٰهية كما قال بعضهم: «الحق حبيبنا، والخلق حبيبنا وإذا اختلفا فالحق أحبّ إلينا» أي: إذا لم تبق جهة الإلٰهية فيهم بمخالفتهم إياه لم تبق محبتنا لهم، أو أشدّ حباً من محبتهم لآلهتهم لأنهم يحبون الأشياء بأنفسهم لأنفسهم، فلا جرم تتغير محبتهم بتغيير إعراض النفوس أنفسهم عند خوف الهلاك ومضرّة النفس عليهم والمؤمنون يحبون الله بأرواحهم وقلوبهم، بل بالله لله، لا تتغير محبتهم لكونها لا لغرض، ويبذلون أرواحهم وأنفسهم لوجهه ورضاه، ويتركون جميع مراداتهم لمراده ويحبون أفعاله وإن كانت بخلاف هواهم، كما قال أحدهم:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

﴿ولو يرىٰ الذينَ ظَلَموا﴾ أي: أشركوا بمحبة الإنذار في وقت رؤيتهم عذاب الاحتجاب بآلهتهم ﴿أن القوّة لله﴾ أي: القدرة كلها لله ليس لآلهتهم شيء منها، وشدّة عذاب الله بقرنهم بآلهتهم في نار الحرمان بالسلاسل النارية المستفاد من محبتهم إياها، لكان ما لا يدخل تحت الوصف ولهذا المعنى حذف جواب لو، ﴿إذ تبرّأ﴾ بدل من: إذ يرون العذاب، أي: وقت رؤيتهم العذاب هو وقت تبرّيء المتبوعين من التابعين مع لزوم كلّ منهما الآخر بمقتضى المحبة التي كانت بينهم لتعذب كلّ منهم بالآخر وتقيده واحتجابه به عن كمالاته ولذاته وانقطاع الأسباب والوصل الموجبة للفوائد والتمتعات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابة، والرحم، والإلفة، والعهد، وسائر المواصلات الدنيوية الجالبة للنفع واللذة، فإنها تنقطع كلها بانقطاع لوازمها وموجباتها دون المواصلات الخيرية والمحبّات الإلٰهية المبنية على المناسبة الروحية والتعارف الأزليّ، فإنها تبقى ببقاء الروح أبداً وتزيد في الآخرة بعد رفع الحجب البدنية لاقتضائها محبة الله المفيدة في الآخرة، كما قال تعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ». والواو في ﴿ورأوا العذاب﴾ واو الحال، أي: تبرّؤا عنهم في حال رؤيتهم العذاب وتقطع الوصل بينهم، يعني: حال ظهور شرّ المقارنة وتبعتها، ونفاد خيرها وفائدتها، كحال سفاح الكلاب مثلاً ﴿وقال الذين اتبعوا لو أنّ لنا كرّة﴾ أي: ليت لنا كرّة ﴿كذٰلك يُريهم الله أعمالهم حَسَرات عليهم﴾ أي: تنقلب محباتهم وما يبتنى عليها من الأعمال حسرات عليهم، وكذا يكون حال القوىٰ الروحانية المصادقة للقوى النفسانية التابعة لها، المسخرّة إياها في تحصيل لذاتها.

[١٦٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿يا أيها الناس كُلوا مما في الأرض﴾ أي: تناولوا من اللذّات والتمتعات التي في الجهة السفلية من عالم النفس والبدن على وجه يحلّ ويطيب، أي: على قانون العدالة بإذن الشرع واستصواب العقل بقدر الاحتياج والضرورة، ولا تخطوا حدّ الاعتدال الذي به تطيب وتنفع إلى حدود الإسراف، فإنها خطوات الشيطان. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[١] فإنه عدوّ لكم. بيّن العداوة يريد أن يهلككم ويبغضكم إلى ربكم بارتكاب الإسرافات المذمومة فإنه لا يحب المسرفين. واعلم أن العداوة في عالم النفس هي ظلّ الإلفة في عالم القلب، والاعتدال ظلها في عالم البدن، والإلفة ظلّ المحبة في عالم الروح وهي ظلّ الوحدة الحقيقية. فالاعتدال هو الظلّ الرابع للوحدة والشيطان يفرّ من ظلّ الحق ولا يطيقه

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

فيخطو أبداً في مجال تلك الظلال إلى جوانب الإسرافات وحيث يعجز فإلى جوانب التفريطات كما في المحبة والإلفة، ولهذا قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً»، فإن الجاهل سخرة الشيطان.

[١٦٩ ـ ١٧٠] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾

﴿إنما يأمركم بالسوء﴾ الإضرار والأذى الذي هو إفراط القوة الغضبية ﴿والفحشاء﴾ أي: القبائح التي هي إفراط القوّة الشهوانية ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ الذي هو إفراط القوّة النطقية لشوب العقل بالوهم الذي هو الشيطان المسخر له ﴿وإذا قيل لهم اتبِعوا ما أَنْزَل الله﴾ من مراعاة حدّ الاعتدال والعدالة في كلّ شيء على الوجه المأمور به في الشرع ﴿قالوا بل نتّبع ما وَجَدْنا عليه آباءنا﴾ من الإسرافات المذمومة في الجاهلية تقليداً لهم ﴿أ﴾ تتبعونهم ﴿ولو كان آباؤهم لا يَعْقلون شيئاً﴾ من الدين والعِلم ﴿ولا يَهْتَدون﴾ إلى الصواب في العمل لجهلهم.

[١٧١ ـ ١٧٢] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾

﴿ومثل الذين كفروا﴾ أي: مثل داعي الكفار المردودين ﴿كمثل﴾ الناعق بالبهائم فإنها لا تسمع إلا صوتاً ولا تفهم ما معناه فكذا حالهم ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إن كنتم موحدين تخصون العبادة بالله فلا تتناولوا إلا من طيبات ما رزقناكم، أي: ما ينبغي في العدالة أن يستعمل من المرزوقات ﴿واشكروا لله﴾ باستعمالها فيما يجب أن تستعمل على الوجه الذي ينبغي أن تستعمل بالقدر الذي ينبغي، فإنّ التوحيد يقتضي مراعاة الاعتدال والعدالة في كل شيء اقتضاء الذات ظلها ولازمها عن النبي ﷺ عن الله تعالى: «إني والجنّ والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويُشكر غيري».

[١٧٣ ـ ١٧٦] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿إنما حرّم عَلَيكم الميتة﴾ لجمود الدم فيها، وبعدها عن الاعتدال بانحراف المزاج ﴿والدم﴾ لاختلاطه بالفضلات النجسة البعيدة عن قبول الحياة والعدالة والنورية وعدم صلاحيته لذلك بعد لقصور النضج ﴿ولحم الخِنْزير﴾ لغلبة السبعية والشره ومباشرة القازورات والدياثة على طبعه فيولد في أكله مثل ذلك ﴿وما أُهِلّ به لِغَير الله﴾ أي: رفع الصوت بذبحه لغير الله يعني ما قصد بذبحه وأكله الشرك لمنافاته التوحيد سفيراً عن الشرك. ويفهم منه ما يقوي آكله به على الكلام ورفع الصوت لغير الله أي: كل ما يؤكل لا على التوحيد فهو محرّم على آكله ﴿فمنِ اضطرّ﴾ أي: من الجماعة ﴿غير بَاغٍ﴾ على مضطرّ آخر باستئثاره ﴿ولا عَادٍ﴾ سدّ الرمق ﴿فلا إثمَ عليه * ما يَأكُلون في بُطونهم﴾ أي: ملء بطونهم إلا ما هو وقود نار الحرمان وسبب اشتعال نيران الطبيعة الحاجبة عن نور الحق المعذبة بهيئات السوء المظلمة الموقعة صاحبها في جحيم الهيولى الجسمانية ﴿ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم﴾ عبارة عن شدّة غضبه عليهم وبعدهم عنه.

[١٧٧] ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿ليس البرّ أن تولوا وجوهكم﴾ مشرق عالم الأرواح ومغرب عالم الأجساد، فإنه تقيد واحتجاب ﴿ولكن البرّ﴾ برّ الموحدين الذين آمنوا بالله والمعاد في مقام الجمع، إذ التوحيد في مقام الجمع يلزمه البقاء الأبديّ الذي هو المعاد الحقيقي. وشاهدوا الجمع في تفاصيل الكثرة ولم يحتجبوا بالجمع عن التفصيل الذي هو باطن عالم الملائكة وظاهر عالم النبيين. ﴿والكِتَاب﴾ الذي جمع بين الظاهر بالأحكام والمعارف، وأفاد علم الاستقامة ثم استقاموا بعد تمام التوحيد جمعاً وتفصيلاً بالأعمال المذكورة، فإن الاستقامة عبارة عن وقوف جميع القوىٰ على حدودها بالأمر الإلٰهيّ لتنوّرها بنور الروح عند تحقق صاحبها بالله في مقام البقاء بعد الفناء وذلك مقام العدالة، فتكون هي في ظلّ الحق منخرطة في سلك الوحدة بكليتها. ﴿على حبه﴾ أي: في حال الاحتياج إليه والشحّ به، كما قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش، وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان: كذا، ولفلان: كذا. قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] أو على حب

(١) سورة الحشر، الآية: ٥٩.

الله لئلا يشغل قلبه عنه ولأنه تعالى يرضى بإيتائه أو على حبّ الإيتاء، يعني: بطيب النفس، فإن الكريم هو الفرح وطيب النفس بالإعطاء. ومن قوله: ﴿وآتى المال﴾ إلى قوله: ﴿وآتى الزكاة﴾ من باب العفة التي هي كمال القوة الشهوانية ووقوفها على حدّها فيما يتعلق بها، وقوله: ﴿والموفون بعَهْدهم إذا عَاهَدوا﴾ من باب العدالة المستلزمة للحكمة التي هي كمال القوّة النطقية فإنها ما لم تعلم تبعة الغدر والخيانة وفائدة الفضيلة المقابلة لهما، لم تف بالعهد. وقوله: ﴿والصابرين في البأساء﴾ أي: الشدّة والفقر ﴿والضرّاء﴾ أي: المرض والزمانة ﴿وحين البأس﴾ أي: الحرب من باب الشجاعة التي هي كمال القوّة الغضبية ﴿أولٰئك﴾ الموصوفون بهذه الفضائل كلها، الثابتون في مقام الاستقامة ﴿الذين صدقوا﴾ الله في مواطن التجريد بأفعالهم التي هي البرّ كله ﴿وأولٰئك هم المتقون﴾ عن محبة غير الله حتى النفس، المجرّدون عن غواشي النشأة والطبيعة.

ويمكن أن يؤوّل المال بالعلم الذي هو مال القلب، لأنه يقوىٰ به ويستغني، أي: أعطي العلم مع كونه محبوباً ذوي قربىٰ القوى الروحانية لقربها منه، ويتامىٰ القوىٰ النفسانية لانقطاعها عن نور الروح الذي هو الأب الحقيقيّ ومساكين القوىٰ الطبيعية لكونها دائمة السكون لثواب البدن وعلمها علم الأخلاق والسياسات الفاضلة. ثم إذا ارتوى من العلم، علم المعارف والأخلاق والآداب والمعايش جملة وتفصيلاً وفرغ من نفسه، أفاض على أبناء السبيل، أي: السالكين والسائلين، أي: طلبة العلم وفي فكّ رقاب عبدة الدنيا والشهوات من أسرهم بالوعظ والخطابة وأقام صلاة الحضور، أي: أدامها بالمشاهدة، وآتى ما يزكي نفسه عن النظر إلى الغير، والتفاتات الخواطر بالنفي، ومحو الصفات، والموفون بعهد الأزل بملازمة التوحيد وإفناء الذات والآنية، والصابرين في بأساء الافتقار إلى الله دائماً، وضرّاء كسر النفس وقمع الهوى، وحين بأس محاربة الشيطان، أولئك الذين صدقوا الله في الوفاء بعهده وعزيمة السلوك وعقده، وأولئك هم المتقون عن الشرك، المتنزّهون عن البقية.

[١٧٨ ـ ١٨٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾

القصاص قانون من قوانين العدالة، فُرض لإزالة عدوان القوّة السبعية، وهو ظلّ من ظلال عدله تعالىٰ فإنه إذا تصرّف في عبده بإفنائه فيه عوّضه عن حرّ روحه روحاً موهوماً خيراً منه، وعن عبد قلبه قلباً موهوباً، وعن أنثى نفسه نفساً موهوبة كاملة. ﴿ولكم﴾ في مقاصّة الله إياكم بما ذكر ﴿حياة﴾ عظيمة، أي: حياة لا يوصف كنهها ﴿يا أولي الألباب﴾ أي: العقول الخالصة عن قشر الأوهام وغواشي العينيات والإجرام. فكذا في هذا القصاص ـ لكي تتقوا تركه وتحافظوا عليه ـ الوصية والمحافظة عليها قانون آخر فُرِضَ لإزالة نقصان القوّة الملكية، أي: القوّة النطقية وقصورها عما يقتضي الحكمة من التصرّف في الأموال، والسلطنة على القوّتين الأخريين بنور الحق وحكم الشرع، ومنعها عن عدوانها أيضاً بتبديل الوصية الذي هو نوع من الجريمة والخيانة، وتحريضها على التحقيق والتدقيق في باب الحكمة التي هي كمالها بالإصلاح بين الموصىٰ لهم على مقتضى الحكمة، إذا توقع وعلم من الموصي إضراراً بالسهو أو العمد ـ الصيام قانون آخر مما فُرِضَ لإزالة عدوان القوّة البهيمية وتسلطها ـ وأعلم أنّ قصاص أهل الحقيقة ما ذكر، ووصيتهم هي بالمحافظة على عهد الأزل بترك ما سوى الحق، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[1]. وصيامهم هو الإمساك عن كلّ قول وفعل وحركة وسكون ليس بالحق للحق.

[١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾

﴿شهر رمضان﴾ أي: احتراق النفس بنور الحق ﴿الذي أنزل فيه﴾ في ذلك الوقت ﴿القرآن﴾ أي: العلم الجامع الإجمالي، المسمّى بالعقل القرآنيّ الموصل إلى مقام الجمع ـ هداية للناس إلى الوحدة باعتبار الجمع ﴿وبينات من الهُدىٰ﴾ ودلائل متصلة من الجمع والفرق، أي: العلم التفصيلي المسمّى بالعقل الفرقاني ـ فمن حضر منكم في ذلك الوقت، أي: بلغ مقام شهود الذات ﴿فليصمه﴾ أي: فليمسك عن قول وفعل وحركة ليس بالحق فيه ﴿ومن كان مريضاً﴾ أي: مبتلىٰ بأمراض قلبه من الحجب النفسانية المانعة من ذلك الشهود

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

﴿أو على سفر﴾ أي: في سلوك بعد ولم يصل إلى الشهود الذاتيّ، فعليه مراتب أُخر يقطعها حتى يصل إلى ذلك المقام ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ بالوصول إلى مقام التوحيد والامتداد بقدرة الله ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ أي: تكلف الأفعال بالنفس الضعيفة العاجزة ﴿ولتكملوا العدّة﴾ ولتتمموا تلك المراتب والأحوال والمقامات الموصلة. ولتعظموا الله وتعرفوا عظمته وكبرياءه على هدايته إياكم إلى مقام الجمع ﴿ولعلكم تشكرون﴾ بالاستقامة أمركم بذلك.

[١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿وإذا سألك عبادي﴾ السالكون الطالبون المتوجهون إليّ، عن معرفتي ﴿فإني قريب﴾ ظاهر ﴿أجيب دعوة﴾ من يدعوني بلسان الحال والاستعداد بإعطائه ما اقتضى حاله واستعداده ﴿فليستجيبوا لي﴾ بتصفية الاستعداد بالزهد والعبادة، فإني أدعوهم إلى نفسي وأعلمهم كيفية السلوك إليّ، وليشاهدوني عند التصفية، فإني أتجلّى عليهم في مرائي قلوبهم لكي يرشدوا بالاستقامة، أي: لكي يستقيموا ويصلحوا.

[١٨٧] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿أحلّ لكم﴾ أي: أبيح لكم ﴿ليلة الصيام﴾ أي: في وقت الغفلة الذي يتخلل ذلك الإمساك المذكور في زمان حضوركم ﴿الرفث إلى نِسَائكم﴾ التنزّل إلى مقارفة نفوسكم بحظوظها إذ لا مصابرة لكم عنها لكونها تلابسكم وكونكم تلابسونها بالتعلق الضروري ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ باستراق الحظوظ في أزمنة تلك السلوك والرياضة والحضور ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن﴾ أي: في وقت الاستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء ﴿باشروهنّ﴾ في أوقات الغفلات ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ من التقوى والتمكن بتلك الحظوظ على توفير حقوق الاستقامة والقيام بما أمر الله به من العبودية والدعوة إليه ﴿وكلوا واشربوا﴾ أي: كونوا مع رفقها ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ حتى تظهر عليكم بوادي الحضور ولوامعه وتغلب آثاره وأنواره على سواد الغفلة وظلمتها، ثم كونوا على الإمساك المذكور بالحضور مع الحق حتى يأتي زمان الغفلة، لولا ذلك لما أمكنه القيام بمصالح معاشه ومهماته. ولا تقاربوهن في حال كونكم معتكفين مقيمين حاضرين في

مساجد قلوبكم وإلا لتشوّش وقتكم بظهورها.

[١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿**ولا تأكلوا أموالكم**﴾ معارفكم ومعلوماتكم ﴿**بينكم**﴾ بباطل شهوات النفس ولذاتها بتحصيل مآربها واكتساب مقاصدها الحسيّة والخيالية باستعمالها ﴿**وتدلوا بها**﴾ وترسلوا إلى حكّام النفوس الأمّارة بالسوء ﴿**لتأكلوا فريقاً من أموال**﴾ القوىٰ الروحانية ﴿**بالإثم**﴾ أي: بالظلم لصرفكم إياها في ملاذ القوى النفسانية ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ أنّ ذلك إثم ووضع للشيء في غير موضعه.

[١٨٩ ـ ١٩٠] ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾

﴿**يسئلونك عن الأهلة**﴾ أي: عن الطوالع القلبية عند إشراق نور الروح عليها ﴿**قل هي مواقيت للناس**﴾ أي: أوقات وجوب المعاملة في سبيل الله وعزيمة السلوك، وطواف بيت القلب، والوقوف في مقام المعرفة ﴿**وليس البرّ بأن تأتوا**﴾ بيوت قلوبكم ﴿**من ظهورها**﴾ من طرق حواسكم ومعلوماتكم المأخوذة من المشاعر البدنية فإنّ ظهر القلب هو الجهة التي تلي البدن ﴿**ولكنّ البرّ**﴾ برّ ﴿**من اتّقى**﴾ شواغل الحواس وهواجس الخيال ووساوس النفس ﴿**وأتوا البيوت من أبوابها**﴾ الباطنة التي تلي الروح والحق، فإنّ باب القلب هو الطريق الذي انفتح منه إلى الحق ﴿**واتّقوا الله**﴾ في الاشتغال بما يشغلكم عنه ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم**﴾ من الشيطان وقوى النفس الأمّارة ﴿**ولا تعتدوا**﴾ في قتالها بأن تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع في التفريط والقصور والفتور ﴿**إنّ الله لا يحب المعتدّين**﴾ لكونهم خارجين عن ظلّ المحبة والوحدة الذي هو العدالة.

[١٩١ ـ ١٩٣] ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿**واقتلوهم حيث**﴾ وجدتموهم أزيلوا حياتهم وامنعوهم عن أفعالها بقمع هواها الذي هو روحها حيث كانوا ﴿**وأخرجوهم**﴾ من مكة الصدر عند استيلائها عليها كما أخرجوكم عنها

باستنزالكم إلى بقعة النفس وإخراجكم عن مقرّ القلب. وفتنتهم التي هي عبادة هواها وأصنام لذّاتها أشد من قمع هواها وإماتتها الكلية، أو محنتكم وابتلاؤكم بها عند استيلائها أشدّ عليكم من القتل الذي هو طمس غرائزكم ومحو استعدادكم بالكلية لزيادة الألم هناك ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ الذي هو مقام القلب، أي: عند الحضور القلبيّ إذا وافقوكم في توجهكم فإنها أعوانكم على السلوك حينئذ ﴿حتى يقاتلوكم فيه﴾ وينازعوكم في مطالبهم ويجرّوكم عن جناب القلب ودين الحق إلى مقام النفس ودينهم الذي هو عبادة العجل ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ من تنازعهم ودواعيهم وتعبدهم ﴿ويكون الدين لله﴾ بتوجه جميعها إلى جناب القدس ومشايعتها للسرّ في التوجه إلى الحق، ليس للشيطان والهوى فيه نصيب ﴿فإن انتهوا فلا عدوان﴾ عليهم إلا العادين المجاوزين عن حدودهم.

[١٩٤] ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ أي: وقت منعها إياكم عن مقصدكم ودينكم هو بعينه وقت منعكم إياها عن عقوقها حتى ترضى بالوقوف على حدودها، وشهرها الحرام هو وقت قيامها بحقوقها، وشهركم الحرام هو وقت الحضور والمراقبة.

[١٩٥] ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾

﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ ما معكم من العلوم بالعمل بها ولا تدّخروها لوقت آخر عسىٰ لا تدركونه فلا شيء أضرّ من التسويف ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ﴾ تهلكة التفريط وتأخير العمل بالعلم وإنفاقه في مصالح النفس فإنه موجب للحرمان ﴿وأحسنوا﴾ أي: وكونوا في عملكم مشاهدين ﴿إنّ الله يحبّ المُحْسنين﴾ المشاهدين في أعمالهم ربّهم، مخلصين له فيها.

[١٩٦] ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾

﴿وأتمّوا﴾ حجّ توحيد الذات وعمرة توحيد الصفات بإتمام جميع المقامات والأحوال، بالسلوك إلى الله وفي الله، ﴿فإن أحصرتم﴾ بمنع كفار النفس الأمّارة إياكم عنهما ﴿فما آستيسرَ من الهدي﴾ فجاهدوا في الله بسوق هدى النفس وذبحها بفناء كعبة القلب أو عرصة ما تمنى

منها القلب من المقام. وما استيسر إشارة إلى أنّ النفوس مختلفة في استعداداتها وصفاتها، فبعضها موصوف بصفات حيوان ضعيف، وبعضها بصفات حيوان قوي. ولكلّ ما تيسر أو بعضها بصفات حيوان ذلول سهل الانقياد، وبعضها بصفات حيوان صعب عسر الانقياد، وربما كان لبعضها صفة لم يتيسر قمعها وإن تيسر قمع سائر صفاتها. ومثل هذا الحاج محصر أبداً.

﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ ولا تزيلوا آثار الطبيعة وتختاروا طيب القلب وفراغ الخاطر من الهموم والتعلقات كلها، والعادات والعبادات وتقتصروا على صفاء الوقت كما هو مذهب القلندرية ﴿حتى يبلغ﴾ هدي النفس ﴿محله﴾ أي: مكانه، وهو مذبحه أو منحره الذي يقتضي أن تكون أفعالها التي كانت محرّمة عند حياتها بهواها تصير حلاً عند قتلها لكونها بالقلب فتأمنوا من بقاياها، وإلاّ لتشوّش وقتكم وتكدّر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب كما هو حال أكثر القلندرية اليوم.

﴿فمن كان منكم مريضاً﴾ أي: ضعيف الاستعداد مملوء القلب بعوارض لازمة في جبلتها أو مكتسبة من العادات ﴿أو به أذىً من رأسه﴾ أو ممنوعاً مبتلى بهموم وتعلّقات ورذائل وهيئات، ولم يتيسر له السلوك والمجاهدة على ما ينبغي وأراد أن يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولا ينتكس وينحط عن درجته وإن لم يترق. فعليه فدية من إمساك عن بعض لذاته وشواغله النفسانية. أو فعل برّ أو رياضة ومجاهدة تقمع بعض القوى المزاحمة، فليحفظ وقته وليراع صفاءه بزهد ما أو عبادة أو مخالفة نفس ﴿فإذا أمنتم﴾ من العدوّ المحصر ﴿فمن تمتع﴾ بذوق تجلي الصفات متوسلاً به إلى حج تجلي الذات ﴿فما استيسر من الهدي﴾ بحسب حاله ﴿فمن لم يجد﴾ لضعف نفسه وخمودها وانقهارها ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ فعليه الإمساك عن أفعال القوى التي هي الأصول القوية في وقت التجلي والاستغراق في الجمع والفناء في الوحدة فإنها لا بدّ من أن تحجب وتجرّ إلى حضيض النفس والصدر، وهي العقل والوهم والمتخيلة ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ إلى مقام التفصيل والكثرة وهي الحواس الخمس الظاهرة والغضب والشهوة ليكون عند الاستقامة في الأشياء بالله ﴿تلك عشرة كاملة﴾ فذلكة، أي: تلك الإمساكات المذكورة عن أفعال هذه القوى والمشاعر جميع التفاصيل الكاملة الموجبة لأفاعيل قوى وجوده الموهوب بالحق عند حصول الكمال، كما قال: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» إلى آخر الحديث. ﴿ذلك﴾ الحكم ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ من المحبوبين الكاملين الحاضري مقام القلب في الوحدة، فإنه لا هدى له ولا مجاهدة ولا رياضة في وصوله وسلوكه إلى الله، بل هو للمحبين.

[١٩٧] ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿الحج أشهرٌ معلوماتٌ﴾ أي: وقت الحج أزمنة معلومة، وهو من وقت بلوغ الحلم إلى الأربعين، كما قال تعالى في وصف البقرة: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[١]، ﴿فمن فرض فيهنّ الحجّ﴾ على نفسه بالعزيمة والتزم ﴿فلا رَفثَ﴾ أي: فاحشة ظهور القوة الشهوانية ﴿ولا فُسوقَ﴾ أي لأسباب يعني خروج القوّة الغضبية عن طاعة القلب ﴿ولا جدالَ﴾ أي: تعدّي القوة النطقية بالشيطنة ﴿في الحجّ﴾ أي: في قصد بيت القلب ﴿وما تفعلوا من خيرٍ﴾ من فضيلة من أفعال هذه القوى الثلاث بأمر الشرع والعقل دون رذائلها ﴿يعلمه الله﴾ ويثبكم عليه ﴿وتزودوا﴾ من فضائلها التي يلزمها الاجتناب عن رذائلها ﴿فإنّ خيرَ الزادِ التقوىٰ﴾ منها ﴿واتقونِ﴾ في أعمالكم ونياتكم ﴿يا أُولي الألبَاب﴾ فإن قضية اللبّ أي: العقل الخالص من شوب الوهم وقشر المادة اتقائي.

[١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿ليس عليكم جناحٌ أن تَبتغوا فضلاً من ربّكم﴾ أي: لا حرج عليكم عند الرجوع إلى الكثرة في أن تطلبوا رفقاً لأنفسكم وتمتعوها بحظوظها على مقتضى الشرع بإذن الحق، فإنّ حظها حينئذ يقويها على موافقة القلب في مقاصده ولأنها غير طاغية لتنوّرها بنور الحق ﴿فإذا أفضتم﴾ أي: دفعتم أنفسكم من مقام المعرفة التامة الذي هو نهاية مناسك الحج وأمّها كما قال النبي ﷺ: «الحجّ عرفة». ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ أي: شاهدوا جمال الله عند السرّ الروحيّ المسمّى بالخفيّ، فإنّ الذكر في هذا المقام هو المشاهدة، والمشعر هو محل الشعور بالجمال المحرّم من أن يصل إليه الغير ﴿واذكروه كما هَدَاكم﴾ إلى ذكره في المراتب فإنه تعالى هدى أولاً إلى الذكر باللسان وهو ذكر النفس ثم إلى الذكر بالقلب وهو ذكر الأفعال الذي تصدر نعماء الله وآلاؤه منه. ثم ذكر السرّ وهو معاينة الأفعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات. ثم ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات. ثم ذكر الخفيّ وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الإثنينية. ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البقية ﴿وإن كنتم من قَبْله﴾ أي: من قبل الوصول إلى عرفات المعرفة والوقوف بها ﴿لمن الضالِين﴾ عن هذه الأذكار.

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٨.

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ ثم أفيضوا إلى ظواهر العبادات والطاعات وسائر وظائف الشرعيات والمعاملات من حيث، أي: من مقام إفاضة سائر الناس فيها، وكونوا كأحدهم. قيل لجنيد رحمة الله عليه: ما النهاية؟ قال: الرجوع إلى البداية. ﴿واستغفروا الله﴾ من ظهور النفس وتبرمها بالحال وطغيانها. قال النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وأني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة». وقال ﷺ: «اللهم ثبتني على دينك»، فقيل له في ذلك فقال ﷺ: «أو ما يؤمنني، إنّ مثل القلب كمثل ريشة في فلاة، تقلّبها الرياح كيف شاءت». ولما تورّمت قدماه فقالت له عائشة رضي الله عنها: أما غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أعوذ بالله من الضلال بعد الهدى».

[٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ وفرغتم من الحجّ ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً﴾ أي: فلا تكونوا كأهل العادة مشغولين بذكر الأنساب والمفاخرات وسائر أحوال الدنيا، فإنّ ذلك يكدّر وقتكم ويقسي قلوبكم بل كونوا مشتغلين بأنواع الذكر والمذاكرة مع الإخوان مثل ما كنتم تذكرون أحوال الأنساب وسائر أحوال الدنيا قبل السلوك أو كما يذكر الناس هذه الأحوال بالعادة أو أبلغ وأقوى وأكثر ذكراً منها ليبقى صفاؤكم ويهتدي بكم الناس ﴿فمن الناس من يقول ربنا﴾ أي: لا يطلب إلا متاع الدنيا ولا يشتغل إلا بذكرها ولا يعبد الله إلا لأجلها ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ فإنّ توجهه إلى الأخس يمنعه عن قبول الأشرف لعدم نهوض همّته إليه واكتساب الظلمة المنافية للنور.

[٢٠١] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾

﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا﴾ أي: يطلب خير كل من الدارين ويحترز عن الاحتجاب بالظلمة والتعذب بنيران الطبيعة والحرمان عن أنوار الرحمة ﴿أولٰئك لهم نصيبٌ مما كَسبوا﴾ من حظوظ الآخرة وأنوار دار القرار واللذات الباقية بالأعمال الصالحة بعد المحاسبة وحط بعض الحسنات بالسيئات والتعذيب بحسبها أو العفو.

[٢٠٢ ـ ٢٠٣] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَاذْكُرُوا

ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

﴿**واذكروا الله في أيام معدوداتٍ**﴾ أي: مراتب معدودة بعد الفراغ من الحجّ، وهو مرتبة الروح والقلب والنفس، لأن الواصل إذا رجع، رجع إلى هذه المراتب وعليه في المراتب الثلاث أن يكون بالله فذلك ذكره ﴿**فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه**﴾ أي: فمن تعجّل إلى حظوظه في مرتبة الروح والقلب فلا إثم عليه إذ الروح والقلب وحظوظهما لا يحجبان ولا يضران. ومعنى التعجل هو أن الحركة إذا كانت بالله كانت أسرع ولا يكون معها لبث ولا وقوف ريثما يظهر القلب أو الروح ويصير حجاباً نورياً كما يكون لأصحاب التلوين ﴿**ومن تأخر**﴾ إلى الثالث الذي هو مرتبة النفس ﴿**فلا إثم عليه لمن اتقىٰ**﴾ أي: ذلك الحكم لمن اتقىٰ أن يكون مع حظوظ النفس بالنفس، فإنّ النفس ألزم لحظها من صاحبيها وحظها أغلظ وأبعد من النور من حظوظهما وسريعاً ما تظهر للزوم الطيش والحركة إياها بخلاف صاحبيها وحظها أيضاً كثيراً ما يحجب، وإذا حجب كان حجابه غليظاً ظلمانياً فالاحتراز هناك والاحتياط واجب وأولى من الباقيين لأنهما إن ظهرا رقّ حجابهما وسهل زواله، أو ذلك التخيير لمن اتقى في المراتب الثلاث. ﴿**واتقوا الله**﴾ في المواطن الثلاثة من ظهور الأنانية والآنية حتى تكونوا في الحظوظ به لا بالنفس ولا بالقلب ولا بالروح ﴿**واعلموا أنكم إليه تحشرون**﴾ أي: أنكم محشورون معه تحشرون من اسم إلى اسم حاضرون بحضرته فأنتم على خطر عظيم بخلاف سائر الناس كما ورد في الحديث: «المخلصون على خطر عظيم». وعن النبي ﷺ عن الله تعالى: «بشر المذنبين بأني غفور وأنذر الصدّيقين بأني غفور».

[٢٠٤ ـ ٢٠٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

﴿**ومن الناس من يعجبك**﴾ أي: يدّعي المحبة وهو ألدّ الخصام لكونه في مقام النفس زنديقاً، ولهذا قال: ﴿**قوله في الحيوٰة الدنيا**﴾ إذ ليس له قول في الآخرة بالقلب ﴿**وإذا تولىٰ سعىٰ في الأرض**﴾ لإباحته وتزندقه كما ترى عليه أكثر مدّعي المحبة والتوحيد ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾ أي: هو مفسد ويدّعي محبة الله. وكيف تتأتى له والمحبّ لا يفعل إلا ما يحبّ محبوبه، والله لا يحبّ ما يفعله فلا يكون صادقاً في دعواه، كما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا قبيح بالفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

[٢٠٦ ـ ٢٠٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٢٠٦ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝٢٠٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٠٨﴾

﴿وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزة بالإثم﴾ أي: حملته الحمية النفسانية حمية الجاهلية على الإثم لجاجاً وأشراً لظهور نفسه حينئذ وزعمه أنه أعلم بما يفعل من ناصحه ﴿فحسبه جهنم﴾ أي: غايته عمق حضيض رتبته التي هو فيها وظلمتها، فإنّ جهنم معناه: مهوى بعيد العمق مظلمه ﴿يشري نفسه ابْتِغاء مرضاة الله﴾ يبذل نفسه في سلوك سبيل الله طلباً لرضاه ﴿ادخلوا في السلم﴾ أي: في الاستسلام وتسليم الوجوه لله، إذ معاداة القوى بعضها بعضاً، وعدم موافقتها في التسليم لأمر الله دليل تتبع الشيطان، وهو يريد أن تستحقوا قهر الله بارتكاب الإسرافات المذمومة لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم، وقصوره عن نور فطرتكم، لكونه ناريّ الخلقة لا يطلب منكم إلا أن تكونوا ناريين مثله لا نورانيين. فهو عدوّ في الحقيقة في صورة المحبّ.

[٢٠٩] ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾

﴿فإن زللتم﴾ عن مقام التسليم لأمر الله ﴿من بعد ما جاءتكم﴾ دلائل تجليات الأفعال والصفات ﴿فاعلموا أن الله عزيزٌ﴾ غالب يقهركم ﴿حكيمٌ﴾ لا يقهر إلا على مقتضى الحكمة، والحكمة تقتضي قهر المخالف المنازع، ليعتبر المطيع الموافق ويزيد في الطاعة.

[٢١٠ ـ ٢١٢] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٢١٠ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢١١ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢١٢﴾

﴿هل ينظرون﴾ أي: هل ينتظرون ﴿إلا أن﴾ يتجلىٰ ﴿الله في ظلل﴾ صفات الهوية من جملة تجليّات الصفات وصور ملائكة القوى السماوية. وقضىٰ في اللوح أمر إهلاكهم ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فيقابل كل امرىء بجزائه أو تزهق إليه بالفناء.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾

﴿كان الناس أمة واحدة﴾ أي: على الفطرة ودين الحق، كما قال ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة»، وهو في عهد الفطرة الأولى على الحقيقة، أو في زمن الطفولة، أو في عهد آدم عليه السلام ﴿كان الناس أمّة واحدة﴾ ثم اختلفوا في النشأة بحسب اختلاف طبائعهم وغلبة صفات نفوسهم، وتفرّق أهوائهم. فإن تضادّ أصول بنيتهم ومراكز أبدانهم باختلاف البقاع والأهوية، اقتضى ذلك وكذا ما في طباعهم من جذب النفع الخاص ودفع الضرّ الخاص لاحتجاب كل بمادة بدنه واقتضاء الحكمة الإلٰهية ذلك لمصلحة النشوّ والنماء يقتضي التعادي والتخالف ﴿فبعث الله النبيين﴾ ليدعوهم من الخلاف إلى الوفاق، ومن الكثرة إلى الوحدة، ومن العداوة إلى المحبة، فتفرّقوا وتحزبوا عليهم وتميزوا، فأمّا السفليون الذين رسخت في طباعهم محبة الباطل وغلب على قلوبهم الرين وطبع عليها وعميت وزال استعدادهم بغلبة هواهم، فازدادوا خلافاً وعناداً، فكأنهم ما اختلفوا إلا عند بعثهم وإتيانهم بالكتاب الذي هو سبب ظهور الحق والوفاق حسداً بينهم، ناشئاً من عند أنفسهم، وغلبة هواهم واحتجابهم. وأمّا العلويون الذين بقوا على الصفاء الأصليّ والاستعداد الأول فهداهم الله إلى الحق الذي اختلفوا فيه وزال خلافهم وسلكوا الصراط المستقيم.

[٢١٤ - ٢١٥] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

﴿أم حَسِبتم أن تَدخلوا﴾ جنّة تجلّي الجمال ﴿ولما يأتكم﴾ حال ﴿الذين﴾ مضوا ﴿من قَبلكم مستهم﴾ بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار، وضرّاء المجاهدة والرياضة وكسر النفس بالعبادة ﴿وزلزلوا﴾ بدواعي الشوق والمحبة عن مقارّ نفوسهم ليظهروا ما في استعدادهم بالقوّة ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نَصر الله﴾ أي: حتى تضجروا من طول مدّة الحجاب، وكثرة الجهاد من الفراق، وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال، وذوق الوصال، وطلبوا نصر الله بالتجلي على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم، وحسن تحملهم، لما يفعل المحبوب ويريد بهم من ابتلائهم بالهجران، وإذاقتهم طعم الفرقة لاشتداد قوة المحبة، فكيف بغيرهم؟ فأجيبوا إذا بلغ جهدهم ونفدت طاقتهم وقيل لهم ﴿ألا إنّ نصر الله قريب﴾ أي: رفع الحجاب وظهرت آثار الجمال.

[٢١٦] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿كُتِب عليكُم﴾ قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم أمرّ من طعم العلقم، وأشدّ من ضغم الضيغم ﴿وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذّة العاجلة عما في ضمنه من الخير الكثير، واللذّة العظيمة الروحانية التي تستحقر تلك الشدّة السريعة، الانقضاء بالقياس إلى ذلك الخير الباقي، واللذّة السرمدية وكذا عكسه ﴿والله يعلم﴾ ما في الأمور من الخير والشرّ ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك لاحتجابكم بالعاجل عن الآجل، وبالظاهر عن الباطن.

[٢١٧] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

﴿يسئلُونَك عن الشهر الحَرَام قِتال فيه﴾ يسألونك عن جهاد النفس وأعوانها، والشيطان وجنوده في وقت التوجه والسلوك إلى الحق وجمعية الباطن الحرام فيه حركة السرّ ﴿قُلْ﴾ الجهاد في ذلك الوقت أمر عظيم شاق، وصرف وجوهكم عن سبيل الله، ومقام السر، ومحل الحضور احتجاب عن الحق، وإخراج أهل القلب الذين هم القوى الروحانية عن مقارّهم أعظم وأكبر عند الله، وفتنة الشرك والكفر وبلاؤهما عليكم أشدّ من قتلكم إياهم بسيف الرياضة. ولا تزال تلك القوى النفسانية والأهواء الشيطانية يقاتلونكم بذبكم عن دينكم ومقصدكم، ودعوتكم إلى دين الهوىٰ والشيطان ﴿حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدِدْ منكم عن دينه﴾ باتباعهم ﴿فأولٰئك حَبطت أعمالهم﴾ التي عملوها في الاستسلام والانقياد ﴿وأولٰئك أصحَابُ﴾ نار الحجاب والتعذيب ﴿هم فيها خالِدُون﴾.

[٢١٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ يقيناً ﴿وهاجَرُوا﴾ أوطان النفس ومألوفات الهوى ﴿وجاهَدُوا في سبيلِ الله﴾ وجنود الشيطان والنفس الأمّارة ﴿أولٰئك يَرجون رحمة الله﴾ تجليات الصفات وأنوار المشاهدة.

[٢١٩ ـ ٢٤٢] ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ

فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا
تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ
حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى
فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن
تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن
يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ
أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ (٢٢٨) ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟
بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى
ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ
بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن
تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (٢٣٣) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن
لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ

أَجَلَهُۥ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿يسئلونك عن﴾ خمر الهوى وحبّ الدنيا وميسر احتيال النفس في جذب الحظ ﴿قل فيهما إثمٌ﴾ الحجاب والبعد ﴿ومنافعُ للناس﴾ في باب المعاش وتحصيل اللذّة النفسانية، والفرح بالذهول عن الهيئات الرديئة المشوّشة والهموم المكدّرة.

[٢٤٣] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

﴿ألم ترَ إلى الذين خرجوا من دِيارهم﴾ أي: أوطانهم المألوفة ومقارّ نفوسهم المعهودة ومقاماتهم ومراتبهم من الدنيا وما ركنوا إليها بدواعي الهوى، وهم قوم كثير ﴿حذر الموت﴾ الجهل والانقطاع عن الحياة الحقيقية والوقوع في المهاوي الطبيعية ﴿فقال لهم الله مُوتوا﴾ أي: أمرهم بالموت الإرادي، أو أماتهم عن ذواتهم بالتجلي الذاتي، حتى فنوا في الوحدة ﴿ثم أحياهم﴾ بالحياة الحقيقية العلمية، أو به بالوجود الموهوب الحقاني، والبقاء بعد الفناء. ولا يبعد أن يريد به ما أراد من قصة عزير، أي: خرجوا هاربين من الموت الطبيعي فأماتهم الله ثم أحياهم بتعلق أرواحهم بأبدان من جنس أبدانهم ليحصلوا بها كمالهم.

[٢٤٤ ـ ٢٤٥] ﴿وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

﴿وقاتِلُوا في سبيلِ الله﴾ النفس والشيطان على الأول والثاني. وعلى الثالث لا تخافوا من الموت في مقاتلة الأعداء، فإن الهرب منه لا ينفع كما لم ينفع أولئك. والله يحييكم كما أحياهم ﴿قرضاً حسناً﴾ هو بذل النفس بالجهاد، أو بذل المال بالإيثار ﴿والله يقبض ويبسط﴾ أي: هو مع معاملتكم في القبض والبسط، فإنكم بأوصافكم تستنزلون أوصافه. إن تبخلوا بما

في أيديكم يضيّق عليكم ويقتر، وإن تجودوا يوسع عليكم بحسب جودكم كما ورد في الحديث: «تنزل المعونة على قدر المؤونة».

[٢٤٦ ـ ٢٥٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٥٤)﴾

﴿طَالُوت﴾ كان رجلاً فقيراً، لا نسب له، ولا مال، فما قبلوه للمُلك. لأن استحقاق المُلك والرياسة عند العامة إنما هو بالسعادة الخارجية التي هي المال والنسب، فنبّه نبيهم على أن الاستحقاق إنما يكون بالسعادتين الأخريين: الروحانية التي هي العلم. والبدنية: التي هي زيادة القوى وشدّة البنية والبسطة، بقوله: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ والله أعلم بمن

يستحق المُلك فيؤتيه ﴿من يشاء والله واسعٌ﴾ كثير العطاء، يؤتي المال كما يؤتي المُلك ﴿عَليمٌ﴾ بمن له الاستحقاق وما يحتاج إليه من المال الذي يعتضد به، فيعطيه. ثم بيّن أن استحقاق المُلك له علامة أخرى وهي: إذعان الخلق له، ووقوع هيبته ووقاره في القلوب، وسكون قلوبهم إليه، ومحبتهم له، وقبولهم لأمره على الطاعة والانقياد. وهو الذي كان يسميه الأعاجم من قدماء الفرس «خوره». وما يختص بالملوك كيان خوره، ثم من بعدهم سموه «فر» فقالوا: كان فر للملك في أفريدون، وذهب عن كيكاوُوس فر الملك، فطلبوا من له الفر، فوجدوا للملك المبارك كيخسرو وسمّاه «التابوت» أي: ما يرجع إليه من الأمور. لأنّ التابوت فعلوت من التوب، أي: يأتيكم من جهته ما يرجع في ثبوت ملكه من الإذعان والطاعة والانقياد والمحبة له بإلقاء الله له ذلك في قلوبكم، كما قال النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر». أو ما يرجع إليه من الحالة النفسانية، والهيئة الشاهدة له على صحة ملكه ﴿فيه سكينة من ربّكم﴾ أي: ما تسكن قلوبكم إليه ﴿وبقية مما ترك آل موسىٰ وآل هارون﴾ في أولادهم من المعنى المسمّى «فر» وهو نور ملكوتيّ تستضيء به النفس باتصالها بالملكوت السماوية، واستفاضتها ذلك من عالم القدرة مستلزم لحصول علم السياسة وتدبيُر الملك والحكمة المزينّة لها ﴿تَحمله الملائكة﴾ أي: ينزل إليكم بتوسط الملائكة السماوية. ويمكن أنه كان صندوقاً فيه طلسم من باب نصرة الجيش وغيره من الطلسمات التي تذكر أنها للملك على ما يرى من أنه كان فيه صورة لها رأس كرأس الآدمي والهرّ، وذنب كذنبه كالذي كان في عهد أفريدون المسمى «درفش كاويان».

﴿إن الله مُبْتَليكم بنهرٍ﴾ هو منهل الطبيعة الجسمانية ﴿فمن شَرِب منه فليس مني﴾ أي: من كرع فيه مفرطاً في الريّ منه. لأنّ أهل الطبيعة وعبدة الشهوات أذلّ وأعجز خلق الله، لا قوّة لهم بقتال جالوت النفس الأمّارة، ولا بجالوت عدّو الدين، إذ لا حمية لهم ولا تشدّد ﴿إلا من اغْتَرف غُرْفة بيده﴾ أي: إلا من اقتنع منه بقدر الضرورة والاحتياج من غير حرص وانهماك فيه ﴿فشَرِبُوا منه﴾ أي: كرعوا فيه وانهمكوا ﴿إلا قليلاً منهم﴾ إذ المتنزهون عن الأقذار الطبيعية، المتقدّسون عن ملابسها، المتجرّدون عن غواشيها قليلون بالنسبة إلى من عداهم. قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[١]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٢] وهم الذين آمنوا معه من أهل اليقين الذين كانوا يعلمون بنور يقينهم أن الغلبة ليست بالكثرة، بل بالنصرة الإلٰهية، فصبروا على ما عاينوا بقوّة يقينهم، فظفروا.

(١) سورة ص، الآية: ٢٤.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

وقلّ من جدّ في أمر يطالبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

[٢٥٥] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

﴿الله لا إله إلا هو﴾ في الوجود، فكلّ ما عبد دونه لم تقع العبادة إلا له، علِمَ أو لم يعلم، إذ لا معبود ولا موجود سواه ﴿الحيّ﴾ الذي حياته عين ذاته، وكلّ ما هو حيّ لم يحيَ إلا بحياته ﴿القيوم﴾ الذي يقوم بنفسه ويقوم كلّ ما يقوم به. فلولا قيامه ما قام شيء في الوجود ﴿لا تأخذه﴾ غفوة ونعاس، كما يعتري الأحياء من غير قصدهم. فإنّ ذلك لا يكون إلا لمن حياته عارضة، فتغلبه الطبيعة بالحالة الذاتية طلباً للهدوء والراحة والإبدال عن تحليل اليقظة. فأمّا من حياته عين ذاته، فلا يمكن له ذلك. وبين كون حياته غير عارضة بقوله ﴿ولا نوم﴾ فإنّ النوم ينافي كون الحياة ذاتية، لأنه أشبه شيء بالموت. ولهذا قيل: النوم أخو الموت. ومن لا نوم له لذاته، لمنافاة كون الحياة غير ذاته، فلا سنة له، إذ السنة من مقدّماته وآثاره كما تقول: ليس له ضحك ولا تعجب، وقوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ بيان لقيوميته ﴿له ما في السمٰوات وما في الأرض﴾ نواصيهم بيده، يفعل بهم ما يشاء. ﴿من ذا الذي يشفَع عنده إلاّ بإذنِه﴾ إذ كلهم له وبه يتكلم من يتكلم به وبكلامه، فكيف يتكلم بغير إذنه وإرادته ﴿يعْلَم﴾ ما قبلهم وما بعدهم، فكيف بهم وبحالهم. أي: علمه شامل للأزمنة والأشخاص والأحوال كلها، فيعلم المستحق للشفاعة، وغير المستحق لها ﴿ولا يُحيطونَ بشيءٍ من عِلْمه إلاّ بما شاء﴾ أي: بما اقتضت مشيئته أن يعلمهم، فعلم كلّ ذي علم شيء من علمه ظهر على ذلك المظهر، كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾[1].

﴿وسِع كُرسيه السمٰوات والأرض﴾ أي: علمه، إذ الكرسيّ مكان العلم الذي هو القلب. كما قال أبو يزيد البسطامي رحمة الله عليه: لو وقع العالم وما فيه ألف ألف مرّة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به لغاية سعته. ولهذا قال الحسن: كرسيه: عرشه، مأخوذ من قوله عليه السلام: «قلب المؤمن من عرش الله». والكرسي في اللغة: عرش صغير لا يفضل عن مقعد القاعد، شُبه القلب به تصويراً وتخييلاً لعظمته وسعته. وأما العرش المجيد الأكبر فهو الروح الأول وصورتهما ومثالهما في الشاهد الفلك الأعظم، والثامن المحيط بالسموات السبع وما فيهنّ ﴿ولا يؤده﴾ أي: ولا يثقله ﴿حِفظهما﴾ لأنهما غير موجودين بدونه ليثقله حملهما، بل العالم المعنوي كله باطنه والصوريّ ظاهره، فلا وجود لهما إلا به وليس

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

غيره. ﴿وهو العليّ﴾ الشأن الذي لا يعلوه شيء وهو يعلو كل شيء، ويقهره بالفناء ﴿العَظيم﴾ الذي لا يتصوّر كنه عظمته، وكل عظمة تتصور لشيء فهي رشحة من عظمته، وكل عظيم فبنصيب من عظمته وحصة منها عظيمة. فالعظمة مطلقاً له دون غيره، بل كلها له، ليس لغيره فيها نصيب. وهي أعظم آية في القرآن لعظم مدلولها.

[٢٥٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

﴿لا إكْرَاه في الدين﴾ لأن الدين في الحقيقة هو الهدى المستفاد من النور القلبي، اللازم للفطرة الإنسانية، المستلزم للإيمان اليقيني. كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1]، والإسلام الذي هو ظاهر الدين مبتن عليه وهو أمر لا مدخل للإكراه فيه. والدليل على أنّ باطن الدين وحقيقته الإيمان كما أن ظاهره وصورته الإسلام ما بعده ﴿قد تبين﴾ أي تميز ﴿الرشد من الغيّ﴾ بالدلائل الواضحة لمن له بصيرة وعقل، كما قيل: قد أضاء الصبح لذي عينين.

﴿فمن يَكْفر بالطاغوت﴾ أي: ما سوى الله وينفي وجوده وتأثيره ﴿ويؤمن بالله﴾ إيماناً شهودياً حقيقياً ﴿فقد ٱستَمْسك بالعُرْوَة الوثقى﴾ أي: تمسك بالوحدة الذاتية التي وثوقها وإحكامها بنفسها، فلا شيء أوثق منها، إذ كلّ وثيق بها موثوق، بل كل وجود بها موجود وبنفسه معدوم، فإذا اعتبر وجوده فله انفصام في نفسه لأن الممكن وثاقته ووجوده بالواجب، فإذا قطع النظر عنه فقد انقطع وجود ذلك الممكن ولم يكن في نفسه شيئاً. ولا يمكن انفصامه عن وجود عين ذاته، إذ ليس فيه تجزؤ وإثنينية، وفي الانفصام لطيفة وهو أنه انكسار بلا انفصال. ولما لم ينفصل شيء من الممكنات من ذاته تعالى، ولم يخرج منه، لأنه إما فعله وإما صفته، فلا انفصال قطعاً، بل إذا اعتبره العقل بانفراده كان منفصماً، أي: منقطع الوجود متعلقاً وجوده بوجوده تعالى ﴿والله سَمِيع﴾ يسمع قول ذوي دين ﴿عليمٌ﴾ بنياتهم وإيمانهم.

[٢٥٧] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿الله وليّ الذين آمنوا﴾ متولي أمورهم ومحبتهم ﴿يُخرجهم﴾ من ظلمات صفات النفس وشبه الخيال والوهم، إلى نور اليقين والهدى وفضاء عالم الروح ﴿والذين كَفرُوا أولياؤهم﴾ ما يعبدون من دون الله ﴿يخرجونهم﴾ من نور الاستعداد والهداية الفطرية إلى ظلمات صفات النفس والشكوك والشبهات.

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

[٢٥٨ ـ ٢٦٠] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾

﴿أو كالذي مرّ على قرية﴾ أي: أرأيت مثل الذي مرّ على قرية باد أهلها، وسقطت سقوفها، وخرّت جدرانها عليها، فتعجب من إحيائها لكونه طالباً سالكاً لم يصل إلى مقام اليقين بعد، ولم يستعد لقبول نور تجلّي اسم المحيي ـ والمشهور أنه كان عُزَيْر ـ ﴿فأماته الله﴾ أي: فأبقاه على موت الجهل. كما قال: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾(١) على قول، وقال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾(٢). ﴿مِائَةَ عَامٍ﴾ يمكن أن يكون العام في عهدهم كان مبنياً على دور القمر، فيكون ثمانية أعوام وأربعة أشهر، وأن يكون مبنياً على فصول السنة فيكون خمسة وعشرين سنة، وأن تكون أعمارهم في ذلك الزمان كانت طويلة ﴿ثم بَعَثه﴾ بالحياة الحقيقية وطلب منه الوقوف على مدّة اللبث فما ظنها إلا يوماً أو بعض يوم، استصغار المدة اللبث في موت الجهل المنقضية بالنسبة إلى الحياة الأبدية ولعدم شعوره بمرور المدة كالنائم الغافل عن الزمان ومروره. ثم لما تفكّر نبّهه الله تعالى على طول مدة الجهل وموت الغفلة، بأنه مائة عام، أو أماته بالموت الإراديّ في إحدى المدد المذكورة، فتكون المدة زمان رياضته وسلوكه ومجاهدته في سبيل الله، أو أماته حتف أنفه بالموت الطبيعي فتعلق روحه ببدن آخر من جنسه لاكتساب الكمال إما بعد زمان وإما في الحال حتى مرّ عليه إحدى المدد الثلاث المذكورة، وهو لا يطلّع على حاله فيها، ولم يشعر بمبدئه ومعاده وكان ميتاً ثمّ بالحياة الحقيقية فاطلع بنور العلم على حاله وعرف مبدأه ومعاده.

وقوله: ﴿لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ

(١) سورة غافر، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

ٱلنَّهَارِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾[٢]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[٣] كل ذلك لغفلتهم عن مرور الزمان وكذا مفارق أخاً أو مصاحباً أو شيئاً آخر إذا أدرك الوصال بعد طول مدة الفراق كأن تلك المدة حينئذ لم تكن، إذ لا يحس بها بعد مضيها وإن قاساها قبل الوصال ﴿وأنظر إلىٰ طَعَامك وشَرَابك لم يَتَسنه﴾ قيل: طعامه التين والعنب، وشرابه الخمر واللبن. فالتين إشارة إلى المدركات الكلية لكونه لباً كله، وكون الجزئيات فيها بالقوة، كالحبات التي في التين، والعنب إشارة إلى الجزئيات لبقاء اللواحق الماديّة معها في الإدراك كالتجير والعجم. واللبن إشارة إلى العلم النافع كالشرائع. والخمر إشارة إلى العشق والإرادة وعلوم المعارف والحقائق. لم يتسنه أي: لم يتغير عما كان في الأزل بحسب الفطرة مودعاً فيك، فإن العلوم مخزونة في كل نفس بحسب استعدادها، كما قال عليه السلام: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة». فإن حجبت بالموادّ وخفيت مدّة بالتقلّب في البرازخ وظلماتها، لم تبطل ولم تتغير عن حالها. حتىٰ إذا رُفِعَ الحجاب بصفاء القلب ظهرت كما كانت، ولهذا قال عليه السلام: «الحكمة ضالّة المؤمن».

﴿وانْظُر إلىٰ حِمَارك﴾ أي: بدنك بحاله على الوجه الأول والثاني، وكيف نخرت عظامه وبليت على الوجه الثالث ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ أي: ولنجعلك دليلاً للناس على البعث، بعثناك ﴿وأنْظُر إلىٰ العِظَام كيفَ ننشزها﴾ أي: نرفعها ﴿ثمّ نَكسوها لَحماً﴾ على كلا الوجهين ظاهر، فإنه إذا بعث وعلم حاله وتجرّده عن البدن علم تركيب بدنه برفع العظام وجمعها وكسوتها لحماً ﴿فلما تَبين له﴾ ذلك البعث والنشور ﴿قال أعلم أنّ الله علىٰ كلّ شيء قَدِير﴾ ﴿وإذ قَال إبرَاهيم رب أرِني كيفَ تُحْيي المَوْتىٰ﴾ أي: بلغني إلى مقام العيان من مقام العلم الإيقاني. ولهذا قرر إيمانه بهمزة الاستفهام التقريرية.

فـ﴿قال أوَ لَمْ تُؤمِن﴾ أي: أو لم تعلم ذلك يقيناً؟، وأجاب إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿بَلىٰ ولٰكن ليطمئن قلبي﴾ أي: ليسكن وتحصل طمأنينته بالمعاينة، فإنّ عين اليقين إنما يوجب الطمأنينة لا علمه ﴿قال فَخُذ أربعَة منَ الطير﴾ أي: القوىٰ الأربعة التي تمنعه عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقية. وقيل: كانت طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة. وفي رواية بطّة، فالطاووس هو العجب، والديك الشهوة، والغراب الحرص، والحمامة حبّ الدنيا لتألفها وكرها وبرجها. والظاهر أنها بطة فتكون إشارة إلى الشره الغالب عليها ﴿فصرهنّ إليكَ﴾ أي:

(١) سورة يونس، الآية: ٤٥.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٤٦.
(٣) سورة الروم، الآية: ٥٥.

أملهنّ واضممهنّ إليك بضبطها ومنعها عن الخروج إلى طلب لذاتها والنزوع إلى مألوفاتها. وقيل: أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويخلط لحومها ودماءها بالدق ويحفظ رؤوسها عنده، أي: يمنعها عن أفعالها ويزيل هيئاتها عن النفس، ويقمع دواعيها وطبائعها وعاداتها بالرياضة، ويبقي أصولها فيه.

﴿ثم اجْعَل علىٰ كلّ جَبَل منهنّ جزءاً﴾ أي: من الجبال التي بحضرتك، وهي العناصر الأربعة التي هي أركان بدنه، أي: اقمعها وأمتها حتى لا يبقى إلا أصولها المركوزة في وجودك وموادّها المعدّة في طبائع العناصر التي فيك. كانت الجبال سبعة، فعلى هذا يشير بها إلى الأعضاء السبعة التي هي أجزاء البدن ﴿ثم ادْعهنّ﴾ أي: أنها إذا أنت حييت بحياتها كانت غير طيعة مستولية عليك، وحشية ممتنعة عن قبول أمرك، فإذا قتلتها كنت حياً بالحياة الحقيقية الموهوبة بعد الفناء والمحو. فتصير هي حيّة بحياتك لا بحياتها، حياة النفس مطيعة لك منقادة لأمرك فإذ دعوتها ﴿يأتينك سَعْياً واعْلَم أن الله عزيزٌ﴾ غالب على قهر النفوس ﴿حكيمٌ﴾ لا يقهرها إلا بحكمة. ويمكن حمله على حشر الوحوش والطيور، وعلى هذا فيكون جعل أجزائها على الجبال تغذية الجسم بها ودعاؤه وإتيانه إليه ساعية توجهها إلى الإنسان بعد النشور.

[٢٦١ - ٢٦٢] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿مثل الذين يُنفِقون أموَالهم في سَبِيل الله﴾ ذكر سبحانه ثلاث إنفاقات وفاضل بينها في الجزاء، أولها: الإنفاق في سبيل الله وهو إنفاق في عالم الملك عن تجلي الأفعال يعطيه صاحبه ليثيبه الله تعالى، فأثابه سبعمائة أضعاف ما أعطى ثم زاد في الأضعاف إلى ما لا يتناهى بحسب المشيئة لأنّ يده تعالى أبسط وأطول من يده بما لا يتناهى. ﴿والله واسعٌ﴾ كثير العطاء، لا يتقدّر بأعطيتنا عطاؤه ﴿عليمٌ﴾ بنيّات المعطين واعتقاداتهم أنه من فضل الله تعالى، فيثيبهم على حسب ذلك. وثانيها: الإنفاق عن مقام مشاهدة الصفات على ما سيأتي، وهو الإنفاق لطلب رضاء الله كما أن الأولى هو الإنفاق لطلب عطاء الله. وثالثها: الإنفاق بالله، وهو عن مقام شهود الذات ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذىٰ﴾ نبّه على أن الإنفاق يبطله المنّ والأذى، لأن الإنفاق إنما يكون محموداً لثلاثة أوجه: كونه موافقاً للأمر بالنسبة إلى الله تعالى، وكونه مزيلاً لرذيلة البخل بالنسبة إلى نفس المنفق، وكونه نافعاً مريحاً بالنسبة إلى

المستحق. فإذا منّ صاحبه فقد خالف أمر الله لأنه منهيّ وظهرت نفسه بالاستطالة والاعتداد بالنعمة والعجب والاحتجاب بفعلها ورؤية النعمة منها لا من الله، وكلها رذائل أردأ من البخل، لازمة له، ولو لم يكن له إلا رؤية نفسه بالفضيلة لكفاه مبطلاً. وأما الوجه الثالث الذي هو بالنسبة إلى المستحق، فيبطله الأذى المنافي للراحة والنفع والمن أيضاً مبطل له لاقتضائه الترفع وإظهار الاصطناع وإثبات حق عليه. ثم قال: ﴿قول مَعْروف ومَغْفرة خيرٌ من صدَقَة يَتْبعها أذىً﴾ إذ القول الجميل، وإن كان بالردّ، يفرح قلبه، ويروّح روحه، والصدقة إنما تنفع جسده ولا تفرّح القلب إلا بالتبعية وتصوّر النفع، فإذا قارن ما ينفع الجسد ما يؤذي الروح تكدّر النفع وتنغص، ولم يقع في مقابلة الفرح الحاصل من القول الجميل، ولو لم يكن مع التنغيص أيضاً لأن الروحانيات أشرف وأحسن وأوقع في النفوس ﴿والله غنيّ﴾ عن الصدقة المقرونة بالأذى، فيعطي المستحق من خزائن غيبه ﴿حليم﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

[٢٦٣ ـ ٢٦٥] ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

﴿مثل الذين يُنفِقون أموالهم أبتغاء مرضاة الله﴾هذا هو القسم الثاني من الإنفاق. فضّله على الأول بتشبيهه بالجنة، فإن الجنة مع إيتاء أكلها تبقى بحالها بخلاف الحبة، فأشار بها أنه ملك لهم كأنه صفة ذاتية ولهذا قال: ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي: توطيناً لها على الجود الذي هو صفة ربانية، وقوله: ﴿برَبْوَةٍ﴾ إشارة إلى ارتفاع رتبة هذا الإنفاق وارتقائه عن درجة الأول ﴿أصابها وابل﴾ أي: حظ كثير من صفة الرحمة الرحمانية ومدد وافر من فيض جوده لأنها ملكة الاتصال بالله تعالى بمناسبة الوصف واستعداد قبوله والاتصاف به ﴿فإن لم يصبها وابل﴾ أي: حظ كثير، فحظ قليل ﴿والله بما تعملون بصير﴾ بأعمالكم يرى أنها من أيّ القبيل.

[٢٦٦ ـ ٢٦٧] ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

﴿أيودّ أحدكم﴾ تمثيل لحال من عمل صالحاً إنفاقاً كان أو غيره متقرّباً به إلى الله مبتغياً رضاه، كما في هذا القسم من الإنفاق، ثم ظهرت نفسه فيه، وتحرّكت، فكانت حركاتها المتخالفة بحركة الروح ودواعيها المتفاوتة المضادّة لداعية القلب إعصاراً، فافترض الشيطان حركتها واتخذها مجالاً له بالوسوسة، فنفث فيها رؤية عملها أو رياء فكان ذلك النفث ناراً أحرقت عملها أحوج ما يكون إليه، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «اللهم اغفر لي ما تقرّبت به إليك ثم خالفه قلبي».

﴿أنفقوا من طيبات ما كَسبْتم﴾ أمر بالقسم الثالث من الإنفاق من طيبات ما كسبتم، إذ المختار بالله يختار الأشرف من كل شيء للمناسبة كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إن الله جميل يحبّ الجمال» ومن كان في إنفاقه بالنفس لا يقدر على إنفاق الأشرف لضنّ النفس ومحبتها إياه، واستئثارها به عن تخصيصه بالله، فما كان بالنفس ليس ببر أصلاً لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[1]، ﴿ولا تَيمموا الخَبيث منه تنفقون﴾ تخصونه بالإنفاق كعادة المنفقين بالنفس والطبيعة ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ لمحبتكم الأطيب من المال لأنفسكم لاختصاص محبتكم بالذات إياها، ولهذا لا تؤثرون الله بالمال عليها فتنفقوا أطيبه له ﴿واعلموا أن الله غنيّ﴾ فاتصفوا بغناه فتستفيضوا به عن المال ومحبته ﴿حميدٌ﴾ لا يفعل إلا الفعل المحمود، فاقتدوا به.

[٢٦٨] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ أي: الخصلة القبيحة التي هي البخل، فتعوّذوا منه بالله، فإنه ﴿يعدكم مغفرة منه﴾ أي: ستراً لصفات نفوسكم بنوره ﴿وفضلاً﴾ وموهبة من مواهب صفاته لكم وتجلياتها كالغنى المطلق فلا يبقى فيكم خوف الفقر ﴿والله واسع﴾ يسع ذواتكم وصفاتكم وعطاؤكم لا يضيق وعاء جوده بالعطاء ولا ينفد عطاياه ﴿عليمٌ﴾ بمواقع تجلياته واستعدادها واستحقاقها.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ لإخلاصه في الإنفاق وكونه فيه بالله، فيعطيه حكمة الإنفاق لينفق من الحكمة الإلٰهية لكونه متصفاً بصفاته ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ لأنها

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

أخصّ صفات الله ﴿وما يَذكر﴾ أنّ الحكمة أشرف الأشياء وأخصّ الصفات ﴿إلا أولوا الألبَاب﴾ الذين نوّر الله عقولهم بنور الهداية فصفاها عن شوائب الوهم وقشور الرسوم والعادات وهو النفس فجزاء الإنفاق الأول هو الإضعاف، وجزاء الثاني هو الجنّة الصفاتية المثمرة للإضعاف، وجزاء الثالث هو الحكمة اللازمة للوجود والموهوب. فانظر كم بينهما من التفاوت.

[٢٧٠ - ٢٧٣] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

﴿وما أنفقتم من نفقة أو نَذرتم من نذر فإنّ الله يعلمه﴾ من أيّ القبول هو، فيجازيكم بحسبه ﴿وما للظالمين﴾ أي: المنفقين رئاء الناس، الواضعين الإنفاق في غير موضعه، أو الناقصين حقوقهم برؤية إنفاقهم أو ضم المنّ والأذىٰ إليه أو بالإنفاق من الخبيث ﴿من أنصار﴾ يحفظونهم من بأس الله ﴿فهو خَير لكُم﴾ لبعدها عن الرياء وكونها أقرب إلى الإخلاص ﴿ليسَ عليكَ هُدَاهم﴾ إلى الإنفاقات الثلاثة المذكورة المبرّأة عن المنّ والأذىٰ والرياء ورؤية الإنفاق وكونه من الخبيث أي: لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إنما عليك تبليغ الهداية ﴿ولكنّ الله يهْدِي من يَشاء وما تنفِقوا من خير فلأنفسكم﴾ فلم تمنون به على الناس وتؤذونهم ﴿وما تنفقوْن إلا ابتغاء وجه الله﴾ فما لكم تستطيلون به على الناس؟ وكيف تراءون فيه؟ ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ ليس لغيركم فيه نصيب، فلا تنفقوا إلا على أنفسكم في الحقيقة، لا على غيركم فلا ينقص به شيء منكم، فما لكم تقصدون الخبيث بالإنفاق منه فثلاثتها مصروفة إلى الأقسام الثلاثة المذكورة من الإنفاق للتحذير عن آفاتها بتصوير غاياتها ﴿للفقراء﴾ أي: اقصدوا بصدقاتكم الفقراء ﴿الذين﴾ أحصرهم المجاهدة ﴿في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ للتجارة والكسب لاشتغالهم بالله واستغراقهم في الأحوال وصرف أوقاتهم في العبادات. ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ عن السؤال والاستغناء عن الناس ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ من صفرة وجوههم، ونور جباههم، وهيئة سحناتهم، أنهم عرفاء فقراء، أهل الله،

لا يعرفهم إلا الله ومن هو منهم ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ أي: إلحاحاً. والمراد نفي مسئلة الناس بالكلية كقوله:

علـى لاحِـبٍ لا يُـهـتـدىٰ بـمـنـاره

والمراد نفي المنار والاهتداء جميعاً، أو نفي الإلحاف وإثبات التعطف في المسئلة. ﴿وما تنفقوا من خير﴾ على أيّ من أنفقتم، غنياً كان أو فقيراً ﴿فإنّ الله به عليم﴾ أي: بأن ذلك الإنفاق له أو لغيره، فيجازى بحسبه.

[٢٧٤ ـ ٢٧٥] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

﴿الذينَ يُنفقونَ﴾ عمم الإنفاق أولاً وثانياً بحسب الأوقات والأحوال ليعلم أنه لا يتفاوت بها، بل بالقصد والنيّة ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون﴾ إلى آخره، آكل الربا أسوأ حالاً من جميع مرتكبي الكبائر، فإنّ كل مكتسب له توكل ما في كسبه قليلاً كان أو كثيراً، كالتاجر والزارع والمحترف، إذ لم يعينوا أرزاقهم بعقولهم ولم تتعين لهم قبل الاكتساب فهم على غير معلوم في الحقيقة، كما قال رسول الله ﷺ: «أبىٰ الله أن يرزق المؤمن إلا من حيث لا يعلم». وأما آكل الربا فقد عين على آخذه مكسبه ورزقه سواء ربح الآخذ أو خسر، فهو محجوب عن ربه بنفسه وعن رزقه بتعيينه، لا توكل له أصلاً، فوكلّه الله تعالى إلى نفسه وعقله، وأخرجه من حفظه وكلاءته، فاختطفه الجنّ وخبلته، فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله كسائر الناس المرتبطين به بالتوكل، فيكون كالمصروع الذي مسّه الشيطان فتخبطه لا يهتدي إلى مقصد ﴿ذٰلك بأنهم قالوا﴾ أي: ذلك بسبب احتجابهم بقياسهم وأول من قاسَ إبليس فيكونون من أصحابه مطرودين مثله.

[٢٧٦ ـ ٢٨٣] ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ
كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ
وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن
يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ
لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ
كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكْتُمُواْ
ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

﴿يمحق الله الربا﴾ وإن كان زيادة في الظاهر **﴿ويربي الصدقات﴾** وإن كان نقصاناً في الشاهد، لأنّ الزيادة والنقصان إنما يكونان باعتبار العاقبة والنفع في الدارين. والمال الحاصل من الربا لا بركة له، لأنه حصل من مخالفة الحق فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصي إذ كلّ طعام يولد في أكله دواعي وأفعالاً من جنسه، فإن كان حراماً يدعوه إلى أفعال محرمة، وإن كان مكروهاً فإلى أفعال مكروهة، وإن كان مباحاً فإلى مباحة، وإن كان من طعام الفضل فإلى مندوبات، وكان في أفعاله متبرّعاً متفضلاً، وإن كان بقدر الواجب من الحقوق فأفعاله تكون واجبة ضرورية، وإن كان من الفضول والحظوظ فأفعاله تكون كذلك، فعليه إثم الربا وآثار أفعاله المحرّمة المتولدة من أكله على ما ورد في الحديث: «الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الأول»، فتزداد عقوباته وآثامه أبداً، ويتلف الله ماله في الدنيا فلا ينتفع به أعقابه وأولاده فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو المحق الكليّ. وأما المتصدّق، فلكون ماله مزكّى، يبارك الله في تثميره مع حفظ الأصل وآكله لا يكون إلا مطيعاً في أفعاله، ويبقى ماله في أعقابه وأولاده منتفعاً به وذلك هو الزيادة في الحقيقة، ولو لم تكن زيادته إلا ما صرف في طاعة الله لكفى به زيادة، وأيّ زيادة أفضل مما تبقّى عند الله، ولو لم يكن نقصان الربا إلا حصوله من مخالفة الله وارتكاب نهيه لكفى به نقصاناً، وأيّ نقصان أفحش مما يكون سبب حجاب صاحبه وعذابه ونقصان حظه عند الله. **﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾** أي: آكل الربا كفار أثيم بفعله والله لا يحبّ من كان كذلك.

[٢٨٤] ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ

يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿لله ما في السمٰوات﴾ أي: في العالم الروحاني كله، بواطنه وصفاته وأستار غيوبه ودفائن جوده ﴿وما في الأرض﴾ أي: في العالم الجسمانيّ كله ظواهره وأسماؤه وأفعاله، تشهد العالمين، وهو على كل شيء شهيد ﴿وإن تُبدوا ما في أنفسكم﴾ يشهده بأسمائه وظواهره، فيعلمه ويحاسبكم به، وإن تخفوه يشهده بصفاته وبواطنه فيعلمه ويحاسبكم به ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ لتوحيده وقوّة يقينه، وعروض سيئاته، وعدم رسوخها في ذاته، فإنّ مشيئته مبنيّة على حكمته ﴿ويعذب من يشاء﴾ لفساد اعتقاده، ووجود شكّه، أو رسوخ سيئاته في نفسه ﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ فيقدر على المغفرة والتعذيب جميعاً.

[٢٨٥] ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

﴿آمَنَ الرسول بما أُنزِل إليه من ربه﴾ صدقه بقبوله والتخلق به، كما قالت عائشة: «كان خلقه القرآن والترقي بمعانيه والتحقق». ﴿والمؤمنون كل آمن بالله﴾ وحده جميعاً ﴿وملائكته وكتبه ورسله﴾ أي: وحده تفصيلاً عند الاستقامة مشاهداً لوحدته في صورة تلك الكثرة معطياً لكل تجلّ من تجلياته في مظهر من مظاهره حكمة ﴿لا نفرّق﴾ أي: يقولون: لا نفرّق بينهم بردّ بعض وقبول بعض، ولا نشك في كونهم على الحق وبالحق لشهود التوحيد ومشاهدة الحق فيهم بالحق ﴿وقالوا سمعنا﴾ أي: أجبنا ربّنا في كتبه ورسله ونزول ملائكته واستقمنا في سيرنا ﴿غفرانك ربّنا﴾ أي: اغفر لنا وجوداتنا وصفاتنا وامحها بوجودك ووجود صفاتك ﴿وإليك المصير﴾ بالفناء فيك.

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسعها﴾ لا يحملها إلاّ ما يسعها، ولا يضيق به طوقها واستعدادها من التجليات، فإن حظ كلّ أحد من الكشوف والتجليات ما يطيق به وعاء استعداده الموهوب له في الأزل من الفيض الأقدس، ولا يضيق عليه ﴿لها ما كَسبت﴾ من الخيرات والعلوم والكمالات والكشوف على أيّ وجد، سواء كانت بقصدها أو لا بقصدها، فإنها من عالم النور فالخيرات كلها ذاتية لها، ترجع فائدتها إليها دون الشرور من الجهالات

والرذائل والمعاصي والنقائص، فإنها أمور ظلمانية غريبة عن جوهرها فلا تضرّها ولا تلحق تبعتها بها إلا إذا كانت منجذبة إليها متوجهة بالقصد والاعتمال لتكسبها ولهذا ورد في الحديث: «إن صاحب اليمين يكتب كل حسنة تصدر عن صاحبها في الحال، وصاحب الشمال لا يكتب حتى تمضي عليه ست ساعات، فإن استغفر فيها وتاب أو ندم، فلم يكتب، وإن أصرّ كتب». والمراد بالنفس ها هنا الذات وإلا لكان الأمر بالعكس، فيكون حينئذ معناه لا يكلفها إلا ما يسعها ويتيسر لها من الأعمال دون مدى الجهد والطاقة وذكر الكسب في موضع الخير لكونها غير معتنية به معتملة له، والاكتساب في موضع الشرّ لكونها منجذبة إليه، معتملة له بالقصد، لكونها مأوى الشرّ.

﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا﴾ عهدك ﴿أو أخطأنا﴾ في العمل لما سواك، والقران على فراقك محتجبين عنك، فإنّا غرباء، بُعَدَاء، طال العهد بنا مسافرين عنك، ممتحنين في الظلمات بأنواع البلاء، ولا قدر ولا مقدار لنا في حضرتك، حتى تؤاخذنا بذنوبنا ﴿ربنا ولا تحْمِلْ علينا إصْراً﴾ في ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا، فتأصرنا وتحبسنا في مكاننا مهجورين عنك، فإنه لا ثقل أثقل منها ﴿كما حملته على الذين من قَبْلِنا﴾ من المحتجبين بظواهر الأفعال أو بواطن الصفات ﴿ربنا ولا تُحَملنا ما لا طاقة لنا به﴾ من ثقل الهجران والحرمان عن وصالك، ومشاهدة جمالك، بحجب جلالك ﴿واْعْفُ عنا﴾ سيئات أفعالنا وصفاتنا فإنها كلها سيئات حجبتنا عنك، وحرمتنا برد عفوك ولذة رضوانك ﴿واغفر لنا﴾ ذنوب وجوداتنا فإنها أكبر الكبائر كما قيل.

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

﴿وارْحَمنا﴾ بالوجود الموهوب بعد الفناء ﴿أنت مَوْلانا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿فانْصرنا﴾ فإنّ من حق الوليّ أن ينصر من يتولاّه، أو سيدنا، ومن حقّ السيد أن ينصر عبيده ﴿علىٰ القَوم الكَافِرينَ﴾ من قوىٰ نفوسنا الأمّارة وصفاتها، وجنود شياطين أوهامنا وخيالاتنا، المحجوبين عنك، الحاجبين إيّانا بكفرها وظلمتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة آل عمران﴾

[١ ـ ٧] ﴿الٓمٓ ① اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ② نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ③ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ④ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ⑤ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑥ هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ⑦﴾

﴿الم * الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم﴾ مرّ تأويله ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ أي: رقّاك رتبة فرتبة، ودرجة فدرجة، بتنزيل الكتاب عليك منجماً إلى العلم التوحيدي الذي هو الحق باعتبار الجمع المسمّى بالعقل القرآني ﴿مصدّقاً لما بين يديه﴾ من التوحيد الأزليّ السابق المعلوم في العهد الأول المخزون في غيب الاستعداد ﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل﴾ هكذا ثمّ ﴿أنزل الفرقان﴾ أي: التوحيد التفصيليّ الذي هو الحق باعتبار الفرق المسمّى بالعقل الفرقانيّ، وهو منشأ الاستقامة ومبدأ الدعوة ﴿إنّ الذين كفروا﴾ أي: احتجبوا عن هذين التوحيدين بالمظاهر والأكوان التي هي آيات التوحيد في الحقيقة ﴿لهم عذاب شديد﴾ في البعد والحرمان ﴿والله عزيز﴾ أي: قاهر ﴿ذو انتقام﴾ لا يقدر وصفه ولا يبلغ كنهه ولا يقدر على مثله، منتقم ﴿لا يخفىٰ عليه شيء﴾ في العالمين، فيعلم مواقع الانتقام ﴿منه آيات محكمات﴾ سمت من أن يتطرق إليها الاحتمال والاشتباه لا يحتمل إلا معنى واحداً ﴿هنّ أمّ﴾ أي: أصل ﴿الكتاب وأُخر مُتشابهات﴾ تحتمل معنيين فصاعداً ويشتبه فيها الحق والباطل، وذلك أنّ الحق تعالىٰ له وجه هو الوجه المطلق الباقي بعد فناء الخلق لا يحتمل التكثر والتعدّد، وله وجوه متكثرة إضافية متعدّدة بحسب مرائي المظاهر. وهي ما يظهر بحسب استعداد كل مظهر فيه من ذلك الوجه الواحد، يلتبس فيها الحق بالباطل، فورد التنزيل كذلك لتنصرف المتشابهات إلى وجوه الاستعدادات فيتعلق كل بما يناسبه، ويظهر الابتلاء والامتحان. فأمّا العارفون المحققون الذين يعرفون الوجه الباقي في أية صورة وأي شكل كان، فيعرفون الوجه الحق من الوجوه التي تحتملها المتشابهات فيردونها إلى المحكمات متمثلين بمثل قول الشاعر:

وما الوجه إلا واحد غير أنه ... إذا أنت أعددت المزايا تعدّدا

وأمّا المحجوبون ﴿الذين في قُلُوبهم زَيغ﴾ عن الحق ﴿فيتبعون ما تَشابه﴾ لاحتجابهم بالكثرة عن الوحدة. كما أن المحققين يتبعون المحكم، ويتبعونه المتشابه، فيختارون من الوجوه المحتملة ما يناسب دينهم ومذهبهم ﴿ٱبْتِغاء الفِتْنَة﴾ أي: طلب الضلال والإضلال الذي هم بسبيله ﴿وٱبْتِغَاء تأويله﴾ بما يناسب حالهم وطريقتهم.

إذا اعــوج سـكـيـن فـعـوّج قـرابـه

فهم كما لا يعرفون الوجه الباقي في الوجوه، لزم أن لا يعرفوا المعنى الحق من المعاني، فيزداد حجابهم ويغلظ ليستحقوا به العذاب ﴿وما يَعلم تأويله إلا الله والراسِخونَ في العلم﴾ العالمون، يعلمون بعلمه، أي: إنما يعلمه الله جميعاً وتفصيلاً ﴿يقولون آمنا به﴾ يصدّقون علم الله به، فهم يعلمون بالنور الإيماني ﴿كلّ من عِند ربنا﴾ لأن الكلّ عندهم معنى واحد غير مختلف ﴿وما يَذكر﴾ بذلك العلم الواحد المفصل في التفاصيل المتشابهة المتكثرة إلا الذين صفت عقولهم بنور الهداية وجرّدت عن قشر الهوى والعادة.

[٨ ـ ١٢] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

﴿ربنا لا تُزغْ﴾ عن التوجه إلى جنابك، والسعي في طلب لقائك، والوقوف ببابك، بالافتتان بحبّ الدنيا وغلبة الهوى، والميل إلى النفس وصفاتها، والوقوف مع حظوظها ولذاتها ﴿بعد إذْ هَدَيتنا﴾ بنورك إلى صراطك المستقيم، والدين القويم، وبسبحات وجهك إلى جمالك الكريم ﴿وهَبْ لنا من لدُنك رحمةً﴾ رحيمية تمحو صفاتنا بصفاتك وظلماتنا بأنوارك ﴿إنك أنت الوهاب ربنا إنك جَامع الناس لِيَوم لا رَيبَ فيه﴾ أي: يجمعهم ليوم الجمع الذي هو الوصول إلى مقام الوحدة الجامعة للخلائق أجمعين الأولين والآخرين، فلا يبقى لهم شك في مشهدهم ذلك ﴿لن تُغني عنهم أمْوَالهم ولا أولادهم من الله شَيئاً﴾ بل هي سبب حجابهم وبُعدهم من الله وتعذيبهم بعذابه لشدّة تعلقهم بهم ومحبتهم إياهم.

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قد كان لكم آية﴾ يا معشر السالكين دالة على كمالكم وبلوغكم إلى التوحيد ﴿في

فئتين التقتا فئة﴾ القوىٰ الروحانية الذين هم أهل الله وجنوده ﴿تقاتل في سبيل الله وأخرى﴾ هي جنود النفس وأعوان الشياطين محجوبة عن الحقّ. ترى الفئة الأولى، مع قلّة عددهم، مثليهم عند التقائهما في معركة البدن لتأيد الفئة الأولى بنور الله وتوفيقه وخذلان الفئة الثانية وذلهم وعجزهم وضعفهم وانقطاعهم عن عالم الأيد والقدرة. فغلبت الأولى الثانية وقهروهم بتأييد الله ونصره، وصرفوا أموالهم التي هي مدركاتهم ومعلوماتهم في سبيل معرفة الله وتوحيده ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ من أهل عنايته المستعدّين للقائه ﴿إنّ في ذلك لَعِبرة﴾ أي: اعتباراً أو أمراً يُعتبر به في الوصول إلى الحقيقة للمستبصرين الذين انفتحت أعين بصائرهم واكتحلت بنور الإيقان العلميّ من أهل الطريقة يعتبرون به أحوالهم في النهاية.

[١٤ ـ ١٥] ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

﴿زُين للناس حبّ الشهوات﴾ لأن الإنسان مركب من العالم العلويّ والسفليّ، ومن نشأته وولادته تحجبت فطرته وخمدت نار غريزته وانطفأ نور بصيرته بالغشاوات الطبيعية والغواشي البدنية، والماء الأجاج من اللذّات الحسيّة، والرياح العواصف من الشهوات الحيوانية، فبقي مهجوراً من الحق في أوطان الغربة وديار الظلمة يسار به، مبلوّاً بأنواع النصب والتعب، فإذا هو بشعشعة نور من التميز ولمعان برق من عالم العقل، وداع يناديه من الهوىٰ والشيطان، فتبعه فصادف منزلاً نزهاً، وروضة أنيقة، فيها ما تشتهي الأنفُس وتلذّ الأعين، فاستوطنه وشكر سعيه ورضيه مسكناً وقال:

عند الصباح يَحْمد القوم السرى

والداعي قد هيىء له القرى، فذلك حبّ الشهوات، أي: المشتهيات المذكورة وتزيينها له وهو تمتيع له بحسب ما فيه من العالم السفليّ، وكمال لحياته حجب به من تمتيع الحياة الأخرى وكمالها، بحسب ما فيه من العالم العلوي، ولم يتنبه على أنها أبهىٰ وألذّ وأصفىٰ مع ذلك وأبقىٰ، وهو معنى قوله: ﴿والله عنده حُسْن المئاب﴾ فإن أدركه التوفيق الإلٰهيّ والتنبيه السريّ، وقارنه الإنباء النبوي كما قال: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذٰلكم﴾ انبعث من باطنه شوق وعشق لحركة العلويّ إلى مركزه، واشتعلت ناره التي قد خمدت، وتتابع عليه لوامع الأنوار الإلهية وطوالع الإشراقات القدسية، فاستنار نور بصيرته الذي قد انطفأ، ورقّت الحجب التي منعت فطرته عن طلب المقرّ والمأوىٰ، وتنغص عيشه الذي هو فيه فتكدّر ما هو عليه،

واستظلم ما كان قد استصفاه من الحياة الدنيا وسكنت في نفسه سورة الهوى بغلبة الجزء الروحانيّ على الجسماني، وذاق طعم ماء فرات الحياة الحقيقية فلم يصبر على الملح الأجاج وباشر قلبه خطرات اليقين بجريعات شربها من الماء المعين، فعلم أنه كان أكمن في سرب من الأرض، فاستلمع ضوء الكواكب ليلاً وظنه نهاراً، فخرج فإذا هو ببريّة فيها ماء زعاق وأنواع من الحشائش كالخمخم والجرجير ونحوها، فظنها رياحين وثماراً، فحبس بما وجد عن ضياء الشمس وألوان الطيب والفواكه، فعزم على رحيل الأوبة وغشيته وحشة الغربة، فانتقى ما استطاب واستحلى. ثم سار وخلى حتى إذا أضاء نور صبح عين اليقين، وحان وقت طلوع شمس الوحدة، رأى جنة تحيّر فيها بصره ودهش في وصفها عقله، وكان ما كان مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فإذا أفاق وقد طلعت الشمس، وجد فيها آلافاً وأحباباً وعرف أنه كان له مثوى ومآباً، ورجع إليه الأنس، ونزل محلة القدس، بدار القرار في جوار الملك الغفّار، وأشرقت عليه سبحات وجهه الكريم، وحلّ بقلبه روح الرضا العميم، وذلك معنى قوله: **﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** إلى قوله: **﴿والله بصير بالعباد﴾**، فالجنّات جنّات الأفعال، والأزواج أصناف روحانيات عالم القدس، والرضوان جنّات الصفات.

[١٦ ـ ١٨] ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٦)
ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ (١٧) شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨)﴾

﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا﴾ بأنوار أفعالك وصفاتك **﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾** أي: ذنوب وجوداتنا بذاتك **﴿وقِنا عذَاب النّار﴾** أي: نار الهجران ووجود البقية **﴿الصابرين﴾** على غصص المجاهدة والرياضة **﴿والصادقين﴾** في المحبة والإرادة **﴿والقانتين﴾** في السلوك إليه وفيه **﴿والمُنفِقين﴾** ما عداه من أموالهم وأفعالهم وصفاتهم ونفوسهم وذواتهم **﴿والمستغفرين﴾** عن ذنوب تلويناتهم وبقياتهم في أسحار أيام التجليات النورية عند طلوع طوالع الأنوار، وظهور تباشير صبح يوم القيامة الكبرى بالأفق الأعلى، فأجابهم وقت طلوع شمس الذات من مغرب وجودهم، فلم يبق مغرباً بقوله **﴿شهد الله أنه لا إله إلاّ هو﴾** طلع الوجه الباقي، فشهد بذاته في مقام الجمع على وحدانيته، إذ لم يبق شاهد ولا مشهود غيره. ثم رجع إلى مقام التفصيل فشهد بنفسه مع غيره على وحدانيته في ذلك المشهد فقال: **﴿والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقِسط﴾** أي: مقيماً للعدل في تفاصيل مظاهره، وصور كثرتها الذي هو ظلّ الوحدة في غير الجمع بإعطاء كلّ ذي حقّ بحسب استعداده واستحقاقه حقّه من جوده وكماله وتجليه فيه على

قدر سعة وعائه ﴿لا إله إلا هو﴾ في المشهدين ﴿العزيز﴾ القاهر الذي يقهر كل شيء باعتبار الجمع فلا يصل إليه أحد ﴿الحكيم﴾ الذي يدبر بحكمته كل شيء، فيعطيه ما يليق به باعتبار التفصيل.

[١٩ - ٢٠] ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إن الدين عند الله﴾ هو هذا التوحيد الذي قرّره بنفسه. فإنّ دينه دين إسلام الوجوه كما قال إبراهيم ﷺ: «أسلمت وجهي لله» أي: نفسي وجملتي، وانخلعت عن أنيتي، ففنيت فيه. وأمر الله تعالى حبيبه عليه الصلاة والسلام فيما بعد بقوله: ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾.

[٢١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿إنّ الذين يَكفرون بآياتِ الله﴾ أي: المحجوبين عن الدين ﴿ويقتلون النبيين بغير حقّ﴾ لكونهم محجوبين بدينهم لا يقبلون إلا ما هم عليه من التقيد والتقليد، والأنبياء دعوهم إلى التوحيد ومنعوهم عن التقيد فقتلوهم ﴿ويَقتلون الذين يأمرون بالقِسْط من الناس﴾ من أتباعهم، إذ العدل ظلّ التوحيد، فمن لم يكمل له لا يمكنه العدل، وهم قد حجبوا بتقييدهم بدينهم، فقد حجبوا بظلمهم عن العدل فخالفوهم وقتلوهم.

[٢٢ - ٢٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أولئك الذينَ حَبطت أعمَالهم﴾ التي عملوها على دين نبيهم، لأنهم كانوا بتقليد نبيهم ناجين بالمتابعة، وأنبياؤهم كانوا شفعاءهم بتوسطهم بينهم وبين الله في وصول الفيض إليهم، فإذا أنكروا النبيين وأتباعهم العادلين فقد خالفوا نبيّهم لأن الأنبياء كلهم على ملّة واحدة في الحقيقة هي ملّة التوحيد، لا نفرّق بين أحد منهم في كونهم على الحقّ فمن خالف واحداً فقد خالف الكلّ، وكذا من خالف أهل العدل من أتباع النبيين فقد ظلم، ومن ظلم فقد خرج

بظلمه عن المتابعة وأيضاً فمنكر الاتباع منكر المتبوعين، ومنكر الظلّ منكر الذات خارج عن نورها. وإذا خالفوا نبيّهم لم يبق بينهم وبينه من الوصلة والمناسبة ما تمكن به الاستفاضة من نوره، فحجبوا عن نوره وكانت أعمالهم منوّرة بنوره لأجل المتابعة، لا نور ذاتيّ لها، إذ لم تكن صادرة عن يقين، فإذا زال نورها العارضي باحتجابهم عن نبيهم فقد أظلمت وصارت كسائر السيئات من صفات النفس الأمّارة، وفيه ما سمعت غير مرّة من قتل كفار قوى النفس الأمّارة أنبياء القلوب والآمرين بالقسط من القوى الروحانية.

[٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قل اللهمّ مَالِك المُلْك﴾ تملك مُلك عالم الأجسام مطلقاً، تتصرّف فيه لا مالك ولا متصرّف ولا مؤثر فيه غيرك ﴿توتي المُلْك مَن تشاء﴾ تجعله متصرّفاً في بعضه ﴿وتَنزِع المُلْك مِمَّنْ تشاء﴾ بجعل التصرّف في يد غيره ولا غير ثمة بل تقلّبه من يد إلى يد، فأنت المتصرّف فيه على كل حال بحسب اختلاف المظاهر ﴿وتعز من تَشاء﴾ بإلقاء نور من أنوار عزتك عليه فإنّ العزّة لله جميعاً ﴿وتذِلّ من تَشاء﴾ بسلب لباس عزتك عنه فيبقى ذليلاً ﴿بيدِك الخير﴾ كله، وأنت القادر مطلقاً، تعطي على حسب مشيئتك، تتجلى تارة على بعض المظاهر بصفة العز والكبرياء، فتكسوه لباس العز والبهاء، وتارة بصفة القهر والإذلال فتكسوه لباس الهوان والصغار، وتارة بصفة المعز فتكون مذلاً، وتارة بصفة المذلّ فتكون معزاً، وتارة بصفة الغني فتعطي المال، وتارة بصفة المغني فتفقره، أي: تجعله مستغنياً عن المال، فقيراً لا يحتاج إلى شيء.

[٢٧ ـ ٢٨] ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿تُولِج الليل في النهار وتُولِج النهار في الليل﴾ تدخل ظلمة النفس في نور القلب فيظلم، وتدخل نور القلب في ظلمة النفس فتستنير بخلطهما معاً مع بعد المناسبة بينهما ﴿وتُخرج الحيّ﴾ أي: حيّ القلب ﴿من الميت﴾ أي: من ميت النفس، وميت النفس من حيّ القلب، بل تخرج حيّ العلم والمعرفة من ميت الجهل، وتخرج ميت الجهل من حيّ العلم تحجبه عن النور، كحال بلعم بن باعوره ﴿وتَرْزق من تَشاء﴾ من النعمة الظاهرة والباطنة جميعاً، أو من إحداهما ﴿بِغَير حِسَاب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أوْلِياء من دون المُؤمنين﴾ إذ لا مناسبة بينهم في الحقيقة، والولاية لا تكون إلاّ بالجنسية والمناسبة، فحينئذ لا يمكن أن

تكون المحبة بينهم ذاتيّة، بل مجعولة مصنوعة بالتصنع والرياء والنفاق وهي خصال مبعدة عن الحق إذ كلها حجب ظلمانية ولو لم يكن فيهم ظلمة تناسب حال الكفرة ما قدروا على مخالطتهم ومصاحبتهم ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ أي: من ولاية الله في شيء، معتدّ به، إذ ليس فيهم نورية صافية يناسبون بها الحضرة الإلٰهية ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ أي: إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب أن يتقى، فتوالوهم ظاهراً ليس في قلوبكم شيء من محبّتهم، وذلك أيضاً لا يكون إلا لضعف اليقين. إذ لو باشر قلوبهم اليقين لما خافوا إلا الله تعالى وشاهدوا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾(١) فما خافوا غيره ولم يرجوا غيره، ولذلك عقبه بقوله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي: يدعوكم إلى التوحيد العياني كي لا يكون حذركم من غيره بل من نفسه ﴿وإلى الله المصير﴾ فلا تحذروا إلا إيّاه فإنه المطلع على أسراركم وعلانياتكم، القادر على مجازاتكم إن توالوا أعداءه أو تخافوهم سرّاً أو جهراً.

[٣٠] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يوم تجد كل نفس﴾ الآية، كل ما يعمله الإنسان أو يقوله يحصل منه أثر في نفسه وتنتقش نفسه به وإذا تكرر صار النقش ملكة راسخة، وكذا ينتقش في صحائف النفوس السماوية، لكنه مشغول عن هيئات نفسه ونقوشها بالشواغل الحسيّة والإدراكات الوهمية والخيالية، لا يفرغ إليها، فإذا فارقت نفسه جسدها ولم يبق ما يشغلها عن هيئاتها ونقوشها وجدت ما عملت من خير أو شرّ محضراً، فإن كان شرّاً تتمنى بعد ما بينها وبين ذلك اليوم أو ذلك العمل لتعذيبها به، فتصير تلك الهيئات والنقوش صورتها إن كانت راسخة وإلا وجدت جزاءها بحسبها وتكرّر ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ تأكيداً لئلا يعملوا ما يستحقون به عقابه ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ فلذا يحذرهم عن السيئات تحذير الوالد المشفق ولده عمّا يوبقه.

[٣١ ـ ٣٢] ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ لما كان عليه الصلاة والسلام حبيبه فكل من يدّعي المحبة لزمه اتباعه لأن محبوب المحبوب محبوب، فتجب محبة النبيّ، ومحبته إنما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقاً وحالاً وسيرة وعقيدة، ولا تمشي دعوى المحبة إلا بهذا فإنه قطب المحبة ومظهره وطريقته طلسم المحبة، فمن لم يكن له من طريقته

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

نصيب لم يكن له من المحبة نصيب، وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسرّه وقلبه ونفسه باطن النبيّ ﷺ وسرّه وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة. فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا المتابع قسط من محبّة الله تعالى بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقي الله تعالى محبته عليه ويسري من باطن روح النبي ﷺ نور تلك المحبة إليه، فيكون محبوباً لله، محبّاً له، ولو لم يتابعه لخالف باطنه باطن النبيّ ﷺ، فبَعُدَ عن وصف المحبوبية وزالت المحبية عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبّه الله تعالى لم يكن محبّاً له ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ كما غفر لحبيبه. قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] وذنبه المتقدّم ذاته، والمتأخر صفاته، فكذا ذنوب المتابعين كما قال تعالى: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ...» إلى آخر الحديث. ﴿والله غفور﴾ يمحو ذنوب صفاتكم وذواتكم ﴿رحيمٌ﴾ يهب لكم وجوداً وصفات حقانيّة خيراً منها. ثم نزل عن هذا المقام لأنه أعزّ من الكبريت الأحمر.

ودعاهم إلى ما هو أعمّ من مقام المحبة، وهو مقام الإرادة فقال: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ أي: إن لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبي فلا أقل من أن تكونوا مريدين، مطيعين لما أمرتم به، فإن المريد يلزمه متابعة الأمر وامتثال المأمور به ﴿فإن تولوا فإنّ الله لا يحبّ الكافرين﴾ أي: إن أعرضوا عن ذلك أيضاً، فهم كفّار منكرون محجوبون، والله لا يحب من كان كافراً. فبترك الطاعة يلزم الكفر، وبترك المتابعة لا يلزم، لأنّ تارك المتابعة يمكن أن يكون مطيعاً بمتابعة الأمر. ومعنى أطيعوا الله والرسول: أطيعوا رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2].

[٣٣ ـ ٤٢] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾
ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى
مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ
عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا
وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِنَّ اللهَ اصطفىٰ آدمَ ونُوحاً﴾ الاصطفاء أعمّ من المحبة والخلة، فيشمل الأنبياء كلهم لأنهم خيرة الله وصفوته، وتتفاضل فيه مراتبهم، كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[(١)]، فأخص المراتب هو المحبة، وأشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾[(٢)] فلذلك كان أفضلهم حبيب الله محمداً ﷺ ثم الخلّة التي هي صفة إبراهيم عليه السلام، وأعمها الاصطفاء، أي: صفة آدم عليه السلام ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ في الدين والحقيقة، إذ الولاية قسمان: صورية ومعنوية، وكل نبيّ يتبع نبياً آخر في التوحيد والمعرفة، وما يتعلق بالباطن من أصول الدين فهو ولده كأولاد المشايخ في زماننا هذا. وكما قيل: الأباء ثلاثة: أب ولدك، وأب رباك، وأب علمك. فكما أن وجود البدن في الولادة الصورية يتولد في رحم أمّه من نطفة أبيه، فكذلك وجود القلب في الولادة الحقيقية يظهر في رحم استعداد النفس من نفحة الشيخ والمعلم. وإلى هذه الولادة أشار عيسى عليه السلام بقوله: «لن يلجّ ملكوت السموات من لم يُولَد مرتين».

واعلم أنّ الولادة المعنوية أكثرها يتبع الصورية في التناسل، ولذلك كان الأنبياء في الظاهر أيضاً نسلاً، ثم ثمر شجرة واحدة، فإن عمران بن يصهر أبا موسى وهٰرون كان من أسباط لاوي بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم، وعمران بن ماثان أبا مريم أم عيسى عليه السلام كان من أسباط يهود ابن يعقوب، وكون محمد عليه الصلاة والسلام من أسباط إسمٰاعيل بن إبراهيم مشهور وكذا كون إبراهيم من نوح عليه السلام. وسببه أنّ الروح في الصفاء والكدورة يناسب المزاج في الاعتدال وعدمه وقت التكوّن، فلكلّ روح مزاج يناسبه ويخصّه، إذ الفيض يصل بحسب المناسبة وتفاوت الأرواح في الأزل بحسب صنوفها ومراتبها في القرب والبُعد، فتتفاوت الأمزجة بحسبها في الأبد لتتصل بها. والأبدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة في الأمزجة على الأكثر، اللهمّ إلا لأمور عارضة اتفاقية، فكذلك الأرواح المتصلة بها متقاربة في الرتبة، متناسبة في الصفة. وهذا مما يقوي أن المهديّ عليه السلام من نسل محمد ﷺ.

﴿والله سَميعٌ﴾ حين قالت امرأة عمران: ﴿رب إني نَذَرت﴾ إلى قولها: ﴿عليمٌ﴾ بنيتها

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٢) نفس الهامش السابق.

كما شهدت بقولها ﴿إنك أنتَ السَميع العليم﴾. واعلم أن النيّات وهيئات النفس مؤثرة في نفس الولد، كما أن الأغذية مؤثرة في بدنه. فمن كان غذاؤه حلالاً طيباً وهيئات نفسه نورية ونيّاته صادقة حقانيّة، جاء ولده مؤمناً صديقاً أو وليّاً أو نبيّاً. ومن كان غذاؤه حراماً وهيئات نفسه ظلمانية خبيثة ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقاً أو كافراً خبيثاً. إذ النطفة التي يتكوّن الولد منها متولدة من ذلك الغذاء، مرّباة بتلك النفس، فتناسبها. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «الولد سرّ أبيه»، فكان صدق مريم ونبوّة عيسى عليهما السلام بركة صدق أبيها ﴿وجدَ عندها رِزقاً﴾ يجوز أن يراد به الرزق الروحاني من المعارف والحقائق والعلوم والحِكَم الفائضة عليها من عند الله، إذ الاختصاص بالعندية يدلّ على كونها من الأرزاق اللدنيّة ﴿هنالك دعا زكريا ربّه﴾ كان زكريا شيخاً هرماً، وكان مقدّماً للناس، إماماً، طلب من ربّه ولداً حقيقياً يقوم مقامه في تربية الناس وهدايتهم كما أشار إليه في سورة (كهيعص) فوهب له يحيى من صلبه بالقدرة، بعدما أمر باعتكاف ثلاثة أيام ولك التأويل بالتطبيق على أحوالك وتفاصيل وجودك كما علمت، وهو أنّ الطبيعة الجسمانية، أي: القوة البدنية. امرأة عمران الروح نذرت ما في قوّتها من النفس المطمئنة لله تعالى بانقيادها لأمر الحق ومطاوعتها له، فوضعت أنثى النفس فكفلها الله، زكريا الفكر، بعدما تقبلها لكونها زكيّة، قدسيّة، فكلما دخل عليها زكريا الفكر محراب الدماغ وجد عندها رزقاً من المعاني الحدسيّة التي انكشفت عليها بصفائها من غير امتياز الفكر إيّاها. فهنالك دعا زكريا الفكر، تركيب تلك المعاني واستوهب من الله ولداً طيباً مقدّساً عن لوث الطبيعية، فسمع الله دعاءه، أي: أجاب، فنادته ملائكة القوى الروحانية وهو قائم بأمره في تركيب المعلومات، يناجي ربّه باستنزال الأنوار، ويتقرّب إليه بالتوجه إلى عالم القدس في محراب الدماغ.

﴿إنّ الله يبشرك بيحيىٰ﴾ العقل بالفعل ﴿مصدّقاً﴾ بعيسىٰ القلب، مؤمناً به، وهو كلمة من الله لتقدّسه عن عالم الإجرام والتولّد عن المواد ﴿وسيداً﴾ لجميع أصناف القوى ﴿وحصوراً﴾ مانعاً نفسه عن مباشرة الطبيعة الجسمانية وملابسة طبائع القوى البدنية ﴿ونبيّاً﴾ بالإخبار عن المعارف والحقائق الكلية، وتعليم الأخلاق الجميلة، والتدابير السديدة بأمر الحق ﴿من الصالحين﴾ من جملة المفارقات والمجرّدات التي تصلح بأفعالها أن تكون من مقرّبي حضرة الله تعالى بعد أن بلغ الفكر كبر منتهى طوره ولم يكن منتهياً إلى إدراك الحقائق القدسية، والمعارف الكلية. وكانت امرأته التي هي طبيعة الروح النفسانية لأنها محل تصرّف الفكر عاقراً بالنور المجرّد.

وعلامة ذلك، أي: علامة حصول النور المجرّد وظهوره من النفس الزكيّة، إمساكه عن

مكالمة القوىٰ البدنية في تحصيل مطالبهم ومآربهم ومخالطتهم في فضول لذّاتهم وشهواتهم ثلاثة أيام، كلّ يوم عقد تامّ من أطوار عمره عشر سنين، إلا أن يرمز إليهم بإشارة خفيّة، ويأمرهم بتسبيحهم المخصوص بكل واحد منهم من غير أن يدنو منهم في مقاصدهم، وأن يشتغل في الأيام الثلاثة التي مداها ثلاثون سنة من ابتداء سنّ التمييز، الذي هو العشر الأول، بذكر ربّه في محراب الدماغ والتسبيح المخصوص به دائماً. وكذا قالت ملائكة القوىٰ الروحانية لمريم النفس الزكية الطاهرة.

﴿إن الله اصْطفاكِ﴾ لتنزّهك عن الشهوات ﴿وطهرك﴾ عن رذائل الأخلاق والصفات المذمومة ﴿واصطفاكِ على نساء﴾ نفوس الشهوانية الملونة بالأفعال الذميمة والملكات الرديئة ﴿يا مَريم﴾ أطيعي لربك بوظائف الطاعات والعبادات ﴿واسْجدي﴾ في مقام الانكسار والذلّ والافتقار والعجز والاستغفار ﴿واركعي﴾ في مقام الخضوع والخشوع مع الخاضعين.

[٤٤ ـ ٤٦] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ذٰلك من أنباء الغَيب﴾ أي: أحوال غيب وجودك ﴿نوحِيه إليكِ﴾ يا نبيّ الروح ﴿وما كنتِ لدَيهم﴾ لدى القوىٰ الروحانية والنفسانية، أي: في رتبتهم ومقامهم ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يَكفل مريم﴾ أي: يتسابقون في سهامهم ويتبادرون في حظوظهم أيهم يدبر مريم النفس ويكفلها بحسب رأيه ومقتضى طبعه يترأس عليها ويأمرها بما يراه من مصلحة أمره ﴿وما كنتِ لديهم﴾ في مقام الصدور الذي هو محل نزاع القوى الروحانية والنفسانية ومحل نزاعهم الذي هو الصدر ﴿إذ يَختَصِمون﴾ يتنازعون ويتجاذبون في طلب الرياسة عند ظهوره قبل الرياضة وفي حالها، إذ غلبت ملائكة القوى الروحانية بتوفيق الحق بعد الرياضة.﴿وقالت لمريم النفس: ﴿إنّ الله يبشرك بكَلمة﴾ القلب موهوباً ﴿منه اسْمه المَسيح﴾ لأنه يمسحك بالنور ﴿وجيهاً في الدنيا﴾ لإدراكه الجزئيات وتدبير مصالح المعاش أجود وأصفىٰ وأصوب ما يكون، فيطيعه ويذعن له، ويحتشمه ويعظمه، أنس القوى الظاهرة وجنّ القوى الباطنة ﴿و﴾ في ﴿الآخِرَة﴾ لإدراكه المعاني الكليّة والمعارف القدسيّة وقيامه بتدبير المعاد والهداية إلى الحق، فنعطيه ملكوت سماء الروح، ونكرمه. ومن جملة مقربي حضرة الحق قابلاً لتجلياته ومكاشفاته ﴿ويكلم الناس﴾ في مهد البدن ﴿وكهلاً﴾ بالغاً إلى قرب طور شيخ الروح، غالباً عليه بياض نوره ﴿ومن الصالحِين﴾ لمقام المعرفة.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قالت ربّ أنّى يكون لي ولد﴾ تعجب النفس من حملها وولادتها من غير أن يمسها بشر، أي من غير تربية شيخ وتعليم معلم بشري، وهو معنى بكارتها ﴿قال كذلك الله يَخلق ما يَشاء﴾ أي: يصطفي من شاء بالجذب والكشف ويهب له مقام القلب من غير تربية وتعليم كما هو حال المحبوبين وبعض المحبين.

[٤٨ ـ ٥١] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿ويعلّمه﴾ بالتعليم الربانيّ، كتاب العلوم المعقولة، وحكم الشرائع، ومعارف الكتب الإلهية من التوراة والإنجيل، أي معارف الظاهر والباطن ﴿ورَسُولاً﴾ إلى المستعدّين الروحانيين من أسباط يعقوب الروح ﴿أني قد جئتكم بآية من ربّكم﴾ تدلّ على أني آتيكم من عنده ﴿أني أخلق لكم﴾ بالتربية والتزكية والحكمة العملية من طين نفوس المستعدّين الناقصين ﴿كهيئة الطير﴾ الطائر إلى جناب القدس من شدّة الشوق ﴿فأنفخ فيه﴾ من نفث العلم الإلهيّ ونفس الحياة الحقيقية بتأثير الصحبة والتربية ﴿فيكون طيراً﴾ أي: نفساً حيّة طائرة بجناح الشوق والهمة إلى جناب الحقّ ﴿وأبرىء الأكمه﴾ المحجوب عن نور الحق الذي لم تنفتح عين بصيرته قط ولم تبصر شمس وجه الحقّ ولا نوره ولم يعرف أهله بكحل نور الهداية ﴿والأبرص﴾ المعيوب نفسه بمرض الرذائل والعقائد الفاسدة ومحبّة الدنيا ولوث الشهوات بطب النفوس ﴿وأحيي﴾ موتى الجهل بحياة العلم ﴿بإذنِ الله وأُنبئكم بما تأكلون﴾ تتناولون من مباشرة الشهوات واللذّات ﴿وما تدّخرون في بُيُوتكم﴾ أي: في بيوت غيوبكم من الدواعي والنيّات ﴿إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدّقاً لما بين يدي من التوراة﴾ أي: من توراة علم الظاهر ﴿ولأُحل لكم بعض الذي حرمَ عليكم﴾ من أنوار الباطن ﴿وجئتكم بآية﴾ بدليل ﴿من ربّكم﴾ هو التوحيد الذي لم يخالفني فيه نبيّ قط ﴿فاتّقوا الله﴾ في مخالفتي، فإني على الحق ﴿وأطيعونِ﴾ في دعوتكم إلى التوحيد.

[٥٢ ـ ٥٣] ﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ

ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فلما أحسّ عيسىٰ﴾ القلب من القوى النفسانية ﴿الكُفر﴾ الاحتجاب والإنكار والمخالفة ﴿قال مَنْ أنصاري إلىٰ الله﴾ أي: اقتضى من القوّة الروحانية نصرته عليهم في التوجه إلى الله ﴿قال الحواريون﴾ أي: صفوته وخالصته من الروحانيات المذكورة ﴿نحنُ أنصار الله آمنا بالله﴾ بالاستدلال وبالتنوّر بنور الروح ﴿وأشهد بأنّا مُسْلِمون﴾ مذعنون منقادون ﴿ربنا آمنا بما أنْزلت﴾ من علم التوحيد وفيض النور ﴿واتبعنا الرسول فاكتُبْنا مع الشاهِدِين﴾ الحاضرين لك، المراقبين لأمرك، أو من الشاهدين على وحدانيتك.

[٥٤ - ٥٥] ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ومَكَروا﴾ أي: الأوهام والخيالات في اغتيال القلب وإهلاكه بأنواع التسويلات ﴿ومكر الله﴾ بتغليب الحجج العقلية، والبراهين القاطعة عن تخيلاتها وتشكيكاتها ورفع عيسى القلب إلى سماء الروح، وألقىٰ شبهه على النفس ليقع اغتيالهم ﴿والله خير الماكرين﴾ إذ غلب مكره. وقال لعيسى: ﴿إني مُتوفيك﴾ أي: قابضك إليّ من بينهم ﴿ورافعك إليّ﴾ أي: إلى سماء الروح في جواري ﴿ومطهرك من﴾ رجز جوار ﴿الذين كفروا﴾ من القوى الخبيثة ومكرهم وخبث صحبتهم ﴿وجاعل الذين اتبعُوك﴾ من الروحانيين ﴿فوق الذين كفروا﴾ من النفسانيات إلى يوم القيامة الكبرى والوصول إلى مقام الوحدة ﴿ثم﴾ يومئذ ﴿إليّ مرجعكم فأحكم بينكم﴾ بالحق ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ قبل الوحدة من التجاذب والتنازع الواقع من القوىٰ. فأقرّ كلاً في مقرّه هناك وأعطيه ما يليق به من عندي فيرتفع التخالف والتنازع.

[٥٦ - ٥٨] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فأمّا الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً﴾ بالحرمان عن مقام القلب، والاحتجاب بهيئات أعمالهم ﴿وأما الذين آمنوا﴾ من الروحانيات ﴿وعملوا الصالحات﴾ من أنواع التزكية والتحلية والتصفية في إعانة القلب على النفس ومتابعته في التوجه إلى الحق ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ من الأنوار القدسية والإشراقات الروحية عليهم ﴿والله لا يحب﴾ الذين ينقصون الأجور من الحقوق.

وأما التأويل بغير التطبيق، فهو أنهم مكروا ببعث من يغتال عيسىٰ عليه السلام، فشبّه لهم صورة جسدانية هي مظهر عيسىٰ روح الله عليه السلام بصورة حقيقة عيسى، فظنوها عيسى فقتلوها وصلبوها، والله رفع عيسىٰ عليه السلام إلى السماء الرابعة لكون روحه عليه السلام فائضاً من روحانية الشمس، ولم يعلموا لجهالتهم أنّ روح الله لا يمكن قتله. ولما تيقن حاله قبل الرفع قال لأصحابه: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم السماويّ»، أي: أتطهر من عالم الرجس، وأتصل بروح القدس الواهب الصور، المفيض للأرواح والكمالات، المربي للناس بالنفث في الروح، فأمدّكم من فيضه. وكان إذ ذاك لا تقبل دعوته ولا يتبع مثله، فأمر الحواريين بالتفرّق بعده في البلاد والدعوة إلى الحق، فقالوا: كيف ذاك إذا لم تكن معنا؟ والآن أنت بين أظهرنا ولا تجاب دعوتنا؟ قال: «علامة إمدادي إيّاكم قبول الخلق دعوتكم بعدي». فلما رُفِعَ لم يدع أصحابه أحداً إلا أجابهم، وظهر لهم القبول في الخلق، وعلت كلمتهم، وانتشر دينهم في أقطار الأرض. ولما لم يصل إلى السماء السابعة التي عرّج بمحمد ﷺ إليها، المعبر عنها بـ «سدرة المنتهىٰ» أعني: مقام النهاية في الكمال، ولم ينل درجة المحبة، لم يكن له بد من النزول مرة أخرى في صورة جسمانية، يتبع الملّة المحمدية لنيل درجتها، والله أعلم بحقائق الأمور.

[٥٩ ـ ٦٠] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إن مثل عيسى﴾ أي: إنّ صفته عند الله في إنشائه بالقدرة من غير أب ﴿كمثل آدم﴾ في إنشائه من غير أبوين. واعلم أنّ عجائب القدرة لا تنقضي ولا قياس ثمة على أن لتكوّن الإنسان من غير الأبوين نظيراً من عالم الحكمة، فإن كثيراً من الحيوانات الناقصة الغريبة الخلقة تتولد خلقاً في ساعة، ثم تتناسل وتتوالد، فكذا الإنسان، يمكن حدوثه بالتولد في دور من الأدوار، ثم بالتولد، وكذا التكوّن من غير أب، فإنّ منيّ الرجل أحرّ كثيراً من منيّ المرأة، وفيه القوة العاقدة أقوى كما في الأنفحة بالنسبة إلى الجبن، والمنعقدة في منيّ المرأة أقوى، كما في اللبن فإذا اجتمعا تمّ العقد وانعقد، ويتكوّن الجنين. فيمكن وجود مزاج إناثيّ قوي يناسب المزاج الذكوري كما يشاهد في كثير من النسوان، فيكون المتولد في كليتها اليمنى بمثابة منيّ الذكر لفرط حرارته بمجاورة الكبد لِمَن مزاج كبدها صحيح قويّ الحرارة، والمتولد في كليتها اليسرى بمثابة منيّ الأنثى فإذا احتملت المرأة لاستيلاء صورة ذكورية على خيالها في النوم واليقظة بسبب اتصال روحها بروح القدس وبملك آخر، ومحاكاة الخيال، ذلك كما قال

تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1] سبق المنيّان من الجانبين إلى الرحم فتكون في المنصب من الجانب الأيمن قوّة العقد أقوى، وفي المنصب من الجانب الأيسر قوّة الانعقاد، فيتكوّن الجنين ويتعلق به الروح. وقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ إشارة إلى نفخ الروح وكونه من عالم الأمر ليس مسبوقاً بمادة ومدة، كخلق الجسد، فيتناسب آدم وعيسى بما ذكر في اشتراكهما في خرق العادة وبكون جسديهما مخلوقين من تراب العناصر، مسبوقين بمادة ومدة وكون روحهما مبدعاً من عالم الأمر ليس مسبوقاً بمادة ومدة.

[٦١ ـ ٨١] ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ
وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ
ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ
بِٱلْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ
بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)
يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ (٦٥) هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ (٦٩) يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ
تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ
أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ
قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٧٤) ۞
وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا
مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ
وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ
لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

(١) سورة مريم، الآية: ١٧.

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿فمن حاجكَ فيه﴾ أي: في عيسى، الآية. إن لمباهلة الأنبياء تأثيراً عظيماً سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله إياهم به، وهو المؤثر بإذن الله في العالم العنصري فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليه كالغضب والحزن والفكر في أحوال المعشوق وغير ذلك من تحرّك الأعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم وانفعال النفوس البشرية منه كانفعال حواسنا وسائر قوانا من هيئات أرواحنا. فإذا اتصل نفس قدسيّ به أو ببعض أرواح أجرام السماوية والنفوس الملكوتية كان تأثيرها في العالم عند التوجه الاتصالي تأثير ما يتصل به فتنفعل أجرام العناصر والنفوس الناقصة الإنسانية منه بما أراد. ألم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام بالخوف وأحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية. **﴿وما من إله إلاّ الله﴾** أي: ليس عيسىٰ من الإلهية في شيء، فلا يستحق العبادة بمجرد تجرّد ذاته، فإن عالم الملكوت والجبروت كله كذلك.

﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أي: لم يختلف في كلمة التوحيد نبي ولا كتاب قط **﴿وما كان لبشر أن يؤتيه الله﴾** الآية. الاستنباء لا يكون إلا بعد مرتبة الولاية والفناء في التوحيد. ما ينبغي لبشر محا الله بشريته بإفنائه عن نفسه وأثابه وجوداً نورانياً حقّانياً قابلاً للكتاب والحكمة الإلٰهية، ثم يدعو الخلق إلى نفسه، إذ الداعي إلى نفسه يكون محجوباً بالنفس كفرعون وأضرابه من الذين علموا التوحيد وما وجدوه حالاً وذوقاً، ولم يصلوا إلى العيان ونفوسهم باقية ما ذاقت طعم الفناء، فاحتجبوا بها، فدعوا الخلق إلى نفوسهم وهم ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «شرّ الناس من قامت القيامة عليه وهو حيّ».

﴿ولٰكن﴾ يقول **﴿كونوا ربانيين﴾** منسوبين إلى الربّ لاستيلاء الربوبية عليهم وطمس البشرية بسبب كونهم عالمين عاملين معلمين تالين لكتب الله، أي: كونوا عابدين مرتاضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطاعات حتى تصيروا ربانيين بغلبة النور على الظلمة **﴿ولا يأمركم﴾** بتعبد معين والتقيد بصورة، فإنه حجاب وكفر ولا يأمر النبيّ ﷺ بالاحتجاب بعد إسلامكم الوجود لله. **﴿وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيين﴾** إلى آخره، إن بين النبيين تعارفاً أزليّاً

بسبب كونهم أهل الصف الأول، عرفاء بالله، وكل عارف يعرف مقام سائر العرفاء ومتعهدهم من الله بعهد التوحيد عامّ لبني آدم، كما ذكر، وعهد النبيين خاص بهم وبمن يعرفهم بحق المتابعة، فقد أخذ الله من النبيين عهدين أحدهما ما ذكر في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] إلى آخره. وثانيهما ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ⑦﴾[2] وهو عهد التعارف بينهم، وإقامة الدين، وعدم التفرّق به بتصديق بعضهم بعضاً ودعوة الحق إلى التوحيد، وتخصيص العبادة بالله تعالى، وطاعة النبي ﷺ، وتعريف بعضهم بعضاً إلى أممهم وخصوصة بسبب أن معرفة الله تعالى في صورة التفاصيل، وحجب الصفات، وتكثر المظاهر أدق وأخفى من معرفته في عين الجمع وهم من رزق حق المتابعة عارفون بذلك وبأحكام تجليّات الصفات التي هي الشرائع خاصة دون من عداهم.

[٨٢ ـ ٨٤] ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿فمن تولىٰ بعد ذٰلك﴾ أي: بعدما علم عهد الله مع النبيين وتبليغ الأنبياء إليه ما عهد الله إليهم ﴿فأولٰئك هم﴾ الخارجون عن دين الله ولا دين غيره معتد به في الحقيقة إلا توهماً ﴿أفغير دين الله يَبْغون﴾ وكلّ من في السموات والأرض يدين بدينه ﴿طَوْعاً﴾ كما عدا الإنسان والشيطان ﴿وكرهاً﴾ كالإنسان والشيطان إذ الكفر لا يسع موجوداً سواهما، فكلهم ممتثلون لما أمرهم الله، طائعون. والإنسان لاحتجابه بإرادته ونسيانه عهد الله وقبوله لدعوة الشيطان لمناسبته إياه بالظلمة النفسانية لا يؤمن ولا ينقاد إلا كرهاً، اللهمّ إلا من عصمه الله واجتباه، والشيطان لاحتجابه بعجبه وأنيته في قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[3] وإبائه، واستكباره كفر، وهو مع ذلك يعلم عصيانه ويؤمن كرهاً، ويتحقق أن كفره بإرادته تعالى وذلك عين الإيمان، كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١٦.

مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[١]، وفي موضع آخر: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾[٢]، فهذه الآيات دالة على إيمانه ولكن حين لا ينفعه ﴿وإليه ترجعون﴾ في العاقبة، فلا يبقى دين غير دين الله بل الكلّ عند الرجوع يدين بدينه.

كلّ يدين بدين الحق لو فطنوا … وليس دين لغير الحق مشروع

[٨٥] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً﴾ المراد من الإسلام هُهنا: التوحيد الذي هو دين الله في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ وهو المذكور في الآية التي قبلها، وما وصف شموله لجميع الأديان ويلزمه الانقياد التام الطوعي المذكور في فاصلة الآية بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٣]، ﴿فلن يُقبل منه﴾ لعدم وصول دينه إلى الحق تعالى لمكان الحجاب ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الذين خسروا باشترائهم أنفسهم وما حجبوا به بالحق.

[٨٦ ـ ٩١] ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿كيف يَهدي الله قوماً﴾ إلى آخره، أنكر هدايته تعالى لقوم قد هداهم أولاً بالنور الاستعدادي إلى الإيمان، ثم بالنور الإيماني إلى أن عاينوا حقيّة الرسول ﷺ وأيقنوا بحيث لم يبق لهم شك، وانضمّ إليه الاستدلال العقليّ بالبينات ثم ظهرت نفوسهم بعد هذه الشواهد كلها بالعناد واللجاج وحجبت أنوار قلوبهم وعقولهم وأرواحهم الشاهدة ثلاثتها بالحق للحق لشؤم ظلمهم وقوّة استيلاء نفوسهم الأمّارة عليهم الذي هو غاية الظلم، فقال: ﴿والله لا يهدي

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

القوم الظالمين﴾ لغلظ حجابهم وتعمقهم في البعد عن الحق، وقبول النور وهم قسمان: قسم رسخت هيئة استيلاء النفوس الأمّارة على قلوبهم فيهم وتمكنت وتناهوا في الغيّ والاستشراء، وتمادوا في البعد والعناد، حتى صار ذلك ملكة لا تزول، وقسم لم يرسخ ذلك فيهم بعد ولم يصر على قلوبهم ريناً، ويبقى من وراء حجاب النفس مسكة من نور استعدادهم عسى أن تتداركهم رحمة من الله وتوفيق، فيندموا ويستحيوا بحكم غريزة العقول. فأشار إلى القسم الأول بقوله: **﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم﴾** إلى آخره.

وإلى الثاني بقوله: **﴿إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾** بالمواظبة على الأعمال والرياضات ما أفسدوا **﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً﴾** إذ لا تقبل هناك إلا الأمور النورانية الباقية لأن الآخرة هي عالم النور والبقاء، فلا وقع ولا خطر للأمور الظلمانية فيها الفانية. وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم إلا محبّة هذه الفواسق الفانية؟، فكيف تكون سبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وندبتهم وهي بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم.

[٩٢] ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

﴿لن تنالوا البرّ﴾ كلّ فعل يقرّب صاحبه من الله فهو برّ، ولا يمكن التقرّب إليه إلا بالتبرّي عما سواه، فمن أحب شيئاً فقد حجب عن الله تعالى به وأشرك شركاً خفيّاً لتعلق محبته بغير الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾(١) وآثر نفسه به على الله، فقد بعُدَ من الله بثلاثة أوجه وهي: محبة غير الحق، والشرك، وإيثار النفس على الحق. فإن آثر الله به على نفسه وتصدّق به وأخرجه من يده، فقد زال البعد وحصل القرب، وإلا بقي محجوباً وإن أنفق من غيره أضعافه فما نال برّاً لعلمه تعالى بما ينفق وباحتجابه بغيره.

[٩٣ ـ ٩٥] ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿كلّ الطعام كان حلاً لبَني إسْرَائِيل﴾ أي: العقلاء بحكم الأصل، إذ العقل يحكم بأن الأشياء خلقت لمنافع العباد مطلقاً فما يكون من جملة المطعومات خلقت لتناولها **﴿إلاّ ما حرّم إسرائيل﴾** الروح **﴿على نَفْسه﴾** بالنظر العقليّ عند التجربة والقياس ومعرفة مضارها ومنافعها

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

على التفصيل بعد الحكم الإجمالي بحلها، فإن العقل يحكم بحرمة ما يضرّ أو يهلك.

﴿من قبل أن تنزّل التوراة﴾ أي: من قبل نزول الحكم الشرعي بالتوراة وسائر الكتب الإلٰهية وذلك أن الناس اختلفوا بعدما كانوا أمّة واحدة على دين الحق، كما ذكر، فبعث الله النبيين لهدايتهم وإصلاح أحوال معاشهم ومعادهم، وردّهم إلى الحق والاتفاق، فما اقتضت الحكمة الإلٰهية بحسب أحوالهم المختلة وطباع قلوبهم المخرّفة ونفوسهم المريضة، حرمته من المألوفات والأشياء الصارفة عن الحق الحاجبة بينهم وبين الله، والمهيجة للهوى والشهوات وسائر المفاسد والفتن المانعة إياهم عن كمالهم واهتدائهم حرّم عليهم.

[٩٦ ـ ١٠٢] ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ
بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن
كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ
فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿إن أوّل بيت وُضِعَ للناس﴾ قيل: هو أوّل بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفيّ عام، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء، فدُحِيَتْ الأرض تحته. فالبيت إشارة إلى القلب الحقيقيّ، وظهوره على وجه الماء تعلقه بالنطفة عند سماء الروح الحيوانيّ، وأرض البدن وخلقه قبل الأرض إشارة إلى قدمه، وحدوث البدن وتعيينه بألفيّ عام إشارة إلى تقدّمه على البدن بطورين: طور النفس، وطور القلب. تقدّماً بالرتبة، إذ الألف رتبة تامة كما سبقت الإشارة إليه، وكونه زبدة بيضاء إشارة إلى صفاء جوهره، ودحو الأرض تحته إشارة إلى تكوّن البدن من تأثير، وكون أشكاله وتخطيطاته وصور أعضائه تابعة لهيئاته فهذا تأويل الحكاية.

واعلم أن محل تعلق الروح بالبدن، واتصال القلب الحقيقي به أولاً هو القلب الصوري، وهو أول ما يتكوّن من الأعضاء، وأول عضو يتحرك وآخر عضو يسكن فيكون أول بيت وضع للناس ﴿للذي بِبَكّة﴾ الصدر صورة أو أوّل متعبد ومسجد وضع للناس للقلب الحقيقي الذي ببكة الصدر المعنويّ، وذلك الصدر أشرف مقام من النفس وموضع ازدحامات القوى المتوجهة إليه ﴿مُباركاً﴾ ذا بركة إلهية من الفيض المتصل منه بجميع الوجود والقوّة

والحياة، فإنّ جميع القوى التي في الأعضاء تسري منه أولاً إليها ﴿وهُدىً للعَالَمين﴾ سبب هداية ونور يهتدى به إلى الله ﴿فيه آيات بينات﴾ من العلوم والمعارف والحِكَم والحقائق ﴿مقَام إبراهيم﴾ أي: العقل الذي هو موضع قدم إبراهيم الروح، يعني محلّ اتصال نوره من القلب ﴿ومن دَخله﴾ من السالكين والمتحيرين في بيداء الجهالات ﴿كان آمناً﴾ من أغواء سعالى المتحيلة، وعفاريت أحاديث النفس، واختطاف شياطين الوهم، وجنّ الخيالات، واغتيال سباع القوىٰ النفسانية وصفاتها.

﴿ولله على الناس حجّ﴾ هذا ﴿البَيت﴾ والطواف به ﴿من استَطَاعَ إليهِ سَبيلاً﴾ من السالكين، المستعدّين الصادقين في الإرادة، القادرين على زاد التقوىٰ، وراحلة قوّة العزم دون من عداهم من الضعاف في الاستعداد، القاعدين من الضعف والمرض وسائر الموانع الخلقية أو العارضة النفسانية أو البدنية ﴿ومن كَفرَ﴾ أي: حجب استعداده مع القدرة وأعرض عنه بهوى النفس ﴿فإنّ الله غنيّ﴾ عنه و ﴿عنِ العَالمين﴾ كلهم، أي: لا يلتفت إليه لبعده وكونه غير قابل لرحمته في ذلّ الحجاب، وهو أن الحرمان مخذولاً مردوداً ﴿ومنْ يَعْتَصم بِالله﴾ بالانقطاع عما سواه، والتمسك بالتوحيد الحقيقيّ ﴿فقد هُدي إلى صِراطٍ مُستقيم﴾ إذ الصراط المستقيم هو طريق الحق تعالى، كما قال: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، فمن انقطع إليه بالفناء في الوحدة كان صراطه صراط الله ﴿اتقوا الله حقّ تُقاته﴾ في بقايا وجودكم، فإن حقّ اتقائه هو أن يتقىٰ كما يجب، ويحق وهو الفناء فيه، أي: اجعلوه وقاية لكم في الحذر عن بقايا ذواتكم وصفاتكم، فإن في الله خلفاً عن كلّ ما فات ﴿ولا تَموتنّ﴾ إلا على حال إسلام الوجوه له، أي: ليكن موتكم هو الفناء في التوحيد.

[١٠٣] ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿واعْتَصمُوا بحَبْل الله جَميعاً﴾ أي: بعهده في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2] مجتمعين على التوحيد ﴿ولا تُفرقوا﴾ باختلاف الأهواء، فإن التفرّق عن الحق إنما يكون باختلاف الطبائع واتباع الهوىٰ وتجاذب القوىٰ، والموحد عنها بمعزل، إذ تنوّر قلبه بنور الحق واستنارت نفسه من فيض القلب فتسالمت القوىٰ وتصادقت.

﴿واذْكروا نِعْمَةَ الله عَليكم﴾ بالهداية إلى التوحيد المفيد للمحبة في القلوب ﴿إذ كُنتم

(١) سورة هود، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

أعْدَاء﴾ لاحتجابكم بالحجب النفسانية والغواشي الطبيعية، بُعَدَاء عن النور والمقاصد الكلية التي تقبل الشركة وتزال بالاتفاق في مهوى الظلمة ﴿فألّف بينَ قُلُوبكم﴾ بالتحابّ في الله لتتنوّر بنوره ﴿فأصبحتُم بِنعْمته إخواناً﴾ في الدين، أصدقاء في الله ﴿وكنتم على شفَا حُفرة من النار﴾ هي مهوى الطبيعة الفاسقة ومحل الحرمان والتعذيب ﴿فأنقذكُم منها﴾ بالتواصل الحقيقيّ بينكم إلى سدرة مقام الروح، وروح جنة الذات ﴿كذلك يبيّن الله لكم آياته﴾ بتجليات الصفات اللطيفة والإشراقات النورية ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى جماله وتجلي ذاته.

[١٠٤ ـ ١٠٥] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿ولتكن منكم أمة يَدعون إلىٰ الخَير﴾ أي: ليكن من جملتكم جماعة عالمون، عاملون، عارفون، أولو استقامة في الدين كشيوخ الطريقة ﴿يدعونَ إلىٰ الخَير﴾ فإن من لم يعرف الله لم يعرف الخير، إذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يمكن للإنسان بحسب النوع من معرفة الحق تعالى، والوصول إليه، والإضافي ما يتوصل به إلى المطلق أو الكمال المخصوص بكلّ أحد على حسب اقتضاء استعداده الخاص. فالخير المدعوّ إليه، أما الحق تعالى، وأما طريق الوصول.

والمعروف كل أمر واجب أو مندوب في الدين، يتقرّب به إلى الله تعالى، والمنكر كلّ محرّم أو مكروه يبعد عن الله تعالى ويجعل فاعله عاصياً أو مقصراً مذموماً. فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة، لم يكن له مقام الدعوة ولا مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن غير الموحد ربما يدعو إلى طاعة غير الله وغير المستقيم في الدين وإن كان موحداً ربما أمر بما هو معروف عنده، منكر في نفس الأمر وربما نهى عما هو منكر عنده، معروف في نفس الأمر، كمن بلغ مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق، فكثير إما يستحلّ محرّماً كبعض المسكرات والتصرّف في أموال الناس، ويحرّم حلالاً بل مندوباً كتواضع الخلق ومكافأة الإحسان وأمثال ذلك ﴿وأولئك هُم﴾ الأخصاء بالفلاح، الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله في أرضه.

﴿ولا تكونوا﴾ ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لإمام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعكم على طريقة واحدة ﴿كالذين تفرقوا﴾ واتبعوا الأهواء والبدع ﴿واختلفوا من بعد ما جَاءَهم﴾ الحجج العقلية والشرعية الموجبة لاتحاد الوجهة، واتفاق الكلمة. فإن للناس طبائع وغرائز مختلفة وأهواء متفرّقة، وعادات وسيراً متفاوتة، مستفادة من أمزجتهم

وأهويتهم، ويترتب على ذلك فهوم متباينة، وأخلاق متعادية، فإن لم يكن لهم مقتدى وإمام تتحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته، وتتفق كلماتهم وعاداتهم وأهواؤهم بمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرّقين فرائس للشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب، ولهذا قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «لا بدّ للناس من إمام برّ أو فاجر». ولم يرسل نبيّ الله ﷺ رجلين فصاعداً لشأن إلا وأمر أحدهما على الآخر وأمر الآخر بطاعته ومتابعته ليتحد الأمر وينتظم، وإلا وقع الهرج والمرج، واضطرب أمر الدين والدنيا، واختلّ نظام المعاش والمعاد.

قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنّة». وقال ﷺ: «الله مع الجماعة». ألا ترى أن الجمعية الإنسانية إذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت إلى الفساد والتفرّق الموجب لخسارة الدنيا والآخرة، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]. خطّ رسول الله ﷺ خطّاً فقال: «هذا سبيل الرشد»، ثم خطّ عن يمينه وشماله خطوطاً فقال: «هذه سبل على كلّ سبيل شيطان يدعوه إليه».

[١٠٦ ـ ١١٠] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿يوم تبيَض وجوه وتسوّد وجوه﴾ ابيضاض الوجه عبارة عن تنوّر وجه القلب بنور الحق للتوجه إليه والإعراض عن الجهة السفلية النفسانية المظلمة، وذاك لا يكون إلا بالتوحيد والاستقامة فيه بتنوّر النفس أيضاً بنور القلب. فتكون الجملة متنوّرة بنور الله واسوداده ظلمة وجه القلب بالإقبال على النفس الطالبة حظوظها والإعراض عن الجهة النوريّة الحقيّة لمصادقة النفس ومتابعة الهوى في تحصيل لذاتها، وذلك إنما يكون باتباع السبل المتفرّقة الشيطانية. **﴿فأمّا الذين اسودّت وجوههم﴾** فيقال لهم: **﴿أكفَرتم بعد إيمانكم﴾** أي: احتجبتم عن نور الحق بصفات النفس الظلمانية، وسكنتم في ظلماتها بعد هدايتكم وتنوّركم بنور الاستعداد، وصفاء الفطرة وهداية العقل **﴿فذوقوا﴾** عذاب الحرمان باحتجابكم عن الحق **﴿وأما الذين أبيَضت وجوههم ففي رحمة الله﴾** التي هي روح الوصال ونور القدس وشهود الجمال **﴿هم**

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

فيها خالدون * ﴿كُنتم خيرَ أمّة﴾ لكونكم موحدين، قائمين بالعدل الذي هو ظله ﴿تأمُرون بالمَعْروف وتَنْهون عن المُنْكر﴾ إذ لا يقدر على ذلك إلا الموحد العادل لعلمه بالمعروف والمنكر، كما مرّ في تأويل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى، بنا يلحق التأويل، وإلينا يرجع الغالي». فيأمرون المقصر بالمعروف الذي يوصله إلى مقام التوحيد، وينهون الغالي المحجوب بالجمع عن التفصيل وبالوحدة عن الكثرة. ﴿وتؤمنون بالله﴾ أي: تثبتون في مقام التوحيد الذي هو الوسط، وكذا في كلّ تفريط وإفراط واعتدال في باب الأخلاق ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ لكانوا مثلكم.

[١١١] ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿لن يضرّوكم إلا أذى﴾ لكونهم منقطعين عن أصل القوى والقدر، كائنين في الأشياء بالنفس التي هي محل العجز والشرّ، وأنتم معتصمون بالله، معتضدون به، كائنون في الأشياء بالحق الذي هو منبع القهر. فقدرتهم لا تبلغ إلا حدّ الطعن باللسان والخبث والإيذاء الذي هو حدّ قدرة النفس ونهايتها، وقدرتكم تفوق كلّ قدرة بالقهر والاستئصال لاتصافكم بصفات الله تعالى، فلا جرم ينهزمون منكم عند المقاتلة ولا ينصرون.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ضُرِبَتْ عليهم الذِلة﴾ لأنّ العزّة لله جميعاً، فلا نصيب فيها لأحد إلا لمن تخلّق بصفاته بمحو صفات البشرية، كالرسول والمؤمنين الذين هم مظاهر عزّته، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فمن خالفهم فهو مضادّ لصفة العزّة، مباين للأعزاء، فتلزمه الذلّة وتشمله على أي حال يكون، إلا برابطة ما بينه وبين أهل العزّة كقوله: ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ أي: ذمّة وعهد، وذلك يكون أمراً عارضياً لا أصل له مرتبطاً برابطة مجعولة فلا تقابل صفتهم الذاتية اللازمة لهم التي هي الذلّة الناشئة من أصل نفوسهم. واستحقوا غضباً شديداً من عند الله لبعدهم وإعراضهم عن الحق، ولزمتهم المسكنة لانقطاعهم عن الله إلى نفوسهم فوكلهم إلى أنفسهم.

[١١٣ ـ ١١٦] ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة**﴾ أي: بالله، ثم وصفهم بأحوال أهل الاستقامة، أي منهم أهل التوحيد والاستقامة ﴿**وما يفعلوا من خير فلن يكفروه**﴾ أي: كل ما يصدر منكم مما يقربكم عند الله يتصل به جزاؤه ومنه لن تحرموا شيئاً منه. قال الله تعالى: «من تقرب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذِرَاعاً، ومَن تقرّب إليّ ذِراعاً تقرّبت إليه بَاعاً، ومن أتاني مشياً أتيته هَرْوَلة»... الحديث. وقال تعالى: «أنا جَلِيس من ذَكَرني، وأنيس من شَكَرني، ومُطِيع من أطاعَني» أي: كما أطعتموه بتصفية الاستعداد والتوجه نحوه، أطاعكم بإفاضة الفيض على حسبه والإقبال إليكم ﴿**والله عَلِيم**﴾ بالذين اتّقوا ما يحجبهم عنه فيتجلىٰ لهم بقدر زوال الحجاب.

[١١٧] ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا**﴾ الفانية ولذاتها السريعة الزوال، طلباً للشهوات أو رياء وسمعة في المفاخر، وطلب محمَدَة الناس، لا يطلبون به وجه الله، وما تهلكه وتفنيه بالكليّة من ريح هوى النفس التي فيها برّ دنياتكم الفاسدة وأغراضكم الباطلة كالرياء ونحوه ﴿**كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم**﴾ بالشرك والكفر ﴿**فأهلكته**﴾ عقوبة من الله لظلمهم ﴿**وما ظلمهم الله**﴾ بإهلاك حرثهم ﴿**ولكن**﴾ كانوا أنفسهم يظلمون لأنه مسبب عن ظلمهم، كما قيل: مهلاً فيداك وكتاوفوك نفخ.

[١١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿**لا تتخذوا بطانة من دونكم**﴾ بطانة الرجل صفيه وخليصه الذي يبطنه ويطلع عليه أسراره، ولا يمكن وجود مثل هذا الصديق إلا إذا اتحدا في المقصد واتفقا في الدين والصفة، متحابين في الله لا لغرض كما قيل في الأصدقاء نفس واحدة في أبدان متفرّقة، فإذا كان من غير أهل الإيمان فبأن يكون كاشحاً أحرى. ثم بيّن نفاقه واستبطانه العداوة بقوله: ﴿**لا يألونكم خبالاً**﴾ إلى آخره، إذ المحبة الحقيقية الخالصة لا تكون إلا بين الموحدين، لكونها ظلّ الوحدة فلا تكون بين المحجوبين لكونهم في عالم التضادّ والظلمة. فأين الصفاء والوفاق في

عالمهم؟ بل ربما تتألفهم الجنسية العامة الإنسانية لاشتراكهم في النوع والمنافع والملاذ واحتياجهم إلى التعاون فيها، فإذا لم تتحصل أغراضهم من النفع واللذّة تهارشوا وتباغضوا وبطلت الإلفة التي كانت بينهم، لكونها مسببة عن أمر قد تغير إذ النفس منشأ التغير والمنافع الدنيوية لا تبقى بحالها، واللذات النفسانية سريعة الانقضاء فلا تدوم المحبة عليها بخلاف المحبة الأولى، فإنها مستندة إلى أمر لا تغير فيه أصلاً، هذا إذا كانت فيما بينهم، فكيف إذا كانت بينهم وبين من يخالفهم في الأصل والوصف؟ وأنّى يتجانس النور والظلمة؟ ومن أين يتوافق العلوّ والسفل؟ فبينهما عداوة حقيقية وتخالف ذاتي لا تخفىٰ آثاره كما بيّن الله تعالى بقوله: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ لامتناع اختفاء الوصف الذاتيّ. قال النبي ﷺ: «ما أضمر أحد شيئاً إلا وأظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه». ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ لأنه نار وهذا شرار، ذاك أصل، وهذا فرعه ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ دلائل المحبة والعداوة وأسبابهما ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي: تفهمون من فحوى الكلام.

[١١٩] ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

﴿ها أنتم أولاء تحبونهم﴾ بمقتضى التوحيد، إذ الموحد يحب الناس كلهم بالحق للحق، ويراهم متصلين بنفسه اتصال الأحماء والأقرباء بل اتصال الأجزاء، فينظر إليهم بنظر الرحمة الإلٰهية والرأفة الربانية، ويعطف عليهم مترحماً إذ يراهم أهل الرحمة شغلوا بالباطل، وابتلوا بالقدر ولا يحبونكم بمقتضى الحجاب والبقاء في ظلمة النفس وتضادّ الطبع.

﴿وتؤمنون بالكتاب﴾ أي بجنس الكتاب ﴿كله﴾ لشمول علمكم التوحيدي، ولا يؤمنون للتقيد بدينهم والاحتجاب بما هم عليه ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ لنفاقهم المستجلب لأغراضهم العاجلة ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ لحقدهم الذاتي وبغضهم الكامن والباقي ظاهر.

[١٢٠ ـ ١٢٤] ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وإن تصبروا﴾ على ما يبتليكم الله به من الشدائد والمحن والمصائب، وتثبتوا على مقتضى التوحيد والطاعة ﴿وتتقوا﴾ الاستعانة بهم في أموركم والالتجاء إلى ولايتهم ﴿لا

يضرّكم كيدهم شيئاً﴾ لأن المتوكل على الله، الصابر على بلائه، المستعين به لا بغيره، ظافر في طلبته، غالب على خصمه، محفوظ بحسن كلاءة ربه، والمستعين بغيره مخذول موكول إلى نفسه، محروم عن نصرة ربه. كما قال الشاعر:

من استعان بغير الله في طلب ... فإن ناصره عجز وخذلان

﴿إن الله بما يعملون﴾ من المكايد **﴿محيط﴾** فيبطلها ويهلكها، وقد قيل: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك. فالصبر والتقوى من أجمل الفضائل إن لزمتموهما تظفروا على عدوّكم.

[١٢٥ ـ ١٢٦] ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿بلىٰ إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم﴾ الآية... الصبر على مضض الجهاد وبذل النفس في طاعة الله، وتحمل المكروه طلباً لرضا الله لا يكون إلا عند التقوى بتأييد الحق وتنوّره بنور اليقين، وثباته بنزول السكينة والطمأنينة عليه، والتقوى في مخالفة أمر الحق والميل إلى النفع والغنيمة، وخوف تلف النفس لا تكون إلا عند انكسار النفس تحت قهر سلطان القلب والروح، إذ الثبات والوقار صفة الروح والطيش، والاضطراب صفة النفس، فإذا استولى سلطان الروح على القلب وأخذ مملكته عصمه من استيلاء صفات النفس وجنودها عليه، فيعشقه القلب ويسكن إليه لنورانيته المحبوبة لذاتها ويتقوّى به على النفس وقواها فيهزمها ويكسرها ويدفع غلبتها وظلمتها عن نفسه، ويجعلها ذلولاً مطيعة مطمئنة إليه فيزول عنها الاضطراب وتتنوّر بنوره وعند ذلك تنزل الرحمة، ويناسب القلب ملكوت السماء في نورانيتها وقهرها لما تحتها، ومحبتها وشوقها لما فوقها. وبذلك المناسب يصل بها ويستنزل قواها وأوصافها في أفعاله خصوصاً عند اهتياجه وانقلاعه عن الجهة السفلية، وانقطاعه بقوة اليقين والتوكل إلى الجهة العلوية. ويستمد من قوى قهرها على من يغضب عليه فذلك نزول الملائكة، وإذا جزع وهلع وتغير وخاف أو مال إلى الدنيا غلبته النفس وقهرته واستولت عليه وحجبته بظلمة صفاتها عن النور، فلم تبق تلك المناسبة، فانقطع المدد ولم تنزل الملائكة **﴿وما جعله الله إلا بُشرىٰ لكم﴾** أي: ما جعل الإمداد بالملائكة إلا لتستبشروا به فتزداد قوة قلوبكم وشجاعتكم ونجدتكم ونشاطكم في التوجه إلى الحق والتجريد للسلوك **﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾** فتتحقق الفيض بقدر التصفية والخلف بقدر الترك.

﴿وما النصر إلاّ من عند الله﴾ لا من الملائكة ولا من غيرهم، فلا تحتجبوا بالكثرة عن

الوحدة، ولا بالخلق عن الحق، فإنها مظاهر لا حقيقة لها ولا تأثير، ﴿العزيز﴾ القوي الغالب بقهره ﴿الحكيم﴾ الذي ستر قهره ونصرته بصور الملائكة بحكمته.

[١٢٧ ـ ١٣٢] ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا﴾ يقتل بعضهم تقوية للمؤمنين ﴿أو يكبتهم﴾ يخزيهم ويذلهم بالهزيمة إعزازاً للمؤمنين ﴿أو يتوب عليهم﴾ بالإسلام تكثيراً لسواد المؤمنين ﴿أو يعذبهم﴾ بسبب ظلمهم وإصرارهم على الكفر تفريحاً للمؤمنين. وأوقع بين المعطوف والمعطوف عليه في أثناء الكلام قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ اعتراضاً لئلا يغفل رسول الله ﷺ فيرى لنفسه تأثيراً في بعض هذه الأمور، فيحتجب عن التوحيد ولا يزول، وتتغير شهوده في الأقسام كلها، أي: ليس لك من أمرهم شيء كيفما كان، ما أنت إلاّ بشر مأمور بالإنذار، إن عليك إلاّ البلاغ، إنما أمرهم إلى الله.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾ أي: توكلوا على الله في طلب الرزق فلا تكسبوه بالربا، فإنه واجب عليكم كما يجب عليكم التوكل عليه في طلب الفتح وجهاد العدوّ لئلا تجبنوا بكلاءة الله وحفظه. واعلموا أن جزاء المرابي هو جزاء الكافر، فاحذروه لكونه محجوباً عن أفعاله تعالى كما أن الكافر محجوب عن صفاته وذاته، والمحجوب غير قابل للرحمة وإن اتسعت، فارفعوا الحجاب بالطاعة وترك المخالفة كي تدرككم رحمة الله.

[١٣٣] ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿وسارِعُوا إلىٰ﴾ ستر أفعالكم التي هي حجابكم عن مشاهدة أفعال الحق بأفعاله تعالى، فإنما حرمتم عن التوكل وجنة عالم المُلْك التي هي تجلي الأفعال برؤية أفعالكم، أي: إلى ما يوجب ستر أفعالكم بأفعاله، وجنّة الأفعال من الطاعات بعد كما ورد: «أعوذ بعفوك من عقابك». ولأن المراد بالجنّة هنا جنة الأفعال، وصف عرضها بمساواة عرض السمٰوات والأرض، إذ توحيد الأفعال هو توحيد عالم الملك وإنما قدّر طولها لأن الأفعال باعتبار السلسلة العرضية، وهي توقف كل فعل على فعل آخر تنحصر في عالم المُلْك الذي يتقدّره الناس. وإما باعتبار الطول فلا تنحصر فيه ولا يقدّرها، إذ الفعل مظهر الوصف، والوصف

مظهر الذات، فلا نهاية له ولا حدّ. فالمحجوبون عن الذات والصفات لا يرون إلا عرض هذه الجنّة، وأما البارزون لله الواحد القهار فعرض جنتهم عين طولها ولا حدّ لطولها فلا يقدر قدرها طولاً ولا عرضاً ﴿أعدّت للمتقين﴾ الذين يتقون حجب أفعالهم وشرك نسبة الأفعال إلى غير الحق.

[١٣٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿الذينَ ينفقون في السرّاء والضرّاء﴾ لا تمنعهم الأحوال المضادّة عن الإنفاق لصحة توكلهم على الله برؤية جميع الأفعال منه ﴿والكاظمين الغيظ﴾ لذلك أيضاً، إذ يرون الجناية عليهم فعل الله فلا يعترضون، ولو لم يغيظوا كانوا في مقام الرضا وجنة الصفات ﴿والعافين عن الناس﴾ لما ذكرنا، ولتعوذهم بعفوه تعالى عن عقابه ﴿والله يحبّ المحسنين﴾ الذين يشاهدون تجليات أفعاله تعالى.

[١٣٥] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿والذين إذا فَعلوا فاحشة﴾ كبيرة من الكبائر، برؤية أفعالهم صادرة عن قدرتهم ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ نقضوا حقوقها بارتكاب الصغائر وظهور أنفسهم فيها ﴿ذكروا الله﴾ في صدور أفعالهم برؤيتها واقعة بقدرة الله وتبرأ عنها إليه لرؤيتهم ابتلاءه إياهم بها ﴿فأستغفروا﴾ طلبوا ستر أفعالهم التي هي ذنوبهم بأفعاله بالتبرّي عن الحول والقوّة إليه ﴿ومن يغفر الذنوب﴾ أي وجودات الأفعال ﴿إلا الله﴾ أي علموا أن لا غافر إلا هو ﴿ولم يصرّوا على ما فَعلوا﴾ في غفلتهم وحالة ظهور أنفسهم، بل تابوا ورجعوا إليه في أفعالهم ﴿وهم يَعْلمُون﴾ أن لا فعل إلا لله ﴿ونِعْمَ أجر العاملين﴾ بمقتضى توحيد الأفعال.

[١٣٦ ـ ١٤٢] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿قد خلَتْ من قَبْلِكم﴾ بطشات ووقائع مما سنه الله في أفعاله بالذين كذبوا بالأنبياء في

توحيد الأفعال ﴿فسيروا في الأرض فانظروا﴾ في آثارها فتعلموا كيف كان عاقبتهم ﴿هذا﴾ الذي ذكر ﴿بيان للناس﴾ من علم توحيد الأفعال وتفصيل المتقين الذين هم أهل التمكين في ذلك، والتائبين الذين هم أهل التلوين، والمصرين المحجوبين عنه المكذبين به، وزيادة هدى وكشف عيان وتثبت واتعاظ للذين اتّقوا رؤية أفعالهم أو هدى لهم إلى توحيد الصفات والذات. ﴿ولا تهنوا﴾ في الجهاد عند استيلاء الكفار ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما فاتكم من الفتح وما جرح واستشهد من إخوانكم ﴿وأنتم الأعلون﴾ في الرتبة لقربكم من الله وعلو درجتكم بكونكم أهل الله ﴿إن كنتم﴾ موحدين، لأنّ الموحد يرىٰ ما يجرى عليه من البلاء من الله فأقلّ درجاته الصبر إن لم يكن رضا يتقوّى به فلا يحزن ولا يهن ﴿الأيام﴾ الوقائع وكل ما يحدث من الأمور العظيمة يسمى يوماً وأياماً، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقد مرّ تفسير ﴿وليعلم الله﴾ من ظهور العلم التفصيلي التابع لوقوع المعلوم.

﴿ويتخذ منكم شُهداء﴾ الذين يشهدون للحق فيذهلون عن أنفسهم، أي: نداول الوقائع بين الناس لأمور شتى وحِكَم كثيرة، غير مذكورة، من خروج ما في استعدادهم إلى الفعل من الصبر والجلد وقوّة اليقين، وقلّة المبالاة بالنفس، واستيلاء القلب عليها، وقمعها وغير ذلك. ولهذين العلتين المذكورتين ولتخليص المؤمنين من الذنوب والغواشي التي تبعدهم من الله بالعقوبة والبليّة إذا كانت عليهم، ومحق الكافرين وقهرهم وتدميرهم إذا كانت لهم. وقد اعترض بين العلل قوله: ﴿والله لا يحب الظالمينَ﴾ ليعلم أنّ من ليس على صفة الإيمان والشهادة وتمحيص الذنوب وقوّة الثبات لكمال اليقين، بل حضر القتال لطلب الغنيمة أو لغرض آخر فهو ظالم والله لا يحبه.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه﴾ الآية، كل موقن إذا لم يكن يقينه ملكة بل كان خطرات، فهو في بعض أحواله يتمنى أموراً ويدعي أحوالاً بحسب نفسه دائماً، وكذلك حال غير اليقين وعند إقبال القلب هو صادق ما دام موصوفاً بحاله. أما في غير تلك الحالة، وعند الإدبار، فلا يبقى من ذلك أثر وكذا كل من لم يشاهد حالاً ولم يمارسه، ربما يتمناه لتصوّره في نفسه وعدم تضرّره به حال التصور. أما في حال وقوعه وابتلائه فلا يطيق تحمل شدائده كما حكي عن سمنون المحبّ رحمه الله لما قال في أبياته:

فـكـيـفـمـا شـئـت فـاخـتـبـرنـي

فابتلي بالأسر، فلم يطق، فكان يتردّد في الطرق ويرضخ إلى الصبيان ما يلعبون به

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

كالجوز، ويقول: ادعوا على عمكم الكذاب. وفي هذا المعنى قال الشاعر:

وإذا ما خلا الجبان بأرض　　طلب الطعن وحده والنزالا

فلا يلتفت بحال إلا إذا صار مقاماً، ولا يعتبر مقاماً إلا إذا امتحن في مواطنه، فإذا خلص من الامتحان فقد صح وهذا أحد فوائد مداولة الأيام بينهم ليتمرّنوا بالموت ويتقوّى يقينهم ويتوفر صبرهم ويتحقق مقامهم بالمشاهدة كما قال: ﴿فقد رأيتموه﴾ من قتل إخوانكم بين أيديكم ﴿وأنتم﴾ تشاهدون ذلك. وفيه توبيخ لهم على أنّ يقينهم كان حالاً لا مقاماً، ففشلوا في الموطن.

[١٤٤ ـ ١٥١] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿وما محمد إلا رسول﴾ أي: إنه رسول بشر، سيموت أو يقتل كحال الأنبياء قبله، فمن كان على يقين من دينه فبصيرة من ربّه لا يرتد بموت الرسول وقتله، ولا يفتر عما كان عليه، لأنه يجاهد لربّه لا للرسول كأصحاب الأنبياء السالفين. وكما قال أنس عم أنس بن مالك يوم أحد حين أُرجف بقتل رسول الله ﷺ وشاع الخبر، وانهزم المسلمون، وبلغ إليه تقاول بعضهم: ليت فلاناً يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان. وقول المنافقين: لو كان نبيّاً ما قُتِلَ!، يا قوم، إن كان محمد قد قُتِل فإنّ ربّ محمد حيّ لا يموت!، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه. ثم قال: اللهمّ إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء. ثم شدّ بسيفه وقاتل حتى قُتِل.

﴿ومن يَنقلب على عَقِبيه فلن يضرّ الله شيئاً﴾ إنما ضرّ نفسه بنفاقه وضعف يقينه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ لنعمة الإسلام، كأنس بن النضر وأضرابه من الموقنين ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ فمن كان موقناً شاهد هذا المعنى، فكان من أشجع

الناس كما حكى حاتم ابن الأصمّ عن نفسه أنه شهد مع الشقيق البلخي رحمهما الله، بعض غزوات خراسان. قال: فلقيني شقيق وقد حمىَ الحرب، فقال: كيف تجد قلبك يا حاتم؟ قلت: كما كان ليلة الزفاف، بين الحالين. فوضع سلاحه وقال: أما أنا فهكذا. ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمعت غطيطه. وهذا غاية في سكون القلب إلى الله ووثوقه به لقوة اليقين ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ الآية، جعل إلقاء الرعب في قلوب الكفار مسبباً عن شركهم، لأن الشجاعة وسائر الفضائل اعتدالات في قوى النفس من وقوع ظل الوحدة عليها عند تنوّرها بنور القلب المنوّر بنور الوحدة، فلا تكون تامة حقيقة إلا للموحد الموقن في توحيده. وأما المشرك فلأنه محجوب عن منبع القوة والقدرة بما أشرك بالله من الموجود المشوب بالعدم لإمكانه الخفيّ الوجود، الضعيف، الذي لم يكن له بحسب نفسه قوة ولا وجود ولا ذات في الحقيقة، ولم ينزل الله بوجوده حجة لوجوده أصلاً لتحقق عدمه بحسب ذاته، فليس له إلا العجز والجبن وجميع الرذائل، إذ لا يكون أقوى من معبوده وإن إتفقت له دولة أو صولة أو شوكة فشيء لا أصل له ولا ثبات ولا بقاء كنار العرفج مثلما كانت دولة المشركين.

[١٥٢ ـ ١٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾

﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ أي: وعدكم النصر إن تصبروا وتتقوا، فما دمتم على حالكم من قوة الصبر على الجهاد وتيقن النصر والثبات على اليقين واتفاق الكلمة بالتوجه إلى الحق والاتقاء عن مخالفة الرسول وميل النفوس إلى زخرف الدنيا والإعراض عن الحق، مجاهدين لله لا للدنيا، كان الله معكم بالنصر، وإنجاز الوعد، وكنتم تقطعونهم بإذنه وتهزمونهم ﴿حتىٰ إذا فَشلتُم﴾ أي: جبنتم بدخول الضعف في يقينكم وفساد اعتقادكم في حق نفسه بتجويز غلوله في الغنيمة ﴿وتَنازعتم﴾ في أمر الحرب بعد الاتفاق وما صبرتم عن حظ الدنيا، وعصيتم الرسول بترك ما أمركم به من ملازمة المركز، وملتم إلى زخرف الدنيا ﴿من بعدِ ما أَرَاكم ما تحبون﴾ من الفتح والغنيمة وحان زمان شكركم لله، وشدّة إقبالكم عليه، فذهلتم عنه، فكان أشرفكم يريد الآخرة والباقون يريدون الدنيا، ولم يبق فيكم من يريد الله منعكم نصره ﴿ثم صرفكم عنهم ليَبْتَليكم﴾ بما فعلتم فكان الابتلاء لطفاً بكم وفضلاً ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ في الأحوال كلها، إما بالنصرة وإما بالابتلاء، فإن الابتلاء فضل ولطف خفيّ ليعلموا أن أحوال العباد جالبة لظهور أوصاف الحق عليهم فما أعدّوا له نفوسهم موهوب لهم من عند الله كما مر في قوله: «مطيع من أطاعني». كما يكونون مع الله يكون الله معهم، ولئلا يناموا إلى الأحوال دون المسلكات، وليتمرّنوا بالصبر على الشدائد، والثبات في المواطن، ويتمكنوا في اليقين، ويجعلوه ملكاً لهم، ومقاماً، ويتحققوا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولا يميلوا إلى الدنيا وزخرفها، ولا يذهلوا عن الحق، ولا يبيعوه بالدنيا والآخرة، وليكون عقوبة عاجلة للبعض فيتمحصوا عن ذنوبهم وينالوا درجة الشهادة برفع الحجب، خصوصاً حجاب محبة النفس، فيلقوا الله طاهرين. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾(١)، إذ الابتلاء كان سبب العفو.

﴿فأَثابكم غمّاً بغمّ﴾ أي: صرفكم عنهم فجازاكم غماً بسبب غمّ لحق رسول الله من جهتكم، بعصيانكم إيّاه، وفشلكم وتنازعكم، أو غمّاً بعد بغمّ أي: غمّاً مضاعفاً لتتمرّنوا بالصبر على الشدائد والثبات فيها، وتتعوّدوا رؤية الغلبة والظفر والغنيمة وجميع الأشياء من الله لا من أنفسكم فلا ﴿تحزنوا علىٰ ما فَاتكم﴾ من الحظوظ والمنافع ﴿ولا ما أَصابكم﴾ من الغموم والمضارّ. ﴿ثمّ﴾ خلّى عنكم الغمّ بالأمن وإلقاء النعاس على الطائفة الصادقين دون المنافقين الذين ﴿أهمتهم أنفسهم﴾ لا نفس الرسول ولا الذين وافقوا علامة للعفو ﴿لبرزَ الذين كُتِب عليهم القَتل إلىٰ مضاجعهم﴾ لقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

﴿وليَبْتَلي الله ما في صُدُوركم﴾ أي: وليمتحن ما في استعدادكم من الصدق والإخلاص واليقين والصبر والتوكل والتجرّد وجميع الأخلاق والمقامات، ويخرجها من القوّة إلى الفعل **﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾** أي: وليخلص ما برز منها من مكمن الصدر إلى مخزون القلب من عثرات وساوس الشيطان ودناءة الأحوال وخواطر النفس، فعل ذلك فإن البلاء سوط من سياط الله يسوق به عباده إليه بتصفيتهم عن صفات نفوسهم وإظهار ما فيهم من الكمالات، وانقطاعهم عنده من الخلق ومن النفس إلى الحق. ولهذا كان متوكلاً بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل. وقال رسول الله ﷺ بياناً لفضله: «ما أوذي نبيّ مثل ما أُوذيت»، كأنه قال: ما صفى نبيّ مثل ما صفيت. ولقد أحسن من قال:

لله درّ النائبات فإنها ... صدأ اللئام وصيقل الأحرار

إذ لا يظهر على كل منهم إلا ما في مكمن استعداده كما قيل: عند الامتحان يُكرم الرجل أو يُهان. **﴿أستَزَلهم﴾** أي: طلب منهم الزلّة ودعاهم إليها، وهي زلّة التولي **﴿ببعض ما كسبوا﴾** من الذنوب. فإنّ الشيطان إنما يقدر على وسوسة الناس وإنفاذ أمره إذا كان له مجال بسبب أدنى ظلمة في القلب، حادثة من ذنب، وحركة من النفس كما قيل: الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الأول. **﴿ولقد عفا الله عنهم﴾** بالاعتذار والندم **﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾** أي: يجعل ذلك القول والاعتقاد ضِيقاً وضنكاً وغمّاً في قلوبهم لرؤيتهم القتل والموت مسبباً عن فعل، ولو كانوا موقنين موحدين لرأوا أنه من الله، فكانوا منشرحي الصدور **﴿والله يُحْيِي﴾** من يشاء في السفر والجهاد وغيره **﴿ويُمِيت﴾** من يشاء في الحضر وغيره **﴿لمغفرة من الله ورحمة﴾** أي: لنعيمكم الأخروي من جنّة الأفعال وجنّة الصفات خير لكم من الدنيوي لكونكم عاملين للآخرة و **﴿لإلىٰ الله تُحْشَرون﴾** لمكان توحيدكم، فحالكم فيما بعد الموت أحسن من حالكم قبله.

[١٥٩ ـ ١٦٠] **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾**

﴿فبما رحمة من الله﴾ أي: فباتصافك برحمة رحيمية، أي: رحمة تامّة، كاملة، وافرة، هي صفة من جملة صفات الله، تابعة لوجودك الموهوب الإلٰهيّ لا الوجود البشريّ **﴿لِنْتَ لهم ولو كنت فَظّاً﴾** موصوفاً بصفات النفس التي منها الفظاظة والغلظة **﴿لانْفَضوا من حَولك﴾** لأنّ الرحمة الإلٰهية الموجبة لمحبتهم إياك تجمعهم **﴿فاعف عنهم﴾** فيما يتعلق بك من جنايتهم

لرؤيتك إياه من الله بنظر التوحيد وعلوّ مقامك من التأذي بفعل البشر، والتغيظ من أفعالهم، وتشفي الغيظ بالانتقام منهم ﴿واستغفر لهم﴾ فيما يتعلق بحق الله لمكان غفلتهم وندامتهم واعتذارهم ﴿وشاورهم﴾ في أمر الحرب وغيره مراعاة لهم واحتراماً، ولكن إذا عزمت ففوّض الأمر إلى الله بالتوكل عليه ورؤية جميع الأفعال والفتح والنصر والعلم بالأصلح والأرشد منه، لا منك، ولا مما تشاوره. ثم حقّق معنى التوكل والتوحيد في الأفعال بقوله: ﴿إن ينصركم الله﴾ إلى آخره.

[١٦١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿وما كان لنبيّ أن يغلّ﴾ لبعد مقام النبوّة وعصمة الأنبياء عن جميع الرذائل، وامتناع صدور ذلك منهم مع كونهم منسلخين عن صفات البشرية، معصومين عن تأثير دواعي النفس والشيطان فيهم، قائمين بالله متّصفين بصفاته ﴿يأت بما غلّ﴾ أي: يظهر على صورة غلوله بما غلّ بعينه.

[١٦٢ ـ ١٦٨] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿أفمن اتّبع رضوان الله﴾ أي: النبيّ في مقام الرضوان التي هي جنة الصفات، لاتصافه بصفات الله، والغالّ في مقام السخط لاحتجابه بصفات نفسه ﴿ومأواه﴾ أسفل حضيض النفس المظلمة، فهل يتشابهان؟ ﴿هم درجات﴾ أي: كل من أهل الرضا وأهل السخط ذوو درجات متفاوتات أو هم مختلفون اختلاف الدرجات ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾(١) لأنّ السبب الفاعلي في الجميع هو الحق تعالى، والسبب القابليّ أنفسهم، ولا يفيض من الفاعل إلا ما يليق بالاستعداد ويقتضيه، وباعتبار الفاعل يكون من عند

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.

الله، وباعتبار القابل يكون من عند أنفسهم. واستعداد الأنفس إما أصليّ وإما عارضيّ، والأصلي من فيضه الأقدس على مقتضى مشيئته، والعارضي من اقتضاء قدره. فهذا الجانب أيضاً ينتهي إليه، ومن وجه آخر ما يكون من أنفسهم أيضاً يكون من الله نظراً إلى التوحيد، إذ لا غير ثمة ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ أي: وليتميز المؤمنون والمنافقون في العلم التفصيليّ.

[١٦٩] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿ولا تحسبن الذين قُتِلوا في سبيل الله﴾ سواء كان قتلهم بالجهاد الأصغر، وبذل النفس طلباً لرضا الله، أو بالجهاد الأكبر، وكسر النفس، وقمع الهوى بالرياضة ﴿أمواتاً بل أحياء عند ربّهم﴾ بالحياة الحقيقية مجرّدين عن دنس الطبائع، مقرّبين في حضرة القدس ﴿يُرزَقون﴾ من الأرزاق المعنوية، أي المعارف والحقائق واستشراق الأنوار، ويرزقون في الجنة الصورية كما يُرزق سائر الأحياء. فإنّ للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية، ولكل من المعنوية والصورية درجات على حسب الأعمال، فالمعنوية جنّة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها على حسب تفاضل درجات أهل الجبروت والملكوت، والصورية جنّة الأفعال وتفاوت درجاتها على حسب تفاوت درجات عالم المُلك من السموات العلى، وجنات الدنيا وعن النبيّ ﷺ: «لما أُصِيبَ إخوانكم بأحد، جَعَل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، تدور في أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظلّ العرش». فالطير الخضر: إشارة إلى الأجرام السماوية، والقناديل هي الكواكب، أي تعلقت بالنيرات من الأجرام السماوية لنزاهتها، وأنهار الجنة منابع العلوم ومشارعها، وثمارها الأحوال والمعارف والأنهار، والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية أو الصورية. فإنّ كل ما وجد في الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات، موجود في الآخرة وفي طبقات السماء ألذّ وأصفى مما في الدنيا.

[١٧٠ ـ ١٧١] ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ من الكرامة والنعمة والقرب عند الله ﴿ويستبشرون بـ﴾ حال إخوانهم ﴿الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ ولم ينالوا درجاتهم بعد من خلفهم لاستعدادهم عن قريب بمثل حالهم ولحوقهم بهم ﴿ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بدل اشتمال من الذين، أي: يستبشرون بأنهم آمنوا، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿يستبشرون

بنعمة﴾ أي: أمنهم بنعمة عظيمة لا يعلم كنهها، هي جنة الصفات بحصول مقام الرضوان المذكورة بعده لهم ﴿وفضل﴾ وزيادة عليها هي جنة الذات والأمن الكليّ من بقية الوجود وذلك كمال كونهم شهداء لله، ومع ذلك فإنّ الله لا يُضيع أجر إيمانهم الذي هو جنة الأفعال وثواب الأعمال.

[١٧٢ ـ ١٧٨] ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿الذين استجابوا لله﴾ بالفناء في الوحدة الذاتية ﴿والرسول﴾ بالمقام بحق الاستقامة ﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾ أي: كسر النفس ﴿للذين أحسنوا منهم﴾ أي: ثبتوا في مقام المشاهدة ﴿واتقوا﴾ بقاياهم ﴿أجر عظيم﴾ وراء الإيمان هو روح المشاهدة ﴿الذين قال لهم الناس﴾ قبل الوصول إلى المشاهدة ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ أي: اعتبروا لوجودكم واعتدّوا بكم فاعتدوا بهم ﴿فزادهم﴾ ذلك القول ﴿إيماناً﴾ أي: يقيناً وتوحيداً بنفي الغير وعدم المبالاة به، وتوصلوا بنفي ما سوى الله إلى إثباته بقولهم ﴿حسبنا الله﴾ فشاهدوه ثم رجعوا إلى تفاصيل الصفات بالاستقامة فقالوا: ﴿ونِعْمَ الوكيل﴾ وهي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقِيَ في النار فصارت برداً وسلاماً عليه ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ أي: رجعوا بالوجود الحقانيّ في جنة الصفات والذات كما مرّ آنفاً ﴿لم يمسسهم سوء﴾ البقية ورؤية الغير.

﴿و﴾ هم ﴿اتّبعوا رضوان الله﴾ الذي هو جنة الصفات في حال سلوكهم حين لم يعلموا ما أُخفي لهم من قرّة أعين وهي جنة الذات المشار إليها بقوله: ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ فإن الفضل هو المزيد على الرضوان ﴿يخوف أولياءه﴾ المحجوبين بأنفسهم مثله من الناس أو يخوّفكم أولياءه ﴿فلا تخافوهم﴾ ولا تعتدوا بوجودهم ﴿وخافونِ إن كنتم﴾ موحدين، أي لا تخافوا غيري لعدم عينه وأثره ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ لحجابهم الأصلي وظلمتهم الذاتية خوف أن يضروك ﴿إنهم لن يضرّوا الله شيئاً﴾ إملاء الكفار وطول حياتهم

سبب لشدّة عذابهم وغاية هوانهم وصغارهم لازديادهم بطول عمرهم حجاباً على حجاب، وبعداً على بعد. وكلما ازدادوا بعداً عن الحق الذي هو منبع العزّة ازدادوا هواناً.

[١٧٩ - ١٨٠] ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه﴾ من ظاهر الإسلام وتصديق اللسان **﴿حتى يميز الخبيث﴾** من صفات النفس وشكوك الوهم وحظوظ الشيطان، ودواعي الهوى من طيبات صفات القلب كالإخلاص واليقين والمكاشفة ومشاهدات الروح ومناغيات السرّ ومسامراته، وتخلص المعرفة والمحبة لله بالابتلاء ووقوع الفتن والمصائب بينكم.

﴿وما كان الله ليطلعكم على﴾ غيب وجودكم من الحقائق والأحوال الكامنة فيكم بلا واسطة الرسول لبعد ما بينكم وبينه وعدم المناسبة وانتفاء استعداد التلقي منه **﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾** فيطلعه على أسراره وحقائقه بالكشف ليهديكم إلى ما غاب عنكم من كنوز وجودكم وأسراره للجنسية النفسانية التي بينه وبينكم، الموجبة لإمكان اهتدائكم به **﴿فآمنوا بالله ورسله﴾** بالتصديق القلبيّ والإرادة والتمسك بالشريعة ليمكنكم التلقي والقبول منهم **﴿وإن تؤمنوا﴾** بعد ذلك الإيمان بالتحقيق والسلوك إلى اليقين والمتابعة في الطريقة **﴿وتتقوا﴾** الحجب النفسانية وموانع السلوك **﴿فلكم أجر عظيم﴾** من كشف الحقيقة **﴿بما آتاهم الله من فضله﴾** من المال والعلم والقدرة والنفس ولا ينفقونه في سبيل الله على المستحقين والمستعدّين والأنبياء والصدّيقين في الذبّ عنهم أو الفناء في الله **﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾** أي: يجعل غلّ أعناقهم وسبب تقيدهم وحرمانهم عن روح الله ورحمته وموجب هوانهم وحجابهم عن نور جماله لمحبتهم له وتعلقهم به **﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾** من النفوس وصفاتها كالقوى والقدر والعلوم والأموال وكل ما ينطبق عليه اسم الوجود فما لهم يبخلون بماله عنه.

[١٨١ - ١٨٧] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ
ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ
وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا
يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿لقد سمع الله﴾ إلى قوله ﴿إن كنتم صادقين﴾ روي أنّ أنبياء بني إسرائيل كانت معجزتهم أن يأتوا بقربان فيدعوا الله فتأتي نار من السماء تأكله. وتأويله: أن يأتوا بنفوسهم يتقرّبون بها إلى الله ويدعون الله بالزهد والعبادة، فتأتي نار العشق من سماء الروح تأكله وتفنيه في الوحدة، فبعد ذلك صحت نبوّتهم وظهرت فسمع به عوام بني إسرائيل فاعتقدوا ظاهره، وإن كان ممكناً من عالم القدرة فاقترحوا على كل نبي تلك الآية كما توهموا من إقراض الله الذي هو بذل المال في سبيل الله بالإنفاق لاستيفاء الثواب وبذل الأفعال والصفات بالمحو في السلوك لاستبدال صفات الحق وأفعاله وتحصيل مقام الإبدال، فقر الحق وغناهم، أو كابروا الأنبياء في الموضعين بعدما فهموا.

[١٨٨] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا﴾ أي: يعجبوا بما فعلوا من طاعة وإيثار، وكلّ حسنة من الحسنات، ويحجبون برؤيته ﴿ويحبون أن يحمدوا﴾ أي: يحمدهم الناس، فهم محجوبون بعرض الحمد والثناء من الناس، أو أن يكونوا محمودين في نفس الأمر عند الله ﴿بما لم يفعلوا﴾ بل فعله الله على أيديهم إذ لا فعل إلا لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾(١) فائزين من عذاب الحرمان ﴿ولهم عذاب أليم﴾ لمكان استعدادهم واحتجابهم عما فيه، وكان من حقهم أن ينسبوا الفضيلة والفعل الجميل إلى الله ويتبرّأوا عن حولهم وقوّتهم إليه ولا يحتجبوا برؤية الفعل من أنفسهم، ولا يتوقعوا به المدح والثناء.

[١٨٩ - ١٩٠] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ ليس لأحد فيها شيء حتىٰ يعطي غيره فيعجب بعطائه ﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ لا يقدر غيره على فعل مّا، حتى يعجب برؤيته، فيفرح به فرح إعجاب.

[١٩١ ـ ١٩٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿الذين يذكرون الله﴾ في جميع الأحوال وعلى جميع الهيئات ﴿قياماً﴾ في مقام الروح بالمشاهدة ﴿وقعوداً﴾ في محلّ القلب بالمكاشفة ﴿وعلى جنوبهم﴾ أي: تقلباتهم في مكان النفس بالمجاهدة ﴿ويتفكرون﴾ بألبابهم أي: عقولهم الخالصة عن شوب الوهم ﴿في خلق﴾ عالم الأرواح والأجساد. يقولون عند الشهود ﴿ربنا ما خلقت هذا﴾ الخلق ﴿باطلا﴾ أي: شيئاً غيرك، فإنّ غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك ﴿سبحانك﴾ ننزهك أن يوجد غيرك، أي: يقارن شيء فردانيتك أو يثني وحدانيتك ﴿فقنا عذاب﴾ نار الاحتجاب بالأكوان عن أفعالك، وبالأفعال عن صفاتك، وبالصفات عن ذاتك وقاية مطلقة تامة كافية ﴿ربنا إنك مَن تُدخِل النار﴾ بالحرمان ﴿فقد أخزيته﴾ بوجود البقية التي كلها ذلّ وعار وشنار ﴿وما للظالمين﴾ الذين أشركوا برؤية الغير مطلقاً أو البقية ﴿من أنصار ربنا إننا سمعنا﴾ بأسماع قلوبنا ﴿منادياً﴾ من أسرارنا التي هي شاطىء وادي الروح الأيمن ﴿ينادي﴾ إلى الإيمان العيانيّ ﴿أن آمنوا بربكم﴾ أي: شاهدوا ربكم، فشاهدنا ﴿ربنا فاغفر لنا﴾ ذنوب صفاتنا بصفاتك ﴿وكفر عنّا﴾ سيئات أفعالنا برؤية أفعالك ﴿وتوفنا﴾ عن ذواتنا في صحبة الأبرار من الأبدال الذين تتوفاهم بذاتك عن ذواتهم، لا الأبرار الباقين على حالهم في مقام محو الصفات غير المتوفين بالكلية ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على﴾ اتباع ﴿رسلك﴾ أو محمولاً على رسلك من البقاء بعد الفناء، والاستقامة بالوجود الموهوب بعد التوحيد ﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾ الكبرى ووقت بروز الخلق لله الواحد القهار بالاحتجاب بالوحدة عن الكثرة، وبالجمع عن التفصيل ﴿إنك لا تُخلف الميعاد﴾ فتبقى مقاماً وراءنا لم نصل إليه.

[١٩٥ ـ ١٩٩] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ

ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ
ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ
ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿**فاستجاب لهم ربهم أني لا أُضيع عمل عامل منكم من ذَكَر**﴾ القلب من الأعمال القلبية كالإخلاص واليقين والكشف ﴿**أو أنثى**﴾ النفس من الأعمال القالبية، كالطاعات والمجاهدات والرياضات ﴿**بعضكم من بعض**﴾ يجمعكم أصل واحد وحقيقة واحدة هي الروح الإنسانية، أي: بعضكم منشأ من بعض، فلا أثيب بعضكم وأحرم بعضاً ﴿**فالذين هاجروا**﴾ عن أوطان مألوفات النفس ﴿**وأخرجوا من**﴾ ديار صفاتها أو هاجروا من أحوالهم التي التذّوا بها، وأخرجوا من مقاماتهم التي يسكنون إليها ﴿**وأوذوا في سبيلي**﴾ أي: ابتلوا في سبيل سلوك أفعالي بالبلايا والمحن والشدائد والفتن ليتمرّنوا بالصبر، ويفوزوا بالتوكل في سبيل سلوك صفاتي بسطوات تجليّات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا إلى الرضا ﴿**وقاتلوا**﴾ البقية بالجهاد فيّ ﴿**وقتلوا**﴾ وأفنوا فيّ بالكلية ﴿**لأكفرنّ عنهم سيئاتهم**﴾ كلها من الصغائر والكبائر، أي: سيئات بقاياهم ﴿**ولأدخلنهم**﴾ الجنات الثلاثة المذكورة ﴿**ثواباً**﴾ أي: عوضاً لما أخذت منهم من الوجودات الثلاثة ﴿**والله عنده حُسْن الثواب**﴾ أي: لا يكون عند غيره الثواب المطلق الذي لا يبقى منه شيء، ولهذا قال: والله، لأنه الاسم الجامع لجميع الصفات، فلم يحسن أن يقول: والرحمٰن، في هذا الموضع أو اسم آخر غير اسم الذات ﴿**لا يغرّنك تقلّب الذين كفروا**﴾ أي: حجبوا عن التوحيد الذي هو دين الحق في المقامات والأحوال.

﴿**متاع قليل**﴾ أي: هو يعني الاحتجاب بالمقامات والتقلّب فيها تمتع قليل ﴿**ثم مأواهم جهنم**﴾ الحرمان ﴿**وبئس المهاد * لكنّ الذين اتّقوا ربّهم**﴾ من المؤمنين، أي: تجرّدوا عن الوجودات الثلاثة، لهم الجنات الثلاث، ﴿**نزلاً**﴾ معدّاً ﴿**من عند الله * وإنّ من أهل الكتاب**﴾ أي: المحجوبين عن التوحيد، والمذكورين بصفة التقلّب في الأحوال والمقامات ﴿**لمن يؤمن بالله**﴾ أي: يتحقق بالتوحيد الذاتي ﴿**وما أنزل إليكم**﴾ من علم التوحيد والاستقامة ﴿**وما أُنزل إليهم**﴾ من علم المبدأ والمعاد ﴿**خاشعين لله**﴾ قابلين لتجلي الذات ﴿**لا يشترون بآيات الله**﴾ التي هي تجليات صفاته ثمن البقية الموصوف بالقلّة ﴿**أولئك لهم أجرهم عند ربّهم**﴾ من الجنان المذكورة ﴿**إنّ الله سريع الحساب**﴾ يحاسبهم ويجازيهم فيعاقب على بقايا من بقي منهم شيء، أو يثيب بنفي البقايا على حسب درجاتهم في المواطن الثلاثة.

[٢٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾ لله ﴿وصَابِروا﴾ مع الله ﴿ورَابِطوا﴾ بالله، أي: اصبروا في مقام النفس بالمجاهدة، وصابروا في مقام القلب مع سطوات تجليات صفات الجلال بالمكاشفة، ورابطوا في مقام الروح ذواتكم بالمشاهدة حتى لا يغلبكم فترة أو غفلة أو غيبة بالتلوينات ﴿واتقوا الله﴾ في مقام الصبر عن المخالفة والرياء، وفي المصابرة عن الاعتراض والامتلاء وفي المرابطة عن البقية والجفاء لكي تفلحوا الفلاح الحقيقي السرمديّ الذي لا فلاح وراءه، إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة النساء﴾

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم**﴾ احذروه في انتحال صفته عند صدور الخيرات منكم، واتخذوا الصفة وقاية لكم في صدور ما صدر منكم من الخير، وقولوا صدر عن القادر المطلق ﴿**الذي خلقكم من نفس واحدة**﴾ هي النفس الناطقة الكلية، التي هي قلب العالم، وهو آدم الحقيقيّ ﴿**وجعل منها زوجها**﴾ أي: النفس الحيوانية الناشئة منها. وقيل: إنها خلقت من ضلعه الأيسر من الجهة التي تلي عالم الكون، فإنها أضعف من الجهة التي تلي الحق، ولولا زوجها لما أهبط إلى الدنيا. كما اشتهر أنّ إبليس سوّل لها أولاً فتوسل بإغوائها إلى إغواء آدم ولا شك في أنّ التعلق البدنيّ لا يتهيأ إلا بواسطتها ﴿**وبث منهما رِجالاً كثيراً**﴾ أي: أصحاب قلوب ينزعون إلى أبيهم ﴿**ونساء**﴾ أصحاب نفوس وطبائع ينزعون إلى أمّهم ﴿**واتّقوا الله**﴾ في ذاته عن إثبات وجودكم، واجعلوه وقاية لكم عند ظهور البقية منكم في الفناء في التوحيد حتى لا تحتجبوا برؤية الفناء ﴿**الذي تساءلُونَ به**﴾ لا بكم ﴿**والأرْحَام**﴾ أي: احذروا الأرحام الحقيقية، أي أقربة المبادىء العالية من المفارقات وأرواح الأنبياء والأولياء في قطعها بعدم المحبة، واجعلوها وقاية لكم في حصول سعاداتكم وكمالاتكم، فإنّ قطع الرحم بفقد المحبة توجه عن الاتصال، والوحدة إلى الانفصال والكثرة، وهو المقت الحقيقيّ والبعد الكليّ عن جناب الحق تعالى، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «صلة الرحم تزيد في العمر»، أي: توجب دوام البقاء. واعلم أنّ الرحم من الظاهر صورة الاتصال الحقيقي في الباطن، وحكم الظاهر في التوحيد كحكم الباطن، فمن لا يقدر على مراعاة الظاهر فهو أحرى بأن لا يقدر على مراعاة الباطن ﴿**إن الله كانَ عليكُم رَقيباً**﴾ يرقبكم لئلا تحتجبوا عنه بظهور صفة من صفاتكم، أو بقية من بقاياكم فتتعذبوا.

[٢ ـ ٣٠] ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم

مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن
كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ
قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ
وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ
اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ
السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ
يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ
بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤) وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ
مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ
الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا
فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ
بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ
التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ
يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ
أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)
وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا
أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ

مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ
كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ
وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ
ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن
لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن
تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم
مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن
يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ
بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا
مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ
لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ
إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وآتوا اليتامىٰ﴾ يتامىٰ قواكم الروحانية، المنقطعين عن تربية الروح القدسيّ الذي هو أبوهم **﴿أموالهم﴾** أي: معلوماتهم وكمالاتهم، وربوهم بها **﴿ولا تتبدلوا الخبيث﴾** من المحسوسات والخياليات والوساوس ودواعي الوهم وسائر قوى النفس التي هي أموالها **﴿بالطيب﴾** من أموالهم **﴿ولا تأكلوا أموالهم إلىٰ أموالكم﴾** أي: لا تخلطوها بها، فيشتبه الحق بالباطل وتستعملوها في تحصيل لذاتكم الحسّية وكمالاتكم النفسية، فتنتفعوا بها في مطالبكم الخسيسة الدنيوية وتجعلوها غذاء نفوسكم **﴿إنه كان حُوباً كبيراً﴾** حجبة وحرماناً

[٣١ - ٣٥] ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا
كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ
وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾
وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِنْ تَجْتنبوا كبائرَ ما تُنهَون عنه﴾ من إثبات الغير في الوجود الذي هو الشرك ذاتاً وصفة وفعلاً، فإن أكبر الكبائر إثبات وجود غير وجوده تعالى كما قيل:

وجـــودك ذنـــب لا يُـــقـــاس بـــه ذنـــب

ثم إثبات الإثنينية في الذات بإثبات زيادة الصفات عليها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام. وكما قال: «الإخلاص له نفي الصفات عنه».

﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ بظهور النفس والقلب بصفة من صفاتها أحياناً، فإنها بعد ظهور نور التوحيد لا تثبت ﴿وتُدْخِلكم مدخلاً كَرِيماً﴾ أي: حضرة عين الجمع لا كرم إلا فيها ﴿ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكُم علىٰ بَعض﴾ من الكمالات المرتبة بحسب الاستعدادات الأولية، فإن كل استعداد يقتضي بهويته في الأزل كمالاً وسعادة تناسبه، وحصول ذلك الكمال الخاصّ لغيره محال. ولذلك ذكر بلفظ التمني الذي هو طلب ما يمتنع حصوله للطالب لامتناع نسبته ﴿للرّجال﴾ أي: الأفراد الواصلين ﴿نصيبٌ مما اكْتسبوا﴾ بنور استعدادهم الأصليّ ﴿وللنساء﴾ أي: الناقصين القاصرين عن الوصول ﴿نصيبٌ مما اكْتسبنَ﴾ بقدر استعدادهنّ ﴿وٱسألوا الله من فَضْله﴾ أي: اطلبوا منه إفاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لا يحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتتعذبوا بنيران الحرمان منه ﴿إنّ الله كان بكل شيءٍ﴾ مما يخفىٰ عليكم، كامناً في استعدادكم بالقوّة ﴿عَليماً﴾ فيجيبكم بما يليق بكم كما قال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[1] أي: بلسان الاستعداد الذي ما دعاه أحد به إلاّ أجاب، كما قال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2].

[٣٦ ـ ٣٧] ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٢) سورة غافر، الآية: ٤٠.

﴿**واعْبدوا الله**﴾ خصصّوه بالتوجه إليه، والفناء فيه، الذي هو غاية التذلّل ﴿**ولا تُشرِكوا به شَيئاً**﴾ بإثبات وجوده ﴿**وبالوالدين إحسَاناً**﴾ وأحسنوا بالروح والنفس اللذين تولّد القلب منهما وهو حقيقتكم، لستم إلاّ إيّاه، ووفوا حقوقهما وراعوهما حقّ المراعاة بالاستفاضة من الأول، والتوجه إليه بالتسليم والتعظيم وتزكية الثانية، وحفظها من أدناس محبة الدنيا، والتذلّل بالحرص والشره وأمثالهما، ومن شرّ الشيطان وعداوته إياها وأعينوها بالرأفة والحمية بتوفير حقوقها عليها، ومنع الحظوظ عنها ﴿**وبِذِي القُربىٰ**﴾ الذي يناسبكم في الحقيقة بحسب القرب في الاستعداد الأصليّ والمشاكلة الروحانية ﴿**واليَتامىٰ**﴾ المستعدّين المنقطعين عن نور الروح القدسيّ الذي هو الأب الحقيقي، بالاحتجاب عنه ﴿**والمساكِين**﴾ العاملين الذين لا مال لهم، أي: لا حظ من العلوم والمعارف والحقائق، فسكنوا ولم يقدروا على المسير وهم السعداء الصالحون الذين مآلهم إلى جنة الأفعال.

﴿**والجار ذِي القربىٰ**﴾ الذي هو في مقام من مقامات السلوك، قريب من مقامك ﴿**والجار الجنبِ**﴾ الذي هو في مقامه بعيد من مقامك، ﴿**والصاحِب بالجنب**﴾ والرفيق الذي هو في عين مقامكم ويرافقكم في سيركم ﴿**وابْن السبيل**﴾ أي: السالك في طريق الحقّ، الداخل في الغربة عن مأوىٰ النفس الذي لم يصل إلى مقام من مقامات أهل الله ﴿**وما مَلكَت أيمَانكم**﴾ من أهل إرادتكم ومحبتكم، الذين هم عبيدكم كُلاً بما يناسبه ويليق به من أنواع الإحسان، وإن شئت أوّلت ذي القربى بما يتصل به من الملكوت العالية من المجرّدات واليتامىٰ بالقوى الروحانية كما مرّ. والمساكين بالقوىٰ النفسانية من الحواس الظاهرة وغيرها. والجار ذي القربىٰ بالعقل، والجار الجنُبِ بالوهم، والصاحب بالجنب بالشوق أو الإرادة، وابن السبيل بالفكر، والمماليك بالملكات المكتسبة التي هي مصادر الأفعال الجميلة.

﴿**إن الله لا يحبّ من كان مُختالاً**﴾ يسعىٰ في السلوك بنفسه لا بالله، معجباً بأعماله ﴿**فَخُوراً**﴾ مبتهجاً بأحواله ومقاماته وكمالاته، محتجباً برؤيتها ورؤية اتصافه بها ﴿**الذينَ يَبْخلون**﴾ أولاً بإمساك كمالاتهم وعلومهم في مكامن قرائحهم ومطامير غرائزهم، لا يظهرونها بالعمل بها في وقتها ثم بالامتناع عن توفير حقوق ذوي الحقوق عليهم، لا يبذلون صفاتهم وذواتهم بالفناء في الله لمحبتهم لها، ولا ينفقون أموال علومهم وأخلاقهم وكمالاتهم على ما ذكرنا من المستحقين. ﴿**ويَأمُرونَ الناس بِالبخل**﴾ يحملونهم على مثل حالهم ﴿**ويَكتُمونَ ما آتاهُم الله منْ فَضْله**﴾ من التوحيد والمعارف والأخلاق والحقائق في كتم الاستعداد وظلمة القوة كأنها معدومة ﴿**وأعْتَدنا لِلكافِرين**﴾ المحجوبين عن الحق ﴿**عَذاباً مهيناً**﴾ في ذلّ وجوههم وشين صفاتهم.

[٣٨ ـ ٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿والذينَ ينفِقُون أموالهم رئاء الناس﴾ أي: يبرزون كمالاتهم من كتم العدم، ويخرجونها إلى الفعل، محجوبين برؤيتها لأنفسهم، يراؤون الناس بأنها لهم ﴿ولا يُؤمِنون بالله﴾ الإيمان الحقيقي، فيعلمون أن الكمال المطلق ليس إلا له، ومن أين لغيره وجود حتى يكون له؟ فيتخلصون عن حجاب رؤية الكمال لأنفسهم، وينجون عن إثم العجب. ﴿ولا باليوم الآخرِ﴾ أي: الفناء في الله والبروز للواحد القهّار، فيتبرؤون من ذنب الشرك، وذلك لمقارنة شيطان الوهم إياهم ﴿ومن يَكن الشيطان له قَريناً فَساء قَريناً﴾ لأنه يضلّه عن الهدىٰ، ويحجبه عن الحقّ ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله﴾ أي: لو صدّقوا لله بالتوحيد والفناء فيه، ومحو كمالاتهم التي رزقهم الله بإضافتها إلى الله؟ ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ يجازيهم بالبقاء بعد الفناء، وكونهم مع تلك الصفات والكمالات بالله لا بأنفسهم.

﴿إنّ الله لا يَظْلم﴾ أي: لا ينقص من تلك الكمالات بالفناء فيه ﴿مِثْقال ذرّة﴾ بل يضاعفها بالتأييد الحقانيّ ﴿وإن تكُ حسَنَة يُضاعفها﴾ ولا تكون حسَنة إلا إذا كانت له ﴿ويُؤْت من لدُنهُ أجراً عظيماً﴾ هو ما أخفي له من قرّة أعين، أي: الشهود الذاتي الذي لا حجبة معه عن تفاصيل الصفات.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾

﴿فكيف إذا جِئْنَا مِن كل أمّة بِشَهيدٍ﴾ إلى آخره، الشهيد والشاهد: ما يحضر كلّ أحد مما بلغه من الدرجة في العرفان، وهو الغالب عليه، فهو يكشف عن حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاماً كان أو صفة من صفات الحق أو ذاتاً، فلكل أمّة شهيد بحسب ما دعاهم إليه نبيهم وعرّفه لهم وما دعاهم إلا إلى ما وصل إليه من مقامه في المعرفة، ولا يبعث نبيّ إلا بحسب استعداد أمّته فهم يعرفون الله بنور استعدادهم في صورة كمال نبيّهم. ولهذا ورد في الحديث: إن الله يتجلىٰ لعباده في صورة معتقدهم، فيعرفه كلّ واحد من الملل والمذاهب، ثم يتحوّل عن تلك الصورة، فيبرز في صورة أخرى فلا يعرفه إلاّ الموحدون الداخلون في حضرة الأحدية من كل باب. وكما أنّ لكل أمّة شهيداً، فكذلك لكل أهل مذهب شهيد، ولكل واحد شهيد يكشف عن حال مشهوده، وأما المحمّديون فشهيدهم الله المحبوب الموصوف بجميع الصفات لمكان كمال نبيهم وكونه حبيباً مؤتى جوامع الكلم،

متمماً لمكارم الأخلاق، فلا جرم يعرفونه عند التحوّل في جميع الصور إذا تابعوا نبيهم حق المتابعة، وكانوا أوحديين محبوبين كنبيهم.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿يومئذٍ يَود الذين كفَروا﴾ بالاحتجاب عن الحق ﴿وعصُوا الرسول﴾ بالاحتجاب عن الدين ﴿لو تُسوّىٰ بهم﴾ أرض الاستعداد، فتنطمس نفوسهم أو تصير ساذجة لا نقش فيها من العقائد الفاسدة والرذائل الموبقة ﴿ولا يَكْتمون الله حَديثاً﴾ أي: لا يقدرون على كتم حديث من تلك النقوش حتى لا يتعذبون بعقابه.

[٤٣ ـ ٤٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يا أيها الذينَ آمنُوا﴾ بالإيمان العلميّ، فإن المؤمن بالإيمان العيني لا يكون في صلاته غافلاً ﴿لا تَقرَبوا الصلاة﴾ أي: لا تقربوا مقام الحضور والمناجاة مع الله في حال كونكم ﴿سُكارىٰ﴾ من نوم الغفلة، أو من خمور الهوىٰ ومحبة الدنيا ﴿حتىٰ تعلموا ما تقولون﴾ في مناجاتكم ولا تشتغل قلوبكم بأشغال الدنيا ووساوسها فتذهلوا عنه، ولا في حال كونكم بعداء عن الحق بشدّة الميل إلى النفس ومباشرة لذاتها وشهواتها وحظوظها والركون إليها ﴿إلاّ عابريَ سبيل﴾ أي: مارّين عليها، سالكي طريق من طرق تمتعاتها بقدر الضرورة والمصلحة كعبور طريق الاغتذاء بالمطعم والمشرب لسدّ الرمق وحفظ القوة، والاكتساء لدفع الحرّ والبرد وستر العورة، والمباشرة لحفظ النسل لا منجذبين إليها بالكلية بمجرّد الهوى فتنطبع فيكم فلا يمكن زوالها أو يتعذر ﴿حتى تغتسلوا﴾ أي: تتطهروا عن تلك الهيئة الحاصلة من الانجذاب إلى الجهة السفلية بماء التوبة والاستغفار وعيون التنصل والاعتذار ﴿وإن كنتم مرضىٰ﴾ القلوب، فاقدي سلامتها بأمراض العقائد الفاسدة والرذائل المهلكة ﴿أو علىٰ سفر﴾ في تَيه الجهل والحيرة لطلب لذّة النفس ومادة الرجس بالحرص ﴿أو جاء أحد منكم﴾ من الاشتغال بلوث المال وكسب الحطام ملوّثاً بهيئة محبته وميله راسخة فيه تلك الهيئة ﴿أو لامستم النساء﴾ لازمتم النفوس وباشرتموها في لذاتها وشهواتها ﴿فلم تجدوا ماء﴾ علماً يهديكم إلى التفصي منها ويهذبكم بالتطهّر عنها ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ فتوجهوا صعيد استعدادكم الطيب،

واقصدوه وارجعوا إلى أصل الاستعداد الفطريّ ﴿فامْسَحوا﴾ من نوره ﴿بِوجُوهكم وأيديكُم﴾ أي: ذواتكم الموجودة وصفاتكم بالنزول ومحو هيئات التعلق بها، والتصرّف فيها، فإن ذلك التراب يمحو آثارها ويذرها صافية كما كانت ﴿إنّ الله كان عفوّاً﴾ يعفو عن تلك الهيئات المظلمة ورسوخ تلك الملكات الحاجبة بتركها والإعراض عنها، فيزيلها بالكلية فيصفو استعدادكم وتستعدّوا للقائه ومناجاته ﴿غَفُوراً﴾ يستر صفاتكم وذواتكم بصفاته وذاته.

[٤٥ ـ ٤٦] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿ألَمْ تر إلىٰ الذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكتاب﴾ أي: بعضاً هو اعترافهم بالحق مع احتجابهم عن الدين ﴿يَشْترونَ الضلالَة﴾ يستبدلون الاحتجاب عن الدين الذي هو طريق الحق بنور هداية استعدادهم ويريدون بكم ذلك أيضاً وهم أعداؤكم، عَلِمَ الله عداوتهم إياكم إذاً ﴿وكفىٰ بالله ولياً﴾ يلي أمركم بالتوفيق لطريق التوحيد، ونصيراً ينصركم على أعدائكم بالقمع.

[٤٧ ـ ٤٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين أوتُوا الكتاب﴾ كتاب الاستعداد ﴿آمنُوا﴾ إيماناً حقيقياً عيانياً بإخراج ما في كتاب استعدادكم إلى الفعل من توحيد الذات ﴿من قَبل أنْ نطمس وجُوهاً﴾ بإزالة استعدادها ومحوه ﴿فنردها على أدبارها﴾ التي هي أسفل سافلي عالم الجسم الذي هو خلف كل عالم ﴿أو نَلْعَنهم﴾ نعذبهم بالمسخ كما مسخنا ﴿أصحاب السبتِ وكان أمر الله مفعولاً﴾ أي: مقضياً إلى الأبد، لا يغيّره أحد ولا ينقضه ﴿إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به﴾ إشارة إلى أنّ الشقاوة العلمية الاعتقادية مخلّدة لا تتدارك أبداً دون العملية، أي: لا يستر بوجوده ولا يفني بذاته من يثبت غيره في الوجود وكيف وأنه يناويه بوجوده.

[٤٩ ـ ٥٠] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم﴾ أي: يزيلون صفات نفوسهم بنفوسهم، وذلك غير ممكن كما لا يمكن لأحدنا حمل نفسه إذ هي لوازم النفس باقية لازمة لها، ولهذا قال تعالىٰ:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾[١]، إذ الرذائل معجونة فيها، باقية ببقائها. وقال عليه الصلاة والسلام: «شرّ الناس من قامت عليه القيامة وهو حيّ» أي: يقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى تحيىٰ بالله، فإنه حينئذ زنديق قائل بالإباحة في الأشياء.

﴿بل الله يُزكي من يَشاء﴾ بمحو صفاته وإزالتها بصفاته تعالى ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ أي: لا ينقصون شيئاً حقيراً من صفاتهم وحقوقها فإنّ الله لا يأخذ شيئاً منها مع ضعفها وسرعة انقضائها حتى يعطي بدله من صفاته مع قوتها ودوامها ﴿أنظُر كيف يَفترون علىٰ الله الكَذب﴾ بادعاء تزكية نفوسهم من صفاتها وما تزكت، أو بانتحال صفات الله إلى أنفسهم لوجود نفوسهم.

[٥١ ـ ٥٥] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿ألم تَرَ﴾ إلى آخره، ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ لإثباتهم وجود الغير، وذلك إضلالهم عن الدين الذي هو طريق التوحيد ﴿ويقولون﴾ لأجل الذين حجبوا عن الحق ﴿هٰؤلاء أهدىٰ﴾ من الموحدين ﴿سَبيلا﴾ لموافقتهم في الشرك دون المؤمنين، فإنهم يخالفونهم في الطريق والمقصد، إذ المعترفون بالتوحيد لما ضلّوا السبيل لم يصلوا إلى المقصد الذي اعترفوا به فلزمهم شرك خفيّ قريب من حال المحجوبين عن الحق الذين أشركوا شركاً جلياً فناسبوهم وصوّبوهم وزعموا أنهم أهدى الموحدين على ما نرى عليه بعض الظاهريين من الإسلاميين ﴿أولٰئِكَ الذينَ لَعَنَهم الله﴾ بمسخ الاستعداد، ومن طرده الله فلا يمكن لأحد نصرته بالهداية والتقريب والإنجاء.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إنّ الذينَ كَفروا بآياتِنا﴾ أي: حجبوا عن تجليات صفاتنا وأفعالنا. إذ مطلع الآية كونه متجلياً بالعلم والحكمة والمُلْك في آل إبراهيم ﴿سوفَ نصليهم﴾ نار شوق الكمال لاقتضاء غرائزهم وطبائعهم بحسب استعدادهم ذلك مع رسوخ الحجاب ولزومه، أو نار قهر من تجليّات صفات قهره تناسب أحوالهم، أو نار شَرَه نفوسهم وحدّة شوقها وطلبها لما ضرّيت بها من كمالات صفاتها وشهواتها مع حرمانها عنها ﴿كلما نَضجت جُلُودهم﴾ رفعت حجبهم

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

الجسمانية بانسلاخهم عنها ﴿بدلناهم﴾ حجباً غيرها جديدة ﴿ليذوقوا العذاب﴾ نيران الحرمان ﴿إنّ الله كان عزيزاً﴾ قوياً يقهرهم ويذلهم ببذل صفات نفوسهم، ويحرقهم بنيران توقانها إلى كمالاتهم مع حرمانهم أبداً ﴿حكيماً﴾ يجازيهم بما يناسبهم من العذاب الذي اختاروه لأنفسهم بدواعيهم الغضبية والشهوية وغيرها، وميولهم إلى الملاذ الجسمانية فلذلك بدلوا حجباً ظلمانية بعد حجب.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿والذينَ آمنُوا﴾ بتوحيد الصفات ﴿وعَملُوا﴾ ما يصلحهم لقبول تجلياتها ﴿سَندخلهم جنّات﴾ الاتصاف بها ومقاماتها ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: أنهار علوم تجلياتها من علوم القلب. والأزواج ههنا الأرواح المقدّسة التي هي مظاهر الصفات الإلٰهية المطهرة بالهيئات البدنية ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾ أي: ظلّ الصفات الإلٰهية الدائم روحها بمحو الصفات البشرية.

[٥٨] ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلىٰ أهلها﴾ أي: حق كلّ ذي حق إليه بتوفية حق الاستعداد أولاً، ثم بتوفية حقوق القوىٰ كلها من كمالاتها التي تقتضيها، ثم بتوفية حق الله تعالى من أداء الصفات إليه، ثم أداء الوجود فتكونوا فانين في التوحيد. فإذا رجعتم إلى البقاء بعد الفناء، وحكمتم بين الناس، كنتم قائمين في الأشياء بالله، قوّامين بالقسط، متصفين بعدل الله بحيث لا يمكن صدور الجور منكم. وأقلّ الدرجات في العدل هو المحو في الصفات، إذ القائم بالنفس لا يقدر على العدل أبداً ﴿إنّ الله كان سميعاً﴾ بأقوالكم فيما بين الناس من المحاكمات، هل هي صائبة بالحق أم فاسدة بالنفس؟ ﴿بصيراً﴾ بأعمالكم، هل تصدر من صفات نفوسكم أو من صفات الحق؟.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بتوحيد الصفات ﴿أطيعُوا الله﴾ بتوحيد الذات والفناء في الجمع ﴿وأطيعوا الرسول﴾ بمراعاة حقوق التفصيل في عين الجمع وملاحظة ترتيب الصفات بعد الفناء في الذات ﴿وأولي الأمر مِنكم﴾ ممن استحق الولاية والرياسة كما مر في حكاية طالوت.

[٦٠ - ٦٢] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا

﴿بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢﴾

﴿ألم ترَ﴾ أي: تعجب من ﴿الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك﴾ من علم التوحيد ﴿وما أنزل من قبلك﴾ من علم المبدأ والمعاد ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ وهو ينافي ما ادّعوه إذ لو كان إيمانهم صحيحاً لما أثبتوا غيراً حتى يكون له حكم، فإنهم بحكم الإيمان الحقيقي مأمورون بالكفر بغيره، ومن لم ينسلخ عن صفاته وأفعاله ولم تنطمس ذاته في الله تعالى فهو غيره، ومن توجه إلى الغير فقد أطاع الشيطان ولا يريد الشيطان بهم إلا الضلال البعيد الذي هو الانحراف عن الحق بالشرك، إذ الزيغ عن الدين هو الضلال المبين.

[٦٣ ـ ٦٤] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝٦٣ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤﴾

﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ الآية، الفرق بين الرسول والنبي هو: أن الرسالة، باعتبار تبليغ الأحكام: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾(١) والنبوّة باعتبار الإخبار عن المعارف والحقائق التي تتعلق بتفاصيل الصفات والأفعال. فإن النبوّة ظاهر الولاية التي هي الاستغراق في عين الجمع والفناء في الذات، فعلمها علم توحيد الذات ومحو الأفعال والصفات. فكل رسول نبيّ، وكل نبيّ وليّ، وليس كل وليّ نبياً، ولا كلّ نبي مرسلاً، وإن كانت رتبة الولاية أشرف من النبوّة، والنبوّة من الرسالة كما قيل:

مقام النبوّة في برزخ　　　دوين الوليّ وفوق الرسول

فلا يرسل الرسول إلا للطاعة، إذ حكمه حكم الله باعتبار التبليغ فيجب أن يُطاع، ولا يُطاع إلا بإذنه، فإن من حجب عنه بقصور الاستعداد كالكافر الأصليّ والشقيّ الحقيقي، أو بالرين ومحو الاستعداد كالمنافق ليس بمأذون له في الطاعة في الحقيقة. ﴿ولو أنهم إذ ظَلَموا أنفسهم﴾ بمنعها عن حقوقها التي هي كمالاتها الثابتة فيها بالقوة، وتكدير الاستعداد بالتوجه إلى طلب اللذّات الحسيّة والأغراض الفانية ﴿جَاؤوك﴾ بالإرادة التي هي مقتضى استعدادهم ﴿فاستغفروا الله﴾ طلبوا من الله ستر صفات نفوسهم التي هي مصادر تلك الأفعال الحاجبة لما في استعدادهم بنور صفاته ﴿واستغفرَ لهم الرسول﴾ بإمدادهم بنور صفاته التي هي صفات الله

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

عز وجل لرابطة الجنسية التي بينهم وبين نفسه، ومكان الإرادة والمحبة التي تستلزم قربهم منه وامتزاجهم به ﴿لوجدوا الله توّاباً﴾ مطهراً، مصفياً لاستعدادهم بنوره، إذ قبول التوبة هو إلقاء نور الصفات عليهم، وتنوير بواطنهم بهيئة نورية تعصمهم من الخطأ في الأفعال لبعد النور عن الظلمة ﴿رحيماً﴾ يفيض عليهم رحمة الكمال اللائق بهم من الإيقان العلميّ أو العينيّ أو الحقيّ.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ الإيمان الحقيقي التوحيدي ﴿حتىٰ يحكموك﴾ لكون حكمك حكم الله، وإنما حجبت الذات بالصفات، والصفات بالأفعال، فإذا تشاجروا وقفوا مع صفاتهم محجوبين عن صفات الحق أو مع أفعالهم محجوبين عن أفعال الحق، فلم يؤمنوا حقيقة. فإذا حكموك انسلخوا عن أفعالهم، وإذا لم يجدوا في أنفسهم حرجاً من قضائك انسلخوا عن إرادتهم فصاروا إلى مقام الرضا، وعن علمهم وقدرتهم فصاروا إلى مقام التسليم فلم يبق لهم حجاب من صفاتهم واتصفوا بصفات الحق فانكشف لهم في صورة الصفات فعلموا أنك هو قائم به، لا بنفسك، عادل بالحقيقة بعدله، فتحقق إيمانهم بالله.

[٦٦ ـ ٦٨] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿ولو أنّا كتبنا﴾ أي: فرضنا ﴿عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾ بقمع الهوىٰ الذي هو حياتها وإفناء صفاتها ﴿أو اخرجوا من دِيَاركم﴾ مقاماتكم التي هي الصبر والتوكل والرضا وأمثالها، لكونها حاجبة عن التوحيد كما قال الحسين بن منصور قدّس الله روحه لإبراهيم بن أدهم رحمه الله، لما سأله عن حاله، وأجابه بقوله: أدور في الصحاري، وأطوف في البراري، حيث لا ماء ولا شجر ولا روض ولا مطر، هل يصح حالي في التوكل أم لا؟، فقال: إذا أفنيت عمرك في عمران بطنك فأين الفناء في التوحيد؟.

﴿ما فَعَلوه إلا قليلٌ منهم﴾ وهم: المحبون المستعدّون للقائه، الأكثرون قدر الأقلون عدداً كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[١]، ﴿لكان خيراً لهم﴾ بحسب كمالهم الحاصل لهم عند رفع حجب صفات النفس بالاتصاف بصفات الحق أو بالوصول إلى عين الجمع ﴿وأشدّ تثبيتاً﴾ بالاستقامة في الدين عند البقاء بعد الفناء ﴿وإذاً لآتيناهم من لدُنا أجراً عظيماً﴾ من

(١) سورة ص، الآية: ٢٤.

تجليات الصفات عند قتل النفس ﴿ولهديناهم صِراطاً مُستقيماً﴾ عند الخروج عن الديار، أي: منازل النفس والمقامات، وهو طريق الوحدة والاستقامة في التوحيد ﴿ومن يُطِع الله﴾ بسلوك طرق التوحيد والجمع ﴿والرسول﴾ بمراعاة التفصيل ﴿فأولٰئكَ مع الذينَ أنعم الله عليهم﴾ بالهداية ﴿من النبيين والصديقين﴾ الذين صدقوا بنسبة الأفعال والصفات إلى الله، بالانخلاع عن صفاتهم والاتصاف بصفاته ولو ظهروا بصفات نفوسهم لكانوا كاذبين ﴿والشهداء﴾ أي: أهل الحضور ﴿والصالحين﴾ أي: أهل الاستقامة في الدين.

[٧٠ ـ ٩٦] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ
حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ
لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى
ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً
يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾
وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي
الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ
لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا
الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ
أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا
خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن
كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ
السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ
كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا
يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾»

﴿**ذلك الفضل**﴾ أي: التوفيق لتحصيل الكمال الذي ناسبوا به النبيين ومن معهم فرافقوهم. ﴿**عليماً**﴾ يعلم ما في استعدادهم من الكمال فيظهره عليهم ﴿**خذوا حذركم**﴾ أي: ما تحذرون من إلقاء الشيطان ووساوسه وإهلاكه إياكم بالإغواء، ومن ظهور صفات نفوسكم واستيلائها عليكم، فإنها أعدى عدوّكم ﴿**فانفروا ثبات**﴾ اسلكوا في سبيل الله جماعات، كلّ فرقة على طريقة شيخ كامل عالم ﴿**أو انفروا جميعاً**﴾ في طريق التوحيد والإسلام على متابعة النبيّ ﴿**وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله**﴾ إلى آخره، ثبت أنهم قدريون يضيفون الخيرات إلى الله والشرور إلى الناس، يتشبهون بالمجوس في الثبات، مؤثرين مستقلين في الوجود، وإضافتهم الشرور إلى الرسول لا إلى أنفسهم كانت لأنه باعثهم ومحرّضهم على ما يلقون بسببه الشرّ عندهم. فأمر الرسول ﷺ بدعوتهم إلى توحيد الأفعال ونفي التأثير عن

الأغيار والإقرار بكونه فاعل الخير والشرّ بقوله: ﴿**قل كلّ من عند الله فمالِ هؤلاء القَوم لا يكَادُون يَفقهون حَديثاً**﴾ لاحتجابهم بصفات النفوس وارتجاج آذان قلوبهم التي هي أوعية السماع والوعي. ثم بيّن أنّ لله فضلاً وعدلاً، فالخيرات والكمالات كلها من فضله، والشرور من عدله، أي: يقدرها علينا ويفعلها بنا لاستعداد واستحقاق فينا يقتضي ذلك. وذلك الاستحقاق إنما يحدث من ظهور النفس بصفاتها وارتكابها المعاصي والذنوب الموجبة للعقاب لا بفعل آخر كما نسبوا ما أصابهم من الشرّ إلى الرسول، لأن الاستحقاق مرتب على الاستعداد، ولا يعرض ما يقتضيه استعداد أحد لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١]، فكذّبهم وخطّأهم في قدريتهم بإثبات أنّ: السبب الفاعليّ للخير والشرّ ليس إلا الله وحده بمقتضى فضله وعدله. وأما السبب القابلي فهو وإن كان أيضاً منه في الحقيقة إلا أن قابلية الخير هو من الاستعداد الأصلي الذي هو من الفيض الأقدس الذي لا مدخل لفعلنا واختيارنا فيه، وقابلية الشرّ من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والأفعال الحاجبة للقلب، المكدّرة لجوهره، حتى احتاج إلى الصقل بالرزايا والمصائب والبلايا والنوائب لا من قِبَل الرسول أو غيره.

[٩٧ ـ ٩٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿**إنّ الذين توفاهم الملائكة**﴾ إلى آخره، التوفي هو: استيفاء الروح من البدن بقبضها عنه، وهو على ثلاثة أوجه: توفي الملائكة، وتوفي ملك الموت، وتوفي الله. أما توفي الملائكة فهو لأصحاب النفوس وهم أما سعداء وأهل الخير والصفات الحميدة والأخلاق الحسنة من الصالحين المتقين ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٢] فمعادهم إلى جنة الأفعال. وإما أشقياء أهل الشرّ والصفات الرديئة والأخلاق السيئة فلا يقبض أرواحهم إلا القوىٰ الملكوتية التي هي للعالم بمثابة قواهم التي هم في مقامها، محتجبون بصفات النفس ولذّات القوى الخيالية والوهمية والسبعية والبهيمية من الكافرين: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[٣] فمعادهم إلى النار. وأما توفي ملك الموت

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٢.
(٣) سورة النحل، الآية: ٢٨.

فهو لأرباب القلوب الذين برزوا عن حجاب النفس إلى مقام القلب، ورجعوا إلى الفطرة، فتنوّروا بنورها، فتقبض أرواحهم النفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم باتصالهم بها، هذا إذا قبض أرواحهم ملك الموت بنفسه، أما إذا قبض بأعوانه وقواهم فهم الفريق الأول. وقد يقبض بنفسه ويذرهم في ملكوت العذاب حتى يحاسبوا ويعاقبوا بحسب رذائلهم ويتخلصوا، وذلك للكمال العلميّ والنقصان العلميّ كما خلص من الجهل والشرك وتحلّى بالعلم والتوحيد، ولكن تراكمت على قلبه الهيئات المظلمة والملكات الرديئة بسبب الأعمال السيئة والأخلاق الذميمة. وللعلم بالتوحيد والجهل بالمعاد كالموحد المنكر للجزاء، فينهمك في المعاصي كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]. وأما توفي الله تعالى، فهو للموحدين الذين عرجوا عن مقام القلب إلى محل الشهود فلم يبق بينهم وبين ربّهم حجاب، فهو يتولى قبض أرواحهم بنفسه ويحشرهم إلى نفسه ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[2]، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[3].

﴿ظالِمي أنفسهم﴾ بمنعها عن حقوقها التي اقتضتها استعداداتهم من الكمالات المودعة فيها ﴿فِيمَ كُنتم﴾ حيث قصرتم في السعي لما قدرتم وفرّطتم في جنب الله، وقصرتم عن بلوغ كمالكم الذي هيىء لكم وندبتم إليه ﴿قالوا كنا مُستَضعَفين﴾ في أرض الاستعداد الذي جبلنا عليه باستيلاء قوى النفس الأمّارة وغلبة سلطان الهوى بشيطان الوهم، أسرونا في قيودهم، وجبرونا على دينهم، وأكرهونا على كفرهم. ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة﴾ ألم تكن سعة استعدادكم بحيث تهاجروا فيها من مبدأ فطرتكم خطوات يسيرة، بحيث إذا ارتفعت عنكم بعض الحجب انطلقتم عن أسر القوى وتخلصتم عن قيود الهوى، وتقوّيتم بإمداد أعوانكم القوى الروحانية، ونصرتم بأنوار القلب، فخرجتم عن القرية، الظالم أهلها، التي هي مدينة النفس إلى بلد القلب الطيبة، فتداركتكم رحمة ربكم الغفور ﴿فأولئك مأوَاهُم جهنم﴾ نفوسهم الشديدة التوقان مع حصول الحرمان ﴿وساءت مصِيراً إلا المُستضعفين من الرجَال﴾ أي: أقوياء الاستعداد الذين قويت قواهم الشهوية والغضبية مع قوّة استعدادهم فلم يقدروا على قمعها في سلوك طريق الحق ولم يذهبوا لقواهم الوهمية والخيالية، فيبطلوا استعداداتهم بالعقائد الفاسدة فبقوا في أسر قواهم البدنية مع تنوّر استعدادهم بنور العلم وعجزهم عن السلوك برفع القيود ﴿والنساء﴾ أي: القاصرين الاستعداد عن درك الكمال العلمي، وسلوك طريق التحقيق، الضعفاء القوى والأحلام، الذين قال في حقهم: «أكثر أهل الجنة البله».

(١) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

﴿والولْدان﴾ أي: الناقصين القاصرين عن بلوغ درجة الكمال لغيرة تلحقهم من قبل صفات النفس ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ لعدم قدرتهم وعجزهم عن كسر صفات النفس وقمع الهوى بالرياضة ﴿ولا يَهْتَدون سبيلاً﴾ لعدم علمهم بكيفية السلوك وحرمانهم عن نور الهداية الشرعية ﴿فأولٰئِكَ عسىٰ الله أنْ يَعْفو عَنهم﴾ بمحو تلك الهيئات المظلمة لعدم رسوخها وسلامة عقائدهم ﴿وكان الله عفوّاً﴾ العفو عن الذنوب ما دامت الفطرة لم تتغير ﴿غفُوراً﴾ يستر بنور صفاته صفات نفوسهم.

[١٠٠] ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ومن يُهَاجِر﴾ أي مقارّ النفس المألوفة في سبيل طريق الحق بالعزيمة ﴿يَجد﴾ في أرض استعداده مهاجر ومساكن ومنازل كثيرة فيها رغم أنوف قوىٰ نفسه الوهمية والخيالية والبهيمية والسبعية وإذلالها ﴿وسعَة﴾ وانشراحاً في الصدر عند الخلاص من ضيق صفات النفس وأسر الهوىٰ ﴿ومن يَخرج﴾ من المقام الذي هو فيه سواء كان مقرّ استعداده الذي جبل عليه أو منزلاً من منازل النفس أو مقاماً من مقامات القلب ﴿مهاجراً إلىٰ الله﴾ بالتوجه إلى توحيد الذات ﴿ورسوله﴾ بالتوجه إلى طلب الاستقامة في توحيد الصفات ﴿ثم يدركه﴾ الانقطاع قبل الوصول ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ بحسب ما توجه إليه، فإن المتوجه إلى السلوك له أجر المنزل الذي وصل إليه، أي: المرتبة من الكمال الذي حصل له إن كان، وأجر المقام الذي وقع نظره عليه وقصده. فإنّ ذلك الكمال وإن لم يحصل له بحسب الملك والقدم لكنه اشتاق إليه بحسب القصد والنظر، فعسى أن يؤيده التوفيق بعد ارتفاع الحجب بالوصول إليه ﴿وكان الله غفوراً﴾ يغفر له ما يمنعه عن قصده من الموانع ﴿رَحِيماً﴾ يرحمه، بأن يهب له الكمال الذي توجه إليه ووقع نظره عليه.

[١٠١ ـ ١٠٤] ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ

فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

وإذا سافرتم في أرض الاستعداد بالطريق العلميّ لطلب اليقين ﴿فليس عليكم جُناح أن تقصروا﴾ أي: تنقصوا من الأعمال البدنية وأداء حقوق العبودية من الشكر والحضور، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من أوتي حظه من اليقين فلا يبالي بما انتقص من صلاته وصومه».

﴿إن خفتم أن يَفْتِنكُم﴾ أي: يغويكم ويضلكم ﴿الذينَ كَفَروا﴾ أي: حجبوا من قوىٰ الوهم والتخيل وشياطين الإنس الضالين المضلين لما علم من قوله ﷺ: «لَفَقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد».

[١٠٥ ـ ١٠٨] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿إنّا أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي: علم تفاصيل الصفات وأحكام تجلياتها بالحق ملتبساً بالعدل والصدق أو قائماً بالحق لا بنفسك لتكون حاكماً بين الخلق ﴿بما أراك الله﴾ من عدله ﴿ولا تكن للخائنين﴾ الذين لا يؤدّون أمانة الله التي أودعها عندهم في الأزل بما ركز في استعدادهم من إمكان كمال معرفته وخانوا أنفسهم وغيرهم بنهب حقوقهم وصرفها في غير وجهها ﴿خصيماً﴾ يدفع عنهم العذاب وتسليط الله الخلق عليهم بالإيذاء ويحج عنهم على غيرهم أو على الله بالاعتراض بأنه لم خذلهم وقهرهم فإنهم الظالمون لا حجة لهم بل الحجة عليهم ﴿واستغفر الله﴾ لنفسك بترك الاعتراض والاحتجاج عنهم لنغفر تلوينك الذي ظهر عليك بوجود قلبك وبصفاته ﴿ولا تجادل﴾ ظهر تأويله من هذا ﴿يستخفون من الناس﴾ بكتمان رذائلهم وصفات نفوسهم التي هي معايبهم عنهم ﴿ولا يستخفون من الله﴾ بإزالتها وقلعها وهو شاهدهم يعلم بواطنهم ﴿إذ يبيتون﴾ أي: يقدّرون في عالم ظلمة النفس والطبيعة ﴿ما لا يرضىٰ من القول﴾ من الوهميات والتخيلات الفاسدة التي يلفقونها في تحصيل أغراضهم من حطام الدنيا ولذاتها ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ يجازيهم بحسب صفاتهم وأعمالهم.

[١٠٩ ـ ١١١] ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾

﴿ها أنتم هؤلاء﴾ ظاهر مما مرّ ﴿ومن يعمل سوءاً﴾ بظهور صفة من صفات نفسه ﴿أو يظلم نفسه﴾ بنقص شيء من كمالاته التي هي مقتضى استعداده بتقصير فيه وارتكاب عمل

ينافيه ثم يطلب من الله ستر تلك الصفة والهيئة الساترة لكماله بالتوجه إليه والتنصل عن الذنب ﴿يجد الله غفوراً﴾ يستر ذلك السوء والهيئة المظلمة بنور صفته ﴿رحيماً﴾ يهب ما يقتضيه استعداده.

[١١٢] ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿ومن يكسب خطيئة﴾ بظهور نفسه ﴿أو إثماً﴾ يمحو ما في استعداده وكسب هيئة منافية لكماله ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ بأن قال: حملني على ذلك فلان، ومنعني عن طلب الحق فلان، وهذا جريمة فلان، كما هو عادة المتعللين بالأعذار ﴿فقد آحتمل بهتاناً﴾ بنسبة فعله إلى الغير إذ لو لم يكن في نفسه ميل لما يضادّ كماله ومناسبة لمن وافقه وإطاعة لما قبل ذلك منه، فما كان إلا من قبل نفسه كما قال لهم الشيطان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾[1] إذ لو لم يكن في نفوسهم ظلمة بكسبها وظهور صفاتهم لم يكن فيهم محل لوسوسته وقابلية لدعوته ﴿وإثماً مبيناً﴾ ظاهراً متضاعفاً لتركبه من هيئة الخطيئة والامتناع من الاعتراف، ونسبة التقصير إلى أنفسهم لتنكسر فتضعف عن الاستيلاء على القلب وحجبه عن الكمال.

[١١٣ ـ ١٢٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ولولا فضل الله عليك﴾ أي: توفيقه وإمداده لسلوك طريقه بما يخرج كمالك إلى الفعل ويبرز ما فيك كامناً من العلم ﴿ورحمته﴾ هبته لذلك الكمال المطلق الذي أودعه فيك في الأزل وهي الرحمة التي ليس وراءها رحمة ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ لكون الضلال ناشئاً من أصل استعدادهم لكونهم مجبولين على الشقاوة أزلاً فكيف يرجع ذلك الضلال المعجون فيهم إلى غيرهم.

﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾ أي: العلم التفصيلي التامّ بعد الوجود الموهوب ﴿والحِكْمَة﴾ وعلم أحكام التفاصيل وتجليات الصفات مع العمل به ﴿وعلّمك ما لم تَكُن تَعْلم﴾ لأنه علم الله لا يعلمه إلا هو، فلما كشف لك عن ذاته بفنائك فيه ثم أبقاك بالوجود الحقانيّ فصار قلبك وحجبك بحجاب ذلك القلب علمك علمه، إذ الصفة تابعة للذات ﴿وكان فضل الله﴾ في إظهار هذا الكمال عليك بالتوفيق للعمل الذي أوصلك إلى ما أوصلك ﴿عظيماً * لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهم﴾ فإنها فضول، والفضول يجب تركها على السالك كما قال عليه الصلاة والسلام: «من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

﴿إلا من أمر﴾ أي: إلا نجوى من أمر ﴿بصدقة﴾ أي: بفضيلة السخاء التي هي من باب العفة ﴿أو معروف﴾ قوليّ كتعليم علم وحكمة من باب فضيلة الحكمة، أو فعليّ كإغاثة ملهوف وإعانة مظلوم من باب الشجاعة ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ من باب العدالة ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: يجمع بين الكمالات المذكورة ﴿ابْتِغاء مرضَاتِ الله﴾ لا لطلب المحمدة أو الرياء والسمعة، فتصير به الفضيلة رذيلة ﴿فسوف نُؤتيه أجْراً عَظِيماً﴾ من جنات الصفات.

﴿إنْ يدعون من دونه إلا إناثاً﴾ أي: نفوساً، إذ كل من يشرك بالله فهو عابد لنفسه بطاعة هواها، وعابد لشيطان الوهم بقبول إغوائه وطاعته، أو كل ما يعبد من دون الله لأنه ممكن وكل ممكن فهو متأثر عن الغير قابل لتأثيره محتاج إليه وهي صفة الإناث ﴿نصيباً مفروضاً﴾ أي: غير المخلصين الذين أخلصوا دينهم بالتوحيد ﴿ولآمرنهُم﴾ بالعادات الفاسدة والأهواء المردية والأفعال الشنيعة المخالفة للعقل والشرع ﴿والذين آمنوا﴾ الإيمان الحقيقيّ التوحيد، لأنهم في مقابلة المشركين ﴿وعملوا﴾ ما يصلح لهم في الوصول إلى الجمع أو يصلح للناس أجمعين بالاستقامة في الله وبالله بعد الفناء وحصول البقاء ﴿سندخلهم﴾ الجنات الثلاثة المذكورة ﴿ليس﴾ حصول الموعود ﴿بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب﴾ أي: ما بقيتم مع نفوسكم وصفاتها وأفعالها، فإرادتكم مجرّد تمنٍ والتمني طلب ما يمتنع وجوده في العادة.

[١٢٥ ـ ١٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾﴾

﴿ومن أحسن ديناً﴾ أي طريقاً ﴿ممن أسلم وجهه﴾ أي: وجوده ﴿لله﴾ وأخلص ذاته من شوب الآنية والإثنينية بالفناء المحض ﴿وهو محسن﴾ مشاهد للجمع في عين التفصيل، مراع لحقوق تجليات الصفات وأحكامها، سالك طريق الإحسان بالاستقامة في الأعمال ﴿واتبع مِلّةَ إبراهيم﴾ في التوحيد ﴿حَنيفاً﴾ مائلاً عن كلّ شرك في ذاته وصفاته وأفعاله، وعن كلّ دين باطل، أي: طريق يؤدّي إلى إثبات فعل لغيره أو صفة أو ذات، إذ دينه دين الحق، أعني: سيره حينئذ سير إلى الله لا سير في الله بسلوك طريق الصفات، ولا إلى الله بقطع صفات النفس ومناهل صفات القلب، فلا دين أحسن من دينه.

﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ يخاله، أي: يداخله في خلال ذاته وصفاته بحيث لا يذر منها بقية، أو يسدّ خلله ويقوم بدل ما يفنى منه عند تكميله وفقره إليه. فالخليل وإن كان أعلى مرتبة من الصفي، لكنه أدون من الحبيب، لأن الخليل محبّ يوشك أن يتوهم فيه بقية غيرية، والحبيب محبوب لا يتصوّر فيه ذلك. ولهذا ألقي في نار العشق دونه.

[١٣٤ ـ ١٣٦] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ بالوقوف مع هوى النفس فما له يطلب أخسّ الأشياء ويقف في أدنئ المراتب **﴿فعند الله ثواب﴾** الدارين جميعاً، بالفناء فيه لأنه الوجود المحيط بالكلّ فلا يفوته شيء **﴿وكان الله سميعاً﴾** بأحاديث نفوسكم **﴿بصيراً﴾** بنياتكم وإرادتكم بأعمالكم **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** بالتوحيد العلميّ وإرادة ثواب الدارين **﴿كونُوا﴾** ثابتين في مقام العدالة التي هي أشرف الفضائل **﴿قوامين﴾** بحقوقها بحيث تكون ملكة راسخة فيكم لا يمكن معها صدور جور وميل منكم في شيء، ولا ظهور صفة نفس لاتباع هوى في جذب نفع دنيوي أو دفع مضرّة. **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** بالإيمان التقليديّ **﴿آمِنُوا﴾** بالإيمان التحقيقيّ أو آمنوا بالإيمان العلمي، أو آمنوا بالإيمان العينيّ.

[١٣٧ ـ ١٣٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا ثم كفرُوا﴾ إلى آخره، أي: تحيروا وترددوا بين جهتي الربوبية العلوية والسفلية لشدّة النفاق وغلبة نور الفطرة تارة واستيلاء ظلمة النفس والهوى أخرى، لاستواء الحالتين فيهم حتى استحكمت الهيئات المظلمة وازدادت الحجب ورسخت العقائد الفاسدة والملكات الكاسدة باستيلاء صفات النفس واستعلائها مطلقاً فرانت على قلوبهم **﴿ما كان الله ليغفر لهم﴾** لمكان الرين الحاجب وفساد جوهر القلب وزوال الاستعداد **﴿ولا ليهديهم سَبيلاً﴾** إلى الحق ولا إلى الكمال ولا إلى الفطرة الأصلية لعدم قبولهم الهداية وصرف عذابهم بالإيلام لمكان استعدادهم في الأصل.

[١٣٩ ـ ١٤٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ

ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾

﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء﴾ لمناسبتهم إياهم في الاحتجاب ﴿من دون المُؤمنين﴾ لعدم الجنسية ﴿أيبتَغون﴾ التعزز بهم في الدنيا والتقوّي بمالهم وجاههم فلا سبيل إلى ذلك، وهم قد أخطأوا لأن العزة كلها صفة من صفات الله تعالى منيع القوى والقدر، له قوة القهر والغلبة للكل فبقدر القرب منه وقبول نوره وقوّته والاتصاف بصفاته تحصل العزة فهي بأهل الإيمان أولى وأهل الحجاب والكفر بالزلة أولى/﴿قاموا كسالىٰ﴾ لعدم شوقهم إلى الحضور ونفورهم عنه لظلمة استعدادهم باستيلاء الهوى/﴿لا تتخذوا الكافِرين أولياء﴾ لئلا يتعدّى إليكم كفرهم واحتجابهم بالصحبة والمخالطة فإنه لا شيء أقوى تأثيراً من الصحبة والميل إلى ولايتهم لا يخلو عن جنسية بينهم لوجود هوى كامن فيهم وضراوة بعادة رديئة تشملهم لا يؤمن عليهم الوقوع في الكفر بغلبة الهوى والنفس.

﴿سُلطاناً مُبيناً﴾ حجة ظاهرة في عقابكم برسوخ الهيئة التي بها تميلون إلى ولايتهم بصحبتهم ومجالستهم ﴿في الدرْك الأسفل﴾ باعتبار زيادة عذابه وشدّة إيلامه وإحراقه لا باعتبار كونه أدون مرتبة، إذ تأثير النار في المنافق أشدّ وأكثر إيلاماً لبقية استعداد فيه. وأمّا الكافر الأصلي البهيم فلعدم استعداده لا يتألم بعذابه كما يتألم المنافق وإن كان أسوأ حالاً منه وأعظم عذاباً وهواناً ﴿نصِيراً﴾ ينصرهم من عذاب الله لانقطاع وصلتهم وارتفاع محبّتهم مع أهل الله ﴿إلا الذين تَابوا﴾ رجعوا إلى الله ببقية نور الاستعداد وقبول مدد التوفيق ﴿وأصْلَحوا﴾ ما أفسدوا من استعدادهم بقمع الهوى وكسر صفات النفس ورفع حجب القوى بالزهد والرياضة ﴿واْعتَصَموا بالله﴾ بالتمسك بحبل الإرادة وقوة العزيمة في التوجه إليه ﴿وأخلَصوا دِينهم لله﴾ بإفناء موانع السلوك من صفات النفس وإزالة خفاء الشرك وقطع النظر عن الغير في السير ﴿فأولٰئك مع المؤمنين﴾ الموقنين ﴿أجْراً عظيماً﴾ من مشاهدة تجليات الصفات وجنة الأفعال.

[١٥٠ ـ ١٥٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا

مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾

﴿إنّ الذين يكفرون﴾ يحتجبون عن الحق والدين وعن الجمع والتفصيل ﴿ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله﴾ بالاحتجاب عن الدين دون الحق والتفصيل دون الجمع، فينكرون الرسل لتوهمهم وحدة منافية للكثرة وجمعاً مبايناً للتفصيل، وذلك هو إيمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض.

﴿ويريدون أن يتخذوا﴾ بين الإيمان بالكلّ جمعاً وتفصيلاً والكفر بالكلّ طريقاً ﴿أولٰئك هم الكافرون﴾ المحجوبون ﴿حقاً﴾ بذواتهم وصفاتهم فإن معرفتهم وهم وغلط وتوحيدهم زندقة ليسوا من الدين ولا من الحق في شيء ﴿مهيناً﴾ يهينهم بوجود الحجاب وذل النفس وصفاتها ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ جمعاً وتفصيلاً ﴿أجورهم﴾ من الجنات الثلاثة ﴿وكان الله غفوراً﴾ يستر عنهم ذواتهم وصفاتهم التي هي ذنوبهم وحجبهم بذاته وصفاته ﴿رحيماً﴾ يرحمهم بتمتيعهم بالجنات الثلاثة وبالوجود الموهوب الحقانيّ والبقاء السرمدي ﴿كِتاباً من السماء﴾ علماً يقينياً بالمكاشفة من سماء الروح ﴿أكبر من ذٰلك﴾ لأن المشاهدة أكبر وأعلى من المكاشفة ﴿بظلمهم﴾ بطلبهم المشاهدة مع بقاء ذواتهم إذ وجود البقية عند المشاهدة وضع الشيء في غير موضعه وطلب المشاهدة مع البقية طغيان من النفس ينشأ من رؤيتها كمالات الصفات لنفسها وذلك ظلم ﴿سُلطاناً﴾ تسلطاً بالحجة عليهم بعد الإفاقة ﴿بل رفعه الله إليه﴾ إلى قوله ﴿ليؤمنن به﴾ رفع عيسى عليه السلام اتصال روحه عند المفارقة عن العالم السفليّ بالعالم العلوي. وكونه في السماء الرابعة إشارة إلى أن مصدر فيضان روحه روحانية تلك الشمس الذي هو بمثابة قلب العالم ومرجعه إليه وتلك الروحانية نور يحرّك ذلك الفلك بمعشوقيته وإشراق أشعته على نفسه المباشرة لتحريكه ولما كان مرجعه إلى مقرّه الأصليّ ولم يصل إلى الكمال الحقيقيّ وجب نزوله في آخر الزمان، بتعلّقه ببدن آخر وحينئذ يعرفه كل أحد فيؤمن به أهل الكتاب، أي: أهل العلم العارفين بالمبدأ والمعاد كلهم عن آخرهم قبل موت عيسى بالفناء في الله، وإذ آمنوا به يكون يوم القيامة أي يوم بروزهم عن الحجب الجسمانية وقيامهم عن حال غفلتهم ونومهم الذي هم عليه الآن ﴿شهيداً﴾ شاهدهم يتجلى عليهم الحق في صورته كما أشير إليه.

[١٥٩ - ١٦١] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)﴾

﴿فبظلم﴾ عظيم ﴿من الذين هادوا﴾ أي: بعباداتهم عجل النفس واتخاذه إلهاً وامتناعهم عن دخول القرية التي هي حضرة الروح واعتدائهم في السبت بمخالفة الشرع والاحتجاب عن كشف توحيد الأفعال ونقضهم ميثاق الله واحتجابهم عن تجليات الصفات الذي هو كفرهم بآيات الله والانغماس في الرذائل كلها، كقتل الأنبياء والافتراء على الله بكون قلوبهم غلفاً أي: مغشاة بحجب خلقية لا سبيل إلى رفعها وبهتانهم على مريم، وادعائهم قتل عيسى عليه السلام من الخصال التي اجتماعها ظلم لا يعرف كنهه ﴿حرّمنا عليهم طيبات﴾ جنات النعيم من تجليات الأفعال والصفات وشهود الذات التي هي طيبات لا يعرف كنهها ﴿أُحِلت لهم﴾ بحسب قابلية استعدادهم لولا هذه الموانع ﴿وبصدهم﴾ الناس بصحبتهم ومرافقتهم ودعوتهم إلى الضلال أو بصدّ قواهم الروحانية ﴿عن سبيل الله وأخذهم﴾ ربا فضول العلوم كالخلاف والجدل واللذات البدنية والحظوظ التي نهوا عنها ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ برذيل الحرص والطبع كأخذ الرشا وأجر التزويرات والتلبيسات أو استعمال علوم القوى الروحانية بين الفكر والعقل النظريّ والعلميّ في تحصيل المآكل والمشارب وكسب الحطام، وتحصيل اللذات والشهوات الحسيّة والمآرب السبعية والبهيمية عذاباً مؤلماً لوجود استعدادهم.

[١٦٢ - ١٦٤] ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾

﴿لٰكن الراسِخون في العِلم﴾ أي: المحققون ﴿منهم والمؤمنون﴾ بالإيمان التقليدي المطابق الثابت ﴿يؤمنون بما أُنزل إليك﴾ إلى آخره، أي: يتصفون بالتزكية والتحلية ﴿والمُؤمِنون﴾ الموحدون بالتوحيد العيانيّ ﴿واليوم الآخر﴾ المعاينون لأحوال المعاد على ما هو عليه ﴿أجراً عظِيماً﴾ من حظوظ تجليات الصفات وجناتها.

[١٦٥ - ١٧٠] ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾

﴿رُسُلاً مبشرين﴾ بتجليات صفات اللطف ﴿ومُنذرين﴾ بتجليات صفات القهر ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ ظهور وسلطنة بوجود صفة ما بعد رفعها ومحوها بإمداد الرسل ﴿وكانَ الله عزيزاً﴾ قوياً يقهرهم بمحو صفاتهم وإفناء ذواتهم ﴿حكيماً﴾ لا يفعل ذلك إلا بحكمة اتصافهم بصفاته أو بقائهم بذاته.٪ ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ لكونك في مقام الجمع وهم محجوبون لا يقرّون به بل هو يشهد ﴿أنزَله بِعِلمه﴾ ملتبساً بعلمه، أي: في حالة كونه عالماً به بحيث أنه علمه الخاص لا علمك ولا علم غيرك من غيره.

﴿والملائكَة يَشهدون﴾ لكونك مراعياً للتفصيل في غير الجمع فهو الشاهد بذاته وبأسمائه وصفاته ﴿وكفىٰ بالله شهيداً﴾ أي: الذات مع الصفات تكفي في الشهادة إذ لا موجود غيره ﴿كفروا﴾ حجبوا عن الحق لكون ضلالهم ﴿بعيداً * إنّ الذين كفَروا﴾ حجبوا عن الدين ﴿وظَلَموا﴾ منعوا استعداداتهم عن حقوقها من الكمال بارتكاب الرذائل وتسليط صفات النفس على قلوبهم ﴿لم يكُن الله ليَغفِر لهم﴾ لرسوخ هيئات الرذائل فيهم وبطلان الاستعداد ﴿ولا ليهديهم طريقاً﴾ لجهلهم المركب واعتقادهم الفاسد وعدم علمهم بطريق ما من طرق الكمال ﴿إلا طريق جهنم﴾ نيران أشواق نفوسهم إلى ملاذها مع حرمانهم عنها ﴿وكان ذٰلك﴾ سهلاً على الله لانجذابهم إليها بالطبيعة.

[١٧١] ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

﴿يا أهل الكتاب لا تَغلوا في دِينكم﴾ أما اليهود فبالتعمق في الظاهر ونفي البواطن وحط عيسى عن درجة النبوّة ومقام الاتصاف بصفات الربوبية. وأما النصارى فبالتعمق في البواطن ونفي الظواهر ورفع عيسى إلى مقام الألوهية ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحقّ﴾ بالجمع بين الظواهر والبواطن والجمع والتفصيل كما هو عليه التوحيد المحمديّ، والقول: بكون عيسى مظهر الصفات الإلٰهية، حيا بحياته داعياً إلى مقام توحيد الأوصاف ﴿كلِمَة﴾ نفساً مجرّدة هي كلمة من كلمات الله، أي: حقيقة من حقائقه الروحانية وروحاً من أرواح ﴿فآمنوا بالله ورُسله﴾

بالجمع والتفصيل **﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾** بزيادة الحياة والعلم على الذات، فيكون الإله ثلاثة أشياء ويكون عيسى جزء من حياته بالنفخ أو بالتفرقة بين ذات الحق وعالم النور وعالم الظلمة، فيكون عيسى متولداً من نوره. بل قولوا بالكل من حيث هو كلّ فيكون العلم والحياة عين الذات وكذا عالم النور والظلمة. ويكون عيسى فانياً فيه موجوداً بوجوده، حيّاً بحياته، عالماً بعلمه، وذلك وحدته الذاتية المعبر عنها بقوله **﴿إنما الله إِلَهٌ واحدٌ سُبْحانه﴾** نزّهه عن أن يكون موجود غيره، فيتولّد منه وينفصل ويجانسه بأنه موجود مثله، بل هو الموجود من حيث هو وجود.

﴿له ما في السمٰوات﴾ الأرواح **﴿والأرض﴾** الأجساد بكونها أسماءه وظاهره وباطنه **﴿وكِيلاً﴾** يقوم مقام الخلق في أفعالهم وصفاتهم وذواتهم عند فنائهم في التوحيد، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «لا إله إلاّ الله بعد فناء الخلق».

[١٧٢] ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ في مقام التفصيل، إذ باعتبار الجمع لا وجود للمسيح ولا لغيره فلا ممكن أصلاً. وأما باعتبار التفصيل فكلّ ما ظهر بتعين فهو ممكن، والممكن لا وجود له بنفسه فضلاً عن شيء غيره فيكون عبداً محتاجاً ذليلاً مفتقراً غير مستنكف عن ذلّة العبودية وإن كان غنياً عن تعلق الأجسام بالتجرّد المحض والتقدّس عن دنس الطبائع كالملائكة المقرّبين الذين هم الأرواح المجرّدة والأنوار المحضة **﴿ومن يَسْتَنْكف عن عبادته﴾** بظهور أنيته **﴿ويستكبر﴾** بطغيانه في الظهور بصفاته **﴿فسيحشرهم إليه جميعاً﴾** بظهور نور وجهه وتجليه بصفة قاهريته حتى يفنوا بالكلية في عين الجمع، كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[١]، وقال النبي ﷺ: «إنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

[١٧٣ ـ ١٧٤] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾

﴿فأما الذين آمنوا﴾ بالفناء في عين الجمع بمحو الصفات وطمس الذات **﴿وعملوا الصالحات﴾** بالاستقامة في الأعمال ومراعاة تفاصيل الصفات وتجلياتها **﴿فيُوفيهم أُجورهم﴾**

(١) سورة غافر، الآية: ٩.

وصفاتهم من جنات صفاته ﴿ويزيدهم من فَضْله﴾ بالوجود الموهوب بعد الفناء في الذات ﴿وأما الذين ٱستَنْكفوا﴾ بظهور أنيتهم ﴿وٱستَكبَروا﴾ طغوا عند تجليات الصفات وتنوّرهم بنورها، فظهروا بها ونسبوها إلى أنفسهم كمن قال: أنا ربّكم الأعلىٰ.

﴿فيُعذبهم عَذاباً أليماً﴾ باحتجابهم ببقايا ذواتهم وصفاتهم وحرمانهم عن مقام الجمع ﴿ولا يجدون﴾ غير الله ﴿وليّاً﴾ يواليهم برفع حجاب الذات ﴿ولا نَصِيراً﴾ ينصرهم في رفع حجاب الصفات البرهاني وهو التوحيد الذاتي والنور المبين وهو التفصيل في عين الجمع، أي: القرآن الذي هو علم الجمع والفرقان الذي هو علم التفصيل.

[١٧٥ ـ ١٧٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿فأمّا الذين آمَنُوا﴾ بالتوحيد الذاتي واعتصموا به أي: في كثرة الصفات وتفرّقها وراعوا الجمع في التفاصيل ﴿فَسَيدخلهم في رَحْمة﴾ من جنات الصفات التي لا يعرف كنهها ﴿وفَضل﴾ من جنات الذات ﴿ويَهديهم إليه صِرَاطاً مُستقيماً﴾ بالاستقامة إلى الوحدة في تفاصيل الكثرة أو رحمة من جنات الأفعال وفضل من جنات الصفات، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً من تفاصيل الصفات إلى الفناء في الذات، والأولى أولى بهذا المقام، ولك التطبيق على تفاصيل وجودك وأحوالك في نفسك حيث أمكن من هذه السورة على القاعدة التي مرّت في سورة (آل عمران) والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة المائدة﴾

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالإيمان العلمي ﴿أوفوا بالعُقُود﴾ أي: العزائم التي أحكمتموها في السلوك. والفرق بين العهد والعقد هٰهنا: إنّ العهد هو إيداع التوحيد فيهم في الأزل كما مرّ، والعقد هو إحكام عزائم التكليف عليهم ليتأدّى بهم إلى الإيفاء بما عاهدوا عليه. فالعهد سابق والعقد لاحق، فكل عزيمة على أمر يوجب إخراج ما في الاستعداد بالقوة إلى الفعل عقد بينه وبين الله يجب الوفاء به والامتناع عن نقضه بفتور أو تقصير ﴿أحلّت لكم﴾ جميع أنواع التمتعات والحظوظ بالنفوس السليمة التي لا تغلب عليها السبعية والشره، كالنفوس التي هي على طباع الأنعام الثلاثة ﴿إلاّ ما يُتلىٰ عليكم﴾ من التمتعات المنافية للفضيلة والعدالة فإنها منهيّ عنها لحجبها عن الكمال الشخصي والنوعي ﴿غير مُحِلي الصيد وأنتم حُرُمٌ﴾ أي: لا متمتعين بالحظوظ في تجريدكم للسلوك وشروعكم في الرياضة عند السير إلى الله لطلب الوصول فإنه يجب حينئذ الاقتصار على الحقوق، إذ الإحرام في الظاهر صورة الإحرام الحقيقي للسالكين في طريق كعبة الوصال، والقاصدين لدخول الحرم الإلٰهيّ وسرداقات صفات الجلال والكمال ﴿إنّ الله يحكُم ما يُريد﴾ على من يريده من أوليائه.

[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾

﴿لا تُحِلوا شَعَائِرَ الله﴾ من المقامات والأحوال التي يعلم بها حال السالك في سلوكه كالصبر والشكر والتوكل والرضا وأمثالها، أي: لا ترتكبوا ذنوب الأحوال ولا تخرجوا عن حكم المقامات فإنها شعائر دين الله الخالص. وكما أن المواضع المعلومة المعلمة بما يفعل فيها كالمطاف والمسعىٰ والمنحر وغيرها والأفعال المعلومة في الحجّ شعائر يشعر بها الحاج. فهذه المقامات والمراتب والأحوال شعائر يشعر بها حال السالك وكما أنه لا يجوز في ظاهر الشرع تغييرها عن موضعها والخروج عن حكمها فكذلك هذه في شرع المحبين كما يحكىٰ

عن أحدهم إنه كان يتكلم في الصبر فدبّ عقرب على ساقه وأخذت تضربه وهو على حاله لا ينحيها فسئل عنه فقال: أستحي من أن أتكلم في مقام وأنا أفعل ما ينافيه ﴿ولا الشهر الحرام﴾ أي: وقت الإحرام بالحج الحقيقي وهو وقت السلوك والوصول بالخروج عن حكمه والاشتغال بما ينافيه ويصده عن وجهته ويثبطه في سيره ﴿ولا الهدي﴾ ولا النفس المستعدّة المعدة للقربان عند الوصول إلى فناء الحضرة الإلٰهية على ما أُشير إليه باستعمالها في شغل يصرفها عن طريقها أو يضعفها أو حمل فوق طاقتها من الرياضة، فينقطع دون البلوغ إلى المحل ﴿ولا القَلائِد﴾ ولا ما قلدته النفس من شعار أهل السلوك والسنن والأعمال الظاهرة بتركها وتغييرها عن وضعها ﴿ولا آمّينَ البَيْت الحرام﴾ ولا القاصدين المجدّين في السلوك المجتهدين بتغيرهم ومنعهم عن الرياضة وإيهان عزائمهم بالمخالطة وتقليل السعي وإيهامهم أنه لا حاجة بهم إليه وشغلهم بما يصدّهم أو يكسلهم ﴿يَبْتَغون فَضْلاً من ربهم﴾ بتجلّيات الأفعال ﴿ورضْوَاناً﴾ بتجليات الصفات.

﴿وإذا حللتُم﴾ بالرجوع إلى البقاء بعد الفناء والاستقامة ﴿فاصطادوا﴾ أي: فلا حرج عليكم في الحظوظ بل ربما كان تمتيع النفس بالحظوظ إعانة لها في مشاهداتها ومكاشفاتها لشرفها وذكائها وشدّة صفائها ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ إلى آخره، أي: لا يكسبنكم بعض القوى النفسانية المانعة عن سلوككم أن تقهروها بالكلية بمنعها عن الحقوق التي تقوم بها فتبطلوها أو تضعفوها عن منافعها وما يحتاج إليه من أفعالها بسبب صدّها إياكم، فإنّ وبال ذلك عائد إليكم. أو عداوة قوم من أهليكم وأقاربكم وأصدقائكم بسبب منعهم إياكم عن التجريد والرياضة في السلوك ﴿أن تعتدوا﴾ عليهم بإضرارهم ومقتهم وإرادة الشرّ بهم فإنه أضرّ بكم في السلوك من منعهم إياكم ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوىٰ﴾ بتدبير تلك القوىٰ وسياستها بالإحسان إليها بحقوقها ومنعها من حظوظها أو بمراعاة الأهلين والأقارب والأصدقاء بمواساتهم والإحسان إليهم، والمعروف في حقّهم مع مخالفتهم إلى ما يمنعكم عنه والاجتناب عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(١)، ﴿واتّقوا الله﴾ واجعلوه وقاية لكم في هذه الأمور واحذروه في خلافها ﴿إنّ الله شديد العقاب﴾ يعاقبكم بالصدّ والحرمان.

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

﴿حُرِمَت عليكم الميتة﴾ هذه هي الأمور المستثناة من أنواع التمتعات المحلّلة، وهي الميتة أي: خمود الشهوة التي هي رذيلة التفريط المنافية للعفة كالخنوثة والعجز عن الإقدام على القدر الضروري من التمتعات والتمتع بفقدان اعتدال القوة الشهوانية على ما يفعله الخناثیٰ وبعض المغزلين والمتقشفين والمتزهدين بالطبع، القاصرين عن السلوك لنقصان الاستعدادات ﴿والدم﴾ أي: التمتع بهوىٰ النفس في الأعمال فإن مزج الهوىٰ وشوبه يفسد الأعمال كلها ﴿ولحَمُ الخنزِير﴾ ووجوه التمتعات الحاصلة بالحرص والشره، فإن قوّة الحرص أخبث القوىٰ وأسدّها لطرق الكمال والنجاة ﴿وما أُهِل لِغَيْرِ الله بِهِ﴾ أي: الرياضات والأعمال بالرياء وكل ما يفعل لغير الله. فإن كسر النفس وقمعها ومخالفتها لا يكون فعلاً جميلاً وفضيلة ومعيناً في السلوك إلا إذا كان لله، فأمّا إذا كان لغير الله فهو شرك والشرك أكبر الكبائر ﴿والمُنْخَنِقَة﴾ أي: حبس النفس عن الرذائل ومنعها عن القبائح بحصول صور الفضائل وصدور الأفعال الحسنة صورة مع كمون الهوى فيها. فإنّ الأفعال النفسية إنما تحسن بقمعها وقهرها لله وخروج الهوى الذي هو قوّتها وحياتها عنها وقيامها بإرادة القلب كخروج الدم الذي هو قوّة الحيوان وحياته منه بذبحه لله ﴿والموقوذة﴾ أي: صدور الفضائل في الظاهر عن النفس مع كره منها وإجبار عليها ﴿والمترديّة﴾ التي تتعلق بالتفريط والنقصان والميل إلى الجهة السفلية وانحطاط النفس عن الهمم العلية والدرجة القوية ﴿والنطيحة﴾ التي تصدر عن خوف وقهر من مثله كالعفاف الحاصل بواسطة زجر المحتسب وخوف الفضيحة ﴿وما أكل السبع﴾ كفضائل العفة التي تحصل لشدة القوّة الغضبية من الإنفة والحمية واستيلاء الغضب، فإنّ الغضب إذا استولى منع الشدّة عن فعلها أو لقهر من قهار كالملك والأمير ﴿إلا ما ذكيتم﴾ إلا ما قرنت واعتادت وانقادت لكم بعد قهر من غير، فكانت تصدر عنها الفضائل بإرادة قلبية من غير مزج الهوى.

﴿وما ذُبِح على النصب﴾ ما يفعل بناء على العادات التي يجب رفعها إلا لغرض عقلي أو شرعي ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ وأن تطلبوا السعادات والكمالات بالرسوم والطوالع اتكالاً على ما قضىٰ الله وقدّر وتتركوا السعي والجدّ في الطلب، وتجعلوا ذلك علّة للتقصير بأن تقولوا: ليس لنا نصيب فيها، ولو كان لنا نصيب لحصل. فإنه ربما كان مجرّد تعليل وقد علق في القدر كماله بسعيه، فإنه لم يطلع على ذلك ﴿ذٰلِكُم فِسْق﴾ خروج عن الدين الذي هو طريق الحقّ ﴿اليوم﴾ أي: وقت حصول الكمال بتمرّن النفس بالفضائل، وتثبتها في العزائم

﴿يَئِسَ الذين كَفَروا﴾ أي: حجبوا من قوى نفوسكم أو من أبناء جنسكم وأهل جِلْدَتكم من الطبيعيين والمتزندقين ﴿من دينكم﴾ أي: من أن يصدّوكم عن طريق الحق ﴿فلا تَخْشوهم﴾ فإنهم يستولون عليكم بعد ذلك ﴿واْخشوني﴾ بأن لا تقفوا عند تجلي صفة من صفاتي وتَهَيّبوا عظمة ذاتي حتى تصلوا إلى مقام الفناء.

﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ببيان الشعائر وكيفية السلوك ﴿وأتممتُ عليكم نِعْمَتي﴾ بالهداية إليّ ﴿ورَضِيت لكم﴾ الاستسلام والانقياد بالانمحاء عند تجليات الأفعال والصفات أو إسلام الوجه للفناء عند تجلي الذات ﴿دِيناً فمن اْضطرّ﴾ إلى أمر من هذه الأمور المحرّمة التي عددناها ﴿في مَخْمصة﴾ في هيجان شديد من النفس وغلبة لظهور صفة من صفاتها ﴿غير متجانف لإثم﴾ غير منحرف عن الدين والوجهة إلى رذيلة مانعة لقصد منه وعزيمة ﴿فإنَ الله غَفُور﴾ يسترّ ذلك عنه بنور صفة من صفاته تقابلها ﴿رحِيم﴾ يرحم بِمداد التوفيق لإظهار الكمال ورفع موانعه.

[٤ ـ ٥] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿قُلْ أُحِل لكم الطيبات﴾ من الحقائق والمعارف الحقيّة والفضائل العلمية التي تحصل لكم بعقولكم وقلوبكم وأرواحكم ﴿وما علمتم﴾ من جوارح حواسكم الظاهرة والباطنة وسائر قواكم وآلاتكم البدنية في اكتساب الفضائل والآداب، محرّضين ﴿تعلمونهنّ مما علّمكم الله﴾ من علوم الأخلاق والشرائع التي تبين طريق الاحتظاء من الحظوظ على وجه العدالة ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ مما حصلن لكم بتعليمكم على ما ينبغي بنيّة وإرادة قلبية وغرض صحيح يؤدي إلى كمال الشخص أو النوع لا يهجن وينبن وينزنّ عليه بميلهنّ وحرصهنّ لطلب لذتهنّ وشهوتهنّ ﴿واذكروا اْسْمَ الله عليه﴾ وأحضروا بقلوبكم أنها للصورة الإنسانية الكاملة تُقْصد وتُراد، لا لغرض آخر. واجعلوا الله وقاية لكم في فعلها حتى تكون حسنة ﴿إن الله سريع الحِساب﴾ يحاسبكم بها في آن لا في أزمنة، كحصول هيآت في أنفسكم عند ارتكابها.

[٦ ـ ٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا

فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الإيمان العلمي ﴿إذا قُمتُم إلىٰ الصلاة﴾ انبعثتم عن نوم الغفلة وقصدتم إلى صلاة الحضور والمناجاة الحقيقية والتوجه إلى الحقّ ﴿فاْغسِلوا وجُوهكم﴾ أي: طهروا وجود قلوبكم بماء العلم النافع الطاهر المُطَهر من علم الشرائع والأخلاق والمعاملات التي تتعلق بإزالة الموانع عن لوث صفات النفس ﴿وأيديكم﴾ أي: وقدركم عن دنس تناول الشهوات والتصرفات في موادّ الرجس ﴿إلىٰ المَرَافِق﴾ إلى قدر الحقوق والمنافع ﴿وامْسَحوا برؤوسكم﴾ بجهات أرواحكم عن قتام كدورة القلب وغبار تغيره بالتوجه إلى العالم السفلي ومحبة الدنيا بنور الهدى. فإنّ الروح لا يتكدر بالتعلق، بل يحتجب نوره عن القلب فيسودّ القلب ويظلم ويكفي في انتشار نوره صقل الوجه العالي من القلب الذي إليه، فإن القلب ذو وجهين أحدهما: إلى الروح والرأس هٰهنا إشارة إليه. والثاني: إلى النفس وقواها، فأحرى بالرجل أن تكون إشارة إليه ﴿وأرجلكم﴾ وجهات قواكم الطبيعية البدنية بنفض غبار الانهماك في الشهوات والإفراط في اللذّات ﴿إلىٰ الكَعْبين﴾ إلى حدّ الاعتدال الذي يقوم به البدن. فعلى هذا من انهمك في الشهوات وأفرط في اللذّات احتاج إلى غسلها بماء علم الأخلاق وعلم الرياضات حتى ترجع إلى الصفاء الذي يستعدّ به القلب للحضور والمناجاة، ومن قَرُب حوضه فيها من الاعتدال كفاه المسح ولهذا مسح من مسح وغسل من غسل ﴿وإن كنتم جُنباً﴾ بُعَدَاء عن الحق بالانجذاب إلى الجهة السفلية والإعراض عن الجهة العلوية والميل الكلي إلى النفس ﴿فاطهروا﴾ بكليتكم عن تلك الهيئة المظلمة والصفة الخبيثة الموجبة للبُعد والاحتجاب.

﴿وإن كنتم مرضىٰ﴾ إلى آخره مكرر، ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ من ضيق ومشقّة بكثرة المجاهدات والمكابدات ﴿ولكن يريد﴾ أن يطهركم من الهيآت المظلمة والصفات الخبيثة ﴿وليتمّ نعمته عليكم﴾ بالتكميل ﴿ولعلكم تَشكُرون﴾ نعمة الكمال بالاستقامة والقيام بحق العدالة عند البقاء بعد الفناء ﴿نِعمة الله عليكم﴾ بالهداية إلى طريق الوصول ﴿وميثاقه﴾ أي: عقود عزائمه المذكورة إذ قبلتموها من معدن النبوّة بصفاء الفطرة ﴿هو أقرب للتقوىٰ﴾ أي: العقل أقرب للتجرّد عن ملابس صفات النفس واتخاذ صفات الله تعالى وقاية لأنه أشرف

الفضائل الذي إذا حصل تبعه الجميع ﴿واتّقوا الله﴾ واجعلوه وقاية لكم في صدور العدل منكم فإن منبع الكمالات والفضائل ذاته تعالى ﴿إنّ الله خبير بما تعملون﴾ أنه من صفات نفوسكم أو منه.

[٩ ـ ١١] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وعَدَ الله الذين آمنوا﴾ منكم بالتوحيد العلمي ﴿وعَمِلوا الصالحات﴾ التي توصلهم إلى التوحيد العيني وتعدّهم لذلك ﴿لهم مغفرة﴾ من صفاتهم ﴿وأجر عظيم﴾ من تجليات صفاته تعالى. ﴿إذ همّ قوم﴾ من قوى نفوسكم المحجوبة وصفاتها ﴿أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ بالاستيلاء والقهر والاستعلاء لتحصيل مآربها وملاذها فمنعها عنكم بما أراكم من طريق التطهير والتنزيه ﴿واتّقوا الله﴾ واجعلوه وقاية في قهرها ومنعها ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ برؤية الأفعال كلها منه.

[١٢ ـ ١٦] ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿ميثاق بني إسرائيل﴾ هو العهد المذكور والنقباء الإثنا عشر هم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوّة العاقلة النظرية والعاقلة العلمية ﴿وقال الله إني معكم﴾ أي: في العقد اللاحق أوفقكم وأعينكم لئن قمتم بحقوق التزكية والتخلية من الإعراض عن السعادات

البدنية بالعبادة وترك السعادات الخارجية بالزهد، وإيثار الثالثة التي هي الإيمان برسل العقل والإلهامات والأفكار الصائبة والخواطر الصادقة من الروح والقلب، وإمداد الملكوت وتعزيرهم أي: تعظيمهم بتسليطهم على شياطين الوهم وتقويتهم ومنعهم وساوسها وإلقاء الوهميات والخياليات والخواطر النفسانية **﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾** بالبراءة من الحول والقوة والعلم والقدرة إلى الله بالجملة من الأفعال والصفات كلها ثم من الذات بالمحو والفناء وإسلامها إلى الله **﴿لأكفرنّ عنكم سيئاتكم﴾** أي: وجودات هذه الثلاث التي هي حجبكم وموانعكم عنكم **﴿ولأدخلنكم جنات﴾** من أفعالي وصفاتي وذاتي **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** علوم التوكل والرضا والتسليم والتوحيد. وبالجملة علوم تجليات الأفعال والصفات والذات، فمن احتجب بعد ذلك العهد وبعث النقباء منكم **﴿فقد ضلّ﴾** السبيل المستقيم بالحقيقة.

﴿قاسية﴾ قست باستيلاء صفات النفس عليها وميلها إلى الأمور الأرضية الجاسية الصلبية فحجبت عن أنوار الملكوت والجبروت التي هي كلمات الله واستبدلوا قوى نفوسهم بها، واستعملوا وهمياتهم وخيالياتهم بدل معارفها وحقائقها من المعاني المعقولية أو خلطوها بها، وذلك هو تحريف الكلم عن مواضعه. **﴿ونسوا حظاً﴾** أي: نصيباً وافراً مما أوتوه في العهد السابق من الكمالات الكامنة في استعدادهم بالقوة، فذكروا به في العهد اللاحق **﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم﴾** أي: على نقض عهد ومنع أمانة لاستيلاء صفات النفس والشيطان عليهم وقساوة قلوبهم **﴿المحسنين﴾** الذين يشاهدون ابتلاء الله إياهم فلا يقابلونهم بالعقاب فيستعملون معهم الصفح والعفو **﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾** أي: ألزمناهم ذلك لتخالف دواعي قواهم السبعية والبهيمية والشيطانية وميلهم إلى الجهة السفلية الموجب للتضاد والتعاند لاحتجابهم عن نور التوحيد وبعدهم عن العالم القدسي الذي فيه المقاصد كلية لا تقتضي التجاذب والتعاند إلى وقت قيامهم بظهور نور الروح والقيامة الكبرى بظهور نور التوحيد **﴿ينبئهم الله﴾** بعقاب ما صنعوا عند الموت وظهور الحرمان والخسران بظهور الهيآت القبيحة المؤذية الراسخة فيهم.

[١٧ ـ ٢٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ

بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح﴾ بأن حصروا الألوهية فيه وقيدوا الإلٰه بتعينه ﴿أن يهلك المسيح ابن مريم﴾ إلى قوله ﴿جميعاً﴾ بالإفناء في التوحيد والطمس في غير الجمع كما قال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[١].

﴿ولله مُلْك السموات﴾ أي: عالم الأرواح ﴿والأرض﴾ عالم الأجساد ﴿وما بينهما﴾ من الصور والأعراض كلها ظاهرة وباطنة وأسماؤه وصفاته وأفعاله ﴿ادخلوا الأرض المقدّسة﴾ أي: حضرة القلب التي هي مقام تجلي الصفات، فإنه بالنسبة إلى سماء الروح أرض ﴿كتب الله لكم﴾ عين لكم في القضاء السابق وأودع في استعدادكم الوصول إليها والمقام بها ﴿ولا ترتدّوا على أدباركم﴾ في الميل إلى مدينة البدن والإقبال عليه بتحصيل مآربه ولذاته وطلب موافقته وتزيين هيآته فإنه مقام خلف مقامكم وأدنىٰ وأسفل من رتبتكم ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ باستبدال ظلمات البدن بأنوار القلب وخباثته بطيباته ﴿إنّ فيها قوماً جبّارين﴾ من سلطان الوهم وأمراء الهوى والغضب والشهوة وسائر صفات النفس الفرعونية أخذوها عنوة وقهراً واستولوا عليها مستعلين يجبرون كلاً على هواهم ما لنا بهم يدان ولا نقدر على مقاومتهم، قالوا ذلك لاعتيادهم بالذات الطبيعية والشهوات الجسمانية وغلبة الهوى عليهم، فلم يقدروا على الرياضة وقمع الهوى وكسر صفات النفس بالمجاهدة ﴿وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها﴾ أي: يصرفهم الله عنها بلا رياضة منا ومجاهدة أو ينصرفوا بالطبع مع إحالته أو يضعفوا عن الاستيلاء كما في الشيخوخة مع امتناع دخولهم فيها حينئذ.

[٢٣ ـ ٢٥] ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قال رجلان من الذين يخافون﴾ كانا من النقباء الإثني عشر وهم: العقل النظري والعقل العلمي يخافون سوء عاقبة ملازمة الجسم ووبال العقوبة بهيآته المظلمة ﴿أنعَمَ الله

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

عليهما﴾ بالهداية إلى الطريق المستقيم والدين القويم ﴿ٱدْخلوا عليهم الباب﴾ باب قرية القلب وهو التوكل بتجلي الأفعال كما أنّ باب قرية الروح هو الرضا ﴿فإذا﴾ دخلتم مقام التوكل الذي هو باب القرية ﴿فإنكم غالبون﴾ بخروجكم عن أفعالكم وعن أحوالكم وبكونكم فاعلين بالله، وإذا كان الحول والقوة بالله يهرب شيطان الوهم والتخيل والهوى والغضب منكم فغلبتم عليهم. ويدلّ على أن الباب هو التوكل قوله: ﴿وعلىٰ الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ بالحقيقة، إذ الإيمان بالغيبة عن المؤمن به أقل درجات حضور تجلي الأفعال ﴿قالوا يا موسىٰ﴾ أي: أصروا على إبائهم وامتناعهم عن الدخول ﴿فاْذهب أنتَ وربكَ﴾ أي: إن كنت نبياً فادفعهم عنا بقوة نفسك، واقمع الهوى، وتلك القوى فينا بلا رياضة ومجاهدة منا، وسل ربّك يدفعها عنا كما يقول الشطّار والوغود عند موعظتك إياهم، وزجرك وتهديدك لهم. ادفع بهمتك عنا هذه الشقاوة إمّا استهزاء وعناداً وإما جدّاً واعتقاداً ﴿إنّا ها هنا قاعدون﴾ ملازمون مكاننا في مقام النفس، معتكفون على هوىٰ نفوسنا ولذات أبداننا كما قالوا: حطاً سمقاثاً.

[٢٦] ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ هي مدة بقائهم في مقام النفس، أي: بقوا في تيه الطبيعة يتحيرون أربعين سنة إلى قرية القلب، فإنّ دخول مقام القلب مع استيلاء جبابرة صفات النفس عليه حرام ممتنع، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[١]، فإنه وقت البلوغ الحقيقي. وقيل في قصة التيه: إنهم كانوا يسيرون جادّين طول النهار في ستة فراسخ، فإذا أمسوا كانوا على المقام الذي ارتحلوا عنه، أي: كان سعيهم في تحصيل المناجح الجسمانية والمباغي البدنية المحصورة في الجهات الست ولم يخرجوا عن الجهات بالتجرد، فكانوا على المقام الأول لعدم توجههم إلى سمت القلب بطلب التجرد والتنزّه عن الهيآت البدنية والصفات النفسانية. وكان ينزل من السماء بالليل عمود من نار يسيرون وينتفعون بضوئه، أي: ينزل عليهم نور عقل المعاش من سماء الروح فيهتدون به إلى مصالحهم. وقيل: من نار لأنه عقل مشوب بالوهم ليس عقلاً صرفاً، وإلا لاهتدوا به إلى طريق القلب. وأما الغمام والمنّ والسلوى فقد مرّ ذكرها وتأويلها وقيل: كان على كل مولود ولد في التيه قميص بقدر قامته يزيد بزيادته، يعنون به: لباس البدن والله أعلم. وإن شئت أن تطبق القصة على حالك أوّلت موسىٰ بالقلب وهٰرون بالروح، فإنه كان أخاه الأكبر، ولهذا قال: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[٢] وبني إسرائيل بالقوّة الروحانية، والأرض المقدّسة بالنفس

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥. (٢) سورة القصص، الآية: ٣٤.

المطمئنة، ثم أجريت القصة بحالها إلى آخرها. ﴿فلا تأس﴾ أي: لا تهتم بهدايتهم، ولا تغتمّ على عقوبتهم، فإنهم فسقوا وخرجوا عن طريق القلب بهواهم وطغيانهم.

[٢٧ ـ ٢٩] ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿واتل عليهم نَبأ ابني آدم﴾ القلب للذين هما هابيل القلب وقابيل الوهم، إذ كان لكل منهما توأمة. أما توأمة العقل فالعاقلة العلمية المدبرة لأمور المعاش والمعاد بالآراء الصلاحية المقتضية للأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة المستنبطة لأنواع الصناعات والسياسات. وأما توأمة الوهم: فالقوّة المتخيلة المتصرّفة في المحسوسات والمعاني الجزئية لتحصيل الآراء الشيطانية، فأمر آدم القلب بتزويج الوهم توأمة العقل التي هي العاقلة العلمية لتتسلط عليه بالقياسات العقلية البرهانية وتدّربه بالرياضات الإذعانية والسياسات الروحانية، وتسخّره للعقل فيطيع أب القلب، ويحسن إليه، ويبرّه بأنواع الرجاء الصادقة ويعينه في الأعمال الصالحة ويمتنع من عقوقه بالتسويلات والتزينات الشيطانية الفاسدة، وإغراء النفس عليها بالهيئات الفاسقة والأفعال السيئة، وتزويج العقل توأمة الوهم ليجعلها صالحة ويمنعها عن شهوات التخيلات الفاسدة وتهيج أحاديث النفس الكاذبة فيستريح أبوها منها ويستعملها في المعقولات والمحسوسات والمعاني الكلية والجزئية، فتصير مفكرة عاملة في تحصيل العلوم فينتفع أبوها. فحسد قابيل الوهم هابيل العقل لكون توأمته أجمل عنده وأحب لمناسبتها إياه، فأمر أبوهما القلب بأن يقرب كل واحد منهما قرباناً أي: نسكاً يتقرّب به إلى الله بإفاضة النتيجة وإفناء صورة القياس وقبول الصورة المعقولة الكلية المطابقة لما في نفس الأمر التي هي نسيكته التي يتقرّب بها إلى الله منه، وعدم قبول قربان الوهم الذي هو صورة المغالطة أو الصورة الموهومة الجزئية امتناع اتصال العقل به بإفاضة النتيجة إذ لا نتيجة لها أو امتناع قبول الصورة الوهمية إذ لا تطابق ما في نفس الأمر فزاد حسده عليه.

﴿قال لأقتُلنكَ﴾ أي: لما زاد قرب العقل من الله وبعده عن رتبة الوهم في مدركاته وتصرفاته كان الوهم أحرص على إبطال عمله ومنعه عن فعله كما ترى في التشكيكات الوهمية ومعارضاته العقل في تحصيل المطالب النظرية العميقة الغور وقتله عبارة عن منعه عن فعله وقطع مدد الروح ونور الهداية الذي به حياة العقل عنه ﴿من المتّقين﴾ الذين يتخذون الله وقاية في صدور الخيرات منهم أو يحذرون آثام الهيئات المظلمة البدنية والأكاذيب الباطلة والأضاليل

المغوية والأهواء المردية والتسويلات المهلكة ﴿ما أنا بباسط يدي إليكَ لأقتلك﴾ لأني لا أبطل أعمالك التي هي شديدة في مواضعها من المحسوسات ولا أقطع عنك حياتك التي هي مدد النفس والهوى ولا أمنعك عن فعلك الخاص بك إذ العقل يعلم أنّ المصالح الجزئية وأحكام المحسوسات والمعاني الجزئية المعلقة بها وترتيب أسباب المعاش كلها لا تحصل ولا تتيسر إلا بالوهم ولولا الرجاء وحصول الأماني والآمال الصادرة عن الوهم لم يتيسر لأحد ما يتمعش به ﴿إني أخاف الله ربّ العالمين﴾ لأني أعرفه، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(١) واعلم بأنه إنما خلقك لشأن وأوجدك لحكمة، فلا أتعرّض له في ذلك ﴿إني أريد أن تبوء﴾ بإثم قتلي وإثم قتلك من الآراء الباطلة والتصوّرات الفاسدة التي لم يتقبل قربانك لأجلها ﴿فتكون من أصحاب﴾ نار الحجبة والحرمان ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ الواضعين الأشياء في غير موضعها كوضعك الأحكام الحسيّة في المعقولات.

[٣٠ ـ ٣٤] ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿فطوّعت﴾ فسهلت وسوّلت ﴿له نَفسه قَتل أخيه فَقَتله﴾ بمنعه عن أفعاله الخاصة وحجبه عن نور الهداية ﴿فأصبح من الخَاسِرِينَ﴾ لتضرره باستيلائه على العقل واستبدال ضلالته وخطأه بهداية العقل وصوابه، فإنّ الوهم إذا انقطع عن معاضدة العقل حمل النفس بأنواع التسويلات والتزيينات على إقدام أمور يتضرّر به النفس والبدن جميعاً، كالإسرافات المذمومة من باب اللذات البهيمية، والسبعية مثل شدّة الحرص في طلب المال والجاه والإفراط فيضعف الوهم أيضاً أو يبطل ﴿فبعث الله﴾ غراب الحرص ﴿يبحث في﴾ أرض النفس ﴿لِيُريه كيفَ يُوَارِي سَوْأة أخِيه﴾ أي: الوهم، إذ بقطع العقل عن نور الهداية وحجبها عن السير في العالم العلوي لتحصيل الكمال وطلب سعادة المآل تحير في أمره، فانبعث الحرص فهداه في تيه الضلالة وأراه كيف يواري ويدفن عورته أي: جثته المقتولة التي حملها الوهم على ظهره حتى

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

أنتنت فصار عقل المعاش في تراب الأرض وهو صورة العقل المنقطع عن حياة الروح المشوب بالوهم والهوى المحجوب عن عالمه في ظلمات أرض النفس المدفون فيها تأكله ديدان القوى الطبيعية باستعمالها في تحصيل لذاتها ومطالبها ﴿**أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب**﴾ الذي دفن فرخه أي: داعيته أو كماله في أرض النفس بإفناء ما يحصل له وكتمانه فيها ﴿**فأواري سَوْأة أخي**﴾ بإخفائها في ظلمة النفس فأنتفع بها ﴿**فأصبح من النادمين**﴾ عند الخسران وحصول الحرمان ﴿**فكأنما قتَلَ الناس جميعاً**﴾ لأن كل شخص يشتمل على ما يشتمل عليه جميع أفراد النوع وقيام النوع بالواحد كقيامه بالجميع في الخارج ولا اعتبار بالعدد فإنّ النوع لا يزيد بحسب الحقيقة بتعدّد الأفراد ولا ينقص بانحصاره في شخص.

[٣٥ ـ ٤٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ
النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً
بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ
يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا
سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ
أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا
أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا
النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ
بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يا أيها الذينَ آمنُوا اتقُوا الله﴾ بالتزكية ﴿وابتَغُوا إليهِ الوسيلَة﴾ بالتحلية ﴿وجاهدوا في سَبيله﴾ بمحو الصفات والفناء بالذات ﴿لعلكم تفلحون﴾ من ظهور بقايا الصفات والذات ﴿ما في الأرض﴾ أي: ما في الجهة السفلية لأنها أسباب زيادة الحجاب والبعد ولا ينجع ثمة إلا في الجهة العلوية من المعارف والحقائق النورية.

[٤٨ ـ ٤٩] ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وأنزلْنا إليكَ الكتاب﴾ علم الفرقان الذي هو ظهور تفاصيل كمالك ﴿بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب﴾ أي: علم القرآن وهو العلم الإجمالي الثابت في استعدادك وحافظاً عليه بالإظهار أو لما بين يديه العلوم النازلة على الأنبياء السابقين زماناً فإنّ الغالب على موسى عند الرجوع إلى البقاء عند الفناء بالوجود الموهوب قوّة النفس وسلطانها، ولهذا بطش بأخيه كما قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾(١)، وقال عند طلب التجلي: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾(٢) فكان أكثر التوراة علم الأحكام الذي يتعلق بأحوال النفس وتهذيبها ودعوته إلى الظاهر والغالب على عيسى قوّة القلب ونوره، ولهذا تجرد عن ملابس الدنيا وأمر بالترهب. وقال لبعض أصحابه: إذا لُطِمْت في خدك فأدِر الخد الآخر لمن لَطَمَك. وكان أكثر الإنجيل علم تجليات الصفات والأخلاق والمواعظ والنصائح التي تتعلق بأحوال القلب وتصفيته وتنويره ودعوته إلى الباطن والغالب على محمد عليه الصلاة والسلام سلطان الروح ونوره، فكان جامعاً لمكارم الأخلاق متمماً لها، عادلاً في الأحكام، متوسطاً فيها. وكان القرآن شاملاً لما في الكتابين من العلوم والأحكام والمعارف مصدّقاً له، حافظاً عليه، مع زيادات في التوحيد والمحبة ودعوته إلى التوحيد.

﴿فاحْكُم بَيْنَهم بمَا أنزَلَ الله﴾ من العدلّ الذي هو ظل المحبة التي هي ظل الوحدة التي

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

انكشفت عليك ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ في تغليب أحد الجانبين، إما الظاهر وإما الباطن ﴿عما جاءكَ من الحق﴾ من التوحيد والمحبة والعدل، فإنّ التوحيد يقتضي المحبة، والمحبة العدل، ويقع ظله من سماء الروح على القلب بالمحبة، وعلى النفس بالعدالة ﴿لكلٍّ جَعَلْنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ مورداً كمورد النفس ومورد القلب ومورد الروح، وطريقاً كعلم الأحكام والمعاملات التي تتعلق بالقلب وسلوك طريق الباطن الموصل إلى جنّة الصفات، وعلم التوحيد والمشاهدة الذي يتعلق بالروح وسلوك طريق الفناء الذي يوصل إلى جنة الذات ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة﴾ موحدين على الفطرة الأولى، متفقين على دين واحد ﴿ولٰكن﴾ ليظهر عليكم ما آتاكم بحسب استعداداتكم على قدر قبول كل واحد منكم فتتنوّع الكمالات ﴿فأسْتَبقوا الخيرات﴾ أي: الأمور الموصلة إلى كمالكم الذي قدّر لكم بحسب استعدادكم المقربة إياكم إليه بإخراجه إلى الفعل ﴿إلى الله مَرْجِعكم جميعاً﴾ في عين جمع الوجود على حسب المراتب لا عين جمع الذات ﴿فينبئكُم بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي: يظهر عليكم ما اختلفتم فيه بحسب اختلاف استعداداتكم من طلب إحدى الجنان الثلاث، والوصول إليها، والحرمان بموانعها التي احتجبتم بها عما في استعدادكم من الكمال ﴿ببعض ذنوبهم﴾ ذنوب اليهود حجب الأفعال وذنوب النصارى حجب الصفات ففسق اليهود هو الخروج عن حكم تجليات الأفعال الإلٰهية برؤية النفس أفعالها وفسق النصارى خروجهم عن حكم تجليّات الصفات الحقانيّة برؤية النفس صفاتها واحتجابها بها كما أنّ فسق المحمديين هو الالتفات إلى ذواتهم والخروج عن حكم الوحدة الذاتية.

[٥٠ ـ ٥٤] ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾

﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ أي: ما يطلبون بجهلهم إلا حكماً صادراً عن مقام النفس بالجهل لا صادراً عن علم إلهيٍ ﴿من يرتدّ﴾ من يرجع عن طريق الحق إلى الاحتجاب ببعض الحجب، أيّ حجاب كان وخرج عنه فهو من المردودين لا من أهل المحبة ولا ينثلم ولا

ينتقض دين الحق بارتداده، فإن الله سوف يأتي بقوم يحبهم بحسب العناية الأولى لا لعلة بل لذواتهم، ويحبون ذاته لا لصفة من صفاته ككونه لطيفاً أو رحيماً أو منعماً فإن محبة الصفات تتغير باختلاف تجلياتها ومن يحب اللطيف لم تبق محبته إذا تجلى بصفة القهر، ومن يحب المنعم انمحت محبته إذا تجلى بصفة المنتقم. وأما محبة الذات فهي باقية ببقائها لا تتغير باختلاف التجليات فيحب محبها القهار عند القهر كما يحب اللطيف عند اللطف، ويحب المنتقم حالة الانتقام كما يحب المنعم حالة الإنعام فلا تفاوت في الرضا وعدمه، ولا تختلف محبته في أحواله ويشكر عند البلاء كما يشكر عند النعماء. وأما من يحب المنعم فلا يشكر عند البلاء بل يصبر ومثل هذه المحبة يلزم المحبة الأولى التي هي لله ولأوليائه فيحبونه بحبه إياهم، وإلا فمن أين لهم المحبة لله، يا للتراب وربّ الأرباب.

﴿أذِلة علىٰ المؤمنين﴾ لينين حانين عليهم، عطوفين في تواضعهم لهم لمكان الجنسية الذاتية ورابطة المحبة الأزلية والمناسبة الفطرية بينهم ﴿أعِزةٍ﴾ أشدّاء غلاظ ﴿علىٰ﴾ المحجوبين لأضداد ما ذكر ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ بمحو صفاتهم وإفناء ذواتهم التي هي حجب مشاهداتهم ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ من نسبتهم إلى الإباحة والزندقة والكفر، وعذلهم بترك الدنيا ولذاتها، بل بترك الآخرة ونعيمها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعبدوا الله لا لرغبة ولا لرهبة»، فهم من الفتيان الذين قيل فيهم:

وإذا الفتىٰ عرف الرشاد لنفسه هانت عليه ملامة العذال

[٥٥ ـ ٦١] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿إنما وليكُم الله ورَسُوله﴾ والمؤمنون لا هم للتنافي الحقيقي بينكم وبينهم، أي: يتولىٰ الله ورسوله والمؤمنون إياكم أو لا يتولى الله وأولياءه من الرسول والمؤمنين المحجوبون للتضادّ الحقيقي بينهم، إنما تتولون الله ورسوله والذين آمنوا أنتم. جمع أولاً في إثبات ولايتهم لله مطلقاً ثم فصلها بحسب الظاهر، فقال: ﴿ورسوله والذين آمنوا﴾، كما فعل في

الشهادة في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(١).

﴿الذين﴾ آمنوا ﴿يقيمونَ﴾ صلاة الشهود والحضور الذاتي ﴿ويؤتونَ﴾ زكاة البقايا ﴿وهم رَاكعون﴾ خاضعون في البقاء بالله بنسبة كمالاتهم وصفاتهم إلى الله كأمير المؤمنين عليه السلام النازل في حقه هذا القائل: لا إله إلا الله بعد فناء الخلق، لا منتصبون في مقام الطغيان بنسبتها إلى أنفسهم. ﴿ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا﴾ فهو من أهل الله، وإن أهل الله ﴿هم الغَالِبون﴾ بالله.

[٦٢ - ٦٤] ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وترى كثيراً منهم يُسارعون﴾ أي: يقدمون على جميع الرذائل بالسرعة لاعتيادهم بها وتدربهم فيها وكونها ملكات لنفوسهم فالإثم رذيلة القوة النطقية لأنه الكذب، والعدوان رذيلة القوّة الشهوية.

[٦٥ - ٧٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا﴾ آمنوا الإيمان التوحيدي الحقيقي ﴿واتّقوا﴾ واجتنبوا عن شرك أفعالهم وصفاتهم وذواتهم ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم﴾ من بقاياهم ﴿ولأدخلناهم﴾ الجنات الثلاث ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة﴾ بتحقق علوم الظاهر والقيام بحقوق تجليات الأفعال

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

والمحافظات على أحكامها في المعاملات ﴿والإنجيل﴾ بتحقق عنوان الباطن، والقيام بحقوق تجليات الصفات، والمحافظة على أحكامها ﴿و﴾ احكموا ﴿ما أُنزِل إليهم﴾ من علم المبدأ والمعاد وتوحيد الملك والملكوت من عالم الربوبية الذي هو عالم الأسماء ﴿لأكلوا من فوقهم﴾ أي: لرزقوا من العالم العلويّ الروحاني العلوم الإلٰهية والحقائق العقلية اليقينية، والمعارف الحقانيّة التي بها اهتدوا إلى معرفة الله ومعرفة الملكوت والجبروت ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ أي: من العالم السفليّ الجسماني العلوم الطبيعية والمدركات الحسيّة التي اهتدوا بها إلى معرفة عالم الملك، فعرفوا الله باسمه الظاهر والباطن، بل بجميع الأسماء والصفات ووصلوا إلى مقام التوحيدين المذكورين ﴿منهم أمّة مُقْتصدة﴾ عادلة واصلة إلى توحيد الأسماء والصفات ﴿وكثير منهم﴾ لم يصلوا إلى توحيد الأفعال بعد فضلاً عن توحيد الصفات، فساء عملهم لأنه من صفات نفوسهم فهو حجابهم الأكثف.

﴿وأرسلنا إليهم رسلاً﴾ على حسب مراتبهم فلما كانوا محجوبين من جميع الوجوه أرسلنا موسى لرفع حجاب الأفعال والدعوة إلى توحيد الملك، فما هوته أنفسهم لأن دعوته كانت مخالفة لهواها لضراوتها بأفعالها وتبجعها بها وبلذاتها وشهواتها فكذبوه وعبدوا عجل النفس واعتدوا في السبت وفعلوا ما فعلوا حتى إذا آمن به من آمن وبرز من حجاب الأفعال حسب أنه الكمال المطلق، فأرسلنا عيسى برفع حجاب الصفات والدعوة إلى الباطن، وتوحيد الملكوت فما هوته أنفسهم لمخالفة دعوته هواها من حسبان الكمال، فكذّبوه وفعلوا ما فعلوا حتى إذا آمن به من آمن وبرز عن حجاب الصفات بقي على حاله، حاسباً لنفسه الكمال المطلق فأرسلنا محمداً برفع حجاب الصفات والدعوة إلى توحيد الذات فما هوته أنفسهم فكذبوه.

[٧١ ، ٧٢] ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وحسبوا أن لا تكون فتنة﴾ شرك عند توحيد الأفعال وظهور الدعوة العيسوية ﴿فعمُوا﴾ عن تجليات رؤية الصفات ﴿وصمُوا﴾ عن سماع علمها ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ بفتح أسماع قلوبهم وأبصارها، فتابوا، فقَبل توبتهم ﴿ثم عمُوا وصمُوا﴾ عند الدعوة المحمدية عن مشاهدة الوجه الباقي وسماع علم توحيد الجمع المطلق ﴿والله بصير﴾ بعملهم في المقامات الثلاث وردّ الدعوات وإنكار الأنبياء فيجازيهم على حسب حالهم ﴿اعبدوا الله ربي وربكم﴾ أي:

خصصوا عبادتكم بالذات الموصوفة بجميع الصفات والأسماء التي هي الوجود المطلق، ولا تعينوه باسم وصفة، فإنّ نسبة ربوبيته إلى الكل سواء ومن حصر ألوهيته في صورة وخصصها باسم معين وكلمة معينة وصفة معينة، فقد أثبت غيره ضرورة وجود ما سواه من الأسماء والصور والصفات. ومن أثبت غيره فقد أشرك به ومن أشرك به ﴿فقد حرّم الله عليه﴾ جنة شهوده بذاته وصفاته وأفعاله أي: الجنة المطلقة الشاملة، يعني: فقد حجبه مطلقاً ﴿ومأواه﴾ نار الحرمان لظلمه بالشرك ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ينصرونهم فينقذونهم من العذاب.

[٧٣ ـ ٨١] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)﴾

﴿لقد كفر﴾ حجب ﴿الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة﴾ واحد من جملة ثلاثة أشياء الفعل الذي هو ظاهر عالم الملك، والصفة التي هي باطن عالم الملكوت، والذات التي تقوم بها الصفة ويصدر عنها الفعل، إذ ليس هو ذلك الواحد الذي توهموه بل الفعل والصفة في الحقيقة عين الذات، ولا فرق إلا بالاعتبار، وما الله إلاّ الواحد المطلق، وإلا لكان بحسب كل اسم من أسمائه إله آخر، فتتعدّد الآلهة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون﴾ من كون الصفة والفعل غير الذات ﴿ليمسن﴾ المحجوبين ﴿عذاب﴾ مؤلم لقصورهم في العرفان مع كونهم مستعدّين ﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾ بالرجوع عن إثبات التعدّد في الله إلى عين الجمع المطلق، ويستغفرونه عن ذنب رؤية وجودهم ووجود غيرهم ﴿والله غفور﴾ يسترهم بذاته ﴿رحيم﴾ يرحمهم بكمال العرفان والتوحيد ﴿ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً﴾ إذ لا فعل له فيضرّ أو ينفع، بل لا وجود فضلاً عن الفعل. وقال: ما لا

يملك دون من، وإن كان المراد عيسى للتنبيه على أنه شيء يعتبر اعتباراً من حيث تعينه ولا وجود له حقيقة ﴿قد ضلّوا من قَبل﴾ بالاحتجاب عن أنوار الصفات ﴿وأضلّوا كثيراً وضلّوا﴾ الآن ﴿عن سواء السبيل﴾ طريق الوحدة الذاتية التي هي الاستقامة إلى الله.

[٨٢ ـ ٨٥] ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿لتجدنّ﴾ إلى آخره، الموالاة والمعاداة إنما يكونان بحسب المناسبة والمخالفة، فكل من والىٰ أحداً دلّ على رابطة جنسية بينهما، وكل من عاداه دلّ على مباينة ومضادّة بينهما. ولما كان اليهود محجوبين عن الذات والصفات ولم يكن لهم إلا توحيد الأفعال كانت مناسبتهم مع المحجوبين المشركين مطلقاً أقوى من مناسبتهم مع المؤمنين الموحدين مطلقاً. ولما كان النصارى برزوا من حجاب الصفات ولم يتولّهم إلا حجاب الذات كانت مناسبتهم مع المؤمنين أقوى، فلذلك كانوا أقرب مودّة لهم من غيرهم. والمشركون واليهود أشدّ عداوة لقوّة حجابهم، أما ترى كيف علل قربهم في المودة بعلمهم وعبادتهم وعدم استكبارهم؟، فإن العبادة توصل إلى جنة الأفعال لتجرّدهم فيها عن أفعال نفوسهم فاعلين ما أمر الله، والعلم يوصل إلى جنة الصفات لتنزّههم به عن جنة النفوس والوصول إلى مقام القلب الذي هو محل المكاشفة وقبول العلم الإلٰهي، وعدم الاستكبار يدل على أنهم ما رأوا نفوسهم موصوفة بصفات العبادة والعلم ولا نسبوا فعلهم وعلمهم إليها بل إلى الله وإلا استكبروا وأظهروا العجب.

﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ شوقاً إلى ما عرفوا من توحيد الذات لأنهم كانوا أهل رياضة وذوق فهاجت نفوسهم بسماع الوحي وذكروا الوحدة ﴿مما عرفوا من الحق﴾ بصفاته أو سمعوا من الحق كلامه، فبكوا اشتياقاً كما قال:

ويبكي إن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق

﴿آمنا﴾ بالتوحيد الذاتي إيماناً عينياً فاجعلنا من ﴿الشاهدين﴾ الحاضرين الذين مقامهم الشهود الذاتي واليقين الحقيّ، وإيماناً علمياً يقينياً فاجعلنا مع المعاينين ﴿وما لنا لا نؤمن﴾ إيماناً حقيقياً بذاته وما جاءنا من كلامه أو لا نؤمن بالله جمعاً ﴿وما جاءنا من الحق﴾ تفصيلاً

﴿مع القوم الصالحين﴾ الذين استقاموا بالبقاء بعد ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ من التجليات الثلاث مع علومها ﴿وذلك جزاء المحسنين﴾ المشاهدين للوحدة في عين الكثرة بالاستقامة في الله.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)﴾

﴿والذين﴾ حجبوا عن الذات ﴿وكذبوا﴾ بآيات الصفات ﴿أولئك أصحاب﴾ الحرمان الكليّ في جحيم صفات النفوس.

[٨٧ ـ ٩١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إيماناً عملياً ﴿لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم﴾ من مكاشفات الأحوال وتجليات الصفات بتقصيركم في السلوك ﴿ولا تعتدوا﴾ بطغيان النفس وظهورها بصفاتها واجعلوا ما رزقكم الله من علوم التجليات ومواهب الأحوال والمقامات غذاء قلوبكم سائغاً طيباً واجعلوا الله وقاية لكم في حصول تلك الكمالات بأن تروها منه وله لا منكم ولكم فتطغوا ﴿إن كنتم﴾ موحدين.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾

﴿وأطيعوا الله﴾ بالفناء فيه فتنقادوا فيما يستعملكم فيه كالميت ﴿وأطيعوا الرسول﴾ بالبقاء بعد الفناء، فتستقيموا فيه مراعين للتفصيل، أحياء بحياته ﴿واحذروا﴾ ظهور البقاء حالة الاستقامة ﴿فإن توليتم فاعلموا﴾ أن التقصير منكم وما على الرسول إلا البلاغ لا الإلزام.

[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾

﴿ليس على الذين آمنوا﴾ الإيمان الغيبي بتوحيد الأفعال ﴿وعملوا﴾ بمقتضى إيمانهم

أعمالاً تخرجهم عن حجب الأفعال وتصلحهم لرؤية أفعال الحق، حرج وضيق فيما تمتعوا به من أنواع الحظوظ إذا ما اجتنبوا بقايا أفعالهم واتّخذوا الله وقاية في صدور الأفعال منهم ﴿وآمنوا﴾ بتوحيد الصفات ﴿وعملوا﴾ ما يخرجهم عن حجب الصفات ويصلحهم لمشاهدة التجليات الإلٰهية بالمحو فيها ﴿ثم اتّقوا﴾ بقايا صفاتهم واتخذوا الله وقاية في صدور صفاته عليهم ﴿وآمنوا﴾ بتوحيد الذات ﴿ثم اتقوا﴾ بقية ذواتهم واتخذوا الله وقاية في وجودهم بالفناء المحض والاستهلاك في عين الذات وأحسنوا بشهود التفصيل في عين الجمع والاستقامة في البقاء بعد الفناء ﴿والله يحبّ المحسنين﴾ المشاهدين للوحدة في عين الكثرة، المراعين لحقوق التفاصيل في عين الجمع بالوجود الحقاني.

[٩٤ ـ ٩٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالغيب ﴿ليبلونكم الله﴾ حال سلوككم وإحرامكم لزيارة كعبة الوصول ﴿بشيء﴾ من الحظوظ يتيسر لكم ويتهيأ ما يتوصل به إليها ﴿ليعلم الله﴾ العلم التفصيلي التابع للوقوع الذي يترتب عليه جزاء ﴿من يخافه﴾ في حالة الغيبة فإن الخوف لا يكون إلاّ للمؤمنين بالغيب لتعلقه بالخطاب الذي هو من باب الأفعال. وأما في حالة الحضور فأما الخشية فبتجلي الربوبية والعظمة، وأما الهيبة فبتجلي الذات. فالخوف من صفات النفس، والخشية من صفات القلب، والهيبة من صفات الروح ﴿فمن اعتدىٰ بعد ذلك﴾ بارتكاب الحظوظ بعد الابتلاء ﴿فله عذاب﴾ مؤلم للاحتجاب بفعله عن الشوق.

﴿لا تقتلوا الصيد﴾ لا ترتكبوا الحظوظ النفسانية في حالة الإحرام الحقيقي، ومن ارتكبه قصداً منه ونيّة بميل قوىً من النفس وانجذاب إليه لا لأمر اتفاقي أو رعاية خاطر ضيف أو صاحب ﴿جزاء﴾ أي: فحكمه جزاء قهره تلك القوة التي ارتكب بها الحظ النفساني من قوى النفس البهيمية بأمر يوازي ذلك الحظ ﴿يحكم به ذوا عدل﴾ من العاقلتين النظرية والعملية ﴿منكم﴾ أي: من أنفسكم أو من شيوخكم أو من أصحابكم المقدمين السابقين يعينان كيفيته وكميته ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ الحقيقية، أي: في حال كون تلك القوة البهيمية هدياً بإفنائها في الله إن كان صاحبها من الأقوياء ملبياً قادراً ﴿أو كفارة﴾ أي: ستر بصدقة أو صيام يزيل ذلك الميل ويستر تلك الهيئة عن نفسه أو بإيتاء حق تلك القوة والاقتصار عليه دون الحظ فإنها

مسكينة أو إمساك عن أفعال تلك القوة بقدر ذلك الحظ كيما يزول عنها الميل ﴿ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه﴾ بالحجب والحرمان ﴿والله عزيز﴾ لا يمكن الوصول إلى جنات عزّه مع كدورات صفات النفس ﴿ذو ٱنتِقام﴾ يحجب بهيئة مظلمة وظهور صفة ووجود بقية، كما قال تعالى لنبيّه محمد عليه الصلاة والسلام: «أنذِر الصديقين بأني غيور».

[٩٦] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أُحِل لكم صيد﴾ بحر العالم الروحاني من المعارف والمعقولات والحظوظ العلمية في إحرام الحضرة الإلْهية ﴿وطعامه﴾ من العلم النافع الذي هو حق واجب تعلمه في المعاملات والأخلاق تمتيعاً ﴿لكم﴾ أيها السالكون لطريق الحق ﴿وللسيارة﴾ المسافرين لسفر الآخرة، المحرزين لأرباح النعيم الباقي ﴿وحرّم عليكم صَيْد﴾ بر العالم الجسماني من المحسوسات والحظوظ النفسانية. واجعلوا الله وقاية لكم في سيركم لتسيروا به واجعلوا نفوسكم وقاية الله في صدور الشرور المانعة منها وتيقنوا أنكم ﴿إليه تُحْشَرونَ﴾ بالفناء في الذات، فاجتهدوا في السلوك ولا تقفوا مع الموانع وراء الحجاب.

[٩٧] ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿جعل الله﴾ كعبة حضرة الجمع ﴿البيت﴾ المحرّم من دخول الغير فيه كما قيل: جلّ جناب الحق من أن يكون شريعة لكل وارد. ﴿قياماً للناس﴾ من موتهم الحقيقي وانتعاشاً لهم به وبحياته وقدرته وسائر صفاته ﴿والشهر الحرام﴾ أي: زمان الوصول، وهو زمان الحج الحقيقي الذي يحرم ظهور صفات النفس فيه ﴿والهَدي﴾ أي: النفس المذبوحة بفناء تلك الكعبة ﴿والقلائِد﴾ وخصوصاً النفس القوية، الشريفة، الطيعة، المنقادة، فإنّ التقرّب بها أفضل وشأنها عند البقاء والقيام بالوجود الثاني والحياة الحقيقية أرفع ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: جعل تلك الحضرة قياماً لكم ﴿لِتَعْلَموا﴾ بعلمه عند القيام به ﴿إنّ الله يَعْلَم﴾ حقائق الأشياء في عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شيء، إذ لا يمكن إحاطة علمكم بعلمه.

[٩٨] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿أعْلَموا أنّ الله شديدَ العِقاب﴾ بالحجب لمن ظهر بصفة أو بقية حال الوصول أو ضرب بخطأ واشتغل بغير حال السلوك وانتهك حرمة من حرماته ﴿غفور﴾ للتلوينات والفترات ﴿رحيم﴾ بهيئة الكمالات والسعادات التي لا يعلم قدرها إلا هو.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿ما على الرسول إلا﴾ التبليغ لا الإيصال ﴿والله يَعْلم﴾ سرّكم وعلانيتكم ﴿ما تُبْدون﴾ من الأعمال والأخلاق ﴿وما تكتمون﴾ من النيّات والعلوم والأحوال، هل تصلح للتقرّب بها إليه؟ وهل تستعدّون بها للقائه أم لا؟.

[١٠٠ ـ ١٠٨] ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قُلْ لا يَسْتَوي الخَبيث﴾ من النفوس والأعمال والأخلاق والأموال ﴿والطيب﴾ منها عند الله تعالى، فإنّ الطيب مقبول موجب للقرب والوصول والخبيث منها مردود موجب للبعد والطرد والحرمان ﴿ولو أعجبك﴾ الخبيث بكثرته ووفوره لمناسبته للنفس ولملاءمته لصفاتها، فاجعلوا الله وقاية لكم في الاجتناب عن الخبيث واختيار الطيب. يا كلّ من له لبّ أي: عقل خالص عن شوب الوهم ومزج هوى النفس ﴿لعلكم تفلحون﴾ بالخلاص عن نفوسكم وصفاتها وخبائثها والوصول إلى الله بالفناء فيه.

[١٠٩ ـ ١١٠] ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

بِإِذْنِيْ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيْ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ في عين الجمع المطلق أو عين جمع الذات ﴿فيقول ماذا﴾ أجابكم الأمم حين دعوتموهم إليّ؟ أي: هل تطلعون على مراتبهم في كمالاتهم التي توجهوا إليها في متابعتكم ﴿قالوا لا عِلم لنا﴾ أي: العلم كله لك جمعاً وتفصيلاً ليس لغيرك علم لفناء صفاتنا في صفاتك ﴿إنك أنت علاّم الغيوب﴾ فغيوب بواطننا وبواطنهم كلها علمك، ﴿نعمتي عليك﴾ بالهداية الخاصة ومقام النبوّة والولاية ﴿وعلى والدتك﴾ بالتطهير والتزكية والاصطفاء ﴿تكلم الناس﴾ في مهد البدن ﴿وكهلاً﴾ بالغاً إلى نور شيب الكمال بالتجرّد عن البدن وملابسه ﴿وإذ علمتك﴾ كتاب الحقائق والمعارف الثابتة في اللوح المحفوظ بتأييد روح القدس وحكمة السلوك في الله بتحصيل الأخلاق والأحوال والمقامات والتجريد والتفريد، وتوراة العلوم الظاهرة والأحكام المتعلقة بالأفعال وأحوال النفس وصفاتها، وإنجيل العلوم الباطنة من علوم تجليات الصفات وأحكامها وأحكام أحوال القلب وصفاته وأعماله.

﴿وإذ تخلق﴾ من طين العقل الهيولاني الذي هو الاستعداد المحض بيد التربية والحكمة العملية ﴿كهيئة﴾ طير القلوب الطائرة إلى حضرة القدس لتجرّدها عن عالمها وكمالها ﴿بإذني﴾ أي: بعلمي وقدرتي وتيسيري عند تجلّي صفات حياتي وعلمي وقدرتي لك وإنصافك واستنبائي إياك ﴿فتنفخ فيها﴾ من روح الكمال، حياة العلم الحقيقي بالتكميل والإضافة ﴿فتكون طيراً﴾ نفساً مجرّدة كاملة تطير إلى جناب القدس بجناح العشق ﴿وتُبرىء الأكمه﴾ المحجوب عن نور الحق. ﴿والأبرَص﴾ المعيب بمرض محبة الدنيا وغلبة الهوى ﴿وإذ تخرج﴾ موتىٰ الجهل من قبور البدن وأرض النفس ﴿بإذني وإذ كففت بني إسرائيل﴾ المحجوبين عن نور تجليات الصفات الجاهلين المضادّين لك لجهلهم بحالك ومقامك ﴿عنك إذ جئتهم بالبينات﴾ بالحجج والدلائل الواضحة ﴿فقال الذين﴾ حجبوا ﴿منهم﴾ عن دين الحق ﴿إن هذا إلا سِحرٌ مُبين﴾ لحيرتهم فيه.

[١١١ ـ ١١٢] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ أي: ألهمت في قلوبهم النورانيين الذين طهروا نفوسهم بماء المنافع والأعمال المزكية حتى قبلوا دعوتك لصفاء نفوسهم وأحبوك بالإرادة التامة لمناسبتهمْ إياك بنور الفطرة وصفاء الاستعداد ﴿أن آمنوا بي﴾ إيماناً حقيقياً بتوحيد الصفات

والمحو ﴿وبِرَسُولي﴾ برعاية حقوق تجلياتها على التفصيل. ﴿قالوا آمنا وأشهد﴾ يا إلٰهنا بعلمك الشامل المحيط بالكل أننا منقادون لك مسلمين وجودات صفاتنا إليك ﴿إذ قالَ الحواريون﴾ إذ اقترح عليك أصحابك فقالوا ﴿هل يستطيع ربّك﴾ أي: شاهدك من عالم الربوبية، فإنّ ربّ كل واحد هو الاسم الذي يربّه ويكمله ولا يعبد أحد إلا ما عرفه من عالم الربوبية ولا عرف إلا ما بلغ إليه من المرتبة في الألوهية فيستفيض منه العلوم ويستنزل منه البركات ويستمدّ منه المدد الروحاني، ولهذا قالوا مع إقرارهم وإسلامهم: ربّك، ولم يقولوا: ربنا، لأن ربهم لا يستطيع ﴿أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ شريعة من سماء عالم الروح تشتمل على أنواع العلوم والحكم والمعارف والأحكام فيها غذاء القلوب وقوت النفوس وحياتها وذوقها ﴿قال اتّقوا الله﴾ احذروه في ظهور صفات نفوسكم واجعلوه وقاية لكم فيما يصدر عنكم من الأخلاق والأفعال تنجوا من تبعاتها وتفوزوا وتفلحوا إن تحقق إيمانكم فلا حاجة بكم إلى شريعة جديدة.

[١١٣ ـ ١١٥] ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قالوا نريد أن﴾ نستفيد ﴿منها﴾ ونعمل بها ونتقوّىٰ بها ﴿وتَطْمَئِن قُلوبنا﴾ فإنّ العلم غذاء القلب وقوته ﴿ونعلم﴾ صدقك في الإخبار عن ربك ونبوّتك وولايتك بها وفيها ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ الحاضرين أهل العلم نخبر بها من عدانا من الغائبين ونعلمهم وندعوهم بها إلى الله ﴿تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا﴾ أمراً أي: شرعاً ودِيناً يعود إليه من في زماننا من أهل ديننا ومن بعدنا ممن سيوجد من النصارىٰ ﴿وآية منك﴾ علامة وعلماً منك تعرف بها وتعبد ﴿وآرْزُقْنا﴾ ذلك الشرع والعلم النافع والهداية ﴿وأنت خير الرازِقين﴾ لا ترزق إلا ما ينفعنا ويكون صلاحنا فيه ﴿فمن يَكْفر﴾ يحتجب عن ذلك الدين بعد إنزاله ووضوحه ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ لبيان الطريق ووضوح الدين والحجة مع وجود استعدادهم فلا ينكرونه إلا معاندين والعذاب مع العلم أشدّ من العذاب مع الجهل، إذ الشعور بالمحجوب عنه يوجب شدّة الإيلام.

[١١٦ ـ ١١٧] ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿أأنت﴾ دعوت الناس إلى نفسك وأمّك أو إلى مقام قلبك ونفسك فإنّ من بقي فيه وجود الأنائية وبقية النفس والهوى، أو كان فيه تلوين بوجود القلب وظهوره بصفته يدعو الخلق إما إلى مقام نفسه وإما إلى مقام قلبه لا إلى الحق **﴿قال سُبحانك﴾** تنزيه لله عن الشريك وتبرئة له عن وجود البقية **﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾** فإني لا وجود لي بالحقيقة فلا ينبغي ولا يصح أن أقول قولاً ليس لي ذلك القول بالحقيقة، فإن القول والفعل والصفة والوجود كلها لك **﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾** أي: إن كان صدر مني قول فعن علمك ولا وجود لما لا تعلم وما وجد بعلمك وجد **﴿تعلم ما في نفسي﴾** لإحاطتك بالكلّ، فعلمي بعض علمك **﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾** أي: ذاتك لأني لا أحيط بالكلّ **﴿ما قلت لهم﴾** وما أمرتهم إلا ما كلفتني قوله وألزمتني إياه **﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾** أي: ما دعوتهم إلا إلى الجمع في صورة التفصيل وهو الذي نسبة ربوبيته إلى الكل سواء فغلطوا فما رأوه إلا في بعض التفاصيل لضيق وعائهم **﴿وكنت عليهم شهيداً﴾** رقيباً حاضراً أراعيهم وأعلمهم **﴿ما دُمْت فيهم﴾** أي: ما بقي مني وجود بقية **﴿فلما توفيتني﴾** أفنيتني بالكلية بك **﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾** لفنائي فيك **﴿وأنت علىٰ كل شيء شهيد﴾** حاضر، يوجد بك، وإلا لم يكن ذلك الشيء.

[١١٨ ـ ١٢٠] ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿إن تعذبهم﴾ بإدامة الحجاب **﴿فإنهم عِبادك﴾** أحقاء بالحجب والحرمان وأنت أولىٰ بهم تفعل بهم ما تشاء **﴿وإن تغفر لهم﴾** برفع الحجاب **﴿فإنك أنت العزيز﴾** القوي القادر على ذلك لا تزول عزتك بتقريبهم ورفع حجابهم **﴿الحكيم﴾** تفعل ما تفعله من التعذيب بالحجب والحرمان والتقريب باللطف والغفران بحكمتك البالغة **﴿هذا يوم﴾** نفع صدقك إياك، وصدق كل صادق لكونه خميرة الكمالات وخاصية الملكوت **﴿لهم جنات﴾** الصفات بدليل ثمرة الرضوان فإنّ الرضا لا يكون إلا بفناء الإرادة ولا تفنىٰ إرادتهم إلا إذا غلبت إرادة الله عليهم فأفنتها، ولهذا قدّم رضوان الله عنهم على رضوانهم عنه، أي: لما أرادهم الله تعالى في الأزل بمظهرية إرادته ومحل رضوانه ورضي بهم محلاً وأهلاً لذلك سلب عنهم إرادتهم بأن جعل

إرادته مكانها وأبدلهم بها فرضي عنهم وأرضاهم ﴿ذٰلِكَ الفوز العَظِيم﴾ أي: الفلاح العظيم الشأن ولو كان فناء الذات لكان الفوز الأكبر والفلاح الأعظم. له ما في العالم العلويّ والسفليّ باطنه وظاهره ﴿وما فيهنّ﴾ أسماؤه وصفاته وأفعاله ﴿وهو علىٰ كل شيء قدير﴾ إن شاء أفنىٰ بظهور ذاته، وإن شاء أوجد بتستره بأسمائه وصفاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة الأنعام﴾

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

﴿الحَمْدُ لله الذي خَلَقَ السمٰوات والأرض﴾ ظهور الكمالات، وصفات الجمال والجلال على مظاهر تفاصيل الموجودات بأسرها الذي هو كمال الكل. والحمد المطلق مخصوص بالذات الإلٰهية الجامعة لجميع صفاتها وأسمائها باعتبار البداية الذي أوجد سموات عالم الأرواح وأرض عالم الجسم وأنشأ في عالم الجسم ظلمات مراتبه التي هي حجب ظلمانية لذاته وفي عالم الأرواح نور العلم والإدراك ﴿ثم﴾ أي: بعد ظهور هذه الآيات ﴿الذين كفَرُوا﴾ حجبوا مطلقاً ﴿بربّهم يعدلون﴾ غيره يثبتون موجوداً يساويه في الوجود ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ المادة الهيولانية ﴿ثم قضىٰ أجلاً﴾ مطلقاً غير معين بوقت وهيئة، لأن أحكام القضاء الثابت الذي هو أمّ الكتاب كلية منزّهة عن الزمان، متعالية عن المشخصات إذ محلها الروح الأولى المقدّس عن التعلق بالمحل، فهو الأجل الذي يقتضيه الاستعداد طبعاً بحسب هويته المسمّى أجلاً طبيعياً بالنظر إلى نفس ذلك المزاج الخاص والتركيب المخصوص بلا اعتبار عارض من العوارض الزمانية ﴿وأجل مسمّىً﴾ معين ﴿عنده﴾ هو الأجل المقدّر الزماني الذي يجب وقوعه عند اجتماع الشرائط وارتفاع الموانع المثبت في كتاب النفس الفلكية التي هي لوح القدر المقارن لوقت معين ملازماً له، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١). ﴿ثم أنتم﴾ بعدما علمتم قدرته على إبدائكم وإفنائكم وإحاطة علمه بكم تشكون فيه وفي قدرته، فتثبتون لغيره تأثيراً وقدرة.

[٢ ـ ٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وهو الله﴾ في صورة الكل سواء ألوهيته بالنسبة إلى العالم العلويّ والسفليّ ﴿يعلم سرّكم﴾ في عالم الأرواح الذي هو عالم الغيب ﴿وجهركم﴾ في عالم الأجسام الذي هو عالم الشهادة ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ فيهما من العلوم والعقائد والأحوال والحركات والسكنات والأعمال صحيحها وفاسدها، صوابها وخطأها، خيرها وشرّها، فيجازيكم بحسبها.

[٩ ـ ١٧] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿ولو جعلناه﴾ الرسول ﴿ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ أي: لجسدناه لأن الملك نور غير مرئيّ بالبصر وهم ظاهريون لا يدركون إلا ما كان محسوساً وكل محسوس فهو جسم أو جسماني ولا صورة تناسب الملك الذي ينطبق بالحق حتى يتجسد فيها إلا الصورة الإنسانية، إما لكونه نفساً ناطقة تقتضي هذه الصورة وإما لوجوب وجود الجنسية التي لو لم تكن لما أمكنهم السماع منه وأخذ القول ﴿كتَبَ علىٰ نفسه الرحمة﴾ أي: ألزم ذاته من حيث هي إفاضة الخير والكمال بحسب استعداد القوابل فما من مستحق لرحمة وجود أو كمال إلا أعطاه عند حصول استحقاقه لها.

﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ الصغرى والإعادة أو الكبرى في عين الجمع المطلق ﴿لا رَيْبَ فيه﴾ في كل واحد من الجمعين في نفس الأمر عند التحقيق، وإن لم يشعر به المحجوبون وهم ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بإهلاكها في الشهوات واللذّات الفانية ومحبة ما يفنى سريعاً من حطام الدنيا، وكل محبّ لشيء فهو محشور فيه. فهؤلاء لمحبتهم إياها واحتجابهم بها عموا عن الحقائق الباقية النورانية واستبدلوا بها المحسوسات الفانية الظلمانية ﴿فهم لا يؤمنون * قل إني أمرت أن أكون أوّل من أسلم﴾ قال ذلك مع قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[1]، وكذلك قال موسىٰ: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] لأنّ مراتب الأرواح مختلفة في القُرب والبُعد من الهوية الإلٰهية. وكل من كان أبعد فإيمانه بواسطة من تقدّمه في الرتبة، وأهل الوحدة كلهم في المرتبة الإلٰهية أهل الصف الأول فكان إيمانهم بلا واسطة وإيمان غيرهم بواسطتهم الأقدم فالأقدم، وكل من كان إيمانه بلا واسطة فهو أول من آمن وإن كان متأخر الوجود بحسب الزمان كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «نحن الآخرون السابقون». فلا يقدح اتباعه لملّة إبراهيم في سابقيته لأن معنى الاتباع هو السير في طريق التوحيد مثل سيره في الزمان الأول. ومعنى أوليته كونه في الصف الأول مع السابقين.

[١٨ ـ ٢١] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ بإفنائهم ذاتاً وصفة وفعلاً بذاته وصفاته وأفعاله، فيكون قهره عين لطفه كما لطف بهم بإيجادهم وتمكينهم وإقدارهم على أنواع التمتعات وهيأ لهم ما أرادوا من أنواع النِعَم والمشتهيات فحجبوا بها عنه وذلك عين قهره. فسبحان الذي اتسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته واشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته ﴿وهو الحكيم﴾ يفعل ما يفعل من القهر الظاهر المتضمن للطف الواسع أو اللطف الظاهر المتضمن للقهر الكامل بالحكمة ﴿الخبير﴾ الذي يطلع على خفايا أحوالهم واستحقاقها للطف والقهر ﴿ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذباً﴾ بإثبات وجود غيره ﴿أو كذّب﴾ بصفاته بإظهار صفات نفسه، فأشرك به. وغاية الظلم الشرك بالله ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ لاحتجابهم بما وضعوه في موضع ذات الله وصفاته.

[٢٢ ـ ٢٣] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ في عين جمع الذات ﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ بإثبات الغير ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ لفناء الكل في التجلي الذاتي ﴿ثم لم تكن﴾ عند تجلية الحال وبروز الكل للملك القهّار نهاية شركهم وعاقبته ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ لامتناع وجود شيء نشركه بالله.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

[٢٤ ـ ٢٦] ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)﴾

﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ بافتراء الوجود والصفات لها وضاع ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ فلم يجدوه شيئاً بل وجدوه لا شيء سوى المفتري أو كذبوا على أنفسهم بنفي الشرك عنها مع رسوخ ذلك الاعتقاد فيها.

[٢٧ ـ ٢٩] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩)﴾

﴿ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ﴾ نار الحرمان والتعذّب بهيآت نفوسهم المظلمة واستيلاء صور المفتريات عليهم في العذاب ﴿فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا﴾ من تجليات صفاته ﴿ونكون من المؤمنين﴾ الموحدين، لكان ما لا يدخل تحت الوصف ﴿بل بَدَا﴾ ظهر ﴿لهم ما كانوا يخفون﴾ من العقائد الفاسدة والصفات المهلكة والهيآت المظلمة ببروزهم لله وانقلاب باطنهم ظاهراً، فتعذبوا به ﴿ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه﴾ لرسوخ تلك الاعتقادات والملكات فيهم ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في الدنيا والآخرة لكون الكذب ملكة راسخة فيهم.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)﴾

﴿ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ ربهم﴾ في القيامة الكبرى وهو تصوير لحالهم في الاحتجاب والبعد وإلا لم يكن ثم قول ولا جواب، لحرمانهم عن الحضور والشهود، وإن كانوا في عين الجمع المطلق.

واعلم أن الوقف على الشيء غير الوقوف معه، فإن الوقوف مع الشيء يكون طوعاً ورغبة، والوقف على الشيء لا يكون إلا كرهاً ونفرة، فمن وقف مع الله بالتوحيد كمن قال:

وقف الهوى من حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدّم

لا يوقف للحساب، بل هو من أهل الفوز الأكبر الذين قال فيهم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[١]، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[٢]

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

ويثاب بأنواع النعيم في الجنان كلها. ومن وقف مع الغير بالشرك وقف على الربّ وعذب بجميع أنواع العذاب في مراتب النيران كلها، لكون حجابه أغلظ وكفره أعظم. ومن وقف مع الناسوت بمحبة اللّذات والشهوات، ولبث في حجاب الآثار وقف على الملكوت وعذّب بنيران الحرمان عن المراد، وسلّط عليه زبانية الهيآت المظلمة، وقرن بشياطين الأهواء المردية. ومن وقف مع الأفعال وخرج عن حجاب الآثار، وقف على الجبروت، وعذّب بنار الطمع والرجاء، وردّ إلى مقام الملكوت. ومن وقف مع الصفات وخرج عن حجاب الأفعال، وقف على الذات، وعذّب بنار الشوق في الهجران وإن كان من أهل الرضا وهذا الموقف ليس هو الموقف على الربّ، فإن الموقوف على الذات يعرف ربّه الموصوف بصفات اللطف كالرحيم، والرؤوف، والكريم، دون الموقوف على الربّ فهو حجاب الأنية كما أنّ الواقف مع الأفعال في حجاب أوصافه، والواقف مع الناسوت في حجاب أفعاله التي هي من جملة الآثار. فالمشرك موقوف في المواقف الأربعة أولاً على الربّ فيحجب بالبعد والطرد، كما قال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1]، وقال: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2]، ثم على الجبروت فيطرد بالسخط والقهر كما قال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[3]، ثم على الملكوت فيزجر بالغضب واللعن كما قيل: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾[4] ثم على النار، فيعذب بأنواع النيران أبداً، كما قال على لسان مالك: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[5]، فيكون وقفه على النار متأخراً عن وقفه على الربّ، معلولاً منه، كما قال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾[6]. وأما الواقف مع الناسوت فيقف للحساب على الملكوت ثم على النار، وقد ينحى لعدم السخط وقد لا ينحى لوجوده. والواقف مع الأفعال لا يوقف على النار أصلاً، بل يحاسب ويدخل الجنة. وأما الواقف مع الصفات فهو من الذين: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[7] والله أعلم بحقائق الأمور.

[٣١ - ٣٢] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٢.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.
(٦) سورة يونس، الآية: ٧٠.
(٧) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

﴿قد خسر الذين﴾ المحجوبون المكذبون بلقاء الحق ﴿حتى إذا جاءتهم﴾ القيامة الصغرىٰ ندموا على تفريطهم فيها ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ من أعباء التعلقات، وأفعال محبة الجسمانيات، ووبال السيئات، وآثام هيآت الحسيّات ﴿على ظهورهم﴾ أي: ارتكبتهم واستولت عليهم للرسوخ في نفوسهم فحجبتهم وعذّبتهم وثبطتهم عما أرادوا ﴿وما الحياة الدنيا﴾ أي: الحياة الحسيّة، لأن المحسوس أدنىٰ إلى الخلق من المعقول ﴿إلا لعب﴾ أي: إلا شيء لا أصل له ولا حقيقة سريع الفناء والانقضاء ﴿وللدار الآخرة﴾ أي: عالم الروحانيات ﴿خير للذين﴾ يتجرّدون عن ملابس الصفات البشرية واللذات البدنية ﴿أفلا تعقلون﴾ حتى تختاروا الأشرف الأطيب على الأخس الأدون الفاني.

[٣٣ ـ ٣٧] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قد نعلم إنه ليحزنك﴾ عتاب لرسول الله ﷺ بظهور نفسه بصفة الحزن ﴿لا يكذبونك﴾ إلى آخره، أي: ليس إنكارهم تكذيبك لأنك لست في هذه الدعوة قائماً بنفسك ولا هذا الكلام صفة لك، بل تدعوهم بالله وصفاته وهذه عادة قديمة ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا﴾ بالله، سلاّه بالله بعدما عاتبه لئلا يبقى في التلوين ولا يتأسف بعد ذهابه عليه فيقع في القبض بل يطمئن قلبه، ولهذا عقبه بقوله: ﴿ولا مبدّل لكلمات الله﴾ أي: صفات الله التي يتجلىٰ بها لعباده ولا تتغير ولا تتبدّل بإنكار المنكرين ولا يمكنهم تبديلها. ونفى عنه القدرة وعجزه بقوله: ﴿وإن كان كَبُرَ عليك إعراضهم فإن استطعت﴾ إلى آخره، لئلا تظهر نفسه بصفاتها ﴿فلا تكوننّ من الجاهلين﴾ الذين لا يطلعون على حكمة تفاوت الاستعدادات، فتتأسف على احتجاب من احتجب. فإن المشيئة الإلٰهية اقتضت هداية بعض وحرمان بعض لحكمة ترتب النظام وظهور الكمالات الظاهرة والباطنة، فلا يستجيب إلا من فتح الله سمع قلبه بالهداية الأصلية ووهب له الحياة الحقيقية بصفات الاستعداد ونور الفطرة، لا موتىٰ الجهل الذين ماتت غريزتهم بالجهل المركب أو بالحجب الجبلية، أو لم يكن لهم استعداد بحسب الفطرة فإنهم لا يمكنهم السماع، بل: ﴿يبعثهم الله﴾ بالإعادة في النشأة الثانية ﴿ثم إليه

يرجعون﴾ في عين الجمع المطلق للجزاء أو المكافأة مع احتجابهم. وقد يمكن رفع الحجب في الآخرة للفريق الثاني دون الباقين ﴿ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾ نزول الآيات، فإن ظهور كل صفة من صفاته على كل مظهر من مظاهر الأكوان آية له يعرفه بها أهل العلم.

[٣٨] ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وما من دابة في الأرض﴾ إلى آخره، يمكن حمله على المسخ أي: أمم أمثالكم في الاحتجاب والاعتداء وارتكاب الرذائل كأصحاب السبت الذين مسخوا قردة وخنازير ﴿ما فرّطنا﴾ ما قصرنا في كتابهم الذي فيه صور أعمالهم وهو صحيفة النفس الفلكية أو صحيفة نيتهم التي ثبتت فيها صور أعمالهم ﴿ثم إلى ربهم يُحشَرون﴾ للجزاء، محجوبين في عين الجمع المطلق. والظاهر أن المراد أنهم أمم أمثالكم مربوبون بما احتاجوا إليه من معايشهم، مكفيون مؤنتهم بتقدير من الله وحكمه. ما قصرنا في كتاب اللوح المحفوظ من شيء يصلحهم بل أثبتنا فيه أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكل ما احتاجوا إليه، ثم إلى ربّهم يحشرون لجزاء أعمالهم كما هو مروي في الحديث من حشر الوحوش، وقصاص الأعمال بينهم، وكل واحدة منها آية لكم تعرف بها أحوالكم وأرزاقكم وآجالكم وأعمالكم، فاعتبروا بها ولا تصرفوا هممكم ومساعيكم في طلب الرزق وإصلاح الحياة الدنيا فتخسروا أنفسكم وتضرّوها وتشقوا بها في آخرتكم.

[٣٩ - ٥٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ
يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا
تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ
جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم
مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ
سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ
يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي
خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾

﴿والذين كذّبوا﴾ بتجليات صفاتنا لاحتجابهم بغواشي صفات نفوسهم ﴿صمّ﴾ بآذان القلوب فلا يسمعون كلام الحق ﴿وبُكم﴾ بألسنتها التي هي العقول فلا ينطقون بالحق في ظلمات صفات نفوسهم وجلابيب أبدانهم وغشاوات طبائعهم كالدواب، فكيف يصدّقونك وما هداهم الله لذلك بالتوفيق ﴿من يشأ الله يضلله﴾ بإسبال حجب جلاله ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ بإشراق نور وجهه وسبحات جماله ﴿قل أرأيتكم﴾ إلى آخره، أي: كل مشرك عند وقوعه في العذاب أو عند حضور الموت إن فسرنا الساعة بالقيامة الصغرى أو رفع الحجاب بالهداية الحقانية إلى التوحيد الحقيقي، إن فسرناها بالقيامة الكبرى يتبرّأ عن حول من أشركه بالله وقوته ويتحقق أن لا حول ولا قوة إلا بالله ولا يدعو إلا الله، وينسى كل من تمسك به وأشركه بالله من الوسائل، ولهذا قيل: البلاء سوط من سياط الله، يسوق عباده. أما ترى كيف عقب كلامه بمقارنة الأخذ بالبأساء والضرّاء بإرسال الرسل.

لعل تضاعف أسباب اللطف، كقود الأنبياء وسوق العذاب، يزعجهم عن مقارّ نفوسهم ويكسر سورتها وشدّة شكيمتها، فيطيعوا ويبرزوا من الحجاب وينقادوا متضرّعين عند تجلي صفة القهر وتأثيرها فيهم، ثم بيّن أنهم ما تضرّعوا لقساوة قلوبهم بكثافة الحجاب وغلبة غشّ الهوى وحب الدنيا وميل اللذات الجسمانية.

[٥١] ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾

﴿وأنذر به الذين يخافون﴾ أي: أنذر بما أوحى إليك المستعدّين الذين هم أهل الخوف والرجاء، وأعرض عن الذين قست قلوبهم فإنه لا ينجع فيهم كما قال في أوّل الكتاب: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[١]. ﴿أن يُحشَروا إلىٰ ربهم ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع﴾ أي: يعلمون بصفاء استعدادهم أنه لا بد من الرجوع إلى الله، فيخافون أن يحشروا إليه في حال كونهم محجوبين عنه بحجب صفاتهم وأفعالهم لا وليّ ينصرهم غير الله فينقذهم من ذلّة البعد وعذاب الحرمان، ولا شفيع يشفع لهم فيقرّبهم منه، ويكرّمهم لفناء الذوات والقدر كلها في الله، وقهره إياهم، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦﴾[٢]، فيتعظون بسماعهم له ويحدث فيهم الرجاء فيشمرون في السلوك بالجدّ والاجتهاد ﴿لعلهم يتّقون﴾ لكي يحذروا حجب أفعالهم وصفاتهم وذواتهم، ويتجرّدوا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٦.

عنها بالمحو والفناء في الله، ويتجه أن يكون الوليّ القلب، والشفيع الروح، أي: لم يصلوا إلى مقام القلب الذي هو وليّ النفس فينقذها من العذاب وينصرها من الحرمان، ولا إلى مقام الروح فتشفع لهم بإمداد مدد القرب لها واستمدادها من الله وتتوسل بينهم وبين الله.

[٥٢ ـ ٥٣] ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولا تَطْرد الذين يدعون﴾ أي: لا تزجرهم به، وهم أهل الوحدة الكاملون الواصلون، فإن الإنذار كما لا ينجع في الذين قست قلوبهم لا ينفع في الذين طاشت قلوبهم في الله وتلاشت ﴿ربهم بالغداة والعشي﴾ أي: يخصونه بالعبادة دائماً بحضور القلب وشهود الروح وتوجه السرّ إليه، لا يريدون بالعبادة إلا ذاته بالمحبة الأزلية لا يجعلون عبادتهم معللة بغرض من توقع ثواب جنة أو خوف عقاب أو نقمة، ولا يريدونه بمحبة الصفات فتتغير إرادتهم باختلاف تجلياتها ولا يستحلون توسيط ذاته في مقصد أو مطلب بل شاهدوا فناء الوسائط والوسائل فيه ولم يبق في شهودهم شيء يقع نظرهم عليه حتى ذواتهم ﴿ما عليك من حِسَابهم﴾ فيما يعملون من شيء، أي: لا واسطة بينهم وبين ربّهم من ملك أو نبيّ فلست من دعوتهم إلى طاعة أو إلى جهاد أو إلى غير ذلك في شيء، فحسابهم على الله إذ عملهم ليس إلا بالله وفي الله ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ أي: لا يخوضون في أمور دعوتك بنصر وإعانة للإسلام ولا بدفع وقمع للكفر لاشتغالهم بالله عما سواه ودوام حضورهم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾(١) لا يعنيهم شأن من أمرك ونبوّتك ﴿فتطردهم﴾ عما هم عليه من دوام الحضور بإنهاضهم لشغل ديني أو مصلحة أو تشوّش وقتهم وجمعيتهم ﴿فتكون من الظالمين * وكذلك فتنّا﴾ أي: مثل ذلك الفتن والابتلاء العظيم فتنّا ﴿بعضهم﴾ وهم المحجوبون بالبعض، فإن المحجوبين لما لم يروا منهم إلا صورتهم وسوء حالهم في الظاهر وفقرهم ومسكنتهم، ولم يروا قدرهم ومرتبتهم وحسن حالهم في الباطن، استحقروهم وازدرتهم أعينهم بالنسبة إلى ما هم فيه من المال والجاه والتنعم وخفض العيش فقالوا فيهم:

﴿أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾ بالهداية استخفافاً وهم والله الأطيبون عيشاً، الأرفعون حالاً ومنزلاً، الأعظمون قدراً ورتبة عند الله وعند من يعرفهم كما قال نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ﴾(٢) بل الخير كل الخير ما آتاهم الله ﴿أليس

(١) سورة المعارج، الآية: ٢٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٣١.

الله بأعلم بالشاكرين﴾ الذين يشكرونه بالحقيقة باستعمال نعمة وجودهم وصفاتهم وجوارحهم وما يقوم به من أرزاقهم ومعايشهم في طاعة الله فشكروه بأزاء النعمة الخارجية بالعبادة وتصوّرها من المنعم وصرفها في مراضي الله، وبأزاء نعمة الجوارح باستعمالها في عبادته وسلوك طريقه وتحصيل معرفته ومعرفة صفاته، وبأزاء نعمة الصفات بمحوها في الله والاعتراف بالعجز عن معرفته وشكره وعبادته، وبأزاء نعمة الوجود بالفناء في عين الشهود حتى شكر الله سعيهم بالوجود الموهوب الحقاني، وعلمهم أنه الشاكر المشكور لنفسه بنفسه، لا يقدر على شكره أحد إلا هو، فقالوا: سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وذلك هو علمه بشكرهم وجزاؤه منه.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ بمحو صفاتهم ﴿فقل سلامٌ عليكم﴾ لتنزهكم عن عيوب صفاتكم وتجرّدكم عن ملابسها ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ ألزم ذاته إبدال صفاتكم بصفاته رحمة لكم، لأن في الله خلفاً عن كل ما فات ﴿أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾ أي: ظهر عليه في تلوينه صفة من صفاته بغيبة وغفلة، ثم رجع عن تلوينه من بعد ظهور تلك الصفة وفاء إلى الحضور فعرفها وقمعها بالإنابة إلى الله والتضرّع بين يديه والرياضة ﴿فإنه غفور﴾ يسترها عنه ﴿رحيم﴾ يرحمه بهبة التمكين ونعمة الاستقامة.

[٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي: مثل ذلك التبيين الذي بيّنا لهؤلاء المؤمنين نبين لك صفاتنا ﴿ولتستبين سبيل﴾ المحجوبين بصفاتهم الذين يفعلون ما يفعلون بها وذلك إجرامهم.

[٥٨] ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿قل إني نهيت أن أعبُد﴾ ما سوى الله من الذين تعبدون بهواكم من مال أو نفس أو شهوة أو لذة بدنية أو غير ذلك، فلا ﴿أتبع أهواءَكُم﴾ بعبادتها فأضلّ إذاً باحتجابي بها فلا أهتدي إلى التوحيد ومعنى الماضي أنه تحقق ضلالي على هذا التقدير وما أنا من الهدى في شيء.

[٥٩] ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ إلى آخره، اعلم أن الغيب مراتب أوّلها غيب الغيوب وهو علم الله المسمّى بالعناية الأولى، ثم غيب عالم الأرواح وهو انتقاش صورة كل ما وجد وسيوجد من الأزل والأبد في العالم الأول العقلي الذي هو روح العالم المسمّى بأمّ الكتاب على وجه كلي، وهو القضاء السابق. ثم غيب عالم القلوب وهو ذلك الانتقاش بعينه مفصلاً تفصيلاً علمياً كلياً وجزئياً في عالم النفس الكلية التي هي قلب العالم المسمى باللوح المحفوظ ثم غيب عالم الخيال وهو انتقاش الكائنات بأسرها في النفوس الجزئية الفلكية المنطبعة في أجرامها معينة مشخصة مقارنة لأوقاتها على ما يقع بعينه، وذلك العالم هو المعبر عنه في الشرع بالسماء الدنيا إذ هو أقرب مراتب الغيوب إلى عالم الشهادة ولوح القدر الإلهي الذي هو تفصيل قضائه وعلم الله، وهو العناية الأولى عبارة عن إحاطته بالكل بحضور ذاته لكل هذه العوالم التي هي عين ذاته فيعلمها مع جميع تلك الصور التي فيها بأعيانها لا بصورة زائدة فهي عين علمها ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فالمفاتح إن كان جمع مفتح بفتح الميم الذي هو المخزن فمعناه عنده هذه الخزائن المشتملة على جميع الغيوب لحضور ذاته لها ﴿لا يعلمها إلا هو﴾ وإن كان جمع مفتح بكسر الميم بمعنى المفتاح، فمعناه إما ذلك المعنى بعينه يعني أبوابها مغلقة ومفاتيحها بيده لا يطلع على ما فيها أحد غيره. وإما أن أسباب إظهارها وإخراجها من مكانها إلى عالم الشهادة حتى يطلع عليه الخلق بيد قدرته وتصرّفه محفوظة عنده لا يقدر غيره على انتزاعها منه حتى يطلع على ما فيها وهي أسماؤه تعالى، والكتاب المبين هو السماء الدنيا لتعين هذه الجزئيات فيها مع عددها وتشخصها.

[٦٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ثم يبعثكم فيه﴾ أي: فيما جرحتم من صواب أعمالكم ومكاسبكم للجزاء ﴿ليقضى أجل﴾ عينه للبعث والإحياء. ثم إلى ربكم ترجعون في عين الجمع المطلق فينبئكم بإظهار صور أعمالكم عليكم وجزائكم بها.

[٦١ ـ ٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ بتصرّفه فيهم كما شاء وإفنائهم في عين الجمع المطلق إذ لا شيء إلا وهو مقهور فيه ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ هي قواهم التي ينطبع فيها كل حال بحسب الرسوخ وعدمه، فيظهر عليهم عند انسلاخهم عن البدن فيتمثل بصور تناسبها إما روحانية

لطيفة توصل إليها الروح والثواب، وإما جسمانية مظلمة توصل إليها العذاب بل تظهر تلك الصور على جوارحها وأعضائها فتتشكل بهيآتها وتنطق عليهم بأعمالها بلسان الحال. والقوى السماوية التي أشرنا إليها وإلى انتقاش جميع الحوادث الجزئية فيها فتظهر عليهم بأسرها عند مفارقتها عن بدنها، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها عليهم وهي بأعيانها الرسل التي توفتهم عند الموت. والردّ أيضاً يكون في عين الجمع المطلق فإنه للجزاء ﴿**وهو أسرع الحاسبين**﴾ لوقوع حسابهم في آن وهو: توفيهم.

[٦٣ ـ ٦٤] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿**قل من ينجيكم من ظلمات البرّ**﴾ التي هي حجب الغواشي البدنية والصفات النفسانية ﴿**و**﴾ ظلمات ﴿**البحر**﴾ التي هي حجب صفات القلوب وفكر العقول ﴿**تدعونه**﴾ إلى كشفها ﴿**تضرّعاً**﴾ في نفوسكم ﴿**وخفية**﴾ في أسراركم ﴿**لئن أنجيتنا من هذه**﴾ الحجب ﴿**لنكوننّ من**﴾ الذين شكروا نعمة الإنجاء بالاستقامة والتمكين ﴿**قل الله ينجيكم منها**﴾ بكشف تلك الحجب بأنوار تجليات صفاته ﴿**ومن كل كرب**﴾ أي: ما بقي في استعدادكم بالقوة من كمالاتكم بإبرازها حتى لو كانت بقية من بقايا وجودكم كرباً لكم لاستعدادكم للفناء والخلاص منها بالكلية لقوة الاستعداد وكمال الشوق لأنجاكم منها ﴿**ثم أنتم**﴾ بعد علمكم بهذا المقام الشريف وما ادّخر لكم ﴿**تشركون**﴾ به أنفسكم وأهواءكم فتعبدونها.

[٦٥ ـ ٦٧] ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم**﴾ باحتجابكم بالمعقولات والحجب الروحانيات ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾ باحتجابكم بالحجب الطبيعية ﴿**أو يلبسكم شيعاً**﴾ أو يخلطكم فرقاً متفرقة كل فرقة على دين قوة من قواكم هي أمامهم تقابل الفرقة الأخرى فيقع بينكم الهرج والمرج والقتال، أو فرقاً مختلفة العقائد كل فرقة على دين دجال أو شيطان أنسيّ أو جنيّ هو إمامهم، أو يجعل أنفسكم شيعاً باستيلاء كل قوة من قواكم على القلب بطلب لذتها المخصوصة بها، إحداها تجذبه إلى غضب والأخرى إلى شهوة أو طمع أو غير ذلك، فيغرق القلب عاجزاً فيما بينهم، أسيراً في قبضتهم، كلما همّ بتحصيل لذة هذه منعته الأخرى، ويقع بينهم الهرج والمرج في وجودكم لعدم ارتياضهم بسياسة رئيس واحد قاهر يقهرهم ويسوسهم بأمر وحدانيّ يقيم كلاً منهم في مقامها، مطيعة منقادة فتستقيم مملكة

الوجود ويستقرّ الملك على رئيس القلب. وعلى هذا التأويل يكون كل واحد منهم فرقة أو فرقاً متفرقة على أديان شتى لا شخصاً واحداً ﴿وكذّب به﴾ أي: بهذا العذاب قومك ﴿وهو الحق﴾ الثابت النازل بهم ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بموكل يحفظكم ويمنعكم من هذا العذاب ﴿لكل﴾ ما ينبأ عنه محل وقوع واستقرار ﴿وسوف تعلمون﴾ حين يكشف عنكم أغطية أبدانكم فيظهر عليكم ألم هذا العذاب بصور ما تقتضيه نفوسكم.

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ أي: صفاتنا بإظهار صفات نفوسهم وإثبات العلم والقدرة لها ﴿فأعرض عنهم﴾ فإنهم محجوبون مشركون ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ بتسويل بعض الأباطيل والخرافات عليك، ووسوسة نفسك فتظهر ببعض صفاتها وتجانسهم بذلك فتميل إلى صحبتهم ﴿فلا تقعد بعد﴾ ما تذكرت بتذكيرنا إياك ﴿مع القوم﴾ الذين ظلموا أنفسهم بوضع صفاتهم موضع صفاتي وحجبوها بصفاتهم فإن صحبتهم تؤثر فيوشك أن تقع في الاحتجاب بشؤم صحبتهم على سبيل التلوين.

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وما على﴾ الموحدين الذين يتجرّدون عن ملابس صفاتهم ويجتنبون هيآتها من حساب أولئك المحجوبين ﴿من شيء﴾ أي: لا يحتجبون بواسطة مخالطتهم فيكونون معهم سواء ولكن ذكرناهم لعلهم يحترزون عن صحبتهم وما عسى يقعون فيه من التلوين أو وبالهم وشأنهم وحسابهم حتى يصاحبونهم ولكن فليذكروهم أحياناً بأدنى مخالطة لعلهم يحذرون شركهم وحجبهم فينجون ببركة صحبتهم أو وما عليهم مما يحاسب به من أعمالهم ووبالها من شيء ولكن فليذكروهم بالزجر والنهي لعلهم يحترزون عنها.

[٧٠] ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وذر الذين اتخذوا﴾ أي: اترك الذين دينهم وعادتهم الهوى واللهو لأنهم لا يرفعون بذلك رأساً لرسوخ ذلك الاعتقاد فيهم واغترارهم بالحياة الحسيّة وأعرض عنهم وأنذر بالقرآن كراهة أن تحجب نفس بكسبها، أي: لا يكون دينها وديدنها ذلك ولم ترسخ تلك العقيدة فيها

لكن ترتكب بالميل الطبيعي أفعالاً مثل أفعالهم فتحتجب بسببها فإنها تتأثر به وتتعظ فتنتهي، فأنذرها حتى لا تصير مثلهم فتحبس بعملها عن الهداية وحينئذ لا يقبل منها فدية إذ حجبت بكسبها. والشراب الحميم هو شدّة شوقها إلى الكمال لقوة استعدادها. والعذاب الأليم حرمانها عنه باحتجابها بأعمالها وهيآتها.

[٧١ ـ ٧٢] ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قل أندعوا من دون الله﴾ أي: أنعبد ما لا قدرة ولا وجود له حقيقة فينفع أو يضرّ ﴿ونردّ﴾ إلى الشرك ﴿على أعقابنا بعد إذ هدانا الله﴾ الهداية الحقيقية إلى التوحيد ﴿كالذي﴾ ذهبت به شياطين الوهم والتخيل في مهمة أرض النفس ﴿حيران﴾ لا يدري أين يمشي وما يصنع بلا طريق ولا مقصد ﴿له أصحاب﴾ رفقاء من الفكر والعاقلة العملية والنظرية ﴿يدعونه إلى الهدى﴾ يقولون ﴿ائتنا﴾ فإن هذا هو الطريق ولا يسمع لارتتاق سمع قلبه بالهوى ﴿قل إن﴾ هداية الله التي هي طريق التوحيد ﴿هو الهدىٰ﴾ لا غير ﴿وأمرنا لنسلم لربّ العالمين﴾ لننقاد لصفة الربوبية بمحو صفاتنا في المتجلي بها وإسلامها إليه ونقيم صلاة الحضور القلبي ونتقيه ونجعله وقاية لنا في الصفات ليكون هو الموصوف به، فنتخلص به عن وجودنا فيكون هو المحشور إليه بذاته عند فنائنا فيه.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وهو الذي خلق﴾ سموات الأرواح وأرض الجسم قائماً بالعدل الذي هو مقتضى ذاته ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ أي: وقت السرمدي الذي هو أزل آزال ظهور الأشياء في أزلية ذاته التي هي أزلية الأزل مطلقاً وهو حين تعلق إرادته القديمة بالظهور في تعينات ذاته المعبر عنه بقوله: كن، وهو بعد أزلية الآزال بالاعتبار العقلي لا أنها تتأخر عن تلك الأزلية بالزمان بل بالترتيب العقلي الاعتباري في ذاته تعالى، فإن التعينات تتأخر عن مطلق الهوية المحضة عقلاً وحقيقة وظهورها بالإرادة المسماة بقوله: ﴿كن فيكونُ﴾ بلا فصل وتأخير يعبر عنه بـ: (يكون)، لأنها لم تكن في الأزل فكانت ﴿قوله الحق﴾ أي: في ذلك الوقت سيما سرمديّ إرادته التي اقتضت وجود المبدعات على ما هي عليه ثابتة في حالها متغيرة، اقتضت ما اقتضت على أحسن ما يكون من النظام والترتيب وأعدل ما يكون من الهيئة والتركيب.

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ وقت نفخه في الصور أي: إحياء صور المكوّنات بإفاضة أرواحها عليك لا ملك إلا له فإنها بنفسها ميتة لا وجود لها ولا حياة فضلاً عن المالكية ﴿عالم الغيب﴾ أي: حقائق عالم الأرواح التي هي ملكوته ﴿والشهادة﴾ أي: صور عالم الأجسام التي هي ملكه ﴿وهو الحكيم﴾ الذي أوجدها ورتبها بحكمته فأفاض على كل صورة ما يليق بها من الأرواح ﴿الخبير﴾ الذي علم أسرارها وعلانيتها وخواصها وأفعالها، تلخيصه: هو مبدع الأرواح والجسم المطلق بإرادته القديمة الأزلية الثابتة التي لا تغير فيها أبداً إبداعاً على وجه العدل والحكمة الذي اقتضاه ذاته ومكوّن الكائنات بإنشائها في عالم الملك الذي هو مالكه لا غير، كيف شاء عالماً بما يجب أن يكون عليها حكيماً في اتقانها ونظامها وترتيبها، خبيراً بما يحدث فيها من الأحوال الحادثة على حسب إرادته بذاته لا شريك له في ذلك كله.

[٧٤ ـ ٧٥] ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه﴾ أي: اذكر وقت سلوك إبراهيم طريق التوحيد عند تبصيرنا وهدايتنا إياه واطلاعه على شرك قومه واحتجابهم بظهور عالم المُلك عن حقائق عالم الملكوت وربوبيته تعالىٰ للأشياء بأسمائه معتقدين لتأثير الأجرام والأكوان، ذاهلين بها عن المكوّن فعيّرهم بذلك وقال لمقدّمهم وأكبرهم أبيه: ﴿أتتخذ أصناماً آلهة﴾ وتعتقد تأثيرها ﴿إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾ ظاهر يعرف بالحسّ، ومثل ذلك التبصير والتعريف العام الكامل نعرف إبراهيم ونريه ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ أي: القوى الروحانية التي يدبر الله بها أمر السموات والأرض، فإنّ لكل شيء قوة ملكوتية تحفظه وتدبر أمره بإذن الله ﴿وليكون من الموقنين﴾ فعلنا ذلك أي: بصّرناه ليعلم ويعرف أن لا تأثير إلا لله، يدبّر بأسمائه التي هي ذاته مع كل واحدة من الصفات، فتتكثر الأفعال من وراء حجب الأكوان. فالمحجوب بالكون واقف مع الحس يرى تلك الأفعال من الأكوان والمجاوز عنه الذي خرق حجاب الكون ووقف مع العقل محبوساً في قيده يراها من الملكوت، والمهتدي بنور الهداية الإلٰهية المنفتحة عين بصيرته يرى أن الملكوت بالنسبة إلى ذات الله تعالىٰ كالملك بالنسبة إلى الملكوت، فكما لا يرى التأثير من الأكوان لا يراها من ملكوتها بل من مالكها ومكوّنها، فيقول حقاً: لا إلٰه إلا الله.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فلما جنّ عليه الليل﴾ أي: فلما أظلم عليه ليل عالم الطبيعة الجسمانية في صباه وأوّل

شبابه ﴿رأى﴾ كوكب ملكوت الهيكل الإنساني التي هي النفس المسماة روحاً روحانية وجد فيضه وحياته وربوبيته منها إذ كان الله تعالى يريه في ذلك الحين باسمه المحيي، فقال بلسان الحال: ﴿هذا ربي فلما أفل﴾ بعبوره عن مقام النفس وطلوع نور القلب وإشراقه عليه بآثار الرشد والتعقل ومعرفته لإمكان النفس ووجوب انطباعها في الجسم ﴿قال لا أحبّ الآفلين﴾ الغاربين في مغرب الجسم، المحتجبين به، المستترين بظلمة الإمكان والاحتياج إلى الغير ﴿فلما رأى﴾ قمر القلب بازغاً بوصوله إلى مقام القلب وطلوعه من أفق النفس بظهوره عليه ورأى فيضه بمكاشفات الحقائق وعلمه وربوبيته منه، إذ كان الله تعالى يريه حينئذ باسمه العالم والحكيم ﴿قال هذا ربي فلما أفل﴾ باحتجابه عنه وعبوره عن طوره وشعوره بأن نوره مستفاد من شمس الروح وإنه قد يتغيب في ظلمة النفس وصفاتها فيحتجب بها ولا نور له أعرض عن مقامه سالكاً طريق تجلي الروح قائلاً: ﴿لئن لم يهدني ربّي﴾ إلى نور وجهه ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ الذين يحتجبون بالبواطن عنه كالنصارى الواقفين مع الحجب النورانية.

[٧٧ ـ ٧٩] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فلما رأى الشمس﴾ الروح ﴿بازغة﴾ بتجليها عليه وظهور نورها وجد فيضه وشهوده وربوبيته منها إذ كان الله تعالى يريه حينئذ باسمه الشهيد والعلي العظيم ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾ لعظمته وشدّة نورانيته ﴿فلما أفلت﴾ باستيلاء أنوار تجلي الحق وطلوع سبحات الوجه الباقي، وانكشاف حجاب الذات بوصوله إلى مقام الوحدة رأى النظر إلى الروح وإلى وجوده مشركاً فقال: ﴿يا قوم إني بريء مما تُشركون﴾ به أي: أيّ شيء كان إذ لا وجود لغيره ﴿إني وجهت وجهي﴾ أي: أسلمت ذاتي ووجودي ﴿للذي﴾ أوجد سموات الأرواح وأرض النفس مائلاً عن كل ما سواه حتى عن وجودي بالفناء فيه ﴿وما أنا من المُشركين﴾ أي: لست من الشرك في شيء، كوجود البقية وظهورها وغير ذلك.

[٨٠ ـ ٨١] ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وحاجه قَوْمه﴾ في نفي التأثير عن الأجرام والأكوان وترك تعبّد كل ما سوى الله ﴿قال أتحاجوني في الله وقد هدان﴾ إلى توحيده ﴿ولا أخاف ما تشركون﴾ وتقولون بتأثيره أبداً ﴿إلا﴾ وقت ﴿أن يشاء ربي شيئاً﴾ من جهتها بي من مكروه أو ضرّ يلحقني من جهتها وذلك منه وبعلمه لا منها. ﴿وسع ربي كل شيء عِلماً﴾ يعلم حالي وما فيه صلاحي، إن علم إضراري من جهتها أولى بي فعل ﴿أفلا تتذكرون﴾ فتميزوا بين العاجز والقادر.

[٨٢ ـ ٩٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿الذين آمنوا﴾ بالتوحيد الذاتي ﴿ولم﴾ يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم﴾ من ظهور نفس القلب أو وجود بقية فإنها شرك خفيّ ﴿أولئك لهم الأمن﴾ الحقيقي الذي لا خوف معه ﴿وهم مُهتَدون﴾ بالحقيقة إلى الحق ﴿وتلك حجتنا﴾ أي: حجة التوحيد التي احتجّ بها إبراهيم على قومه ﴿كل من الصالحين﴾ الذين يقومون بصلاح العالم وضبط نظامه وتدبيره لاستقامتهم بالوجود الموهوب الحقاني بعد فناء الوجود البشري ﴿وكلاً فضلنا على﴾ عالمي زمانهم.

[٩١ ـ ٩٢] ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بَشر من شيء﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته إذ بالغوا في تنزيهه حتى جعلوه بعيداً من عباده بحيث لا يمكن أن يظهر من علمه وكلامه عليهم شيء ولو عرفوه حق معرفته لعلموا أن لا وجود لعباده ولا لشيء آخر إلا به. والكل موجود بوجوده لا وجود إلا له جميع عالم الشهادة ظاهره وعالم الغيب باطنه، ولكل

باطن ظاهر، فأيّ حرج من ظهور بعض صفاته على مظهر بشري بل لا مظهر لكمال علمه الباطن وحكمته إلا الإنسان الكامل. فالنبي من حيث الصورة ظاهره، ومن حيث المعنى باطنه يتنزل علمه على قلبه ويظهر على لسانه ويدعو به عباده إلى ذاته ولا إثنينية إلا باعتبار تفاصيل صفاته. وأما باعتبار الجمع فلا أحد موجود إلا هو لا النبيّ ولا غيره، فإذا اعتبر تفاصيل صفاته وأسمائه يظهر النبي تبعية الخاص في ذاته تعالى ببعض صفاته فيصير اسماً من أسمائه، وإذا كان كاملاً في نبوّته يكون الأعظم الذي لا تنفتح أبواب خزائن غيبه ووجوده وحكمته إلا به كما سمعت. فلا تنكر إن عجبت وحرمت من فهمه وبهت، فعسى أن يفتح الله عين بصيرتك فترى ما لا عين رأت أو سمع قلبك، فتسمع ما لا أذن سمعت أو ينوّر قلبك فتدرك ما لا خطر على قلب بشر.

[٩٣] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿**ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً**﴾ بادّعاء الكمال والوصول إلى التوحيد والخلاص عن كثرة صفات النفس وازدحامها مع بقائها فيه فيكون في أقواله وأفعاله بالنفس وهو يدعي أنه بالله ﴿**أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء**﴾ أي: حسب مفتريات وهمه وخياله ومخترعات عقله وفكره وحياً من عند الله وفيضاً من الروح القدسي فتنبأ ﴿**ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله**﴾ أي: تفرعن بوجود أنائيته وتوهم التوحيد العلمي عينياً، فادعى الإلٰهية ﴿**ولو ترى إذ الظالمون**﴾ أي: هؤلاء الظلمة من المدّعين للكمال المحجوبين الذين يزعمون كون أفعالهم إلهية وهي نفسانية والمتنبئين والمتفرعنين ﴿**في غمرات الموت**﴾ أي: شدائده وسكراته لافتقادهم في دعواهم وغلطهم في حسبانهم أنهم قد فنوا عن أنفسهم وتجرّدوا عن ملابس أبدانهم مع شدّة تعلقهم بها وقوة محبة الدنيا ورسوخ الهوى فيهم لأنهم ما ماتوا بالموت الإراديّ والتجرّد عن الشهوات واللذات البدنية، وما فنوا عن صفات نفوسهم ودواعيها حتى يسهل عليهم الموت الطبيعي ﴿**والملائكة**﴾ أي: قوى العالم التي كانت تمدّ قواهم النفسانية من النفوس الكوكبية والفلكية وتأثيراتها التي كانت تستولي عليهم في حياتهم مع ظنهم أنهم تخلصوا منها بالتجرّد كما أشرنا إليه ﴿**باسطو أيديهم**﴾ قوية التأثير فيهم، بالغة فيه كنه قواها وقدرها ﴿**أخرجوا أنفسكم**﴾ أي: تعنفهم وتقهرهم لشدّة تعكفهم وكثرة تحسرهم وصعوبة مفارقة الأبدان عليهم ﴿**اليوم تُجزون عذاب الهون**﴾ والصغار بوجود صفات نفوسكم وهيآتها

المظلمة المؤذية وحجب أنائيتكم وتفرعنكم كما قال: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[1] ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ أي: بسبب افترائكم على الله، أعمالكم وأقوالكم الصادرة من صفات نفوسكم وأهوائها ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ وبسبب احتجابكم بأنائيتكم وتفرعنكم معجبين بصفاتكم غير مذعنين بمحوها لصفاتنا محجوبين عنها بوجودها مستكبرين بها عنها.

[٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ولقد جئتمونا فرادىٰ﴾ مجرّدين عن الصفات والعلائق والأهل والأقارب والوجود بالاستغراق في عين جمع الذات ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ بإنشاء ذرات هوياتكم في الأزل عند أخذ الميثاق ﴿وتركتم ما خوّلناكم﴾ من الوسائل والعلوم والفضائل ﴿وراء ظهوركم وما نرى معكم﴾ وسائلكم وأسبابكم وما آثرتموه بهواكم وتعلقتم بها من محبوباتكم ومعبوداتكم ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ بمحبتكم إياها وتعبدكم لها ونسبتكم التأثير إليها واعتباركم واعتدادكم بها قد وقع التفرّق بينكم بتغير الأحوال وتبدّل الصور والأشكال ﴿وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون﴾ شيئاً موجوداً بشهودكم ثناء الكل في الله.

[٩٥ ـ ٩٦] ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إن الله فالق﴾ حبة القلب بنور الروح عن العلوم والمعارف ونوى النفس بنور القلب عن الأخلاق والمكارم ﴿يُخرج﴾ حيّ القلب عن ميت النفس تارة باستيلاء نور الروح عليها ﴿ومُخرج﴾ ميت النفس عن حيّ القلب أخرى بإقباله عليها واستيلاء الهوى وصفات النفس عليه. ﴿ذٰلكم الله﴾ القادر على تقليب أحوالكم وتغليبكم في أطواركم ﴿فأنّى﴾ تصرفون منه إلى غيره ﴿فَالِقِ الإِصْبَاحِ﴾ أي: فالق ظلمة صفات النفس عن القلب بإصباح نور شمس الروح وإشراقه عليها ﴿وجاعل﴾ ظلمة النفس سكن القلب يسكن إليها للارتفاق والاسترواح أحياناً أو سكناً تسكن فيه القوى البدنية وتستقرّ عن الاضطراب وشمس الروح وقمر القلب محسوبين في عداد الموجودات الباقية الشريفة، معتدّاً بهما. أو علمي حساب الأحوال والأوقات تعتبر بهما ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ القوي على ذلك ﴿العليم﴾ بأحوال البروز والانكشاف والتستر والاحتجاب بهما يعز تارة باحتجابه بهما وعنهما في ستور جلاله، وتارة بتجليه وقهرهما وإفنائهما يعلم ما يفعل بحكمته.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

[٩٧ ـ ٩٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ۝٩٨﴾

﴿**وهو الذي جعل لكم**﴾ نجوم الحواس ﴿**لتهتدوا بها في ظلمات**﴾ برّ الأجساد إلى مصالح المعاش وبحر القلوب باكتساب العلوم بها ﴿**قد فصلنا الآيات**﴾ أي: الروح والقلب والحواس ﴿**لقوم يعلمون**﴾ ذلك ﴿**وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة**﴾ هي النفس الكلية ﴿**فمستقرّ**﴾ في أرض البدن حال الظهور ﴿**ومستودع**﴾ في عين جمع الذات حال الفناء. ﴿**قد فصلنا**﴾ آيات ظهور النفس واستقرارها واستيداعها ﴿**لقوم يفقهون**﴾ بتنوّر قلوبهم وصفاء فهومهم.

[٩٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٩٩﴾

﴿**وهو الذي أنزل**﴾ من سماء الروح ماء العلم ﴿**فأخرجنا به نبات**﴾ كل صنف من الأخلاق والفضائل ﴿**فأخرجنا**﴾ من النبات هيئة خضرة النفس وزينة حسنة جميلة وبهجة بالعلم والخلق ﴿**نخرج**﴾ من تلك الهيئة والنفس الطرية الغضة أعمالاً مترتبة شريفة مرضية، ونيّات صادقة يتقوّى بها القلب، ومن نخل العقل من ظهور تعلقها معارف وحقائق قريبة التناول لظهورها بنور الروح كأنها بديهية ﴿**وجنّات من أعناب**﴾ الأحوال والأذواق وخصوصاً أنواع المحبة القلبية المسكر عصيرها وسلافها، وزيتون التفكّر، ورمّان التوهمات الصادقة التي هي الهمم الشريفة، والعزائم النفيسة ﴿**مشتبهاً**﴾ بعضها ببعض كالتعقلات والتفكرات والمعارف والحقائق والأعمال والنيّات وكمحبة الذات ومحبة الصفات ﴿**وغير متشابه**﴾ كأنواع المحبة مع الأعمال مثلاً، أو مشتبهاً في رتبتها وقوتها وضعفها وجلائها وخفائها وغير متشابه فيه ﴿**انظروا إلىٰ ثمره إذا أثمر**﴾ وراعوه بالمراقبة عند السلوك وبدء الحال، وليكن نظركم من اللذات إلى هذه الثمرات ﴿**وينعه**﴾ وكماله عند الوصول بالحضور ﴿**إن في ذٰلكم لآيات لقوم يؤمنون**﴾ بالإيمان العلميّ، ويوقنون هذه الآيات والأحوال التي عدّدناها.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾

﴿**وجعلوا لله شركاء الجنّ**﴾ أي: جعلوا جنّ الوهم والخيال شركاء لله في طاعتهم لها وانقيادهم. وقد علموا أنّ الله خلقهم فكيف يعبدون غيره ﴿**وخرقوا له**﴾ اختلقوا بالافتراء

المحض ﴿بنين﴾ من العقول ﴿وبنات﴾ من النفوس يعتقدون أنها مؤثرات ومجرّدات مثله تولّدت منه ﴿بغير علم﴾ منهم أنها أسماؤه وصفاته لا تؤثر إلا به ﴿سبحانه وتعالىٰ﴾ تنزّه عن أن يكون وجوداً مجرداً مخصوصاً بتعين خاص واحداً من الموجودات المتعينة يصدر عنه وجودات العقول المجرّدة والنفوس وتعاظم ﴿عمّا يصفون﴾ به علوّاً كبيراً.

[١٠١ ـ ١٠٢] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾

﴿بديع السموات والأرض﴾ أي: عديم النظير والمثل في سموات عالم الأرواح وأرض عالم الأجساد ﴿أنىٰ يكون له ولد﴾ أي: كيف يماثله شيء ﴿ولم تكن له صاحبة﴾ لأن الصاحبة لا تكون إلا مجانسة وهو لا يجانس شيئاً، وإذا لم يجانس شيئاً لم يماثله فلم يكن له مثل يتولد منه ﴿وخلق كل شيء﴾ بتخصيصه يتعين في ذاته وإيجاده بوجوده لا بأنه موجود مثله ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ يحيط علمه بالعقول والنفوس وغيرها كما يحيط وجوده بها وهي محاطة لا تحيط بعلمه ولا تعلم إلا بعلمه ولا توجد إلا بوجوده فلا تماثله لأنها بأنفسها معدومة، وأنىٰ يماثل المعدوم الموجود المطلق ﴿ذٰلكم﴾ البديع العديم المثل الموصوف بجميع هذه الصفات ﴿الله ربكم لا إلٰه﴾ في الوجود ﴿إلا هو﴾ أي: لا موجود إلا هو باعتبار الجمع ﴿خالق كل شيء﴾ باعتبار تفاصيل صفاته فخصوا العبادة به، أي: بالوجود الموصوف بجميع الصفات الذي هو الله دون من سواه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي: لا يستحق العبادة إلا المبدىء لكل شيء وهو مع ذلك وكيل على الكل يحفظها ويدبرها ويوصل إليها الأرزاق وما تحتاج إليه حتى تبلغ الكمال اللاحق بها.

[١٠٣ ـ ١٠٨] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٠٨)﴾

﴿لا تدركه الأبصار﴾ أي: لا تحيط به لأنه اللطيف الجليل عن إدراكها، وكيف تدركه وهي لا تدرك أنفسها التي هي نور منه؟! ﴿وهو يُدرِك الأبصار﴾ لإحاطته بكل شيء ولطف إدراكه ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ أي: آيات بيّنات هي صور تجليات صفاته التي هي أنوار

بصائر القلوب. والبصيرة نور يبصر به القلب، كما أنّ البصر نور تبصر به العين، ﴿**فمن أبصر**﴾ أي: صار بصيراً بها، فإنما فائدة إبصاره وهدايته لنفسه ومن حجب عنها فإنما مضرّة احتجابه لا تتعدّى إلى غيره بل إليه ﴿**وما أنا عليكم بحفيظ**﴾ رقيب يرقبكم ويحفظكم عن الضلال، بل الله حفيظ يحفظكم ويحفظ أعمالكم ﴿**ولو شاء الله ما أشركوا**﴾ أي: كل ما يقع فإنما يقع بمشيئة الله ولا شك أن استعداداتهم التي وقعوا بها في الشرك وأسباب ذلك من تعليم الآباء والعادات وغيرها أيضاً واقعة بإرادة من الله وإلا لم تقع. فإن آمنوا بذلك فبهداية الله وإلا فهوّن على نفسك ﴿**وما جعلناك عليهم حفيظاً**﴾ تحفظهم عن الضلال ﴿**وما أنت**﴾ بموكل عليهم بالإيمان. ولا ينافي هذا ما قال في تعبيرهم فيما بعد بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾[1] لأنهم قالوا ذلك عناداً ودفعاً للإيمان بذلك التعلل لا اعتقاداً، فقولهم ذلك وإن كان صدقاً في نفس الأمر لكنهم كانوا به كاذبين، مكذبين للرسول ﷺ، إذ لو صدقوا لعلموا أنّ توحيد المؤمنين أيضاً بإرادة الله وكذا كل دين. فلم يعاندوا ولم يعادوا أحداً، ولوعلموا أن كل شيء لا يقع إلاّ بإرادة الله لما بقوا مشركين بل كانوا موحدين، لكنهم قالوه لغرض التكذيب والعناد وإثبات أنه لا يمكنهم الانتهاء عن شركهم فلذلك عيّرهم به لا لأنه ليس كذلك في نفس الأمر، فإنهم لم يطلعوا على مشيئة الله وأنه كما أراد شركهم في الزمان السابق لم يرد إيمانهم الآن إذ ليس كل منهم مطبوع القلب بدليل إيمان من آمن منهم. فلم لا يجوز أن يكون بعضهم كانوا مستعدّين للإيمان والتوحيد واحتجبوا بالعادة وما وجدوا من آبائهم فأشركوا ثم إذا سمعوا الإنذار وشاهدوا آيات التوحيد اشتاقوا إلى الحق وارتفع حجابهم فوحدوا؟، فلذلك وبّخهم على قولهم وطلب منهم الحجة على أنّ الله أرادهم بذلك دائماً وأنذرهم بوعيد من كان قبلهم لعل من كان فيه أدنى استعداد إذا انقطع عن حجته وسمع وعيد من قبله من المنكرين، ارتفع حجابه ولان قلبه فآمن، ويكون ذلك توفيقاً له ولطفاً في شأنه، فإنّ عالم الحكمة يبتنئ على الأسباب. وأما من كان من الأشقياء المردودين المختوم على قلوبهم، فلا يرفع لذلك رأساً ولا يلقى إليه سمعاً.

[١٠٩ ـ ١١١] ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية**﴾ إلى آخره، طلبوا خوارق العادات

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

وأعرضوا عن الحجج البينات، لأنهم كانوا محجوبين بالحسّ والمحسوس، فلم تنجع فيهم الدعوة بالحكمة والإثبات بالحجة كما تنجع في العقلاء المستعدّين. ﴿قل إنما الآيات﴾ أي: خوارق العادات التي اقترحوها إنما هي من عَالم القدرة ليست إلا عنده ﴿وما يشعركم﴾ أنهم لا يؤمنون عند مجيئها، أي: أنا أعلم بهم منكم أنهم لا يؤمنون بها، أو وما يشعركم أنهم يؤمنون عند مجيئها لعلها إذا جاءت لا يؤمنون بها، ومن لم يرد الله منه الإيمان يقلب قلبه وبصره عند مجيء الآية التي اقترحها وزعم أنه يؤمن عند نزولها، فيقول: هذا سحر، ولا يؤمن به كما لا يؤمن قبل مجيء الآية ويذره في ظهور نفسه بصفاتها واحتجابه بها، ولهذا قال في آخر الآية الثانية: ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ يعني: من استعدّ للإيمان فهم المعقول وأدرك الحجة، وانفتحت عين بصيرته بأدنى نور من هداية الله وآمن بأدنى سبب، ومن لم يستعدّ لذلك ولم يخلق له لو رأى كل آية من خوارق العادات وغيرها ما أثر فيه ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ أن الإيمان بمشيئة الله لا بخوارق العادات، وفي الحقيقة لا اعتبار بالإيمان المرتب على مشاهدة خوارق العادات، فإنه ربما كان مجرد إذعان لأمر محسوس وإقرار باللسان وليس في القلب من معناه شيء كإيمان أصحاب السامري. والإيمان لا يكون إلا بالجنان، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾(١).

[١١٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً﴾ إلى آخره، يلزم من ترتب مراتب الأرواح أن مقابلة أصفى الاستعدادات وأنورها بأكدرها وأظلمها وأبعدها ولزم منه وجود عدوّ لكل نبيّ للتضاد الحقيقي بينهما. وفائدة وجود العدوّ في مقابلته له أن الكمال الذي قدّر له بحسب استعداده لا يظهر عليه إلا بقوة المحبة للاستمداد، وأما القهر فلانكسار نفسه به وبإهانته واستخفافه له، وتثبته عند مقابلته في مقام القلب وتجلده معرضاً عن النفس ولذاتها لاشتغاله بالعدوّ ذاهلاً عنها لفرط الحمية والحرص على الفضيلة التي يقهر بها العدو والاحتراز عن الملابس الحيوانية والشيطانية ليبعد بها عن مقامه ومناسبته ولئلا يتطرّق له سبيل إلى طعنه وتحقيره وازدرائه بها، ولهذا قال ﷺ: «ما أوذِي نبيّ قط مثل ما أوذيت»، إذ لا كمال لأحد مثل كماله فيجب أن يكون سبب إخراجه إلى الفعل أقوى لغاية بعده عن صفات النفس وعاداتها.

[١١٣ ـ ١١٧] ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ولتميل إليه المحجوبون لمناسبتهم ﴿وليرضوه﴾ لمحبتهم إياه، فتقوىٰ غوايتهم ويتظاهرون ويخرج ما فيهم من الشرور إلى الفعل، ويزدادوا طغياناً وتعدّياً على النبيّ ﷺ فتزداد قوة كماله وتهيج أيضاً بسببه دواعي المؤمنين، والذين في استعدادهم مناسبة للنبي ﷺ فتنبعث حميتهم، وتزداد محبتهم للنبي ﷺ ونصرهم إيّاه، فتظهر عليهم كمالاتهم ويتقوّى بهم النبي ﷺ كما قيل: إن شهرة المشايخ وكثرة مريديهم لا تكون إلا بواسطة المنكرين إياهم ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ أي: تم قضاؤه في الأزل بما قضىٰ وقدّر من إسلام من أسلم وكفر من كفر ومحبة من أحبّ أحداً، وعداوة من عادىٰ قضاء مبرماً وحكماً صادقاً مطابقاً لما يقع عادلاً بمناسبة كل قول وكل كمال وحال، لاستعداد من يصدر عنه واقتضائه له ﴿لا مبدّل﴾ لأحكامه الأزلية ﴿وهو السميع﴾ لما يظهرون من الأقوال والأفعال المقدّرة ﴿العليم﴾ بما يخفون ﴿أكثر من في الأرض﴾ أي: من في الجهة السفلية بالركون إلى الدنيا وعالم النفس والطبيعة ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ بتزيينهم زخارفهم عليك ودعوتهم إياك إلى ما هم فيه ﴿إن يتبعون إلا الظنّ﴾ لكونهم محجوبين في مقام النفس بالأوهام والخيالات عن اليقين ﴿وإن هم إلا﴾ يخمنون المعاني بالصور والآخرة بالدنيا، ويقدّرون أحوال المعاد وذات الحق وصفاته كأحوال المعاش وذواتهم وصفاتهم فيشركون ويحلون بعض المحرّمات.

[١١٨ ـ ١٢٢] ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿فكلوا﴾ إلى آخره، معلوم مما مرّ في (المائدة) ومسبب للنهي عن طاعة المضلين

واتباعهم ﴿ظاهر الإثم﴾ سيئات الأعمال والأقوال الظاهرة على الجوارح ﴿وباطنه﴾ العقائد الفاسدة والعزائم الباطلة ﴿أو من كان ميتاً﴾ بالجهل، وهو النفس وباحتجابه بصفاتها ﴿فأحييناه﴾ بالعلم ومحبة الحق أو بكشف حجب صفاته بتجليات صفاتنا ﴿وجعلنا له نوراً﴾ من هدايتنا وعلمنا أو نوراً من صفاتنا أو نوراً منا بقيوميّتِنا له بذاتنا على حسب مراتبه، كمن صفته هذا، أي: هذا القول وهو أنه في ظلمات من نفسه وصفاتها وأفعالها ليس بخارج منها ﴿كذلك زيّن﴾ للمحجوبين عملهم فاحتجبوا به.

[١٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وكذلك جعلنا في كل قرية﴾ للحكمة المذكورة في إعلاء الأنبياء وكذا في قرية وجود الإنسان التي هي البدن، جعلنا أكابر مجرميها من قوى النفس الأمّارة ليمكروا فيها بإضلال القلب وفتنته وإغوائه ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن عاقبة مكرهم راجعة إليهم باحتراقهم بنيران فقدان الآلات والأسباب في جحيم الهوى والحرمان عن اللذات والشهوات وحصول الآلات الجسمانية عند خراب البدن وعند المعاد والبعث في أقبح الصور على أسوأ الأحوال.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وإذا جاءتهم آية﴾ من صفة قلبية وإشراق نوري من هيئة ملكية خلقية، أو علم وحكمة وفيض من روح ينكرونها بالإعراض عنها، ويتمنون من قبل الوهم والخيال إدراكات مثل إدراكات العقل والفكر وتركيبات تخيلية ومغالطات وهمية يعارضون بها البراهين الحقة حتى يؤمنوا بها ويذعنوا لها. ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ لا يضعها إلا مواضعها من القوى الروحانية المجرّدة من المواد الهيولانية ﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ باحتجابهم ومكرهم في إضلالهم من استعدّ للهدى أو اهتدى من القلوب الصافية ﴿صغار عند الله﴾ بزوال قدرتهم وتمكنهم بخراب البدن ﴿وعذاب شديد﴾ بحرمانهم عما يلائمهم ووصول ما ينافيهم في المعاد الجسماني بسبب مكرهم.

[١٢٥ - ١٢٧] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾ من هذه القوى للانقياد للعقل ﴿يشرح صدره﴾ أي: يسهل عليه ويجعل وجهه الذي يلي القلب ذا نتوء وسعة لقبول نوره وممكناً من استسلامه له ﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره﴾ يعسر عليه ويعجزه عن ذلك ﴿حرجاً﴾ ذا ظلمة وقصور استعداد عن قبول النور كأنما يزاول أمراً ممتنعاً في الاستنارة بنور القلب وطلب الفيض منه. على هذا التأويل الذي ذكرناه وعلى المعنى الظاهر المراد من الآية السابقة. فمن يرد الله أن يهديه للتوحيد يشرح صدره بقبول نور الحق وإسلام الوجود إلى الله بكشف حجب صفات نفسه عن وجه قلبه الذي يلي النفس، فيفسح لقبول نور الحق. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً باستيلائها عليه وضغطها له ﴿كأنما يصعد﴾ في سماء روحه مع تلك الهيآت البدنية وذلك أمر محال.

﴿كذلك يجعل الله﴾ رجس التلوّث بلوث التعلقات المادية أو رجس التعذب بالهيآت البدنية ﴿على الذين لا يؤمنون وهذا﴾ أي: طريق التوحيد وإسلام الوجه إلى الله ﴿صراط ربك مستقيماً﴾ لا اعوجاج فيه بوجه من الوجوه يميل إلى جانب الصورة وإلى جانب المعنى أو إلى النظر إلى الغير والشرك به ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ المعارف والحقائق التي هي مركوزة في استعدادهم فيهتدوا بها ﴿لهم دار السلام﴾ السلامة من كل نقص وآفة وخوف ظهور صفة ووجود بقية ﴿عند ربّهم﴾ في حضرة صفاته أو حضرة ذاته ﴿وهو وليهم﴾ يعطيهم محبته وكماله، ويدخلهم في ظل صفاته وذاته، ويجعلهم في أمانه بالبقاء السرمدي بعد فناء حدثانهم بسبب أعمالهم القلبية والقالبية في سلوكهم.

[١٢٨] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم﴾ في يوم عين الجمع المطلق ﴿جميعاً﴾. قلنا ﴿يا معشر﴾ جنّ القوى النفسانية ﴿قد ٱستَكثَرتم من الأنس﴾ أي: من الحواس والأعضاء الظاهرة أو من الصور الإنسانية بأن جعلتموهم أتباعكم وأهل طاعتكم إياهم، وتسويلكم وتزيينكم الحطام الدنيوية واللذات الجسمانية عليهم، ووسوستكم إياهم بالمعاصي ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ الذين تولوهم ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ بانتفاع كل منا في صورة الجمعية بالآخر ﴿و﴾ قد ﴿بلغنا أجلنا الذي أجّلتَ لنا﴾ بالموت أو بالمعاد الجسماني على أقبح الصور وأسوأ العيش ﴿قال النار﴾ نار الحرمان عن اللذات ووجدان الآلام ﴿مثواكم خالدين فيها إلا﴾ وقت ﴿ما شاء الله﴾ أن تخفّف، أو ينجي منكم من لا يكون سبب تعذبه شركاً راسخاً في اعتقاده ﴿إن ربك

حكيم﴾ لا يعذبكم إلا بهيآت نفوسكم التي كسبتم على ما تقتضيه الحكمة ﴿عليم﴾ بمن يتعذب باعتقاده فيدوم عذابه أو بهيآت سيئات أعماله فيعذب على حسبها ثم ينجو منه.

[١٢٩ ـ ١٣١] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً﴾ أي: مثل ذلك الجعل العظيم الهائل نجعل بعضهم ولي بعض بتوافق مكاسبهم وتناسبها، فيتوالون ويحشرون معاً في العذاب كالجنّ والإنس الذين ذكرناهم أو نجعل بعضهم والي بعض بتعذيبه بمكسوباته في النار ﴿رسل منكم﴾ من البشر الذين هم جنسكم وعلى التأويل المذكورة من عقولكم التي هي قوى من جنسكم وهذه الأسئلة والأجوبة والشهادات كلها بلسان الحال وإظهار الأوصاف، كما قيل: قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ قال الوتد: سَلْ من يدقني. وكشهادة الأيدي والأرجل بصورها التي تناسب هيآت أفعالها وتعذبها بها ﴿ذلك﴾ إشارة إلى إرسال الرسل وتبيين الآيات وإلزام الحجة بالإنذار والتهديد، أي: الأمر ذلك لأن ربّك لم يكن مهلك القرى على غفلتهم ظالما لأنه ينافي الحكمة.

[١٣٢ ـ ١٤٨] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟

مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ
وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي
بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾
قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ
لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

﴿ولكلٍ دَرَجات﴾ في القرب والبعد من أعمالهم التي عملوها ﴿إن يشأ يُذهبكم﴾ بفناء عينكم ﴿ويَستَخلف من بَعْدكم﴾ من أهل طاعته برحمته ﴿ذلك﴾ أي: تحريم الطيبات عليهم جزاء ﴿جزيناهم﴾ بظلمهم ﴿وإنّا لصادقون﴾ في إيعادهم بجزاء الظلم ﴿فإن كذبوك﴾ بأن الله واسع المغفرة فلا يعذبنا بظلمنا ﴿فقل﴾ بلى ﴿ربكم ذو رحمة واسعة﴾ ولكنه ذو قهر شديد فلا تردّ رحمته بأسه ﴿عن القوم المجرمين﴾ بل ربما أودع قهره في صورة لطفه ولطفه في صورة قهره ﴿كذلك كذّب الذين من قبلهم﴾ أي: كذّب المنكرون الرسل من قبلهم بتعليق كفرهم بمشيئة الله عناداً وعتوّاً فعذبوا بكفرهم.

﴿قُلْ هل عندكم من عِلْم فتخرجُوه لنا﴾ أي: إن كان لكم علم بذلك وحجة فبينوا، وإنما قال ذلك إشارة إلى قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ لأنهم لو قالوا ذلك عن علم لعلموا أن إيمان الموحدين وكل شيء لا يقع إلا بإرادة الله فلم يعادوهم ولم ينكروهم، بل والوهم، ولم يبق بينهم وبين المؤمنين خلاف. ولعمري أنهم لو قالوا ذلك عن علم لما كانوا مشركين، بل كانوا موحدين ولكنهم اتّبعوا الظن في ذلك وبنوا على التقدير والتخمين لغرض

التكذيب والعناد، وعلى ما سمعوا من الرسل إلزاماً لهم وإثباتاً لعدم امتناعهم عن الرسل لأنهم محجوبون في مقام النفس، وأنّى لهم اليقين؟ ومن أين لهم الاطلاع على مشيئة الله؟.

[١٤٩ ـ ١٥٠] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿**قل فلله الحجّة البالغة**﴾ أي: إن كان ظنكم صدقاً في تعليق شرككم بمشيئة الله فليس لكم حجة على المؤمنين وعلى غيركم من أهل دين، لكون كل دين حينئذ بمشيئة الله، فيجب أن توافقوهم وتصدّقوهم بل لله الحجة عليكم في وجوب تصديقهم وإقراركم بأنكم أشركتم بمن لا يقع أمر إلا بإرادته ما لا أثر لإرادته أصلاً فأنتم أشقياء في الأزل، مستحقون للبعد والعقاب ﴿**فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾ أي: بلى صدقتم، ولكن كما شاء كفركم لو شاء لهداكم كلكم، فبأي شيء علمتم أنه لم يشأ هدايتكم حتى أصررتم؟ وهذا تهييج لمن عسى أن يكون له استعداد منهم فيقمع ويهتدي فيرجع عن الشرك ويؤمن.

[١٥١ ـ ١٥٢] ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿**قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربّكم عليكم**﴾ لما أثبت أن المشركين في التحريم والتحليل يتّبعون أهواءهم، إذ الشرك في نفسه ليس إلا عبادة الهوى والشيطان. فلما احتجبوا بصفات النفس عن صفات الحق، وأمّروا عليهم الهوى وعبدوه وأطاعوا أوامره ونواهيه في التحريم والتحليل، بيّن أن التحريم والتحليل المتّبع فيهما أمر الله تعالىٰ ما هما، ولما كان الكلام معهم في تحريم الطيبات عدّد المحرمات ليستدل بها على المحللات فحصر جميع أنواع الفضائل بالنهيَ عن أجناس الرذائل وابتدأ بالنهي عن رذيلة القوة النطقية التي هي أشرفها. فإن رذيلتها أكبر الكبائر، مستلزمة لجميع الرذائل، بخلاف رذيلة أخويها من القوّتين البهيمية والسبعية فقال: ﴿**ألا تشركوا به شيئاً**﴾ إذ الشرك من خطئها في النظر وقصورها عن استعمال العقل ودرك البرهان وعقّبه بإحسان الوالدين، إذ معرفة حقوقهما تتلو معرفة الله في الإيجاد والربوبية لأنهما سببان قريبان في الوجود والتربية وواسطتان جعلهما الله تعالى مظهرين لصفتي إيجاده

وربوبيته، ولهذا قال ﷺ: «من أطاع الوالدين فقد أطاع الله ورسوله». فعقوقهما يلي الشرك ولا يقع الجهل بحقوقهما إلا عن الجهل بحقوق الله تعالى ومعرفة صفاته، ثم بالنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر، فإن ارتكاب ذلك لا يكون إلا عن الجهل والعمى عن تسبيبه تعالى الرزق لكل مخلوق وأن أرزاق العباد بيده يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. والاحتجاب عن سرّ القدر، فلا يعلم أن الأرزاق مقدّرة بأزاء الأعمار كتقدير الآجال، فأولاها لا تقع إلا من خطئها في معرفة ذات الله تعالى، والثانية من خطئها في معرفة صفاته، والثالثة من معرفة أفعاله فلا يرتكب هذه الرذائل الثلاث إلا منكوس، محجوب عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وهذه الحجب أم الرذائل وأساسها. ثم بيّن رذيلة القوة البهيمية لأن رذيلتها أظهر وأقدم، فقال: ﴿**ولا تقربوا الفواحش**﴾ من الأعمال القبيحة الشنيعة عند العقل ﴿**ما ظهر منها**﴾ كالزنا في الحانات، وشرب الخمر وأكل الربا ﴿**وما بَطن**﴾ كقصد هذه الفواحش المذكورة ونيتها والهمّ بها وإخفائها كالسرقة وارتكاب المحظورات في الخفية.

ثم أشار إلى رذيلة القوّة السبعية بقوله: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق**﴾ أي: بالقصاص والكفر، وختم الكلام بقوله: ﴿**ذلكم**﴾ أي: الاجتناب عن أجناس رذائل النفوس الثلاث ﴿**وصاكم به لعلكم تعقلون**﴾ أي: لا تجتنبها إلا العقلاء ومن ارتكبها فلا عقل له. ثم أراد أن يبين أن الرذائل الثلاث مستلزمة باجتماعها رذيلة الجور التي هي أعظمها وجماعها كما أنّ فضائلها تستلزم العدالة التي هي كمالها والشاملة لها فقال: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم**﴾ بوجه من الوجوه ﴿**إلا بالتي هي أحسن**﴾ إلا بالخصلة التي هي أحسن من حفظه وتثميره ﴿**حتى يبلغ أشدّه**﴾ فينتفع به، لا بالأكل والإنفاق في مآربكم والإتلاف فإنه أفحش. ولما بيّن تحريم أجناس الرذائل الأربع بأسرها على التفصيل أمر بإيجاب الفضائل الأربع بالإجمال، إذ تفصيل الرذائل يغني عن تفصيل مقابلاتها وذلك أنها مندرجة بأسرها في العدالة فأمر بها في جميع الوجوه فعلاً وقولاً وقال: ﴿**وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**﴾ أي: حافظوا على العدل فيما بينكم وبين الخلق مطلقاً ﴿**وإذا قلتم فاَعْدِلوا**﴾ أي: لا تقولوا إلا الحق ﴿**ولو كان**﴾ المقول فيه ﴿**ذا قربىٰ**﴾ فلا تميلوا في القول له أو عليه إلى زيادة أو نقصان ﴿**وبِعَهد الله أوْفُوا**﴾ أي: بالتوحيد والطاعة وكل ما بينكم وبين الله من لوازم العهد السابق بالعقد اللاحق. ولما كان سلوك طريقة الفضيلة التي هي طريقة الوحدة والتوجه إلى الحق صعباً، كما قيل: أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، وخصوصاً في الأفعال إذ مراعاة الوسط فيها بلا ميل ما إلى طرف الإفراط والتفريط في غاية الصعوبة. قال بعد قوله: ﴿**وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها**﴾ فبين أنه جمع في هذا المقام بين النهي عن جميع الرذائل والأمر بجميع الفضائل كلها بحيث لا يخرج منها جزئي ما من جزئياتها، ولهذا قال ابن عباس رضي

الله عنه: إن هذه آيات محكمات لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب. واتفق على قوله أهل الكتابين وجميع المِلل والنِحَل. وقال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إنها لأول شيء في التوراة. ﴿ذٰلكم﴾ أي: ما ذكر من وجوب الانتهاء عن جميع الرذائل والاتصاف بجميع الفضائل ﴿وصاكم به﴾ في جميع الكتب على ألسنة جميع الرُسُل ﴿لعلكم تذكرون﴾ عند سماعها ما وهب الله لكم من الكمال وأودع استعدادكم في الأزل.

[١٥٣ ـ ١٥٤] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وأن هذا﴾ أي: طريق الفضائل لأن منبع الفضيلة هي الوحدة. ألا ترى أنها أواسط واعتدالات بين طرفي إفراط وتفريط لا يمكن سلوكها على التعيين بالحقيقة إلا لمن استقام في دين الله إليه وأيده الله بالتوفيق لسلوك طريق الحق حتىٰ وصل إلى الفناء عن صفاته ثم عن ذاته. ثم اتصف في حال البقاء بعد الفناء بصفاته تعالى حتى قام بالله فاستقام فيه وبه فحينئذ يكون صراطه صراط الحق وسيره سير الله ﴿صراطي مستقيماً﴾ أي: طريقي لا يسلكها إلا من قام بي مستوياً غير مائل إلى اليمين والشمال لغرض ﴿فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ من المذاهب المتفرقة والأديان المختلفة فإنها أوضاع وضعها أهل الاحتجاب بالعادات والأهواء، أي: وضع لهم لئلا يزدادوا ظلمة وعتوّاً وحيرة. وروى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ، أنه خطّ خطّاً فقال: «هذا سبيل الرشاد»، ثم خطّ عن يمينه وشماله خطوطاً فقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا هذه الآية: ﴿فتفرّق بكم عن سبيله ذٰلكم﴾ أي: سلوك طريق الوحدة والفضيلة ﴿وصّاكم به لعلكم تتقون﴾ السبل المتفرقة بالاجتناب عن مقتضيات الأهواء ودواعي النفوس وتجعلون الله وقاية لكم في ملازمة الفضائل ومجانبة الرذائل.

﴿ثم آتينا موسىٰ الكتاب﴾ أي: بعدما وصّاكم بسلوك طريق الفضيلة في قديم الدهر ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[١] ﴿تماماً على الذي أحسن﴾ أي: تتميماً لكرامة الولاية ونعمة النبوّة مزيداً على الذي أحسنه موسى من سلوك طريق الكمال وبلوغه إلى ما بلغ من مقام المكالمة والقرب بالوجود الموهوب بعد الفناء في الوحدة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] بالتكميل ودعوة الخلق إلى الحق ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ يحتاج إليه الخلق في المعاد ﴿وهدىٰ﴾ لهم إلى ربّهم في سلوك سبيله ﴿ورحمة﴾ عليهم بإفاضة

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

كمالاته عليهم بواسطة موسى وكتابه ﴿لعلهم بلقاء ربّهم يؤمنون﴾ الإيمان العلمي أو العياني.

[١٥٥ ـ ١٥٨] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مُبارك﴾ بزيادة الهداية إلى محض التوحيد والإرشاد إلى سواء السبيل يهدي بأقرب الطرق إلى أرفع الدرجات من الكمال ﴿فاتّبعوه واتّقوا﴾ كل ما سوى الله حتى ذواتكم وصفاتكم ﴿لعلكم ترحمون﴾ رحمة الاستقامة بالله وفي الله بالوجود الموهوب. ﴿أو تقولوا لو أنّا أُنزِل علينا الكتاب لكنا أهدىٰ منهم﴾ لقوّة استعداداتنا وصفاء أذهاننا إن صدقتم ﴿فقد جاءتكم بينة من ربكم﴾ بيان لكيفية سلوككم ﴿وهدىً﴾ إلى مقصدكم ﴿ورحمة﴾ بتسهيل طريقكم وتيسيرها إلى أشرف الكمالات ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ لتوفي روحهم ﴿أو يأتي ربك﴾ بتجليه في جميع الصفات كما مرّت الإشارة إليه من تحوّل الصورة في القيامة، فلا يعرفه إلا الموحدون الكاملون. وأما أهل المذاهب والملل المختلفة فلا يعرفونه إلا في صورة معتقدهم ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ تجليه في بعض الصفات التي لم يعرفوه بها ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ بعض تجلياته التي لم يأنسوا بها أو لم يعرفوها ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ فإنّ الناس إما محجوبون مطلقاً أو ليسوا كذلك، وهم إما مؤمنون لعرفانهم ببعض الصفات أو بكلها، والمؤمنون به العارفون إياه بكلها إما محبون للذات وإما محبون للصفات، فإذا تجلىٰ الحق ببعض الصفات لا ينفع إيمان المحجوبين مطلقاً، وإيمان المؤمنين الذين لم يعرفوه بهذه الصفة من قبل هذا التجلي، إذ الإيمان إنما ينفع إذا صار عقيدة ثابتة راسخة يتمثل بها القلب وتتنوّر بها النفس وتشاهد بها الروح، لا الذي يقع عند الاضطرار دفعة ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ كإيمان العارفين، المحبّين للصفات، فإنهم وإن آمنوا به وعرفوا بتجليه بكل الصفات. فلما لم يكتسبوا المحبة الذاتية، والكمال المطلق، وأحبّوه ببعض الصفات، كالمنعم مثلاً أو اللطيف أو الرحيم فإذا تجلىٰ بصفة المنتقم أو القهّار أو المبلي لم ينفعهم الإيمان به، إذ لم يطيعوه من قبل بهذا الوصف ولم يتمرّنوا بتجليه ولم يحبّوا الذات فيلتذوا بشهوده في أي صفة كانت.

[١٥٩ ـ ١٦٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿**إن الذين فرّقوا دينهم**﴾ أي: جعلوا دينهم أهواء متفرّقة، كالذين غلبت عليهم صفات النفس بجذبهم هذه إلى شيء وهذه إلى شيء فحدثت فيهم أهواء مختلفة، فبقوا حيارىٰ لا جهة لهم ولا مقصد ﴿**وكانوا شيعاً**﴾ فرقاً مختلفة بحسب غلبة تلك الأهواء يغلب على بعضهم الغضب وعلى بعضهم الشهوة وإن دانوا بدين جعلوا دينهم بحسب غلبة هواهم مادة التعصب ومدد استيلاء تلك القوة الغالبة على القلب ولم يتعبدوا إلا بعادات وبدع، ولم ينقادوا إلا لأهواء وخدع، يعبد كل منهم إلٰهاً مجعولاً في وهمه، مخيّلاً في خياله ويجعله سبب الاستطالة والتفرّق على الآخر كما نشاهد من أهل المذاهب الظاهرة ﴿**لست منهم في شيء**﴾ أي: لست من هدايتهم ودعوتهم إلى التوحيد في شيء إذ هم أهل التفرقة والاحتجاب بالكثرة لا يجتمع هممهم ولا يتحد قصدهم. ﴿**إنما أمرهم إلى الله**﴾ في جزاء تفرّقهم لا إليك ﴿**ثم ينبئهم**﴾ عند ظهور هيآت نفوسهم المختلفة والأهواء المتفرّقة عليهم بمفارقة الأبدان ﴿**بما كانوا يفعلون**﴾ من السيئات.

﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ هذا أقلّ درجات الثواب وذلك أنّ الحسنة تصدر بظهور القلب، والسيئة بظهور النفس، فأقلّ درجات ثوابها أنه يصل إلى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء تلو مرتبة العشرات للآحاد في الأعداد. ﴿**ومن جاء بالسيئة فلا يجزىٰ إلا مثلها**﴾ لأنه لا مقام أدون من مقام النفس، فينحط إليه بالضرورة فيرى جزاءه في مقام النفس بالمثل. ومن هذا يعلم أن الثواب من باب الفضل فإنه يزيد به صاحبه ويتنوّر استعداده ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوّى على إضعاف ما فعل ويكتسب به أجوراً متضاعفة إلى غير نهاية بازدياد القبول عند فعل كل حسنة، وزيادة القدرة والشغف على الحسنة عند زيادة الفيض إلى ما لا يعلمه إلا الله، كما قال بعد ذكر أضعافها إلى سبعمائة: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾(١) وأن العقاب من باب العدل، إذ العدل يقتضي المساواة ومن فعل بالنفس إذا لم يعف عنه يجازىٰ بالنفس سواء وتذكر ما قيل في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾(٢) فإن الفضيلة للإنسان ذاتية موجبة لترقيه البتة، والرذيلة عارضة ظلمتها للفطرة، فمهما لم تكن بقصد ونيّة من صاحبها أو كانت ولم يصرّ عليها، عفي عنها ولم تحجب صاحبها. وإن كانت

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

وأصر عليها جوزي في مقام النفس بالمثل. والحسنة والسيئة المذكورتان هٰهنا من قبيل الأعمال وإلا فربّ سيئة من شخص تعادل حسنة من غيره، كما قال عليه السلام: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين»، بوجود القلب عند الشهود، وسيئات الأبرار بظهور النفس عند السلوك، وحسناتهم بظهور القلب، وربّ سيئة توجب حجاب الأبد كاعتقاد الشرك مثلاً.

[١٦١] ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾

﴿قل إنني هداني ربّي إلى صراط مستقيم﴾ إلى طريق التوحيد الذاتي ﴿ديناً قيماً﴾ ثابتاً أبداً لا تغيره الملل والنِحل ولا تنسخه الشرائع والكتب ﴿ملّة إبراهيم﴾ التي أعرض بها عن كل ما سواه بالترقي عن جميع المراتب مائلاً عن كل دين وطريق باطل فيه شرك ما، ولو بصفة من صفات الله تعالى.

[١٦٢ ـ ١٦٣] ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾

﴿قل إن صلاتي﴾ أي: حضوري بالقلب وشهودي بالروح ﴿ونسكي﴾ أي: تقرّبي أو كل ما أتقرّب به بالقلب ﴿ومحياي﴾ بالحق ﴿ومماتي﴾ بالنفس كلها ﴿لله﴾ لا نصيب لي ولا لأحد غيري فيها لأني قمت به له بالفناء فلا وجود لي ولا لغيري حتى يكون لي حظ ونصيب ﴿ربّ العالمين﴾ أي: له باعتبار الجمع في صورة تفاصيل الربوبية ﴿لا شريك له﴾ في ذلك جمعاً وتفصيلاً ﴿وبذٰلك أمرت﴾ أي: أمرت أن لا أرى غيره في عين الجمع ولا في صورة التفاصيل حتى أعمل له كما وصفني تعالى بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾[١] فهو الآمر والمأمور، والرائي والمرئي ﴿وأنا أوّل المسلمين﴾ المنقادين للفناء فيه بإسلام وجهي له باعتبار الرتبة في تفاصيل الذات وإلا فلا أول ولا آخر ولا مسلم ولا كافر.

[١٦٤] ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾

﴿قل أغير الله﴾ الذي هذا شأنه ﴿أبغي ربّاً﴾ فأطلب مستحيلاً أو غير الذات الشامل لجميع الصفات الذي هو الكل من حيث هو كل أبغي متعبنا فيكون مربوباً لا ربّاً ﴿وهو ربّ كل شيء﴾ وما سواه باعتبار تفاصيل صفاته مربوب ﴿ولا تكسب كل نفس﴾ شيئاً ﴿إلا﴾ هو وبال ﴿عليها﴾ إذ كسب النفس شرك في أفعاله تعالى، وكل من أشرك فوباله عليه باحتجابه

(١) سورة النجم، الآية: ١٧.

﴿ولا تزر وازرة وِزْر أخرى﴾ لرسوخ هيئة وزرها فيها ولزومه إياها تحتجب هي به، فكيف يتعدّى إلى غيرها.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وهو الذي جعلكم خلائف﴾ في أرضه بإظهار كمالاته في مظاهركم ليمكنكم إنفاذ أمره ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ في مظهرية كمالاته على تفاوت درجات الاستعدادات، ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ من كمالاته بحسب الاستعدادات من يقوم بحقوق ما ظهر منها عليه ومن لا يقوم، ومن يقوم بحقي في سلوك طريقها حتى يظهرها الله بإخفاء صفات نفسه فيكون مؤدّياً لأمانات الله ومن لا يقوم فيكون خائناً وتظهر عليكم أعمالكم بحسبها فيترتب عليها الجزاء معاً، إما بمثوبة الاحتجاب حالة التقصير فيكون ربّك سريع العقاب، وأما بمثوبة البروز والانكشاف فيكون غفوراً يستر أفعالكم وصفات نفوسكم الساترة الحاجبة لتلك الصفات الإلٰهية والكمالات الربانية، رحيماً يرحمكم بإظهارها عليكم، والله أعلم بحقائق الأمور.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة الأعراف﴾

[١ ـ ٧] ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

﴿المص كتاب أُنزل إليك﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ذكرىٰ للمؤمنين﴾ (ا) إشارة إلى الذات الأحدية، و (ل) إلى الذات مع صفة العلم كما مرّ، و (م) إلى التميمة الجامعة التي هي معنى محمد، أي: نفسه وحقيقته، و (ص) إلى الصورة المحمدية التي هي جسده وظاهره.

وعن ابن عباس، أنه قال ﷺ: «جبل بمكة كان عليه عرش الرحمٰن حين لا ليل ولا نهار»، أشار بالجبل إلى جسد محمد، وبعرش الرحمٰن إلى قلبه. كما ورد في الحديث: «قلب المؤمن عرش الله». وجاء: «لا يسعني أرضي ولا سمائي، ويسعني قلب عبدي المؤمن». وقوله: «حين لا ليل ولا نهار» إشارة منه إلى الوحدة، لأن القلب إذا وقع في ظل أرض النفس واحتجب بظلمة صفاتها كان في الليل، وإذا طلع عليه نور شمس الروح واستضاء بضوئه كان في النهار، وإذا وصل إلى الوحدة الحقيقية بالمعرفة والشهود الذاتي واستوى عنده النور والظلمة كان وقته لا ليلاً ولا نهاراً، ولا يكون عرش الرحمٰن إلا في هذا الوقت.

فمعنى الآية: إنّ وجود الكلّ من أوله إلى آخره ﴿كتاب أُنزِل إليك﴾ أي: أنزل إليك علمه ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي: ضيق من حمله، فلا يسعه لعظمته فيتلاشى بالفناء في الوحدة والاستغراق في عين الجمع والذهول عن التفصيل، إذ كان عليه السلام في مقام الفناء محجوباً بالحق عن الخلق كلما رد عليه الوجود، وحجب عنه الشهود الذاتي وظهر عليه بالتفصيل، ضاق عنه وعاوه وارتكب عليه وزر وثقل، ولهذا خوطب بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾[1] بالوجود الموهوب الحقاني، والاستقامة في البقاء بعد الفناء بالتمكين ليسع صدرك الجمع والتفصيل والحق والخلق، فلم يبق عليك وزر في عين الجمع ولا حجاب بأحدهما عن الآخر ﴿لتُنذر به﴾ وتذكر تذكيراً ﴿للمؤمنين﴾ بالإيمان

(١) سورة الشرح، الآيات: ١ ـ ٢.

الغيبي، أي: لا يضق صدرك منه ليمكنك الإنذار والتذكير، إذ لو ضاق لبقي في حال الفناء، لا يرى إلا الحق في الوجود وينظر إلى الحق بنظر العدم المحض فكيف ينذر ويذكر ويأمر وينهي. وعلى تقدير القسم فمعناه بالكل من أوّله إلى آخره، أو باسم الله الأعظم إذ (ص) حامل العرش والعرش يسع الذات والصفات والمجموع هو الاسم الأعظم، لهو كتاب أنزل إليك علمه، أو: لهذا القرآن كتاب أنزل إليك.

[٨ ـ ٢١] ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿والوزن يومئذ الحق﴾ الوزن هو الاعتبار، أي: اعتبار الأعمال حين قامت القيامة الصغرى. هو الحق، أي: العدل أو الثابت أو الوزن العدل يومئذ. ﴿فمن ثَقُلت موازينه﴾ أي: رجحت موزوناته بأن كانت باقيات صالحات ﴿فأولئكَ هم المُفلحون﴾ الفائزون بصفات الفطرة، ونعيم جنة الصفات في مقام القلب ﴿ومن خفت موازينه﴾ موزوناته بأن كانت من المحسوسات الفانية ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ ببيعها باللذات العاجلة السريعة الزوال وإفنائها في دار الفناء مع كونها بضاعة البقاء. واعلم أن لسان ميزان الحق هو صفة العدل وإحدى كفّتيه هو عالم الحس، والكفّة الأخرى هو عالم العقل فمن كانت مكاسبه من المعقولات الباقية والأخلاق الفاضلة والأعمال الخيرية المقرونة بالنيات الصادقة، ثقلت أي: كانت ذات قدر ووزن، إذ لا قدر أرجح من البقاء الدائم. ومن كانت مقتنياته من المحسوسات الفانية واللذات الزائلة والشهوات الفاسدة والأخلاق الرديئة والشرور المردية، خفت أي: لا قدر لها ولا اعتداد بها، ولا خفة أخفّ من الفناء، فخسرانهم هو أنهم أضاعوا استعدادهم الأصلي في طلب الحطام الدنيوي وتحصيل المآرب النفسانية بسبب ظهورهم

بصفات أنفسهم وظلمهم بصفات الله تعالى بالتكذيب بها، أي: بإخفائها بصفات أنفسهم ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ خلقت القوّة الوهمية من ألطف أجزاء الروح الحيوانية التي تحدث في القلب من بخارية الأخلاط ولطافتها وترتقي إلى الدماغ، وتلك الروح هي أحرّ ما في البدن فلذلك سمّاها نار. والحرارة توجب الصعود والترّفع، وقد مرّ أن كل قوة ملكوتيّة تطلع على خواص ما تحتها دون ما فوقها وعلى الكمالات البدنية وخواصها وكمالات الروح الحيوانية وخواصها، واحتجابها عن الكمالات الإنسانية الروحانية والقلبية هو صورة إنكارها وعلة إبائها واستكبارها، وتعديها عن طورها بالحكم في المعاني المعقولة والمجرّدات والامتناع عن قبول حكم العقل هو صورة إبائها عن السجود.

﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ إذ التكبر، وهو التظاهر بما ليس فيه من الفضيلة من صفات النفس، فلا يليق بالحضرة الروحانية التي تزعم أنك من أهلها بالترفع على العقل، فأخرج، فلست من أهلها الذين هم الأعزة ﴿إنك من الصاغرين﴾ من القوى النفسانية الملازمة للجهة السفلية الدائمة الهوان بملازمة الأبدان ﴿إلى يوم يبعثون﴾ من قبور الأبدان وأجداث صفات النفس بعد الموت الإرادي في القيامة الوسطى بحياة القلب وخلاص الفطرة من حجب النشأة، أو يبعثون بعد الفناء في الوحدة في القيامة الكبرى بالوجود الموهوب الحقاني والحياة الحقيقية، والمبعوث الأول هو المخلِص بكسر اللام، والثاني هو المخلَص بالفتح ولا سبيل لإبليس إلى إغوائهما ﴿فبما أغويتني﴾ إقسام وإبليس محجوب عن الذات الأحدية دون الصفات والأفعال، فشهوده للأفعال وتعظيمه لها إقسام بها كما أقسم بعزّته في قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

﴿لأقعدنَ لهم صراطك﴾ أي: أعترضنّ لهم في طريق التوحيد الذاتي وأمنعنّهم عن سلوكها بأن أشغلهم بما سواك، ولآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدوّ في الشاهد لأن إتيانه من أسفل، أي: من جهة الأحكام الحسيّة والتدابير الجزئية من باب المصالح الدنيوية غير موجب للضلالة، بل قد ينتفع به في العلوم الطبيعية والرياضية وبه يستعين العقل فيها كما مرّ في تأويل قوله: ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[2]. وإتيانه من فوق غير ممكن له إذ الجهة العلوية هي التي تلي الروح ويرد منها الإلهامات الحقّة والإلقاءات الملكية وتفيض المعارف والحقائق الروحية فبقيت الجهات الأربع مواقع وساوسه. أما من بين يديه فبأن يؤمّنه من مكر الله ويغرّه بأن الله غفور رحيم فلا يخاف فيثبطه عن الطاعات. وأما من

(١) سورة ص، الآية: ٨٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

خلفه فبأن يخوّفه من الفقر وضيعة الأولاد من خلفه فيحرضه على الجمع والإدخار لهم ولنفسه في المستقبل عند تأميله طول العمر. وأما من جهة اليمين، فبأن يزّين عليه فضائله ويعجبه بفضله وعلمه وطاعته ويحجبه عن الله برؤية تفضيله. وأما عن شماله فبأن يحمله على المعاصي والمقابح ويدعوه إلى الشهوات واللذات. ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ مستعملين لقواهم وجوارحهم وما أنعم الله به عليهم في طريق الطاعة والتقرّب إلى الله.

﴿لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنم﴾ الطبيعة التي هي أسفل مراتب الوجود ﴿منكم أجمعين﴾ محجوبين عن لذّة النعيم الأبديّ وذوق البقاء السرمدي والكمالات الروحانية والكمالات الحقانية معذبين بنيران الحرمان عن المراد في انقلابات عالم التضاد وتقلبات الكون والفساد ﴿ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما﴾ أي: ليظهر عليهما بالميل إلى الطبيعة ما حجب عنهما عند التجرّد من الأمور الطبيعية واللذات البدنية والرذائل الخلقية والأفعال الحيوانية والصفات السبعية والبهيمية التي يستحيي الإنسان من إظهارها ويستهجن إفشاءها وتحمله المروءة على إخفائها لكونها عورات عند العقل يأنف منها ويستقبحها ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ أي: أوهمهما أن في الاتصال بالطبيعة الجسمانية والمادة الهيولانية لذات ملكية وإدراكات وأفعالاً وخلوداً فيها أو ملكاً ورياسة على القوى وسائر الحيوانات دائماً بغير زوال إن قرىء ملكين بكسر اللام كما قال: ﴿أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[١]. وزيّن لها من المصالح الجزئية والزخارف الحسيّة التي لا تنال إلا بالآلات البدنية في صورة الناصح الأمين.

[٢٢ ـ ٢٨] ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾

﴿فدلاهما﴾ أي: فنزلهما إلى التعلق بها والسكون إليها بما غرّهما من التزيي بزي

(١) سورة طه، الآية: ١٢٠.

الناصحين وإفادة توهم دوام اللذات البدنية والرياسة الإنسية وسوّل لهما من المنافع البدنية والشهوات النفسية ﴿وطفقا يخصِفان عليهما من ورق الجنة﴾ أي: يكتمان الغواشي الطبيعية بالآداب الحسنة والعادات الجميلة التي هي من تفاريع الآراء العقلية ومستنبطات القوّة العاقلة العملية ويخفيانها بالحيل العلمية ﴿وناداهما ربّهما ألم أنهَكُما﴾ صورة النهي هو ما ركز في العقول من الميل إلى التجرّد وإدراك المعقولات والتجافي عن المواد والمحسوسات وقوله لهما: ﴿إن الشيطان لكما عدوّ مبين﴾ ما ألهم العقل من منافاة أحكام الوهم ومضادّة مدركاته والوقوف على مخالفاته ومكابراته إياه ونداؤه إياهما بذلك هو التنبيه على ذلك المعنى على سبيل الخاطر والتذكير له بعد التعلق والانغمار في اللذات الطبيعية عند البلوغ وظهور أنوار العقل والفهم عليهما.

وقولهما: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ هو لتنبيه النفس الناطقة على نقصانها من جهة الطبيعة وانطفاء نورها وانكسار قوتها وحصول الداعي فيها على طلب الكمال بالتجرّد ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ بإلباسنا الأنوار الروحانية وإفاضتها مشرقة عليها ﴿وترحمنا﴾ بإفاضة المعارف الحقيقية ﴿لنكوننّ من﴾ الذين أتلفوا الاستعداد الأصلي الذي هو مادة السعادة والبقاء بصرفها في دار الفناء، وحرموا عن الكمال التجرّدي بملازمة النقص الطبيعي ﴿لباساً يواري سوآتكم﴾ أي: شريعة تستر قبائح أوصافكم وفواحش أفعالكم ﴿وريشاً﴾ أي: جمالاً يبعدكم عن شبه الأنعام المهملة ويزينكم بالأخلاق الحسنة والأعمال الجميلة ﴿ولباس التقوىٰ﴾ أي: صفة الورع والحذر من صفة النفس ﴿ذلك خير﴾ من جملة أركان الشرائع لأنه أصل الدين وأساسه كالحمية في العلاج ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي: من أنوار صفاته، إذ الاجتناب عن صفات النفس لا يحصل ولا يتيسر إلا بظهور تجليات صفات الحق. وإلى هذا أشار القوم بقولهم: إن الله لا يتصرّف في شيء من العبد إلا ويعوّضه أحسن منه من جنسه ﴿لعلكم تذكرون﴾ عند ظهور تجليات لباسكم النوري الأصلي أو جوار الحق الذي كنتم تسكنون فيه بهداية أنوار الصفات ﴿لا يفتنكم الشيطان﴾ عن دخول الجنة وملازمتها بنزع لباس الشريعة والتقوى عنكم ﴿كما أخرج أبويكم﴾ منها بنزع اللباس الفطري النوري.

[٢٩ - ٣٠] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ أي: العدالة والاستقامة ﴿وأقيموا وجوهكم﴾ ذواتكم الموجودة بمنعها عن الميل والزيغ إلى طرفي الإفراط والتفريط في العدالة، وعن التلوينات في الاستقامة

﴿عند كل مسجد﴾ أي: كل مقام سجود أو وقت سجود، والسجود أربعة أقسام: سجود الانقياد والطاعة وإقامة الوجه فيه بالإخلاص، والاجتناب عن الرياء والنفاق في العمل لله، والالتفات إلى الغير فيه، ومراعاة موافقة الأمر مع صدق النية والامتناع عن المخالفة في جميع الأمور وهي العدالة وسجود الفناء في الأفعال وإقامة الوجه فيه بالقيام بحقه بحيث لا يرى هو مؤثراً غير الله ولا يرى مؤثراً من نفسه ولا من غيره، وسجود الفناء في الصفات، وإقامة الوجه عنده بالمحافظة على شرائطه بحيث لا يرى زينة ذاته بها ولا يريد ولا يكره شيئاً من غير أن يميل إلى الإفراط بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا إلى التفريط بالتسخط على المخالف وسجود الفناء في الذات، وإقامة الوجه عنده بالغيبة عن البقية، والانطماس بالكلية والامتناع عن إثبات الأنية والإثنينية فلا يطغى بحجاب الأنائية ولا يتزندق بالإباحة وترك الطاعة. ﴿وادْعوه مُخلِصين له الدين﴾ في المقام الأول بتخصيص العمل لله به، وفي الثاني والثالث برؤية الدين والطاعة من الله، وفي الرابع برؤيته بالله، فيكون الله هو المتدين بدينه ليس لغيره فيه نصيب ﴿كما بدأكم﴾ بإظهاركم واختفائه ﴿تعودون﴾ بفنائكم فيه واختفائكم ليظهر.

﴿فريقاً هدى﴾ إليهم بهذا الطريق ﴿وفريقاً حقّ عليهم﴾ كلمة ﴿الضلالة﴾ بسبب اتخاذهم شياطين القوى النفسانية الوهمية والتخيلية ﴿أولياء من دون الله﴾ لمناسبة ذواتهم في الظلمة والكدورة والبعد عن معدن النور إياهم، والجنسية التي بينهم في الركون إلى الجهة السفلية، والميل إلى الزخارف الطبيعية ﴿ويحسبون أنهم مُهْتَدون﴾ لأنّ سلطان الوهم بالحسبان.

[٣١ - ٣٢] ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ أي: لازموها وتمسكوا بها، فزينة المقام الأول من السجود هي الإخلاص في العمل لله، وزينة المقام الثاني هي التوكل ومراعاة شرائطه، وزينة المقام الثالث هي القيام بحق الرضا، وزينة المقام الرابع هي التمكين في التحقق بالحقيقة الحقيّة ومراعاة حقوق الاستقامة وشرائطها ﴿وكلوا واشْربوا ولا تسرفوا﴾ بالمحافظة على قانون العدالة فيها ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ أي: من منعهم من جنس هذه الزينة المذكورة المطلقة وقال إنه لا يمكنهم التزين بها واستحال ذلك منهم تمسكاً بأن الله مانعهم. ﴿والطيبات﴾ من رزق علوم الإخلاص وعلوم مقام التوكل والرضا والتمكين ﴿خالصة يوم القيامة﴾ عن شوب التلوينات وظهور شيء من بقايا الأفعال والصفات والذات.

[٣٣ ـ ٣٥] ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (٣٣) ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٣٤) يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٥)﴾

﴿قل إنما حرّم ربي الفواحش﴾ أي: رذائل القوة البهيمية ﴿والإثم والبغي﴾ أي: رذائل القوّة السبعية ﴿وأن تشركوا﴾ إلى آخره، أي: رذائل القوّة النطقية الملكية لأنها صفات نفسانية مانعة عن الزينة المذكورة التي هي الكمالات الإنسانية مضادة لها ﴿فمن اتقىٰ وأصلح﴾ أي: اتقى البقية في الفناء وأصلح بالاستقامة عند البقاء ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ لكونهم في مقام الولاية.

[٣٦ ـ ٤٦] ﴿والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٦) فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (٣٧) قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨) وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩) إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (٤١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢) ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣) ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (٤٤) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون (٤٥) وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون (٤٦)﴾

﴿والذين كذّبوا بآياتنا﴾ أي: أخفوا صفاتنا بصفات أنفسهم ﴿واستكبروا عنها﴾ بالشيطنة ﴿أولٰئك أصحاب﴾ نار الحرمان ﴿وبينهما حجاب﴾ أي: بين أصحاب الجنة وبين أصحاب النار حجاب به كل منهم محجوب عن صاحبه. والمراد بأصحاب الجنة ههنا: أهل ثواب

الأعمال من الأبرار والزهاد والعباد الذين جنتهم جنة النفوس، وإلا فأهل جنة القلوب والأرواح لا يحجبون عن أصحاب النار ﴿**وعلى الأعراف**﴾ أي: على أعالي ذلك الحجاب الذي هو حجاب القلب الفارق بين الفريقين هؤلاء عن يمينه وهؤلاء عن شماله ﴿**رجال**﴾ هم العرفاء أهل الله وخاصته ﴿**يعرفون كلاً**﴾ من الفريقين ﴿**بسيماهم**﴾ يسلمون على أهل الجنة بإمداد أسباب التزكية والتحلية والأنوار القلبية وإفاضة الخيرات والبركات عليهم، لم يدخلوا الجنة لتجرّدهم عن ملابس صفات النفوس وطيباتها وترقيهم عن طورهم فلا يشغلهم عن الشهود الذاتي ومطالعة التجلي الصفاتي نعيم ﴿**وهم**﴾ أي: أصحاب الجنة ﴿**يطمعون**﴾ في دخولهم ليقتبسوا من نورهم ويستضيئوا بأشعة وجوههم، ويستأنسوا بحضورهم.

[٤٧ ـ ٥١] ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿**وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار**﴾ أي: لا ينظرون إليهم طوعاً ورأفة ورحمة ورضا، بل كراهة واعتباراً كان صارفاً صرف أبصارهم إليهم ﴿**ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**﴾ أي: لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى». وقال النبي ﷺ: «اللهم ثبت قلبي على دينك»، فقيل له: أما غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال ﷺ: «أو ما يؤمنني أنّ مثل القلب كمثل ريشة في فلاة، تقلبها الرياح كيف شاءت».

[٥٢ ـ ٥٣] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**﴾ أي: البدن الإنساني المفصل إلى أعضاء وجوارح وآلات وحواس تصلح للاستكمال على ما يقتضيه العلم الإلهي وتأويله ما يؤول إليه أمره في العاقبة من الانقلاب إلى ما لا يصلح لذلك عند البعث من هيئات وصور وأشكال

تناسب صفاتهم وعقائدهم على مقتضى قوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾(١)، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾(٢).

[٥٤ ـ ١٠٦] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ
تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٥٤) ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ
ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَٱلْبَلَدُ
ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَشْكُرُونَ (٥٨) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ
مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا
تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ
رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١)
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٧٢) وَإِلَىٰ
ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا
مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا
إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ
يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً
مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ
مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣)
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا
كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا
لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا
فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا
أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ
مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ
أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى
وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ

لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم
مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿إن ربكم الله الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام﴾ أي: اختفى في صور سماء الأرواح وأرض الأجساد في ستة آلاف سنة لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[(١)] أي: من لدن خلق آدم إلى زمان محمد عليهما الصلاة والسلام لأن الخلق هو اختفاء الحق في المظاهر الخلقية وهذه المدة من ابتداء دور الخفاء إلى ابتداء الظهور الذي هو زمان ختم النبوّة وظهور الولاية، كما قال ﷺ: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله فيه السموات والأرض»، لأن ابتداء الخفاء بالخلق هو انتهاء الظهور، فإذا انتهى الخفاء إلى الظهور عاد إلى أول الخلق كما مرّ، ويتم الظهور بخروج المهدي عليه السلام في تتمة سبعة أيام ولهذا قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة. ﴿ثم استوىٰ على العرش﴾ أي: عرش القلب المحمدي بالتجلي التام فيه بجميع صفاته كما ذكر في معنى (ص) ﴿يُغشي﴾ ليل البدن وظلمة الطبيعة نهار نور الروح ﴿يطلبه﴾ بتهيئته واستعداده لقبوله باعتدال مزاجه سريعاً، وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس ﴿مسخّرات بأمره﴾ الذي هو الشأن المذكور في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(٢)]. ﴿ألا لَهُ﴾ الإيجاد بالقدرة والتصريف بالحكمة، أو ألا له التكوين والإبداع. وإن حمل السموات والأرض على الظاهر فالأيام الستة هي الجهات الست، إذ يعبر عن الحوادث بالأيام كقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[(٣)] أي: خلق عالم الأجسام في الجهات الست ثم استعلىٰ متمكناً على العرش بالتأثير فيه بإثبات صور الكائنات عليه. وللعرش ظاهر وباطن، فظاهره هو السماء التاسعة التي تنتقش فيها صور الكائنات بأسرها ويتبع وجودها وعدمها المحو والإثبات فيها على ما سيأتي في تأويل قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[(٤)] إن شاء الله. وباطنه هو العقل الأول المرتسم بصور الأشياء على وجه كليّ، المعبر عنه ببطنان العرش كما جاء: «نادىٰ منادي من بطنان العرش»، وهو محل القضاء

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.
(٢) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٩.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

السابق، فالاستواء عليه قصد الاستعلاء عليه بالتأثير في إيجاد الأشياء بإثبات صورها عليه قصداً مستوياً من غير أن يلوي إلى شيء غيره.

﴿هٰذه ناقة الله لكُم آية﴾ الناقة لصالح عليه السلام كالعصا لموسىٰ عليه السلام والحمار لعيسىٰ والبراق لمحمد عليهما السلام، فإنّ لكل أحد من الأنبياء وغيرهم مركباً هو نفسه الحيوانية الحاملة لحقيقته التي هي النفس الإنسانية وتنتسب بالصفة الغالبة إلى ما يتّصف بتلك الصفة من الحيوانات فيطلق عليه اسمه، فمن كانت نفسه مطواعة منقادة من غاية اللين حمولة قوية متذللة فمركبه ناقة ونسبتها إلى الله لكونها مأمورة بأمره مختصة به في طاعته وقربه. وما قيل: إنّ الماء قسم بينها وبينهم، لها شرب يوم ولهم شرب يوم، إشارة إلى أنّ مشربهم من القوة العاقلة العملية، ومشربها من العاقلة النظرية. وما روي أنها يوم شربها كانت تتفحج فيحلب منها اللبن حتى ملؤوا أوانيهم، إشارة إلى أنّ نفسه تستخرج بالفكر من علومه الكلية الفطرية العلوم النافعة للناقصين من علوم الأخلاق والشرائع والآداب. وخروجها من الجبل: ظهورها من بدن صالح عليه السلام. هذا هو التأويل مع أن الإقرار بظاهرها واجب، فإن ظهور المعجزات وخوارق العادات حق لا ننكر شيئاً منها. وما يؤيد التأويل تسوية النبي عليه الصلاة والسلام عاقرها بقاتل عليّ عليه السلام، حيث قال: «يا علي، أتدري من أشقى الأوّلين؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «عاقر ناقة صالح»، ثم قال ﷺ: «أتدري من أشقىٰ الآخرين؟»، قال: الله ورسوله أعلم﴾ قال ﷺ: «قاتلك». وروي أنه قال ﷺ: «من خَضَبَ هذا بهذا﴾وأشار بيده إلى لحيته ورأسه.

[١٠٧ ـ ١٤١] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ
ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟
صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا

مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ
سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ
إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن
تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ
عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟
قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن
كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ
أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا
وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى
بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ
هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ
عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾

﴿فألقى عصاه﴾ ظاهره إعجاز موسى كما هو مرويّ. والتأويل هو: أن العصا إشارة إلى نفسه التي يتوكأ عليها أي: يعتمد عليها في الحركات والأفعال الحيوانية ويهشّ بها على غنم القوّة البهيمية السليمية، ورق الآداب الجميلة والملكات الفاضلة والعادات الحميدة من شجرة الفكر، وكانت نفسه من حسن سياسته إياها ورياضته لها، منقادة لتصرفاته، مطواعة لأوامره، مرتدعة عن أفعالها الحيوانية إلا بإذنه كالعصا. وإذا أرسلها عند الاحتجاج في مقابلة الخصوم صارت كالثعبان يتلقف ما يأفكون من أكاذيبهم الباطلة ويزوّرون من حبال شبهاتهم التي بها تحكم دعاويهم، وعصي مغالطاتهم ومزخرفاتهم التي تمسكوا بها عند الخصام في إثبات مقاصدهم فتغلبهم وتقهرهم. ﴿ونزع يده﴾ أي: أظهر قدرته الباهرة التي تبهرهم وتظهر نور حقيّة دعواه، والظاهر أنه كان الغالب على زمانه هو السحر، فخرج بالسحر الإلٰهي كما أن الغالب على زمان محمد عليه الصلاة والسلام كان هو الفصاحة، فكانت معجزة القرآن. وعلى

زمان عيسى عليه السلام الطب، فجاء بالطب الإلهي ـ على ما روي ـ لأنّ معجزة كل نبيّ يجب أن تكون من جنس ما غلب على زمانه ليكون أدعى إلى إجابة دعواه.

[١٤٢ ـ ١٤٥] ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿ووَاعَدْنا موسىٰ ثلاثين ليلة﴾ قيل: أمره بصوم ثلاثين فلما أتمّ أنكر خلوف فمه، فتسوّك فعاتبه الله على ذلك وأمره بزيادة عشر، وقيل: أمره بأن يتقرب إليه بما تقرّب به في الثلاثين، وأنزل إليه التوراة في العشر الأخير تتمة الأربعين. فالأول: إشارة إلى أنه خلص عن حجاب الأفعال والصفات والذات في الثلاثين لكن بقي منه بقية ما خلص عن وجودها. واستعمال السواك إشارة إلى ظهور تلك البقية عند قوله: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾. والثاني: إشارة إلى أنه بلغ الشهود الذاتي التام في الثلاثين بالسلوك إلى الله ولم يبق منه بقية، بل فنىٰ بالكلية. وتمّ في العشر الأخير سلوكه في الله حتى رزق البقاء بالله بعد الفناء بالإفاقة، وعلى هذا ينبغي أن يكون قوله: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ كان قد صدر عنه في الثلاثين، والإفاقة بعدها في تتمة الأربعين. وكلمه ربه، التكليم في مقام تجلي الصفات، وقوله: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ بدر عن إفراط شوق منه إلى شهود الذات في مقام فناء الصفات مع وجود البقية.

﴿لن تراني﴾ إشارة إلى استحالة الإثنينية وبقاء الأنية في مقام المشاهدة كقوله:

إذا تــغــيّــبــت بــدا وإن بــدا غــيّــبــنــي

وقوله: رأيت ربي بعين ربّي ﴿ولكن أنظر إلىٰ الجبل﴾ أي: جبل وجودك ﴿فإنْ استقرّ مكانه﴾ أمكنت رؤيتك إياي، وذلك من باب التعليق بالمحال ﴿جعله دكاً﴾ أي: متلاشياً لا وجود له أصلاً ﴿وخرّ موسىٰ﴾ عن درجة الوجود فانياً ﴿فلما أفاق﴾ بالوجود الموهوب الحقاني عند البقاء بعد الفناء ﴿قال سبحانك﴾ أن تكون مرئياً لغيرك، مدركاً لأبصار الحدثان ﴿تبْت إليك﴾ عن ذنب البقية ﴿وأنا أوّل المؤمنين﴾ بحسب الرتبة لا بحسب الزمان، أي: أنا في الصف الأول من صفوف مراتب الأرواح الذي هو مقام أهل الوحدة وذلك مقام الاصطفاء المحض. وقوله: ﴿إني اصْطَفَيتك علىٰ الناس برسالاتي﴾ هو أول درجة الاستنباء بعد الولاية

﴿فخذ ما آتيتك﴾ بالتمكين ﴿وكن من الشاكرين﴾ بالاستقامة في القيام بحق العبودية، كما قال النبي عليه السلام: «أوَ لا أكون عبداً شكوراً».

﴿في الألواح﴾ أي: الألواح تفاصيل وجود موسىٰ من روحه وقلبه وعقله وفكره وخياله. وإلقاؤها عند الغضب هو الذهول عنها والتجافي عن حكم ما فيها كما يحكم أحدنا بحسن الحلم والتحمّل للأذى، ثم ينسىٰ عند سورة الغضب ولا يتذكر شيئاً مما في عقله من علمه عند ظهور نفسه ﴿فخذها بقوة﴾ أي: بعزيمة لتكون من أولي العزم ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ أي: بالعزائم دون الرخص ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ أي: عاقبة الذين لا يأخذون بها.

[١٤٦] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ لأن التكبر من صفات النفس، فهم في مقام النفس محجوبون عن آيات الصفات التي تكون في مقام القلب دون المتكبرين بالحق الذين اتّصفوا بصفة الكبرياء في مقام المحو والفناء، فقام كبرياؤه تعالى مقام تكبّرهم، كما قال جعفر الصادق عليه السلام في جواب من قال له: فيك كل فضيلة إلا أنك متكبر! فقال: «لست بِمُتكبر، ولكن كبرياء الله تعالىٰ قام مني مقام التكبر».

[١٤٧ ـ ١٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ
وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا
رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ
ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ
أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ
أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى

مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾

﴿والذين كذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ أي: ستروا بصفاتهم صفاتنا وبأفعالهم أفعالنا فوقفوا مع الآثار وعموا عن لقاء الآخرة وجنة النفوس والأفعال ﴿حبطت أعمالهم﴾ ولو كان التكذيب بالصفات مجرداً عن التكذيب بلقاء الآخرة لما حبطت أعمالهم، وإن عذبوا حيناً بنوع من العذاب ﴿سبعين رجلا﴾ من أشرافهم ونجبائهم أهل الاستعداد وصفاء النفس والإرادة والطلب والسلوك وهم المصعوقون في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾[١].

﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ أي: رجفة جبل البدن التي هي من مبادىء صعقة الفناء عند طيران بوارق الأنوار وظهور طوالع تجليات الصفات من اقشعرار الجسد وتأثره وارتعاده بها، ولهذا قال موسىٰ عليه السلام عندها: ﴿رب لو شئت﴾ إذ لا قول لموسىٰ عليه السلام عند الصعقة ولا لهم لفنائهم عندها، وقوله عليه السلام: ﴿ربّ لو شئت﴾، كلمة ضجر وفقدان صبر من غلبة الشوق عند ألم الفراق، كما قال محمد ﷺ في مثل هذه الحالة: «ليت أمي لم تَلدني، وكذا ليت ربّ محمد لم يخلق محمداً»، وهمّ بإلقاء نفسه عن الجبل. ولو هذه للتمني. ﴿أتهلكنا﴾ بطول الحجاب وعذاب الحرمان وألم الفراق ﴿بما فعل السفهاء منا﴾ من عبادة عجل هوى النفس والاحتجاب بصفاتها أو بما صدر منا حالة السفه قبل التيقظ والاستبصار وإرادة السلوك وظهور نور البصيرة والاعتبار من الوقوف مع النفس وصفاتها ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي: ما هذا الابتلاء بصفات النفس وعبادة الهوى إلا ابتلاؤك لا مدخل فيها لغيرك ﴿تضلّ من تشاء﴾ من أهل الحجب والشقاوة والجهل والعمى ﴿وتهدي من تشاء﴾ من أهل السعادة والعناية والعلم والهدى، قالها في مقام تجلي الأفعال. ﴿أنت﴾ متولي أمورنا القائم بها ﴿فاغفر لنا﴾ ذنوب صفاتنا وذواتنا كما غفرت لنا ذنوب

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٤.

أفعالنا ﴿وارحمنا﴾ بإفاضة أنوار شهودك ورفع حجاب الأينية بوجودك ﴿وأنت خير الغافرين﴾ بالمغفرة التامة.

﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ العدالة والاستقامة بالبقاء بعد الفناء ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ المشاهدة والزيادة ﴿إنا هدنا﴾ رجعنا ﴿إليك﴾ عن ذنوب وجودنا ﴿قال عذابي﴾ أي: عذاب الشوق المخصوص بي الحاصل من جهتي، وإن كان أليماً لشدّة ألم الفراق، لكنه أمر عزيز خطير ﴿أصيب به من أشاء﴾ من أهل العناية من عبادي الخاصة بي ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ لا تختص بأحد دون أحد غيره وشيء دون شيء، ففي هذا العذاب رحمة لا يبلغ كنهها ولا يقدر قدرها من رحمة لذة الوصول التي قال فيها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] مع كونه لذيذاً لا يقاس بلذّته لذّة، كما قال أحدهم:

وكل لذيذ قد نلت منه ... سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

ولعمري إنّ هذا العذاب أعزّ من الكبريت الأحمر. وأما الرحمة فلا يخلو من حظ منها أحد ﴿فسأكتبها﴾ تامة كاملة رحيمية كتبة خاصة ﴿للذين يتقون﴾ الحجب كلها ويفيضون مما رزقوا من الأموال والأخلاق والعلوم والأحوال على مستحقيها ﴿والذين هم﴾ بجميع صفاتنا يتصفون وهم ﴿الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ﴾ في آخر الزمان، أي: المحمديون الذين اتّبعوا في التقوى وصفه بقوله تعالى له: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2]، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾[4]. وفي إيتاء الزكاة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾[5]، وفي الإيمان بالآيات قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم، وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

[١٥٩ ـ ١٩٣] ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٥٩ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١٦٠ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٦١ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.
(٣) سورة النجم، الآية: ٣.
(٤) سورة النجم، الآية: ١٧.
(٥) سورة الضحى، الآيات: ١٠ ـ ١١.

قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾
وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟
يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً
إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً
خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ
وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ
ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ
نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟
بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن
قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ
إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾
مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ
ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ
يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ
رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ

إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ
ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ (١٨٨) ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا
حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)
أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن
تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ (١٩٣)﴾

﴿**ومن قوم موسىٰ أمة**﴾ أي: أولئك المتّبعون هم المفلحون بالرحمة التامة، وأمّة من قوم موسى موحدون ﴿**يهدون**﴾ الناس ﴿**بالحقّ**﴾ لا بأنفسهم ﴿**وبه يعدلون**﴾ بين الناس في حال الاستقامة والتمكين ﴿**إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم**﴾ ما كان إلا كحال الإسلاميين من أهل زماننا في اجتماع أنواع الحظوظ النفسانية من المطاعم والمشارِب والملاهي والمناكح ظاهرة في الأسواق والمواسم والشوارع والمحافل يوم الجمعات دون سائر الأيام، وما ذلك إلا ابتلاء من الله بسبب الفسق ﴿**أولٰئك كالأنعام**﴾ لفقدان إدراك الحقائق والمعارف التي تقرّبهم من الله بالقلوب وعدم الاعتبار بالأعين والإدّكار والفهم بالأسماع ﴿**بل هم أضلّ**﴾ لوجود الشيطنة فيهم الموجبة للبعد بفساد العقائد وكثرة المكايد ﴿**ولله الأسماء الحسنىٰ**﴾ قد مرّ أن كل اسم هو الذات مع صفة، والله يدبر كل أمر باسم من أسمائه ﴿**فادعوه**﴾ عند الافتقار إلى ذلك الاسم به إما بلسان الحال كما أن الجاهل إذا طلب العلم يدعوه باسمه العليم، والمريض إذا طلب الشفاء يدعوه باسمه الشافي، والفقير إذا طلب الغِنىٰ يدعوه باسمه المغني، كل بتحصيل الاستعداد الذي استلزم قبوله لتأثير ذلك الاسم وأثر تلك الصفة. وأما بلسان القال كما إذا قال الأول: يا رب، يريد به يا عليم، لاختصاص ربوبيته بذلك الاسم. والثاني: يريد بيا رب يا شافي. والثالث: يا مغني. وأما بلسان الفعل كما يدعوه الطالب السالك باتصافه بتلك الصفة فإذا فنىٰ عن علمه بعلمه دعاه باسمه: العليم، وإذا وجد شفاء دائه منه وطلب منه أن يشفي غيره باتصافه بصفة الشفاء دعاه باسمه: الشافي، وإذا استغنى عن فقره به دعاه باسمه: الغني. وهذه هي الدعوة المأمور بها الموحدون من المؤمنين فليمتثلوا. ﴿**وذروا الذين يلحدون في أسمائه**﴾ يطلبون هذه الصفات من غيره ويضيفونها إليه فيشركون به.

المراد بالساعة: وقت ظهور القيامة الكبرى، أي: الوحدة الذاتية بوجود المهدي ولا يعلم وقتها إلا الله كما قال النبيّ عليه الصلاة والسلام في وقت خروج المهدي: «كذب

الوقاتون»، ولعمري ما يعلمها عند وقوعها أيضاً إلا الله كما هي قبل وقوعها. ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ إذ لا يسع أهلها علمها.

[١٩٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿إنّ الذين تدعون من دون الله﴾ كائنين من كانوا، ناساً كانوا أو غيرهم ﴿عباد أمثالكم﴾ في العجز وعدم التأثير ﴿فأدعوهم﴾ إلى أمر لا ييسره الله لكم ﴿فليستجيبوا لكم﴾ إلى تيسيره ﴿إن كنتم صادقين﴾ في نسبة التأثير إلى الغير، كما قال النبيّ عليه الصلاة والسلام لابن عباس: «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجفت الصحف».

[١٩٥ ـ ١٩٨] ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾ استفهام على سبيل الإنكار، أي: ألهم أرجل ولكن لا يمشون بها بل بالله، إذ هو الذي يمشيهم بها وكذا سائر الجوارح ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ من الجنّ والأنس ﴿ثم كيدون﴾ إن استطعتم فإنّ متولي أمري وحافظي ومدبري هو ﴿الله الذي﴾ يعلمني بتنزيل الكتاب ﴿وهو يتولىٰ﴾ كل صالح، أي: كل من قام به في حال الاستقامة. وكلما ورد الصالح في وصف نبيّ من الأنبياء أُريد به الباقي بالحق بالاستقامة والتمكين بعد الفناء في عين الجمع القائم بإصلاح النوع بإذن الحق ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يُبصِرون﴾ أي: إن تدع المطبوع على قلوبهم من المشركين وغيرهم إلى الهدىٰ لا يسمعوا ولا يطيعوا وتراهم مع صحة البصر والنظر لا يبصرون الحق ولا حقيقتك لأنهم عمي القلوب في الحقيقة.

[١٩٩] ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿خُذ العَفو﴾ أي: السهل الذي يتيسر لهم ولا تكلفهم ما لا يتيسر لهم ﴿وأمُر بالعرف﴾ أي: بالوجه الجميل ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ بعدم مكافأة جهلهم. وعن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: «أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم

الأخلاق منها». قال ذلك لقوة دلالتها على التوحيد، فإن من شاهد مالك النواصي وتصرفه في عباده وكونهم فيما يأتون ويذرون به لا بأنفسهم، لا يشاقهم ولا يداقهم في تكاليفهم ولا يغضب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتشدّد عليهم ويحلم عنهم.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وإما يَنزغنك من الشيطان نَزغ﴾ أي: نخس وداعية قوية تحملك على مناقشتهم برؤية الفعل منهم ونسبة الذنب إليهم ﴿فاستعذ بالله﴾ بالشهود والحضور لفاعليته ﴿إنه سميع﴾ يسمع أحاديث النفس ووساوس الشيطان في الصدر ﴿عليم﴾ بالنيات والأسرار.

[٢٠١ ـ ٢٠٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

﴿إنّ الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿إذا مسّهم طائف﴾ لمة ﴿من الشيطان﴾ بنسبة الفعل إلى الغير ﴿تذكروا﴾ مقام التوحيد ومشاهدة الأفعال من الله ﴿فإذا هم مُبصِرون﴾ فعالية الله، فلا يبقى شيطان ولا فاعل غير الله في نظرهم. وإخوان الشياطين من المحجوبين ﴿يمدّونهم﴾ في نسبة الفعل إلى غيره فلا يقصرون من العناد والمراء والجهل ﴿لولا اَجْتَبَيتها﴾ أي: هلا اجتمعتها من تلقاء نفسك ﴿قل إنما أتّبع ما يُوحىٰ إليّ من ربّي﴾ أي: لا أفتعل بنفسي، بل أبلغ عن الله ولا أقول إلا ما يوحىٰ إليّ منه به لأني قائم به لا بنفسي ﴿فاستمعوا له﴾ أي: إلى الله ولا تستمعوا إلا منه ﴿وأنصتوا﴾ عن حديث النفس وغيره، فإنّ المتكلم به هو الله ﴿لعلّكم تُرحَمون﴾ برحمة تجلي المتكلم في كلامه بصفاته وأفعاله ﴿واذكر ربك﴾ حاضراً ﴿في نفسك﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. ﴿تضرعاً﴾ في مقام التفصيل للجمع ﴿وخِيفَة﴾ في السر من النفس أو خيفة أن يكون للنفس فيه نصيب ﴿ودون الجَهر﴾ أي: دون أن يظهر لك التضرع والذكر منك، بل تكون ذاكراً به له في غدوّ ظهور نور الروح وإشراقه وغلبته، وآصال غلبات صفات النفس وقواها ﴿ولا تكن﴾ في حال من الأحوال، وخصوصاً حال غلبات النفس وصفاتها ﴿من الغافلين﴾ عن شهود الوحدة الذاتية.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

﴿إنّ الذين عند ربّك﴾ بالتوحيد والفناء فيه باقين به ذوي الاستقامة ﴿لا يستَكْبرون عن عبادَتِهِ﴾ بسبب احتجابهم بالأنائية بل يشاهدون التفصيل في عين الجمع فيذعنون له ﴿ويسّبحونه﴾ ينزّهونه عن الشرك بنفي الأنائية ﴿وله يَسْجدون﴾ بالفناء التام، وطمس البقية، وآثار الأنية، والله الباقي بعد فناء الخلق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة الأنفال﴾

[١] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ احتجبوا بأفعالهم فاعترضوا على فعل الله ورسوله، أي: فعل الله في مظهر الرسول، فأمروا بتقوىٰ الأفعال، أي: الاجتناب عنها برؤية فعل الله، وإصلاح ذات البين بمحو صفات النفوس التي هي مصادر أفعالهم الموجبة للتنازع والتخالف حتى يرجعوا إلى الإلفة والمحبة القلبية بظهور أنواع الصفات ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ بفناء صفاتها ليتيسر لكم قبول الأمر بالإرادة القلبية.

[٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ الإيمان الحقيقي ﴿إنما المؤمنون﴾ بالإيمان الحقيقي ﴿الذين إذا ذُكِرَ الله﴾ ذكر الصفات الذي للقلب لا ذكر الأفعال الذي للنفس ﴿وجِلَتْ قلوبهم﴾ تأثرت بتصوّر العظمة والبهاء والقهر والكبرياء وإشراق أنوار تجليات تلك الصفات عليها ﴿وإذا تُلِيت عليهم آياته﴾ أي: جليت عليهم صفاته في المظاهر الكلامية ﴿زادتهم إيماناً﴾ حقيقياً بالترقي عن مقام العلم إلى العين ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي: يصححون مقام التوكل بفناء الأفعال ويتممونه في مقام فناء الصفات. فإن تصحيح كل مقام إنما يتم بالترقي عنه والنظر إليه من مقام فوقه.

[٣ ـ ٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿الذين يُقيمون﴾ صلاة الحضور القلبي بمشاهدة الصفات والترقي فيها بتجلياتها ﴿ومما رزقناهم﴾ من علوم التوكل في مقام فناء الأفعال أو علوم تجليات الصفات في السير فيها ﴿يُنفِقون﴾ بالعمل بها والإفاضة على مستحقيها.

﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ الإيمان الحقيقي ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ من مراتب الصفات وروضات جنّات القلب ﴿ومغفرة﴾ من ذنوب الأفعال ﴿ورزق كريم﴾ من باب تجليات الصفات وعلومها.

[٥ ـ ٨] ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾

يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿كما أخرجك﴾ أي: هذه الحال ـ يعني حالهم في الاعتراض عليك في باب التنفيل ـ كحالهم في الاعتراض عليك عند إخراج ربّك إياك لأنهم لما احتجبوا عن فعل الله بأفعالهم رأوا الفعلين منك فكرهوا خروجك كما كرهوا تنفيلك وما فطنوا لإخراج ربّك إياك ﴿من بَيْتك بالحق﴾ أي: ملتبساً بالحق، خارجاً به لا بنفسك، فيكون بالحق حالاً من مفعول: أخرجك، أو خروجاً ملتبساً بالذي هو الصواب والحكمة ﴿يجادِلونَكَ في الحق﴾ لاحتجابهم بأفعالهم وصفاتهم ﴿بعدما تبين﴾ عليك حاله بالتجلي أو تبين عليهم آثاره بالمعجزات من قبل، أو بإعلامك إياهم بأن النصرة لهم ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته﴾ أي: يثبته بملائكته السماوية التي أمدّهم بها.

[٩] ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ بالبراءة عن حولكم وقوّتكم إليه والانسلاخ عن حجب أفعالكم بتيقن أن التأثير والقوة منه لا منكم ولا من عدوّكم ﴿فَٱستَجاب﴾ دعوتكم عند ذلك التجرّد عن ملابس الأفعال وصفات النفس بـ ﴿أني مُمِدكم﴾ من عالم الملكوت لجنسية قلوبكم إياها حينئذ ﴿بألفٍ من الملائكة﴾ بعالم من ملكوت القهر، أي: من القوى السماوية وروحانياتها التي تناسب قلوبكم في تلك الحالة كما مرّت الإشارة إليه في (آل عمران) واختلاف العدد في الموضعين إما لأن المراد الكثرة لا العدد المخصوص وإما لأن قوله: ﴿مردفين﴾ هنا يدلّ على اتباعهم بطائفة أخرى منهم وإمدادهم إما بأن يتجسدوا ويتمثلوا لهم بصورة المقاتلة كما تتمثل الصور في المنام مثلاً، فيتهيبوا منهم، وإما بأن يصل أثرهم وقهرهم إليه فيهلكوا وينهزموا.

[١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وما﴾ جعل ﴿الله﴾ الإمداد ﴿إلا﴾ بشارة لكم بالنصر وطمأنينة لقلوبكم بالاتصال بها عند التجرّد عن ملابس النفس وأحوالها، لا أن النصر منها فإنّ النصر ليس ﴿إلاّ من عند الله﴾ لكن حكمته تقتضي تعليق الأشياء بأسبابها ﴿إنّ الله﴾ قوي على النصر غالب ﴿حكيم﴾ يفعله على مقتضى الحكمة.

[١١] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

﴿إذ يغشيكم﴾ نعاس هدوّ القوىٰ البدنية والصفات النفسانية بنزول السكينة أمناً من عند الله وطمأنينة ﴿وينزل عليكم من﴾ سماء الروح ﴿ماء﴾ علم اليقين ﴿ليطهركم به﴾ من خبث أحاديث النفس وهواجس الوهم ﴿ويُذهب عنكم رجز﴾ وسوسة ﴿الشيطان﴾ وتخويفه ﴿وليربط على قلوبكم﴾ أي: ليقوي قلوبكم بقوة اليقين ويسكن جأشكم ﴿ويثبت به الأقدام﴾ إذ الشجاعة وثبات القدم في المخاوف والمهالك لا تكون إلا بقوة اليقين.

[١٢ ـ ١٦] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ أي: يمدّ الملكوت بالجبروت فيعلموا من عالم الجبروت أن الله ناصرهم ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ بالتأييد الاتصالي ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ لانقطاعهم عن الإمداد السماوي والتأييد الإلٰهي واستيلاء الشك وقوّة الوهم عليهم ﴿فاضربوا فوقَ الأعناق﴾ أي: ثبتوهم بتلقين هذا المعنى، وشجعوهم بإلقاء هذا القول عليهم أو بإراءتهم هذا الفعل منكم كما هو المروي.

[١٧ ـ ٢٢] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فلمْ تَقتلوهم﴾ أدبهم وهداهم إلى فناء الأفعال بسلب الأفعال عنهم وإثباتها لله تعالى. ولما كان النبي عليه الصلاة والسلام في مقام البقاء بالحق نسب الفعل إليه بقوله: ﴿إذ رميت﴾ مع سلبه عنه بما رميت وإثباته لله بقوله: ﴿ولكن الله رمىٰ﴾ ليفيد معنى التفصيل في عين الجمع، فيكون الرامي محمداً بالله تعالى لا بنفسه، وما نسب إليهم من الفعل شيئاً إذ لو فعلوا لفعلوا بأنفسهم ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ أي: عطاء جميلاً هو توحيد الأفعال فعل ذلك ﴿إنّ الله سميع﴾ بأحاديث نفوسكم، أنا قتلناهم ﴿عليم﴾ بأنه هو القاتل وإن أظهر الفعل

على مظاهركم ﴿ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ أي: لا تعرضوا عنه مع السماع لأنّ أثر السماع الفهم والتصديق، وأثر الفهم الإرادة، وأثر الإرادة الطاعة، فلا يصح دعوى السماع مع الإعراض إذ هما لا يجتمعان، فلازموا الطاعة بالإرادة إن كنتم صادقين في دعوى السماع ﴿ولا تكونوا كالذين﴾ يدعون السماع وليسوا منه في شيء لكونهم محجوبين عن الفهم والقبول كالدواب، بل هم شرّ الدواب عند الله، لما مرّ.

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ولو علم الله فيهم خيراً﴾ وصلاحاً، أي: استعداداً لقبول كمال سمعهم حتى فهموا وقبلوا وأطاعوا ﴿ولو أسمعهم﴾ مع عدم الخير فيهم حتى فهموا لما كان لفهمهم أثر من الإرادة والطاعة، بل تولوا سريعاً لكون ذلك الفهم فيهم أمراً عارضياً سريع الزوال لا ذاتياً ﴿وهم معرضون﴾ بالذات، فلا يلبث فيهم الفهم والإرادة كما قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «خذ الحكمة ولو من أهل النفاق، فإنّ الحكمة لتتلجلج في صدر المنافق حتى تسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن»، أي: لا تثبت في صدره لكونها عارضية هناك لا تناسب ذاته.

[٢٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالغيب ﴿استجيبوا﴾ بالتزكية والتصفية ﴿إذا دعاكم لما﴾ يحيي قلوبكم من العلم الحقيقي أو آمنوا الإيمان التحقيقي، استجيبوا بالسلوك إلى الله وفيه إذا دعاكم إليه لإحيائكم به. هذا إذا كانت استجابة الله والرسول استجابة واحدة، أما إذا كانت متغايرة فمعناه: استجيبوا لله بالباطن والأعمال القلبية، وللرسول بالظاهر والأعمال النفسية، أو استجيبوا لله بالفناء في الجمع، وللرسول بمراعاة حقوق التفصيل إذا دعاكم إلى الاستقامة لما يحييكم من البقاء بالله فيها، كل ذلك قبل زوال الاستعداد فإن الله يحول بين المرء وقلبه بزوال الاستعداد وحصول الحجاب بارتكاب الرين، فانتهزوا الفرصة ولا تؤخروا الاستجابة ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ فيجازيكم من صفاته وذاته على حسب محوكم وفنائكم.

[٢٥] ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿واتقوا فتنة﴾ شركاً وحجاباً ﴿لا تصيبن﴾ تلك الفتنة ﴿الذين ظلموا منكم﴾ بإزالة الاستعداد أو نقصه لاستعماله في غير موضعه وصرفه فيما دون الحق ﴿خاصة﴾ لانفرادهم بالظلم. ومعنى لا تصيبن النهي، أي: إن تصب تصبهم خاصة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[(١)]، ويجوز أن يكون المعنى: لا تصيبنهم خاصة، بل تشملهم وغيرهم بشؤم صحبتهم وتعدي رذيلتهم إلى من يخالطهم كقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[(٢)]، ﴿**واعلموا أنّ الله شديد العقاب**﴾ بتسليط الهيآت الظلمانية التي اكتسبتها القلوب عليها وحجبها عنه وتعذيبها بها.

[٢٦] ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿**واذكروا إذ أنتم قليل**﴾ القدر، لجهلكم وانقطاعكم عن نور العلم ﴿**مُستَضعفون في**﴾ أرض النفس ﴿**تخافون أن يتخطفكُم الناس**﴾ أي: ناس القوى الحسيّة لضعف نفوسكم ﴿**فآواكم**﴾ إلى مدينة العلم ﴿**وأيدكم بنصره**﴾ في مقام توحيد الأفعال ﴿**ورزقكم من**﴾ طيبات علوم تجليات الصفات ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ نعمة العلوم والتجليات بالسلوك فيه.

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿**لا تخُونُوا الله**﴾ بنقض ميثاق التوحيد الفطري السابق ﴿**و**﴾ تخونوا ﴿**الرسول**﴾ بنقض العزيمة ونبذ العقد اللاحق ﴿**وتخونوا أماناتكم**﴾ من المعارف والحقائق التي استودع الله فيكم بحسب الاستعداد الأول في الأزل بإخفائها بصفات النفس ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ أنكم حاملوها، أو تعلمون أنّ الخيانة من أسوأ الرذائل وأقبحها.

[٢٨] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**واَعْلموا إنما أمْوَالكم وأولادكم فِتْنة**﴾ أي: حجاب لكم لاشتغالكم بها عن الله، أو شرك لمحبتكم إياها كحبّ الله ﴿**وأنّ الله عنده أجرٌ عظيمٌ**﴾ فاطلبوه بالتجرّد عنها ومراعاة حق الله فيها.

[٢٩ ـ ٣٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿**إن تتقوا الله**﴾ بالاجتناب عن نقض العهد وفسخ العزيمة وإخفاء الأمانة ومحبة الأموال

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

والأولاد حتى تفنوا فيه ﴿يجعل لكم فرقاناً﴾ نوراً يفرق به بين الحق والباطل من طور العقل الفرقاني ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي: سيئات نفوسكم ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ أي: ذنوب ذواتكم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ بإعطاء الوجود الموهوب الحقاني والعقل الفرقاني.

[٣٣] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ لأن العذاب صورة الغضب وأثره فلا يكون إلا من غضب النبي أو من غضب الله المسبب من ذنوب الأمة، والنبي عليه السلام كان صورة الرحمة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1] ولهذا إذ كسروا رباعيته قال ﷺ: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»، ولم يغضب كما غضب نوح عليه السلام، وقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2] فوجوده فيهم مانع من نزول العذاب، وكذا وجود الاستغفار. فإنّ السبب الأولي للعذاب لما كان وجود الذنب والاستغفار مانع من تراكم الذنب وثباته بل يوجب زواله فلا يتسبب لغضب الله، فما دام الاستغفار فيهم فهم لا يعذبون.

[٣٤ ـ ٤٠] ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ أي: ليس عدم نزول العذاب لعدم استحقاقهم لذلك بحسب أنفسهم، بل إنهم مستحقون بذواتهم لصدورهم وصدّهم المستعدين عن مقام القلب وعدم بقاء الخيرية فيهم ولكن يمنعه وجودك ووجود المؤمنين المستغفرين معك فيهم. واعلم أن الوجود الإمكاني يتبع الخير الغالب، لأن الوجود الواجبي هو الخير المحض، فما رجح خيره على شره فهو موجود بوجوده بالمناسبة الخيرية، وإذا غلب الشرّ لم تبق المناسبة فلزم استئصاله

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٦.

وإعدامه فهم ما داموا على الصورة الاجتماعية كان الخير فيهم غالباً فلم يستحقوا الدمار بالعذاب. وأما إذا تفرّقوا ما بقي شرّهم إلا خالصاً فوجب تدميرهم كما وقع في وقعة بدر. ومن هذا يظهر تحقيق المعنى الثاني في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[1] لغلبة الشرّ على المجموع حينئذ، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كان في الأرض أمانان، فرُفِعَ أحدهما وبقي الآخر. فأما الذي رُفِعَ فهو رسول الله ﷺ، وأما الذي بقي فالاستغفار» وقرأ هذه الآية.

﴿يصدّون عن المسجد الحرام﴾ صورة لصدودهم وإعراضهم عن معناه الذي هو القلب بالركون إلى النفس وصفاتها، وصدّهم المستعدّين عنه بإغرائهم على الأمور النفسانية واللذّات الطبيعية.

﴿وما كانوا أولياءه﴾ لبعدهم عن الصفة وغلبة ظلمة النفس واستيلاء صفاتها عليهم، واحتجابهم عنه بالكفر المستفاد من الدين ﴿إن أولياؤه إلاّ المتقون﴾ الذين اتّقوا صفات النفس وأفعالها ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أنّ البيت صورة القلب الذي هو بيت الله بالحقيقة فلا يستحق ولايته إلا أهل التقوىٰ من الموحدين دون المشركين.

[٤١] ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمسه﴾ إلى قوله: ﴿والله شديد العقاب﴾ لا يقبل التأويل بحسب ما ورد فيه من (الواقعة) وإن شئت تطبيقه على تفاصيل وجودك أمكن أن نقول: واعلموا أيها القوىٰ الروحانية أنما غَنمتم من العلوم النافعة والشرائع المبنيّ عليها الإسلام في قوله: بُني الإسلام على خمس، فإن لله خمسه، وهو شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، باعتبار التوحيد الجمعي ولرسول القلب ﴿ولذي القُرْبىٰ﴾ الذي هو السر، ويتامىٰ العاقلة النظرية والعملية، والقوّة الكفرية، ومساكين القوىٰ النفسانية ﴿وأبن السبيل﴾ الذي هو النفس السالكة الداخلة في الغربة الجائبة منازل السلوك، النابية عن مقرها الأصلي باعتبار التوحيد التفصيلي في العالم النبوي. والأخماس الأربعة الباقية تقسم على الجوارح والأركان والقوى الطبيعية ﴿إن كنتم آمنتم﴾ الإيمان الحقيقي ﴿بالله﴾ جمعاً، ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ وقت التفرقة بعد الجمع تفصيلاً ﴿يوم التقىٰ الجمعان﴾ من فريقي القوى الروحانية والنفسانية عند الرجوع إلى مشاهدة التفصيل في الجمع.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

[٤٢] ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾

﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ من مدينة العلم ومحل العقل الفرقاني ﴿وهم بالعدوة القصوىٰ﴾ أي: الجهة السفلية البعيدة من الحق ومحل العلم وركب القوى الطبيعية الممتازة للقوى النفسانية ﴿أسفل منكم﴾ أي: من الفريقين ﴿ولو تواعدتم﴾ اللقاء للمحاربة من طريق العقل والحكمة دون طريق الرياضة والوحدة ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ لكون ذلك صعباً حينئذ، موجباً للفشل والجبن ﴿ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ مقدّراً، محققاً عنده، واجباً وقوعه فعل ذلك ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ هي كونها ملازمة للبدن الواجب الفناء منطبعة فيه ﴿ويحيا من حيّ عن بينة﴾ هي كونها مجرّدة عنه متصلة بعالم القدس الذي هو معدن الحياة الحقيقية الدائم البقاء.

[٤٣ ـ ٤٧] ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)﴾

﴿إذ يُريكهم الله﴾ أيها القلب في منام تعطل الحواس الظاهرة وهدوّ القوى البدنية قليلي القدر، ضعاف الحال ﴿ولو أراكهم كثيراً﴾ في حال غلبة صفات النفس ﴿لفشلتم ولتنازعتم﴾ في أمر كسرها وقهرها لانجذاب كل منكم إلى جهة ﴿ولكن الله سلمَ﴾ عن الفشل والتنازع بتأييده وعصمته ﴿ولا تكونوا﴾ ككفرة القوى النفسانية الذين ﴿خرجوا من﴾ ديار مقارّهم ومحالهم وحدودهم بطراً ورئاء الناس وإظهاراً للجلادة على الحواس.

[٤٨ ـ ٤٩] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)﴾

﴿وإذ زيّن لهم﴾ شيطان ﴿الوهم﴾ أعمالهم في التغلب على مملكة القلب وقواه ﴿وقال

لا غَالِبَ لكم اليوم من الناس﴾ وأوهمهم تحقيق أمنيتهم بأن بصرهم أن لا غالب عليهم من ناس الحواس فكذا سائر القوىٰ. **﴿وإني جار لكم﴾** أمدّكم وأقوّيكم وأمنعكم من ناس القوى الروحانية **﴿فلما تراءَتْ الفِئَتان نكص على عقبيه﴾** لشعوره بحال القوى الروحانية وغلبتها لمناسبته إياها بإدراك المعاني. **﴿وقال إني بريء منكم﴾** لأني لست من جنسكم **﴿إني أرىٰ﴾** من المعاني ووصول المدد إليهم من سماء الروح وملكوت عالم القدس **﴿ما لا ترون إني أخاف الله﴾** لشعوري ببعض أنواره وقهره **﴿والله شديد العقاب﴾** وفيه إشارة إلى قول سيد المرسلين: «لكل أحد شيطان، ولكن شيطاني أسلم على يديّ». وهذا هو الدستور والأنموذج في أمثال ذلك إن أراد مريد تطبيق القصص على أحواله، لكني قلما أعود إلى مثله بعد هذا لقلة الفائدة إلا في تصوير طريق السلوك وتخييل المبتدىء ما هو بصدده لتنشيطه في الترقي والعروج والله الهادي.

[٥٠ ـ ٥٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ولو ترىٰ إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكة﴾ مرّ توفي الملائكة وأنه لا يكون إلا لمن هو في مقام النفس، فإن كان من العصاة ومن غلب عليه صفات النفس من الغضب والحقد والشهوة والحرص وأمثال ذلك من رذائل الأخلاق وتوفتهم ملائكة القهر والعذاب مما يناسب هيئات نفوسهم **﴿يضربون وجوههم﴾** لاحتجابهم عن عالم الأنوار وإعراضهم عنها، ولهيئات الكِبر والعجب والنخوة فيها **﴿وأدبارهم﴾** لميلهم وشدّة انجذابهم إلى البدن وعالم الطبيعة ولهيئات الشهوة والحرص والشره **﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾** أي: حريق الحرمان واستيلاء نيران التعب والطلب مع الفقدان لاكتسابهم تلك الهيئات الموجبة لذلك وإن كان من أهل الطاعة ومن غلبت عليه أنوار صفات القلب من الرأفة والرحمة والسلامة والقناعة وأمثال ذلك من فضائل القوّتين السبعية والبهيمية دون فضيلة القوة النطقية فإنه حينئذ يكون صاحب قلب ليس في مقام النفس توفتهم ملائكة الرحمة ﴿طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١) لمناسبة هيئات نفوسهم تلك الروحانيات من العالم.

[٥٣ ـ ٦٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم

(١) سورة النحل، الآية: ٣٢.

بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا
تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ
إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا
يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم﴾ إلى آخره، أي: كل ما يصل إلى الإنسان هو الذي يقتضيه استعداده ويسأله بدعاء الحال وسؤال الاستحقاق، فإذا أنعم على أحد النعمة الظاهرة أو الباطنة لسلامة الاستعداد وبقاء الخيرية فيه لم يغيرها حتى أفسد استعداده وغيّر قبوله للصلاح بالاحتجاب وانقلاب الخير الذي فيه بالقوة إلى الشرّ لحصول الرين وارتكام الظلمة فيه بحيث لم يبق له مناسبة للخير ولا إمكان لصدوره منه، فيغيرها إلى النقمة عدلاً منه وجوداً وطلباً من ذلك الاستعداد إياها بجاذبة الجنسية والمناسبة لا ظلماً وجوراً.

﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم﴾ لاتفاقها في الوجهة وخلاصها عن قيود صفات النفس التي تستلزم التخالف والتعاند لركونها إلى عالم التضاد واختلافها بالطباع، فإن القلب ما دام واقفاً مع النفس ومراداتها واستولت عليه بصفاتها جذبته إلى الجهة السفلية وصيرت مطالبه جزئية مما يناسب مصالحها فيطلب ما يمنعه منه الآخر، وتقع العداوة والبغضاء، وتستولي القوة الغضبية الطالبة للجاه والكرامة والقهر والغلبة والرياسة والسلطنة، ويقع الاستكبار والإباء والأنفة والاستنكاف، ويؤدي إلى التقاطع والتهاجر والتحارب والتشاجر. وكلما بَعُدَ عن الجهة السفلية بالتوجه إلى الجهة العلوية والتنوّر بأنوار الوحدة الصفاتية أو الذاتية، ارتفع عن مقام النفس واتصل بالروح وصارت مطالبه كلية لا تتمانع ولا يتنافس فيها لإمكان حصولها لهذا بدون حرمان الآخر منه ومال إلى من يجانسه في الصفاء بالمحبة الذاتية لشدة المناسبة. وكلما كان أقرب إلى الوحدة كانت قوة المحبة فيه أقوى لشدة قربه لمن تدين بدينه كالخطوط الآتية من محيط الدائرة إلى مركزها، فبحسب قوة الإيمان شدّة الألفة بينهم.

[٦٣ ـ ٧١] ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟
مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) ٱلْـَٔـٰنَ
خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن
مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٦٦) مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ
يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ
خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠) وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن
قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾

﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم**﴾ لأن ما في الجهة السفلية تزيد في عداوتهم ومناوأتهم لاشتداد حرصهم وتكالبهم به ﴿**ولكن الله ألف بينهم**﴾ بنور الوحدة التي تورث المحبة الروحانية والألفة القلبية فإن المحبة ظلّ الوحدة، والألفة ظل المحبة، والعدالة ظل الألفة ﴿**إنه عزيز**﴾ قويّ على دفع الكفرة وقهرهم باجتماع المؤمنين واتفاقهم ﴿**حكيم**﴾ يفعل ذلك بحكمة لإيقاع الإلفة والمحبة بين هؤلاء والتفرقة واختلاف الكلمة بين أولئك.

[٧٢ ـ ٧٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ
ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُوا۟ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (٧٢) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ (٧٣) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ
وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ (٧٥)﴾

﴿**إن الذين آمنوا وهاجروا**﴾ إلى آخر الآية، بالفحوى تدلّ على أن الفقير القائم بالخدمة في الخانقاه والبقعة ليس عليه خدمة المقيم بل المسافر لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾[1] أي: الذين آمنوا الإيمان العلمي وهاجروا المألوفات من الأهل والولد والأموال والأسباب وأوطان النفس بقوة العزيمة واختاروا السياحة في الغربة، وجاهدوا بقوة اليقين والتوكل بأموالهم بتركها وإنفاقها في مراضي الله وأنفسهم بإتعابها بالرياضة ومحاربة الشيطان وتحمل وعثاء السفر في سبيل الله وبذلها في الدين بنيّة السلوك في الله. والذين

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

آووهم بالخدمة في المنزل، ونصروهم بتهيئة ما احتاجوا إليه من الأهبة ﴿أولٰئك بعضهم أولياء بعض﴾ بالألفة والمحبة ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ عن الأوطان المألوفة ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة التوبة﴾

[١] ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾

﴿بَرَاءَة من الله ورَسوله﴾ الآية، لما لم يتمكن الرسول في الاستقامة لمكان تلوينه بظهور صفاته تارة وبوجود البقية تارة أخرى، على ما دلّ عليه القرآن في مواضع العتاب والتثبيت كقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ①﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ⑦④﴾[٢]، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[٣]، ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾[٤]، ولم يصل أصحابه من المؤمنين إلى مقام الوحدة الذاتية لاحتجابهم تارة بالأفعال وتارة بالصفات كان بينهم وبين المشركين مناسبة وقرابة جنسية وآل فبتلك الجنسية عاهدوهم لوجود الاتصال بينهم. ثم لما امتثل النبيّ عليه الصلاة والسلام والمؤمنون قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[٥] وبلغ غاية التمكين وارتفعت الحجب الأفعالية والصفاتية والذاتية عن وجه السالكين من أصحابه حتى بلغوا مقام التوحيد الذاتي. ارتفعت المناسبة بينهم وبين المشركين ولم تبق بينهم جنسية بوجه ما وتحققت الضديّة والمخالفة وحقّت الفرقة والعداوة فنزلت براءة من الله ورسوله ﴿إلىٰ الذين عَاهَدتم من المُشركين﴾ أي: هذه الحالة حالة الفرقة والمباينة الكلية بيننا والتبرّي الحقيقيّ من الله باعتبار الجمع ورسوله باعتبار التفصيل إليهم فتبرّأوا منهم ظاهراً كما تبرأوا منهم باطناً، ونبذوا عهدهم في الصورة كما نبذوا عهدهم في الحقيقة.

[٢] ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ②﴾

﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ على عدد مواقفهم في الدنيا والآخرة تنبيهاً لهم فإنهم لما وقفوا في الدنيا مع الغير بالشرك حجبوا عن الدين والأفعال والصفات والذات في برزخ

(١) سورة عبس، الآية: ١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.
(٥) سورة هود، الآية: ١١٢.

الناسوت فلزمهم أن يوقفوا في الآخرة على الله ثم على الجبروت ثم على الملكوت ثم على النار في جحيم الآثار على ما مرت الإشارة إليه في (الأنعام) فيعذبوا بأنواع العذاب. ﴿وأعلموا أنكم غير مُعجزي الله﴾ لوجوب حبسكم في هذه المواقف بسبب وقوفكم مع الغير بالشرك فكيف تفوتونه ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ المحجوبين عن الحق بافتضاحهم عند ظهور رتبة ما يعبدون من دون الله ووقوفه معه على النار.

[٣] ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)﴾

﴿وأذان﴾ أي: إعلام ﴿من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ أي: وقت ظهور الجمع الذاتي في صورة التفصيل كما مر ﴿أن الله بريءٌ من المُشركين ورسوله﴾ في الحقيقة فيوافق الظاهر الباطن.

[٤ ـ ١٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ
حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ
عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ
فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا
ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ
الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا
الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ أي: هذه براءة إليهم إلا الذين بقيت فيهم مسكة الاستعداد وأثر سلامة الفطرة فلم يقدموا على نقض العهد لبقاء المروءة فيهم الدالة على سلامة الفطرة وبقائهم على عهد الله السابق بوجود الاستعداد وإمكان الرجوع إلى الوحدة. ﴿ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾ لبقاء الوصلة الأصلية والمودّة الفطرية بينكم وبينهم وعدم ظهور العداوة الكسبية ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلىٰ مدتهم﴾ أي: مدة تراكم الرين وتحقق الحجاب إن لم يرجعوا أو يتوبوا ﴿إن الله يحب المتقين﴾ الذين اجتنبوا الرذائل خصوصاً نقض العهد الذي هو أمّ الرذائل ظاهراً وباطناً.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿الذينَ آمنُوا﴾ علماً ﴿وهاجروا﴾ الرغائب الحسية والمواطن النفسية بالسلوك في سبيل الله وجاهدوا بأموال معلوماتهم ومراداتهم ومقدوراتهم بمحو صفاتهم في صفات الله ﴿وأنفسهم﴾ بإفنائها في ذات الله ﴿أولٰئك أعظَم درَجة﴾ في التوحيد ﴿عند الله﴾.

[٢١ ـ ٢٢] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يبشرهم ربّهم برحمةٍ﴾ ثواب الأعمال ﴿ورِضوان﴾ الصفات ﴿وجنّات﴾ من الجنان الثلاثة ﴿لهم فيها نعيم﴾ شهود الذات ﴿مقيمٌ﴾ ثابت أبداً.

[٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم﴾ إلى آخره، أي: لا يترجح فيكم جهة القرابة الصورية والوصلة الطبيعية على جهة القرابة المعنوية والوصلة الحقيقية فيكون بينكم وبين من آثر الاحتجاب على الكشف من أقربائكم ولاية مسببة عن الاتصال الصوري مع فقد الاتصال المعنوي واختلاف الوجهة الموجب للقطيعة المعنوية والعداوة الحقيقية، فإن ذلك من ضعف الإيمان ووهن العزيمة، بل قضية الإيمان بخلاف ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا

لِلَّهِ﴾(١). وقال بعض الحكماء: الحق حبيبنا والخلق حبيبنا، فإذا اختلفا فالحق أحبّ إلينا.

[٢٤ - ٧١] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ
وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ
قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا
نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)
يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ
اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)
إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُوا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى
ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ
بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا
يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى
رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ
فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ
وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ
ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن
تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟
وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ
بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ
كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ
يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى
ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ
ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ
رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ
وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ
سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟
قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ
وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿قل إن﴾ كانت هذه القرابات الصورية والمألوفات الحسية **﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾** فقد ضعف إيمانكم ولم يظهر أثره في نفوسكم وعلى جوارحكم لتنقاد بحكمه وذلك لوقوفكم مع الآثار الناسوتية الموجب للعذاب والحجاب **﴿فتربصوا حتى يأتي الله﴾** بعذابه. وكيف لا، وأنتم تسلكون طريق الطبيعة وتنقادون بحكمها مكان سلوك طريق الحق والانقياد لأمره؟ وذلك فسق منكم، والفاسق محجوب عن الله لا يهديه إليه لعدم توجهه وإرادته بل لإعراضه وتوليه، فهو يستحق العذاب والخذلان والحجاب والحرمان.

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ إلى آخره، جمع المال وكنزه مع عدم الإنفاق لا يكون إلا لاستحكام رذيلة الشحّ وحب المال وكل رذيلة يعذّب بها صاحبها في الآخرة ويخزىٰ بها في الدنيا. ولما كانت مادة رسوخ تلك الرذيلة واستحكامها هي ذلك المال، كان هو الذي يحمىٰ عليه في نار جحيم الطبيعة وهاوية الهوى فيكوى به، وإنما خصت هذه الأعضاء لأنّ الشح مركوز في النفس والنفس تغلب القلب من هذه الجهات لا من جهة العلو التي هي جهة استيلاء الروح وممر الحقائق والأنوار ولا من جهة السفل التي هي من جهة الطبيعة الجسمانية

لعدم تمكن الطبيعة من ذلك، فبقيت سائر الجهات فيؤذى بها من الجهات الأربع ويعذب كما تراه يعاب بها في الدنيا ويخزىٰ من هذه الجهات أيضاً إما بأن يواجه بها جهراً فيفضح أو يسارّ بها في جنبه أو يغتاب بها من وراء ظهره.

﴿كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهم فَثَبَّطهم﴾ أي: كانوا أشقياء لم يبق في استعدادهم خير فيريده الله منهم فلذلك كره انبعاثهم، أي: كانوا من الفريق الثاني من الأشقياء المردودين الذين مرّ ذكرهم غير مرة ﴿ويقولون هو أذن﴾ كانوا يؤذونه ويغتابونه بسلامة القلب وسرعة القبول والتصديق لما يسمع، فصدّقهم في ذلك وسلم وقال: هو كذلك، ولكن بالنسبة إلى الخير فإنّ النفس الأبية والغليظة الجافية والكرة القاسية التي تتصلب في الأمور ولا تتأثر غير مستعدة للكمال، إذ الكمال الإنساني لا يكون إلا بالقبول والتأثر والانفعال. فكلما كانت النفس ألين عريكة وأسلم قلباً وأسهل قبولاً كانت أقبل للكمال وأشدّ استعداداً له، وليس هذا اللين هو من باب الضعف والبلاهة الذي يقتضي الانفعال من كل ما يسمع حتى المحال والتأثر من كل ما يرد عليه ويراه حتى الكذب والشرور والضلال بل هو من باب اللطافة وسرعة القبول لما يناسبه من الخير والصدق، فلذلك قال: ﴿قل أذن خير﴾ إذ صفاء الاستعداد ولطف النفس يوجب قبول ما يناسبه من باب الخيرات لا ما ينافيه من باب الشرور، فإنّ الاستعداد الخيري لا يقبل الشر ولا يتأثر به ولا ينطبع فيه لمنافاته إياه وبعده عنه ﴿لكم﴾ أي: يسمع ما ينفعكم وما فيه صلاحكم دون غيره ﴿يؤمن بالله﴾ هو بيان لينه وقابليته لأن الإيمان لا يكون إلا مع سلامة القلب ولطافة النفس ولينها ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ يصدّق قولهم في الخيرات ويسمع كلامهم فيها ويقبله ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ يعطف عليهم ويرق لهم فينجيهم من العذاب بالتزكية والتعليم، ويصلح أمر معاشهم ومعادهم بالبرّ والصلة وتعليم الأخلاق من الحلم والشفقة، والأمر بالمعروف باتباعهم إياه فيها، ووضع الشرائع الموجبة لنظام أمرهم في الدارين، والتحريض على أبواب البرّ بالقول والفعل إلى غير ذلك.

[٧٢ ـ ٩٩] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ
أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟

وَهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا
كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ (٨٠) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل
لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)
وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ
فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ
مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ (٨٧) لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ
الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا
وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣)
يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ
اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩) ﴾

﴿وعدَ الله المُؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وهي جنات النفوس ﴿ومساكن﴾ طيبة مقامات أرباب التوكل في جنات الأفعال بدليل قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]، فإن الرضوان من جنات الصفات ﴿ذلك﴾ أي الرضوان ﴿هو الفوز العظيم﴾ لكرامة أهله عند الله وشدّة قربهم منه.

[١٠٠ ـ ١٠١] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿والسابقون الأوّلون﴾ أي: الذين سبقوا إلى الوحدة من أهل الصف الأول ﴿من المهاجرين﴾ الذين هاجروا مواطن النفس ﴿والأنصار﴾ الذين نصروا القلب بالعلوم الحقيقية على النفس ﴿الذين اتبعوهم﴾ في الاتصاف بصفات الحق ﴿بإحْسَان﴾ أي: بمشاهدة من مشاهدات الجمال والجلال ﴿رضي الله عنهم﴾ لاشتراكهم في كشف الصفات والوصول إلى مقام الرضا الذي هو باب الله الأعظم ﴿وأعدَّ لهم جنات﴾ من جنات الأفعال والصفات ﴿تجري تحتها﴾ أنهار علوم التوكل والرضا وما يناسبهما وذلك لا ينافي وجود جنة أخرى للسابقين هي جنة الذات واختصاصهم بها لاشتراك الكل في هذه.

[١٠٢ ـ ١٠٧] ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وآخرون اعْتَرَفوا بذُنوبهم﴾ الاعتراف بالذنب هو إبقاء نور الاستعداد ولين الشكيمة وعدم رسوخ ملكة الذنب فيه لأنه ملك الرجوع والتوبة ودليل رؤية قبح الذنب التي لا تكون إلا بنور البصيرة وانفتاح عين القلب إذ لو ارتكمت الظلمة ورسخت الرذيلة ما استقبحه ولم يره ذنباً بل رآه فعلاً حسناً لمناسبته لحاله فإذا عرف أنه ذنب ففيه خير ﴿خلطوا عملاً صالحاً

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

وآخر سيئاً﴾ أي: كانوا في رتبة النفس اللوّامة التي لم يصر اتصالها بالقلب وتنوّرها بنوره ملكة ولم يتذلل بعد في طاعتها للقلب، فتارة يستولي عليها القلب فتتذلل وتنقاد وتتنوّر بنوره وتعمل أعمالاً صالحة، وتارة تظهر بصفاتها الحاجبة لنور القلب عنها وتحتجب بظلمتها فتفعل أفعالاً سيئة، فإن ترجحت الأنوار القلبية والأعمال الصالحة وتعاقبت عليها الخواطر الملكية حتى صار اتصالها بالقلب وطاعتها إياه ملكة صلح أمرها ونجت وذلك معنى قوله: ﴿عسىٰ الله أن يتوب عليهم﴾ وإن ارتكمت عليها الهيئات المظلمة المكتسبة من غلباتها وكثرة إقدامها على السيئات كان الأمر بالعكس فزال استعدادها بالكلية وحق عذابها أبداً. وترجح أحد الجانبين على الآخر لا يكون إلا بالصحبة ومجالسة أصحاب كل واحد من الصنفين ومخالطة الأخيار والأشرار، فإن أدركه التوفيق ساقه القدر إلى صحبة الصالحين ومتابعة أخلاقهم وأعمالهم فيصير منهم، وإن لحقه الخذلان ساقه إلى صحبة المفسدين واختلاطه بهم فيصير من الخاسرين أعاذنا الله من ذلك.

﴿إن الله غفور﴾ يغفر لهم السيئات المظلمة ويسترها عنهم ﴿رَحِيم﴾ يرحمهم بالتوفيق للصالحات وقبول التوبة ولما وفقوا للقسم الأول ببركة صحبة الرسول وتزكيته إياهم وتربيته لهم قال: ﴿خُذْ من أمْوالهم صَدَقة﴾ إذ المال هو سبب ظهور النفس وغلبة صفاتها ومدد قواها ومادة هواها كما قال عليه الصلاة والسلام: «المال مادة الشهوات» فينبغي أن يكون أول حالهم التجرّد عن الأموال لتنكسر قوى النفس وتضعف أهواؤها وصفاتها، فتتزكى من الهيئات المظلمة التي فيها وتتطهر من خبث الذنوب ورجس دواعي الشيطان وذلك معنى قوله: ﴿تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم﴾ بإمداد الهمة وإفاضة نور الصحبة عليهم ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ أي: إن نورك الذي تفيض عليهم بالتفات خاطرك إليهم وقوة همتك وبركة صحبتك سبب نزول السكينة فيهم تسكن قلوبهم إليه وتطمئن. والسكينة نور مستقرّ في القلب يثبت معه في التوجه إلى الحق ويتقوّى اليقين ويتخلص عن الطيش بلمات الشيطان ووساوسه وأحاديث النفس وهواجسها لعدم قبوله لها حينئذ ﴿والله سميع﴾ يسمع تضرّعهم واعترافهم بذنوبهم ﴿عليم﴾ يعلم نياتهم وعزائمهم وما في ضمائرهم من الندم والغمّ.

[١٠٨ ـ ١١٠] ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿لمسجد أُسسَ علىٰ التقوىٰ﴾ لما كان عالم الملك تحت قهر عالم الملكوت وتسخيره لزم أن يكون لنيات النفوس وهيئاتها تأثير فيما يباشرها من الأعمال فكل ما فعل بنية صادقة لله تعالى عن هيئة نورانية صحبته بركة ويمن وجمعية وصفا، وكل ما فعل بنية فاسدة شيطانية عن هيئة مظلمة صحبته تفرقة وكدورة ومحق وشؤم. ألا ترى الكعبة كيف شرفت وعظمت وجُعِلَت متبركة لكونها مبنية على يدي نبيّ من أنبياء الله بنيّة صادقة ونفس شريفة صافية عن كمال إخلاص لله تعالى. ونحن نشاهد أثر ذلك في أعمال الناس ونجد أثر الصفاء والجمعية في بعض المواضع والبقاع، والكدورة والتفرقة في بعضها وما هو إلا لذلك، فلهذا قال: ﴿لمسجد أُسس على التقوى﴾، ﴿من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ لأن الهيئات الجسمانية مؤثرة في النفوس كما أن الهيئات النفسانية مؤثرة في الأجسام، فإذا كان موضع القيام مبنياً على التقوى وصفاء النفس تأثرت النفس باجتماع الهم وصفاء الوقت وطيب الحال وذوق الوجدان، وإذا كان مبنياً على الرياء والضرار تأثرت بالكدورة والتفرقة والقبض ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ أي: أهل إرادة وسعي في التطهر عن الذنوب نبّه على أن صحبة الصالحين من أهل الإرادة لها أثر عظيم يجب أن تختار وتؤثر على غيرها. كما أن المقام له أثر يجب أن يراعى ويتعاهد ولهذا ورد في اصطلاح القوم: يجب مراعاة الزمان والمكان والإخوان في حصول الجمعية وجعلوها شرطاً لها وفيه إشعار بأن زكاء نفس الباني وصدق نيته مؤثر في البناء وإن تبرّك المكان وكونه مبنياً على الخير يقتضي أن يكون فيه أهل الخير والصلاح ممن يناسب حاله حال بانيه، وإن محبة الله واجبة لأهل الإرادة والطهارة لقوله: ﴿والله يحب المطهرين﴾ كيف ولولا محبة الله إياهم لما أحبوا التطهر.

[١١١ ـ ١١٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ لما هداهم إلى الإيمان العلميّ وهم مفتونون بمحبة الأموال والأنفس استنزلهم لفرط عنايته بهم عن مقام محبة الأموال والأنفس بالتجارة المربحة والمعاملة المرغوبة بأن جعل جنة النفس ثمن أموالهم وأنفسهم ليكون الثمن من جنس المثمن الذي هو مألوفهم لكنه ألذ وأشهىٰ وأرغب وأبقىٰ، فرغبوا فيما عنده وصدقوا لقوة اليقين وعده. ثم لما ذاقوا بالتجرّد عنها لذة الترك وحلاوة نور اليقين رجعوا عن مقام لذة

النفس وتابوا عن هواها ومشتهياتها فلم يبق عندهم لجنة النفس قدر، فوصفهم بالتائبين بالحقيقة الراجعين عن طلب ملاذ النفس وتوقع الأجر إليه، العابدين الذين إذا رجعوا عن محبة النفس والمال وطلب الأجر والثواب، عبدوا الله حق عبادته لا لرغبة ولا لرهبة بل تشبهاً بملكوته في القيام بحقه تعالى بالخضوع والخشوع والتذلل لعظمته وكبريائه تعظيماً وإجلالاً ثم حمدوا الله حق حمده بإظهار الكمالات العملية الخلقية والعملية المكنونة في استعداداتهم بالقوة حمداً فعلياً حالياً ثم ساحوا إليه بالهجرة عن مقام الفطرة ورؤية الكمالات الثابتة وتآلفهم واعتدادهم وابتهاجهم بها في مفاوز الصفات ومنازل السبحات ثم ركعوا في مقام محو الصفات ثم سجدوا بفناء الذات، ثم قاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على حدود الله في مقام البقاء بعد الفناء ﴿**وبشر المؤمنين**﴾ بالإيمان الحقيقي المقيمين في مقام الاستقامة.

[١١٣ ـ ١١٤] ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا**﴾ إلى آخره، أي: لما اطلعوا على سرّ القدر ووقفوا على ما قضى الله وقدّر، وعلموا بما ينتهي إليه عواقب الأمور، لم يكن لهم أن يطلبوا خلاف ذلك ورضوا بما دبّر الله من أمره وإن كان في طبيعتهم ما يقتضي خلافه لأنهم قد انسلخوا عن مقتضيات طباعهم فإن اقتضت القرابة الطبيعية واللحمة الصورية فرط شفقة ورقة على بعض من يناسبهم ويواصلهم فيها وشاهدوا حكم الله عليه بالقهر والتعذيب، حملتهم الحمية الدينية على الصبر إن لم يكن لهم مقام الرضا بل غلبتهم المباعدة الدينية على القرابة الطبيعية فتبرؤوا منه ولم يقترحوا على الله خلاف حكمته وأمره ولهذا قيل: لا تؤثر همة العارف بعد كمال عرفانه أي إذا تيقن وقوع كل شيء بقدره وامتناع وقوع خلاف ما قدّر الله في الأزل علم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا تؤثر همته ولا غيرها في شيء، فلا يسلط همته على أمر بخلاف المحجوب الذي ينسب التأثير إلى غير الله ولا يعلم سرّ القدر.

[١١٥ ـ ١١٨] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿وما كان الله﴾ ليضلّهم عن طريق التسليم والانقياد لأمره والرضا بحكمه ﴿بعد إذ هداهم﴾ إلى التوحيد العلمي ورؤية وقوع كل شيء بقضائه وقدره ﴿حتى يبين لهم﴾ كل ما يجب عليهم اتقاؤه في كل مقام من مقامات سلوكهم ومرتبة من مراتب وصولهم، فإن أقدموا في بعض مقاماتهم على ما تبين لهم وجوب اتقائه فهو يضلهم لكونهم مقدمين على ما هو ذنب حالهم وهو فسق في دينهم والعياذ بالله من الضلال بعد الهدى. ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ يعلم دقائق ذنوب أحوالهم وإن لم يتفطن لها أحد فيؤاخذ بها أهلَ الهداية من أوليائه كما ورد في الحديث الرباني: «وأنذر الصدّيقين بأني غيور».

[١١٩ ـ ١٢٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ
ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ
مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ في جميع الرذائل بالاجتناب عنها خاصة رذيلة الكذب، وذلك معنى قوله: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ فإن الكذب أسوأ الرذائل وأقبحها لكونه ينافي المروءة لقوله ﷺ: «لا مروءة لكذوب» إذ المراد من الكلام الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان إخبار الغير عما لا يعلم، فإذا كان الخبر غير مطابق لم تحصل فائدة النطق وحصل منه اعتقاد غير مطابق وذلك من خواص الشيطنة، فالكاذب شيطان. وكما أن الكذب أقبح الرذائل، فالصدق أحسن الفضائل. وأصل كل حسنة ومادة كل خصلة محمودة وملاك كل خير وسعادة به يحصل كل كمال ويحصل كل حال وأصله الصدق في عهد الله تعالى الذي هو

نتيجة الوفاء بميثاق الفطرة أو نفسه كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[١] في عقد العزيمة ووعد الخليقة، كما قال تعالى في إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[٢] وإذا روعي في المواطن كلها حتى الخاطر والفكر والنية والقول والعمل صدقت المنامات والواردات والأحوال والمقامات والمواهب والمشاهدات كأنه أصل شجرة الكمال وبذر ثمرة الأحوال.

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ أي: يجب على كل مستعد من جماعة سلوك طريق طلب العلم إذ لا يمكن لجميعهم، أما ظاهراً فلفوات المصالح، وأما باطناً فلعدم الاستعداد. والتفقه في الدين هو من علوم القلب لا من علوم الكسب إذ ليس كل من يكتسب العلم يتفقه كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[٣] والأكنة: هي الغشاوات الطبيعية والحجب النفسانية فمن أراد التفقه فلينفر في سبيل الله وليسلك طريق التزكية والتصفية حتى يظهر العلم من قلبه على لسانه كما نزل على بعض أنبياء بني إسرائيل: «يا بني إسرائيل، لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به، ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحر من يعبر ويأتي به، العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلقوا بأخلاق الصديقين، أظهر العلم من قلوبكم حتى يغمركم ويغطيكم». فالمراد من التفقه علم راسخ في القلب، ضارب بعروقه في النفس، ظاهر أثره على الجوارح بحيث لا يمكن صاحبه ارتكاب ما يخالف ذلك العلم وإلا لم يكن عالماً. ألا ترى كيف سلب الله الفقه عمن لم تكن رهبة الله أغلب عليه من رهبة الناس بقوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾[٤] لكون رهبة الله لازمة للعلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٥] وسلب العلم عمن لم يعمل به في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦]. وإذا تفقهوا وظهر علمهم على جوارحهم أثر في غيرهم وتأثروا منه لارتوائهم به وترشحهم منه كما كان حال رسول الله ﷺ، فلزم الإنذار الذي هو غايته كما قال: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ ومن لازم التفقه الجهاد الأكبر ثم الأصغر فلذلك قال بعده: ﴿قاتلوا الذين يلونكم﴾ من كفار قوى نفوسكم التي هي أعدى

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٥.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١٣.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٩.

عدوكم ﴿**وليجدوا فيكم غِلظة**﴾ أي: قهراً وشدة حتى تبلغوا درجة التقوى فينزل عليكم النصر من عند الله كما قال: ﴿**واعلموا أن الله مع المتقين**﴾.

[١٢٦ ـ ١٢٧] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿**أو لا يرون أنهم يفتنون**﴾ الآية، البلاء قائد من الله تعالى يقود الناس إليه. وقد ورد في الحديث: «البلاء سوط من سياط الله تعالى، يسوق به عباده إليه». فإن كل مرض وفقر وسوء حال يحل بأحد يكسر ثورة نفسه وقواها ويقمع صفاتها وهواها، فيلين القلب ويبرز من حجابها وينزعج من الركون إلى الدنيا ولذاتها وينقبض منها ويشمئز، فيتوجه إلى الله تعالى. وأقلّ درجاته أنه إذا اطلع على أن لا مفرّ منه إلا إليه، ولم يجد مهرباً ومحيصاً من البلاء سواه، تضرّع إليه وتذلّل بين يديه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾[٢]، وبالجملة يوجب رقة الحجاب أو ارتفاعه فليغتنم وقته وليتعوذ وليتخذ ملكة يعود إليها أبداً حتى يستقرّ التيقظ والتذكر وتتسهل التوبة والحضور فلا يتعود الغفلة عند الخلاص وتتقوى النفس عند الأمان فتغلب وينسبل الحجاب أغلظ مما كان كما قال: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٣]، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾[٤].

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿**رسولٌ من أنفسكم**﴾ ليكون بينكم وبينه جنسية نفسانية بها تقع الألفة بينكم وبينه فتخالطونه بتلك الجنسية وتختلطون به فتتأثر من نورانيتها المستفادة من نور قلبه أنفسكم فتتنوّر بها وتنسلخ عنها ظلمة الجبلة والعادة ﴿**عزيزٌ عليه**﴾ شديد شاق عليه، عنتكم مشقتكم ولقاؤكم المكروه لرأفته اللازمة للمحبة الإلهية التي له لعباده ورؤيته إياهم بمثابة أعضائه وجوارحه لكونه ناظراً بنظر الوحدة. فكما يشق على أحدنا تألم بعض أعضائه، يشق عليه تعذيب بعض أمته ﴿**حريص عليكم**﴾ لشدة اهتمامه بحفظكم كما يشتدّ اهتمام أحدنا بكل واحد من أجزاء جسده

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٢.

وجوارحه لا يرضى بنقص أقلّ جزء منه ولا بشقائه فكذلك هو، بل أشدّ اهتماماً لدقة نظره ﴿بالمؤمنين رؤوف﴾ ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي برأفته ﴿رحيم﴾ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقرّبة بالتعليم والترغيب عليها برحمته.

[١٢٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿فإن تولّوا﴾ وأعرضوا عن قبول الرأفة والرحمة لعدم الاستعداد أو زواله وتعرّضوا للشقاوة الأبدية ﴿فقل حسبي الله﴾ لا حاجة لي بكم ولا باستعانتكم كما لا حاجة للإنسان إلى العضو المألوم المتعفن الذي يجب قطعه عقلاً، أي: الله كافيني ليس في الوجود إلا هو فلا مؤثر غيره ولا ناصر إلا هو ﴿عليه توكلت﴾ لا أرى لأحد فعلاً ولا حول ولا قوّة إلا به ﴿وهو ربّ العرش العظيم﴾ المحيط بكل شيء يأتي منه حكمه وأمره إلى الكل.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة يونس (عليه السلام) ﴾

[١ - ٣] ﴿الر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

﴿الر﴾ إشارة إلى الرحمة التي هي الذات المحمدية لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[(١)]، و (ا ل) مرّ ذكرهما ﴿تلك﴾ أي: ما أُشير إليه بهذه الحروف أركان كتاب الكل ذي الحكمة أو المحكم المتقن تفاصيله أو أقسم بالله باعتبار الهوية الأحدية جمعاً وباعتبار الصفة الواحدية تفصيلاً في باطن الجبروت وظاهر الرحموت على ما ذكر أو على أن تلك الآيات المذكورة في السورة ﴿آيات الكتاب﴾ ذي الحكمة ﴿أكان للناس عجباً﴾ إلى آخره، أنكر عجبهم لكون سنّة الله جارية أبداً على هذا الأسلوب في الإيحاء على الرجال وإنما كان تعجبهم لبعدهم عن مقامه وعدم مناسبة حالهم لحاله ومنافاة ما جاء به لما اعتقدوه ﴿أن لهم قدم صِدق عندَ ربهم﴾ أي: سابقة بحسب العناية الأولى عظيمة أو مقاماً من قربه ليس لأحد مثله خصصهم الله به في الأزل بمحض الاجتباء وإلا لما آمنوا به ﴿قال الكافرون﴾ الذين حجبوا عن الله فلم يطلعوا على ظهور صفاته في النفس المحمدية ﴿إنّ هذا﴾ الذي جاء به ﴿لسحرٌ مبين﴾ أي: شيء خارج عن قدرة البشر ليس إلا من عمل الشياطين. قالوا ذلك لغلبة الشيطنة عليهم واحتجابهم بها عن الله وعبادتهم الشيطان بحيث لم يصلوا إلى طور من الروحانيات وراءه في القدرة، فلذلك نسبوا ما تجاوز عن حدّ البشرية إليه بالطبع.

﴿يدبّر﴾ أمر السموات والأرضين على وفق حكمته بيد قدرته ﴿ما من شفيع﴾ يشفع لأحد بإفاضة كمال وإمداد نور يقربه إلى الله وينجيه من ظلمات النفس ويطهره من رجز صفاتها ﴿إلا من بعد﴾ أن يأذن بموهبة الاستعداد ثم بتوفيق الأسباب ﴿ذٰلكم﴾ الموصوف بهذه الصفات ﴿الله ربّكم﴾ الذي يربيكم ويدبر أمركم، فخصصوه بالعبادة واعرفوه بهذه الصفات ولا تعبدوا الشيطان ولا تحتجبوا عنه ببعض صفاته، فتنسبوا قوله وفعله إلى الشيطان ﴿أفلا تذكرون﴾ ما في أنفسكم من آياته فتتفكروا فيها وتنزجروا عن الشرك به.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

[٤] ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ بالعود إلى عين الجمع المطلق في القيامة الصغرى كما هو الآن أو إلى عين جمع الذات بالفناء فيه عند القيامة الكبرى.

﴿وعد الله حقاً إنه يَبدأ الخلق﴾ في النشأة الأولى ﴿ثم يُعيده﴾ في النشأة الثانية ﴿ليجزي﴾ المؤمن والكافر على حسب إيمانهم وعملهم الصالح وكفرهم وعملهم الفاسد وهذا على التأويل الأول، وعلى الثاني: يبدأ الخلق باختفائه وإظهارهم ثم يعيدهم بإفنائهم وظهوره ليجزي الذين آمنوا به وعملوا الصالحات ما يصلحهم للقائه من الأعمال الرافعة لحجبهم المقربة إياهم ﴿بالقِسْط﴾ بحسب ما بلغوا من المقامات بأعمالهم من مواهبه الحالية والذوقية التي يقتضيها مقامهم وشوقهم، أو ليجزي الذين آمنوا الإيمان الحقيقي وعملوا بالله الأعمال التي تصلح العباد، أي جزاء بالتكميل بقسطهم أي بسبب عدلهم في زمان الاستقامة أو جزاء بحسب رتبتهم ومقامهم في الاستقامة ﴿والذين﴾ حجبوا في أي مقام كان ﴿لهم شرابٌ من حَميم﴾ لجهلهم بما فوقه وشكهم واضطرابهم إذ لو وصلوا إلى اليقين لذاقوا برده ﴿وعذابٌ أليم﴾ من الحرمان والهجران وفقدان روح الوجدان بسبب احتجابهم.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿هو الذي جعلَ﴾ شمس الروح ضياء الوجود وقمر القلب نوره وقدر مسيره في سلوكه ﴿منازل﴾ ومقامات ﴿لتعلموا عدد﴾ سني مراتبكم وأطواركم في السير إلى الله وفي الله وحساب درجاتكم ومواقع أقدامكم في كل مقام ومرتبة.

[٦ - ٩] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾

﴿إن في اختلاف﴾ ليل غلبة ظلمة النفس على القلب ونهار إشراق ضوء الروح عليه وما خلق الله في سموات الأرواح وأرض الأجساد ﴿لآيات لقوم يتقون﴾ حجب صفات النفس الأمارة وبلغوا إلى رتبة النفس اللوامة فتعرفوا تلك الآيات.

[١٠] ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿دعواهم فيها﴾ أي: دعاؤهم الاستعدادي في الجنات الثلاث التي يهديهم الله إليها بحسب نور إيمانهم ﴿سُبحانك﴾ أي: تنزيهه في الأولى عن الشرك في الأفعال بالبراءة عن حولهم وقوّتهم، وفي الثانية: عن الشرك في الصفات بالانسلاخ عن صفاتهم، وفي الثالثة عن الشرك في الوجود بفنائهم ﴿وتحيتهم فيها﴾ أي: تحية بعضهم لبعض في كل مرتبة منها إفاضة أنوار التزكية وإمداد التصفية من بعضهم على بعض، أو تحية الله لهم فيها إشراقات التجليات وإمداد التجريد وإزالة الآفات من الحق تعالى عليهم ﴿وآخِر دَعواهم﴾ أي: آخر ما يقتضي استعداداتهم وسؤال الله تعالى بالطلب والاستفاضة قيامهم بالله في ظهور كمالاته وصفات جلاله وجماله عليهم الذي هو الحمد الحقيقي منه وله وتخصيص ذلك الحمد به مجملاً ثم مفصلاً أولاً باعتبار هويته المطلقة، ثم باعتبار ربوبيته للعالمين.

[١١ ـ ١٨] ﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ
فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ
قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ
أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ
لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ولو يعجل الله للناس الشرّ﴾ إلى آخره، لما كانت الاستعدادات مفطورة على الخير الإضافي الصوري أو المعنوي بحسب درجاتها في الأزل كان كل دعاء منها وطلب للخير بتهيئة قابليتها وتصفيتها وشوقها إليه يوجب حصول ذلك له عاجلاً وفيضانه عليه من المبدأ الفياض الذي هو منبع الخيرات والبركات كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ﴾(١)

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

وكلما فاض عليه خير باستحقاقه له لوجود تصفية وتزكية زاد استعداده بانضمام هذا الخير إليه، فصار أقوى وأقبل من الأول فيكون المبدأ تعالى أسرع إجابة له وأكثر إفاضة عليه وعلى هذا يزداد الاستعداد فيزداد الفيض حتى يبلغ مداه وهو معنى تضاعف الحسنات. ومعنى قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[1]. وأما الشرور فليست إلا حجب الاستعداد وموانع القبول وحواجز الفيض، فلما حصلت ما وقع بسببها إلا عدم القبول للخيرات فمنعت فيضانها وبقي الاستعداد في حجاب ما حصل منها ليس إلا، وإن اقتضى بحسب المناسبة فيضان الشرّ فليس في فيض المبدأ ما يجانسه فلا يفيض عليه شيء من جنسه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[2] اللهم إلا إذا أفرط وتجاوز حدّ الرحمة وأزال الاستعداد بالكلية فناسب الشيطنة واستمدّ من عالمها، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾[3]، ﴿لقضي إليهم﴾ لقطع مدى استعدادهم فانقطع مدد الحياة الحقيقية عنهم ومدد الخير عن استعدادهم بالكلية وأزيل إمكان التصفية منه لاقتضائه الشرّ، فلم يصل إليهم بعد ذلك خير صوري ولا معنوي ولكن يمهلهم ما بقي فيهم أدنى مسكة من استعدادهم وإمكان قبول لأدنى خير.

﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا﴾ من جملتهم، أي: لا يرفعون رأساً من انهماكهم في الشرور ولا يتوقعون نوراً من أنوارنا ولا يتنبهون قط من غفلتهم بالرجوع إلينا وطلب رحمتنا ﴿في طُغيانهم﴾ وتماديهم في الشرور يتحيرون وينقطع مدد الخيرات الصورية التي يسألها استعدادهم بلسان حاله عنهم حتى يزول بانغماسهم وانهماكهم في الطبيعيات نور استعدادهم بالكلية لحصول الرين ويحق الطمس، فنكسوا على رؤوسهم إلى أسفل سافلين.

[١٩ ـ ٢٠] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وما كان الناس إلا أمّة واحدة﴾ على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، متوجهين إلى الوحدة، متنوّرين بنور الهداية الأصلية ﴿فاختلفوا﴾ بمقتضيات النشأة واختلاف الأمزجة والأهوية والعادات والمخالطات. ﴿ولولا كلمة سَبقت من ربّك﴾ أي: قضاء سبق في الأزل بتعيين الآجال والأرزاق وتمادي كل واحد من الشقي والسعيد إلى حيث قدر له فيما يزاوله

(١) سورة القصص، الآية: ٨٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

﴿لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ عاجلاً ولميز السعيد من الشقي، والحق من الباطل من أديانهم ومللهم ولكن حكمة الله اقتضت أن يبلغ كل منهم وجهته التي ولىٰ وجهه إليها بأعماله التي يزاولها هو وإظهار ما خفي في نفسه.

[٢١ ـ ٢٤] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء﴾ قد مرّ أن أنواع البلاء من الضراء والبأساء وصنوف اللأواء تكسر شرّة النفس، وتلطف القلب بكشف حجب صفات النفس وترقيق كثافات الطبع ورفع غشاوات الهوى، فلذا تنزع قلوبهم بالطبع إلى مبدئها في تلك الحالة لرجوعها إلى مقتضى فطرتها حينئذ وعودها إلى نوريتها الأصلية وقوتها الفطرية وميلها إلى العروج الذي هو في سنخها لزوال المانع بل الميل إلى الجهة العلوية والمبادىء النورية مفطور في طباع القوى الملكوتية كلها. حتى النفس الحيوانية لو تزّكت عن الهيئات البدنية الظلمانية فإن التسفل من العوارض الجسمانية حتى أن البهائم والوحوش إذا اشتدت الحال عليها في أوقات المحل وأيام الجدب اجتمعت رافعة رؤوسها إلى السماء كأن ملكوتها يشعر بنزول الفيض من الجهة العلوية فتستمدّ منها فكذا إذا توافرت على الناس النِعَم الظاهرة وتكاملت عليهم الأمداد الطبيعية والمرادات الجسمانية قويت النفس من مدد الجهة السفلية واستطالت قواها بالترفع على القلب وتكاثف الحجاب وغلظ وتسلط الهوى وغلب، وصارت السلطنة للطبيعة الجسمانية، وارتكمت الهيئات البدنية الظلمانية فتشكل القلب بهيئة النفس وقسا وغلظ وطغىٰ، وأبطرته النعمة فكفر وعمىٰ ومال إلى الجهة السفلية لبعده عن الهيئة النورية حينئذ. وبقدر استيلاء النفس على القلب يستولي الوهم على العقل، فتستولي الشيطنة لكون القوة العاقلة أسيرة في قيد الوهم مأمورة له يستعملها في مطالبه ويستسعيها في مآربه من تحصيل لذات النفس وإمدادها من عالم الرجس وتقوية صفاتها بأهب عالم الطبع وعدد مواد الحظ

بالفكر، فيحتجب القلب بالرين عن قبول صفات الحق بالكلية، وذلك معنى قوله: ﴿إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً﴾ بإخفاء القهر الحقيقي في هذا اللطف الصوري وتعبية عذاب نيران الحرمان وحيات هيئات الرذائل والعقارب السود ولباس القطران في هذه الرحمة الظاهرة.

﴿إن رُسُلنا يَكْتبون ما تمكرون﴾ قد علمت أن الملكوت السماوية تنتقش بكل حادثة تقع في هذا العالم فكل عمل حسن أو قبيح يصدر عن أحد فقد كتب عليه في تلك الألواح وقد اتصل ملكوت كل بدن بتلك المبادىء الملكوتية فمتى هممنا بحسنة أو سيئة ارتسمت صورته في ملكوت أبداننا على سبيل الخاطر أولاً ثم أخذنا في الفكر فيه، فإن استحكم النقش وانبعثت منه العزيمة حتى امتثلنا الخاطر الأول بالإرادة الجازمة انطبع بإقدامنا على الفعل إلا أنه إن كان حسنة انطبع في الحال في جهة القلب التي تلي الروح ولوح الفؤاد المنوّر بنوره وكتبته القوة العاقلة العملية التي هي صاحب اليمين من الملكين الموكلين المشار إليهما بقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[1] إذ الفؤاد هو الجانب الأقوى منه وإن كان سيئة لا ينطبع في الحال لبعد الهيئة الظلمانية من القلب وعدم مناسبته إياها بالذات، فإن أدركه التوفيق وتلألأ عليه نور من أنوار الهداية الروحانية ندم واستغفر فمحى عنه، وعفى له، وإن لم يتداركه بقي متلجلجاً حتى أمدّته النفس بظلمة صفاتها فاستقرّ في لوح الصدر الذي هو وجه القلب الذي يلي النفس المظلم بظلمة النفس الغالبة عليه في صدور هذا الفعل منه وكتبته القوة المتخيلة التي هي صاحب الشمال إذ هذا الجانب هو الأضعف وهذا هو المراد من قولهم: صاحب الشمال لا يكتب السيئة حتى تمضي ست ساعات فإن استغفر فيها صاحبها لم تكتب، وإن أصرّ كتبته. ويفهم من هذا التقرير إيتاء الكتاب بيمين المسلم وشمال الكافر، وأما صورة الإيتاء وكيفيته فقد تجيء في موضعها إن شاء الله تعالى.

﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ إلى آخره، البغي ضدّ العدل، فكما أن العدل فضيلة شاملة لجميع الفضائل وهيئة وحدانية لها فائضة من نور الوحدة على النفس فالبغي لا يكون إلا عن غاية الانهماك في الرذائل بحيث يستلزمها جميعاً فصاحبها في غاية البعد عن الحق ونهاية الظلمة كما قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة». فلهذا قال: ﴿على أنفسكم﴾، لا على المظلوم لأن المظلوم سعد به وشقي الظالم غاية الشقاء وهو ليس إلا متاع الحياة الدنيا إذ جميع الإفراطات والتفريطات المقابلة للعدالة تمتعات طبيعية ولذات حيوانية تنقضي بانقضاء الحياة الحسيّة التي مثلها في سرعة الزوال وقلّة البقاء هذا المثل الذي مثل به من تزين الأرض

(١) سورة ق، الآية: ١٧.

بزخرفها من ماء المطر ثم فسادها ببعض الآفات سريعاً قبل الانتفاع بنباتها ثم تتبعها الشقاوة الأبدية والعذاب الأليم الدائم. وفي الحديث: أسرع الخير ثواباً صلة الرحم، وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة، لأن صاحبه تتراكم عليه حقوق الناس فلا تحتمل عقوبته المهل الطويل الذي يحتمله حق الله تعالى. وقد سمعت بعض المشايخ يقول: قلما يموت الظالم حتف أنفه وقلما يبلغ الفاسق أوان الشيخوخة، وذلك لمبارزتهما الله تعالى في هدم النظام المصروف عنايته تعالى إلى ضبطه ومخالفتهما إياه في حكمته وعدله.

[٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ يدعو الكل إلى دار سلام العالم الروحاني الذي لا آفة فيه ولا نقص ولا فقر ولا فناء بل فيه السلامة عن كل عيب والأمان من كل خوف ﴿**ويهدي من يشاء**﴾ من جملتهم من أهل الاستعداد ﴿إلى﴾ صراط الوحدة.

[٢٦ ـ ٢٨] ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿للذين أحسنوا﴾ أي: جاؤوا بما يحسن به حالهم من خير فعليّ أو قوليّ أو علميّ مما هو سبب كمالهم المثوبة ﴿الحسنى﴾ من الكمال الذي يفيض عليهم بسبب ذلك الخير ﴿**وزيادة**﴾ مرتبة مما كان قبله بالترقي أو زيادة في استعداد قبول الخيرات والكمالات بانضمام هذا الكمال والنور الفائض عليهم إلى استعدادهم الأول على ما ذكر ﴿**ولا يرهق**﴾ وجوه قلوبهم غبار من كدورات صفات النفس وقيام غلباتها ﴿**ولا ذلّة**﴾ من ميل قلوبهم إلى الجهة السفلية.

﴿**أولئك أصحاب الجنة**﴾ التي يقتضيها حالهم وارتقاؤهم من الجنان المذكورة ﴿**هم فيها خالدون**﴾ * والذين كَسَبوا﴾ أجناس ﴿**السيئات**﴾ من أعمال وأقوال وعقائد تحجب استعدادهم عن قبول الكمال ﴿**جزاء سَيئة بمثلها**﴾ من الهيئة التي ارتكبت على قلوبهم من سيئاتهم فمنعتها الصفاء والنور ﴿**وترهقهم ذلة**﴾ الميل إلى الجهة السفلية ﴿**ما لهم من الله من عاصِم**﴾ يعصمهم من تلك الذلة والخذلان لوجود الحجاب وعدم قبول هذه العصمة لثبوت الكدورة ﴿**كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل**﴾ لفرط ارتكاب الهيئة المظلمة من الميول الطبيعية والأعمال الرديّة عليها.

﴿أولئك أصحاب النار﴾ التي يقتضيها حالهم في التسفل من نيران الآثار والأفعال ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ في المجمع الأكبر عين جمع الوجود المطلق ﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ منهم أي: المحجوبين الواقفين مع الغير بالمحبة والطاعة ﴿مكانكم﴾ أي: الزموا مكانكم ﴿أنتم وشركاؤكم﴾ ومعناه: وقفوا مع ما وقفوا معه في الموقف مع قطع الوصل والأسباب التي هي سبب محبتهم وعبادتهم وتبرّؤ المعبود من العابد لانقطاع الآلات البدنية والأغراض الطبيعية التي توجب تلك الوصل وهو معنى قوله: ﴿فزيلنا بينهم﴾ أي: مع كونهم في الموقف معاً فرقنا بينهم في الوجهة وذلك عند علوّ رتبة المعبود ودنوّ رتبة العابد وتباين حاليهما إذا كان المعبود شريفاً كالملائكة والمسيح وعزير وأمثالهم ممن له السابقة عند الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾[1]. ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ بل تعبدون الشيطان بطاعتكم إياه وما اخترعتموه في أوهامكم من أباطيل فاسدة وأماني كاذبة.

[٢٩ ـ ٣٦] ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فكفى بالله شهيداً﴾ إلى آخره، أي: الله يعلم أنّا ما أمرناكم بذلك وما أردنا عبادتكم إيانا ﴿هنالك﴾ أي: عند ذلك الموقف تختبر وتذوق ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ في الدنيا ﴿وردّوا إلى الله﴾ في موقف الجزاء بالانقطاع عن الآلهة وانفرادهم عنها ﴿مولاهم الحق﴾ المتولي جزاءهم بالعدل والقسط ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ من اختراعاتهم وأصول دينهم ومذهبهم وتوهماتهم الكاذبة وأمانيهم الباطلة.

[٣٧ ـ ٣٨] ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١.

﴿أَسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وما كان هذا القرآن﴾ اختلاقاً ﴿من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من اللوح المحفوظ ﴿وتفصيل الكتاب﴾ الذي هو الأمّ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾[1] أي: كيف يكون مختلقاً وقد أثبت قبله في كتابين من علم مفصلاً كما هو في اللوح المحفوظ ومجملاً في أمّ الكتاب الذي هذا تفصيله.

[٣٩ ـ ٤٢] ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي: لما جهلوا كيفية ثبوته في علم الله ونزوله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقصر علمهم عن ذلك كذبوا به ﴿ولما يأتِهم تأويله﴾ أي: ظهور ما أشار إليه في مواعيده وأمثاله مما يؤول أمره وعلمه إليه فلا يمكنهم التكذيب لأنه إذا ظهرت حقائقه لا يمكن لأحد تكذيبه، مثل ذلك التكذيب العظيم ﴿كذّب الذين من قَبْلهم فَٱنْظُر كيفَ كَانَ﴾ عاقبتهم لما ظلموا بالتكذيب ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي: سيؤمن به لرقة حجابه ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ أبداً لغلظ حجابه ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ ولكن لا يفهمون إما لعدم الاستعداد في الأصل وإما لرسوخ الهيئات المظلمة الحاجبة لنور الاستعداد فيهم وإما لاجتماع الأمرين كالأصم الذي لا عقل له فلا يسمع ولا يتفطن للإشارة، فكيف يمكن إفهامه.

[٤٣] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ ولكن لا يبصر الحق ولا حقيقتك لأحد الأمرين المذكورين أو كليهما كالأعمى الذي انضمّ إلى فقدان بصره فقدان البصيرة فلا يبصر ولا يستبصر فكيف تمكن هدايته.

[٤٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ لما ذكر الصمم والعمى اللذين يدلان على عدم استعداد الإدراك أشعر الكلام بوقوع الظلم لوجود الاستعداد لبعض وعدمه لبعض فسلب الظلم عن نفسه لأن عدم الاستعداد في الأصل ليس ظلماً لعدم إمكان ما هو أجود منه بالنسبة إلى

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤.

خصوصية ذلك وهويته فكان عينه مقتضياً له في رتبة من مراتب الإمكان كما لا يمكن للحمار مع حماريته استعداد الإدراك الإنساني وكان عينه مستدعياً لما هو عليه من الاستعداد الحماري ولا يطلب منه وراء ما في استعداده فلا ظلم هذا إذا لم يكن في الأصل وأما إذا بطل برسوخ الهيئات المظلمة فلا كلام فيه وكلاهما ظالم لنفسه. أما الأول فلقصوره في درجات الإمكان ونقصانه بالإضافة إلى ما فوقه كقصور الحمار مثلاً عن الإنسان ونقصانه بالإضافة إليه لا في نفسه فإنه في حدّ نفسه ليس بقاصر ولا ناقص. وأما الثاني فظاهر وعلى هذا معنى **﴿أنفسهم يظلمون﴾** ينقصون حظها، أو إن الله لا يظلم الناس شيئاً بأن يطلب منهم ما ليس في استعدادهم فيعاقبهم على ذلك ولكن الناس أنفسهم يظلمون فيستعملون استعداداتهم فيما لم تخلق لأجله.

[٤٥ ـ ٤٦] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار﴾ لعدم إحساسهم بالحركة المستلزم لذهولهم عن الزمان إذ الذاهل عن الحركة ذاهل عن الزمان، فسواء عندهم الساعة الواحدة والدهور المتطاولة **﴿يتعارفون بينهم﴾** بحكم سابقة الصحبة وداعية الهوى اللازمة للجنسية الأصلية بدلالة التشاؤم ثم إن بقيت الجنسية الأصلية والمناسبة الفطرية لاتحادهم في الوجهة واتفاقهم في المقصد بقي التعارف بينهم، وإن لم يبق بسبب اختلاف الأهواء وتباين الآراء وتفاوت الهيئات المستفادة من لواحق النشأة وعوارض المادة انقلب إلى التناكر **﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾** لوقوعهم في وحشة التناكر حينئذ واحتجابهم بحجب عاداتهم الفاسقة وهيئات اعتقاداتهم الفاسدة **﴿وما كانوا مهتدين﴾** وبطل نور استعدادهم فلا يهتدون إلى الله ولا إلى التعارف فخسئوا مبغوضين مطرودين لا يألفون أنيساً ولا يؤون أليفاً.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿ولكل أمة رسول﴾ يجانسهم في الأحوال النفسانية ليمكن بينهم الألفة الموجبة للاستفادة منه ويمكنه النزول إلى مبالغ عقولهم ومراتب فهومهم فيزكيهم بما يصلح أحوالهم ويكشف حجبهم ويعلمهم بما يوجب ترقيهم عن مقاماتهم ويهديهم إلى الله، **﴿فإذا جاء رسولهم قضي بينهم﴾** بهداية من اهتدى منهم وضلالة من ضلّ وسعادة من سعد وشقاوة من شقي لظهور ذلك بوجوده وطاعة بعضهم إياه لقربه منه وإنكار بعضهم له لبعده عنه **﴿بالقسط﴾** أي: بالعدل الذي هو الغالب على حال النبي لكونه ظاهر توحيده وسيرته وطريقته **﴿وهم لا**

يظلمون﴾ بنسبة خلاف ما هو حالهم إليهم ومجازاتهم به أو قضى بينهم بإنجاء من اهتدى به وإثابته وإهلاك من ضلّ وتعذيبه لظهور أسباب ذلك بوجوده.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ إنكار لاحتجابهم عن القيامة وعدم وقوفهم على معناها إذ لو علموا كيفيته بارتفاع حجبهم بالتجرد عن ملابس النفس صدّقوهم في ذلك وما أنكروا.

[٤٩ ـ ٥٦] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قل لا أملك لنفسي﴾ إلى آخره، درّجهم إلى شهود الأفعال بسلب الملك والتأثير عن نفسه ووجوب وقوع ذلك عنه بمشيئة الله ليعرفوا آثار القيامة، ثم لوّح إلى أن القيامة الصغرى هي بانقضاء آجالهم المقدّرة عند الله بقوله: ﴿لكل أمة أجل﴾ إلى آخره.

[٥٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة﴾ أي: تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد والإنذار والبشارة والزجر عن الذنوب المورطة في العقاب والتحريض على الأعمال الموجبة للثواب لتعملوا على الخوف والرجاء ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ أي: القلوب من أمراضها كالشك والنفاق والغلّ والغش وأمثال ذلك بتعليم الحقائق والحكم الموجبة لليقين وتصفيتها لقبول المعارف والتنوّر بنور التوحيد، والتهيىء لتجليات الصفات ﴿وهدىً﴾ لأرواحكم إلى الشهود الذاتي ﴿ورحمة﴾ بإفاضة الكمالات اللائقة بكل مقام من المقامات الثلاث بعد حصول الاستعداد في مقام النفس بالموعظة ومقام القلب بالتصفية ومقام الروح بالهداية ﴿للمؤمنين﴾ بالتصديق أولاً ثم باليقين ثانياً ثم بالعيان ثالثاً.

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾

﴿قل بفضل الله﴾ أي: بتوفيقه للقبول في المقامات الثلاثة ﴿وبرحمته﴾ بالمواهب الخلقية والعلمية والكشفية في المراتب الثلاث فليعتنوا وإن كانوا يفرحون ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ لا بالأمور الفانية القليلة المقدار، الدنيئة القدر والوقع ﴿هو خيرٌ مما يجمعون﴾ من الخسائس الفاسدة والمحقرات الزائلة من جملة الحطام إن كانوا أصحاب دراية وفطنة وأرباب قدر وهمة.

[٥٩ ـ ٦١] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦٠ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾

﴿قل أرأيتم ما أنزل الله﴾ إلى آخره، أي: أخبروني ما أنزل الله من رزق معنوي كالحقائق والمعارف والأحوال والمواهب وكالآداب والشرائع والمواعظ والنصائح ﴿فجعلتم﴾ بعضه ﴿حراماً﴾ كالقسم الأول ﴿و﴾ بعضه ﴿حلالاً﴾ كالقسم الثاني ﴿قل آلله أذن لكم﴾ في الحكم بالتحريم والتحليل ﴿أم على الله تفترون وما ظنّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ الوسطى بتجرّد القلب عن ملابس النفس وحصول اليقين أو يوم القيامة الكبرى بالتوحيد الذاتي وظهور العيان، أي: لا يبقى ظنهم وليس شيئاً حينئذ أو يوم القيامة الصغرى بالموت وحصول الحرمان أي: يكون ظنهم وبالاً وعذاباً حينئذ ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ بصنفي العلمين وإفاضتهما وتوفيق القبول لهما وتهيئة الاستعداد لقبولهما ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ نعمته فيستعملون ما وهب لهم من الاستعداد والعلوم في تحصيل المنافع الجزئية والمطالب الحسية ويكفرون نعمته فيمنعون عن الزيادة.

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾

﴿ألا إن أولياء الله﴾ المستغرقين في عين الهوية الأحدية بفناء الأنية ﴿لا خوف عليهم﴾ إذ لم يبق منهم بقية خافوا بسببها من حرمان ولا غاية وراء ما بلغوا فيخافوا من حجبه ﴿ولا هم يحزنون﴾ لامتناع فوات شيء من الكمالات واللذات منهم، فيحزنوا عليه. وعن سعيد بن جبير: إن رسول الله ﷺ سُئل من هم؟ فقال: «هم الذين يذكر الله برؤيتهم». وهذا رمز لطيف منه عليه السلام. وعن عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله»، قالوا: يا

رسول الله، خبرنا من هم وما أعمالهم؟ فلعلنا نحبهم. قال: «هم قوم تحابّوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ الآية. قوله: وإنهم لعلى منابر من نور، يريد به اتصالهم بالمبادىء العالية الروحانية كالعقل الأول وما يليه.

[٦٣] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾

﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أن جعل صفة لأولياء الله فمعناه الذين آمنوا بالإيمان الحقيّ وكانوا يتقون بقاياهم وظهور تلويناتهم.

[٦٤] ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾

﴿لهم البُشرىٰ في الحياة الدنيا﴾ بوجود الاستقامة في الأعمال والأخلاق المبشرة بجنة النفوس ﴿وفي الآخرة﴾ بظهور أنوار الصفات والحقائق الروحانية والمعارف الحقّانية عليهم المبشرة بجنة القلوب وحصول الذوق بهما واللذة ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ لحقائقه الواردة عليهم وأسمائه المنكشفة لهم وأحكام تجلياته النازلة بهم، وإن جعل كلاماً برأسه مبتدأ فمعناه الذين آمنوا الإيمان اليقيني وكانوا يتقون حجب صفات النفس وموانع الكشف من التشكيكات الوهمية والوساوس الشيطانية لهم البشرى في الحياة الدنيا بوجدان لذة برد اليقين في النفس واطمئنانها بنزول السكينة وفي الآخرة بوجدان ذوق تجليات الصفات وأثر أنوار المكاشفات لا تبديل لكلمات الله من علومهم اللدنية وحكمهم اليقينية أو فطرتهم التي فطرهم الله عليها فإن كل نفس كلمة.

[٦٥ ـ ٦٦] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٦٦﴾

﴿ولا يحزنك قولهم﴾ أي: لا تتأثر به فإنه مراء وشاهد عزة الله وقهره لتنظر إليهم بنظر الفناء وترى أعمالهم وأقوالهم وما يهددونك به كالهباء فمن شاهد قوة الله وعزته يرى كل القوة والعزة لا قوة لأحد ولا حول. ﴿هو السميعُ﴾ لأقوالهم فيك فيجازيهم ﴿العَليم﴾ لما ينبغي أن يفعل بهم ثم بين ضعفهم وعجزهم وامتناع غلبتهم عليه بقوله: **﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾** كلهم تحت ملكته وتصرّفه وقهره لا يقدرون على شيء بغير إذنه ومشيئته وإقداره إياهم ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: إذا كان الكل تحت قهره وملكته فما يتبعون من دون الله ليس بشيء ولا

تأثير له ولا قوة ﴿إن يتّبعون إلا﴾ ما يتوهمونه في ظنهم ويتخيلونه في خيالهم وما هم إلاّ يقدّرون وجود شيء لا وجود له في الحقيقة.

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿هو الذي جَعَل لكم﴾ ليل الجسم ﴿لِتَسكنوا فيه﴾ ونهار الروح لتبصروا به حقائق الأشياء وما تهتدون به إليه ﴿إنّ في ذٰلك لآيات لقوم يسمعون﴾ كلام الله به، فيفهمون بواطنه وحدوده ويطلعون به على صفاته وأسمائه فيشاهدونه موصوفاً ومتسماً بها.

[٦٨ ـ ٧٠] ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قالوا اتّخذ الله وَلَداً﴾ أي: معلولاً يجانسه ﴿سُبحانه﴾ أنزهه عن مجانسة شيء ﴿هو الغَنيّ﴾ الذي وجوده بذاته وبه وجود كل شيء، فكيف يماثله شيء، ومن له الوجود كله فكيف يجانسه شيء.

[٧١ ـ ٨٣] ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ في صحة توكله على الله ونظره إلى قومه وإلى شركائهم بعين الفناء وعدم مبالاته بهم وبمكايدهم ليعتبروا به حالك، فإن الأنبياء كلهم في ملة التوحيد والقيام بالله وعدم الالتفات إلى الخلق سواء.

[٨٤ _ ١٠٩] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (٨٤)
فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ
(٨٦) وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ
ٱلۡأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ (٨٩) ۞ وَجَٰوَزۡنَا
بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٩٠) ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ
ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٩١) فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا
لَغَٰفِلُونَ (٩٢) وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ
إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (٩٣) فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ
ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ (٩٤) وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٩٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ
كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٩٦) وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (٩٧) فَلَوۡلَا كَانَتۡ
قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ (٩٨) وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ
يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا
يَعۡقِلُونَ (١٠٠) قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ (١٠١)
فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ (١٠٢)
ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٠٣) قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي
شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٠٤) وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ
وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٧) قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠
عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ (١٠٨) وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ (١٠٩)﴾

﴿وقال موسىٰ يا قوم إن كنتم آمنتم﴾ أي: إيماناً يقينياً ﴿فعليه توكلوا﴾ جعل التوكل من لوازم الإسلام وهو إسلام الوجه لله تعالىٰ، ولم يجعل الإسلام من لوازم الإيمان أي: إن كمل إيمانكم ويقينكم بحيث أثّر في نفوسكم وجعلها خالصة لله فانية فيه لزم التوكل عليه فإن أول مرتبة الفناء هو فناء الأفعال ثم الصفات ثم الوجود فإن تمّ الفناء لزم التوكل الذي هو فناء الأفعال وإن أُريد الإسلام بمعنى الانقياد كان شرطاً في التوكل لا ملزوماً له وحينئذ يكون معناه: إن صح إيمانكم يقيناً فعليه توكلوا بشرط أن لا يكون لكم فعل ولا تروا لأنفسكم ولا لغيركم قوة وتأثيراً بل تكونوا منقادين كالميت فإن شرط صحة التوكل فناء بقايا الأفعال والقوى كما تقول: إن كرهت هذا الشجر فاقلعه إن قدرت، والباقي إلى آخر السورة بعضه لا يقبل التأويل وبعضه معلوم مما مرّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة هود ﴾

[١] ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

﴿الر كتاب﴾ مرّ ذكره ﴿أحكمت آياته﴾ أي: أعيانه وحقائقه في العالم الكلي بأن أثبتت دائمة على حالها لا تتبدل ولا تتغير ولا تفسد محفوظة عن كل نقص وآفة ﴿ثم فصلت﴾ في العالم الجزئي وجعلت مبينة في الظاهر معينة بقدر معلوم ﴿من لدن حكيم﴾ أي: أحكامها وتفصيلها من لدن حكيم بناها على علم وحكمة لا يمكن أحسن منها وأشدّ أحكاماً ﴿خبير﴾ بتفاصيلها على ما ينبغي في النظام الحكمي في تقديرها وتوقيتها وترتيبها.

[٢] ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾

﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أي: ينطق عليكم بلسان الحال والدلالة أن لا تشركوا بالله في عبادته وخصوصه بالعبادة ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾ كلام على لسان الرسول، أي: إنني أنذركم من الحكيم الخبير عقاب الشرك وتبعته وأبشركم منه بثواب التوحيد وفائدته.

[٣ ـ ٦] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

﴿وأن اَستَغفِروا ربكم﴾ أي: وحدوه واطلبوا منه أن يغفر هيئات النظر إلى الغير والاحتجاب بالكثرة والتقيد بالأشياء والوقوف معها حتى أفعالكم وصفاتكم ﴿ثم توبوا إليه﴾ ارجعوا إليه بالفناء فيه ذاتاً ﴿يمتعكم﴾ في الدنيا تمتيعاً ﴿حسناً﴾ على وفق الشريعة والعدالة حالة البقاء بعد الفناء إلى وقت وفاتكم ﴿ويؤت كل ذي فضل﴾ في الأخلاق والعلوم والكمالات ﴿فضله﴾ في الثواب والدرجات أو يمتعكم بلذات تجليات الأفعال والصفات عند تجرّدكم إلى وقت فنائكم أو ويؤت كل ذي فضل في الاستعداد فضله في الكمال والمرتبة عند الترقي والتدلي ﴿وإن تولّوا﴾ أي: تعرضوا عن التوحيد والتجريد ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ شاق عليكم وهو يوم الرجوع إلى الله القادر على كل شيء أي: يوم ظهور عجزكم وعجز ما تعبدون بظهوره تعالى في صفة قادريته فيقهركم بالعذاب.

[٧ ـ ٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ أي: خلق العالم الجسماني في ست جهات ﴿وكان عرشه على الماء﴾ أي: عرشه الذي هو العقل الأول مبتنياً على العلم الأول مستنداً إليه مقدماً بالوجود على عالم الأجسام، وإن أوّلنا الأيام الستة بمدة الخفاء كما مر وخلق السموات والأرض باختفائه تعالى بتفاصيل الموجودات فمعنى كون عرشه على الماء كونه قبل بداية الاختفاء ظاهراً معلوماً للناس كقولك: فعلته على علم، أي: في حال كونه معلوماً لي، أو كوني عالماً به، أي: على المعلومية كما قال حارثة حين سأله رسول الله ﷺ: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال ﷺ: «الكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» قال: رأيت أهل الجنة يتزاورون ورأيت أهل النار يتعاوون ورأيت عرش ربي بارزاً. قال ﷺ: «أصبت، فالزم». وقد عبّر في الشرع عن المادة الهيولانية بالماء في مواضع كثيرة منها ما ورد في الحديث: إن الله خلق أول ما خلق جوهرة، فنظر إليها بعين الجلال فذابت حياء نصفها ماء ونصفها نار. فإن أوّلناه بها فمعناه: وكان عرشه قبل السموات والأرض بالذات لا بالزمان مستعلياً على المادة فوقها بالرتبة، وإن شئت التطبيق على تفاصيل وجودك فمعناه خلق سموات القوى الروحانية وأرض الجسد في الأشهر الستة التي هي أقل مدة الحمل وكان عرشه الذي هو قلب المؤمن على ماء مادة الجسد مستولياً عليه متعلقاً به تعلق التصوير والتدبير ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ جعل غاية خلق الأشياء ظهور أعمال الناس أي: خلقناهم لنعلم العلم التفصيلي التابع للوجود الذي يترتب عليه الجزاء أيكم أحسن عملاً فإن علم الله قسمان: قسم يتقدّم وجود الشيء في اللوح، وقسم يتأخر وجوده في مظاهر الخلق والبلاء الذي هو الاختبار هو هذا القسم.

[٩ ـ ١٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ إلى آخره، ينبغي للإنسان أن يكون في الفقر والغنى والشدّة والرخاء والمرض والصحة واثقاً بالله متوكلاً عليه لا يحتجب عنه بوجود نعمة ولا بسعيه وتصرّفه في الكسب ولا بقوّته وقدرته في الطلب ولا بسائر الأسباب والوسائط لئلا يحصل اليأس عند فقدان تلك الأسباب والكفران والبطر والأشر عند وجودها فيبعد بها عن الله

تعالى وينساه فينساه الله بل يرى الإعطاء والمنع منه دون غيره، فإن أتاه رحمة من صحة أو نعمة شكره أولاً برؤية ذلك منه وشهود المنعم في صورة النعمة، وذلك بالقلب ثم بالجوارح باستعمالها في مراضيه وطاعته والقيام بحقوقه تعالى فيها ثم باللسان بالحمد والثناء متيقناً بأنه القادر على سلبها، وحافظاً عليها بشكرها مستزيداً إياها اعتماداً على قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا وصلت إليكم أطراف النِعم فلا تنفروا أقصاها بقلّة الشكر»، ثم إن نزعها منه فليصبر ولا يتأسف عليها عالماً بأنه هو الذي نزع دون غيره لمصلحة تعود إليه. فإنّ الرب تعالى كالوالد المشفق في تربيته إياه، بل أرأف وأرحم، فإن الوالد محجوب عما يعلمه تعالى إذ لا يرى إلا عاجل مصالحه وظاهرها وهو العالم بالغيب والشهادة فيعلم ما فيه صلاحه عاجلاً وآجلاً راضياً بفعله راجياً إعادة أحسن ما نزع منها إليه إذ القانط من رحمته بعيد منه لا يستوسع رحمته لضيق وعائه محجوب عن ربوبيته لا يرى عموم فيض رحمته ودوامه ثم إذا أعادها لم يفرح بوجودها كما لم يحزن بفقدانها ولا يفخر بها على الناس، فإن ذلك من الجهل وظهور النفس وإلا لعلم أن ذلك ليس منه وله فبأي سبب يسوغ له فخر بما ليس له ومنه بل لله ومن الله.

[١١ ـ ١٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٖ
مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٖ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ
فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿**إلاّ الذين صَبَروا**﴾ استثناء من الإنسان أي هذا النوع يؤس كفور فرح فخور في الحالين إلا الذين صبروا مع الله واقفين معه في حالة الضراء والنعماء والشدة والرخاء كما قال عمر رضي الله عنه: الفقر والغِنى مطيتان لا أبالي أيهما أمتطي، ﴿**وعَمِلوا**﴾ في الحالين ما فيه صلاحهم مما ذكر ﴿**أولٰئك لهم مغفرة**﴾ من ذنوب ظهور النفس باليأس والكفران والفرح والفخر في الحالين ﴿**وأجرٌ كبير**﴾ من ثواب تجليات الأفعال والصفات وجنانها ﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحىٰ إليك**﴾ لما لم يقبلوا كلامه ﷺ بالإرادة وأنكروا قوله بالاقتراحات الفاسدة وقابلوه بالعناد والاستهزاء ضاق صدره ولم ينبسط للكلام إذ الإرادة تجذب الكلام وقبول المستمع يزيد نشاط المتكلم ويوجب بسطه فيه، وإذا لم يجد المتكلم محلاً قابلاً لم يتسهل له

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

ويقي كرباً عنده فشجعه الله تعالى بذلك، وهيّج قوته ونشاطه بقوله: ﴿إنما أنت نذير﴾ فلا يخلو إنذارك من إحدى الفائدتين إما رفع الحجاب بأن ينجع فيمن وفقه الله تعالى لذلك، وإما إلزام الحجة لمن لم يوفق لذلك ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ فكل الهداية إليه.

[١٥] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ أي: كل من يعمل عملاً وإن كان من أعمال الآخرة في الظاهر بنية الدنيا لا يريد به إلا حظاً من حظوظها يوفيه الله تعالى أجره فيها ولا يصل إليه من ثواب الآخرة شيء، فإنّ لكل أحد نصيباً من الدنيا بمقتضى نشأته التي هو عليها ونصيباً من الآخرة بمقتضى فطرته التي فطر عليها، فإذا لم يرد بعمله إلا الدنيا فقد أقبل بوجهه إليها وأعرض عن الآخرة وجعل النصيب الدنيوي بانجذابه وتوجهه إلى الجهة السفلية حجاب النصيب الأخروي حتى انتكست فطرته وتبعت النشأة واستخدمت نفسه القلب في طلب حظوظها فصار نصيبه من الآخرة منضماً إلى النصيب الدنيوي ﴿وهم فيها﴾ لا ينقصون أي: لا ينقص من ثواب أعمالهم في الدنيا شيء لأنه لما تشكل القلب بهيئة النفس تمثل حظه بصورة حظ النفس.

[١٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ لتعذب قلوبهم بالحجب الدنيوية وحرمانها عن مقتضى استعدادها وتألمها بما لا يلائمها من مكسوباتها ﴿وحبط ما صَنعوا﴾ من أعمال البر في الآخرة لكونها بنية الدنيا لقوله ﷺ: «الأعمال بالنيّات ولكل امرىء ما نوىٰ» إلى آخر الحديث.

[١٧] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أفمَن كان على بينة من ربّه﴾ أي: أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة من ربّه يعني بعد ما بينهما في المرتبة بعداً عظيماً من كان على بينة أي: يقين برهاني عقلي أو وجداني كشفي ويتبع ذلك اليقين ﴿شاهد﴾ من ربّه أي: القرآن المصدّق للبرهان العقلي في التوحيد وصحة النبوّة وأصول الدين، ومن قبل هذا القرآن ﴿كتاب موسىٰ﴾ أي: يتبع البرهان من قبل هذا الكتاب كتاب موسىٰ في حال كونه ﴿إماماً﴾ يؤتّم به وقدوة يتمسك بها في تحقيق

المطالب ورحمة رحيمية تهدي الناس وتزكيهم وتعلمهم الحِكَم والشرائع ﴿أولئك يؤمنون به﴾ بالحقيقة دون الطالبين لحظوظ الدنيا.

[١٨ ـ ٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن ٱفترىٰ على الله كَذباً﴾ بإثبات وجود غيره وإسناد صفته من الكلام ونحوه إلى الغير ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ بالوقف في الموقف الأول محجوبين مخذولين ﴿ويقول الأشهاد﴾ الموحدون ﴿هٰؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم﴾ بالشرك ثم طردوا ولعنوا بسبب شركهم الذي هو أعظم الظلم ﴿الذين يصدون﴾ الناس عن سبيل التوحيد ويصفونها بالاعوجاج مع استقامتها وهم مع احتجابهم عن الحق محجوبون عن الآخرة دون غيرهم من أهل الأديان.

[٢٣ ـ ٢٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إنّ الذين آمنوا﴾ الإيمان اليقيني الغيبي ﴿وعملوا﴾ الأعمال التي تصلحهم للقاء الله وتقرّبهم إليه من التوبة والزهد الحقيقي والإنابة والعبادة والصبر والشكر وما يناسبها من أعمال أهل السلوك ومقاماتهم ﴿وأخبتوا إلى ربّهم﴾ وتذللوا واطمأنوا إليه بالشوق وانقطعوا إليه متفانين فيه ﴿أولٰئك أصحاب﴾ جنة القلوب ﴿هم فيها خالدون﴾.

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي: الإشراق المليئون بأمور الدنيا، القادرون عليها، الذين حجبوا بعقلهم ومعقولهم عن الحق. ﴿ما نراك إلاّ بشراً مثلنا﴾ لكونهم ظاهريين واقفين على حد العقل المشوب بالوهم المتحير بالهوى الذي هو عقل المعاش لا يرون لأحد طوراً وراء ما بلغوا إليه من العقل غير مطلعين على مراتب الاستعدادات والكمالات طوراً بعد

طور ورتبة فوق رتبة إلى ما لا يعلمه إلا الله، فلم يشعروا بمقام النبوّة ومعناها ﴿وما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا﴾ فقراؤنا الأدنون منّا، إذ المرتبة والرفعة عندهم بالمال والجاه ليس إلا كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[1].

﴿بادي الرأي﴾ أي: بديهة الرأي وأوله لأنهم ضعاف العقول، عاجزون عن كسب المعاش، ونحن أصحاب فكر ونظر قالوا ذلك لاحتجابهم بعقلهم القاصر عن إدراك الحقيقة والفضيلة المعنوية لقصر تصرّفه على كسب المعاش والوقوف على حدة. وأما أتباع نوح عليه السلام فأنهم أصحاب همم بعيدة وعقول حائمة حول القدس غير متصرّفة في المعاش ولا ملتفتة إلى وجوه كسبه وتحصيله، فلذلك استنزلوا عقولهم واستحقروها ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ وتقدّم فيما نحن بصدده لكون الفضل عندهم محصوراً في التقدّم بالغنى والمال والجاه ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ لعدم إدراك ما تثبتون وفهم ما تقولون مع وفور كياستنا ﴿أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ يجب عليكم من طريق العقل الإذعان له ﴿وآتاني رحمة﴾ أي: هداية خاصة كشفية متعالية عن درجة البرهان ﴿من عنده﴾ أي: فوق طور العقل من العلوم اللدنية ومقام النبوّة ﴿فعميت عليكم﴾ لاحتجابكم بالظاهر عن الباطن وبالخليقة عن الحقيقة ولا يمكن تلقيها إلا بالإرادة لأهل الاستعداد فكيف نلزمكموها ونجبركم عليها ﴿وأنتم لها كارهون﴾ أي: إن شئتم تلقيها فزكوا نفوسكم وصفوا استعدادكم إن وهب لكم واتركوا إنكاركم حتى يظهر عليكم أثر نور الإرادة فتقبلوها إن شاء الله.

[٢٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لا أسألكم عليه مالاً﴾ أي: الغرض عندكم من كل أمر محصور في حصول المعاش وأنا لا أطلب ذلك منكم فتنبهوا لغرضي وأنتم عقلاء بزعمكم ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ لأنهم أهل القربة والمنزلة عند الله فإن طردتهم كنت عدوّ الله مناوياً لأوليائه لست بنبي حينئذ ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ ما يصلح به المرء للقاء الله ولا تعرفون الله ولا لقاءه لذهاب عقولكم في الدنيا أو تسفهون تؤذون المؤمنين بسفهكم.

[٣٠ - ٣٧] ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾

(١) سورة الروم، الآية: ٧.

وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ويا قوم من يَنصرني من الله﴾ الذي هو القاهر فوق عباده ﴿إن طردتهم﴾ واستوجبت قهره بطردهم ﴿أفلا تذكرون﴾ مقتضيات الفطرة الإنسانية فتنزجرون عما تقولون﴾﴿ولا أقول لكم عندي خزائِنِ الله﴾ أي: أنا أدّعي الفضل بالنبوة لا بالغنى وكثرة المال ولا بالاطلاع على الغيب ولا بالملكية حتى تنكروا فضلي بفقدان ذلك ﴿ولا أقول﴾ للفقراء المؤمنين الذين تستحقرونهم وتنظرون إليهم بعين الحقارة ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ كما تقولون، إذ الخير عندي ما عند الله لا المال ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ من الخير مني ومنكم وهو أعرف بقدرهم وخطرهم وما يعلم أحد قدر خيرهم لعظمه ﴿إني إذاً﴾ أي: إذ نفيت الخير عنهم أو طردتهم ﴿لمن الظالمين﴾.

﴿ويصنع الفلك﴾ إلى آخره، تفسيره على ما دل عليه الظاهر حق يجب الإيمان به وصدق لا بدّ من تصديقه كما جاء في التواريخ من بيان قصة الطوفان وزمانه وكيفيته وكميته. وأما التأويل فمحتمل بأن يؤوّل الفلك بشريعة نوح التي نجا بها هو ومن آمن معه من قومه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق». والطوفان باستيلاء بحر الهيولى وإهلاك من لم يتجرّد عنها بمتابعة نبيّ وتزكية نفس كما جاء في كلام إدريس النبيّ عليه السلام ومخاطباته لنفسه ما معناه: إنّ هذه الدنيا بحر مملوء ماء فإن اتخذت سفينة تركبها عند خراب البدن نجوت منها إلى عالمك وإلا غرقت فيها وهلكت، فعلى هذا يكون معنى ويصنع الفلك يتخذ شريعة من ألواح الأعمال الصالحة ودسر العلوم التي تنظم بها الأعمال وتحكم.

[٣٨ - ٣٩] ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ كما ترى من عادة الشطّار وذوي الخلاعة المشتهرين بالإباحة يستهزؤون بالمتشرّعين والمتقيدين بقيودها ﴿قال إن تسخروا منا﴾ بجهلكم ﴿فإنا نسخر منكم﴾ عند ظهور وخامة عاقبة كفركم واحتجابكم ﴿كما تسخرون فسوف تعلمون﴾ عند ذلك ﴿من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ في الدنيا من هلاك وموت أو مرض وضرّ أو

شدة وفقر، كيف يضطرب ويتحسر على ما يفوت منه ﴿ويحلّ عليه عذابٌ مُقيم﴾ دائم في الآخرة من استيلاء نيران الحرمان وهيئات الرذائل المظلمة والخسران.

[٤٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿حتىٰ إذا جاء أمرنا﴾ بإهلاك أمّتك ﴿وفار﴾ تنور البدن باستيلاء الأخلاط الفاسدة والرطوبات الفضلية على الحرارة الغريزية وقوة طبيعة ماء الهيولى على نار الروح الحيوانية أو أمرنا بإهلاكهم المعنوي وفار التنور باستيلاء ماء هوى الطبيعة على القلب وإغراقه في بحر الهيولى الجسماني ﴿قلنا أحْمِل فيها من كل زوجين اثنين﴾ أي: من كل صنفين من نوع اثنين هما صورتاهما النوعية والصنفية الباقيتان عند فناء الأشخاص. ومعنى حملهما فيها: علمه ببقائهما مع بقاء الأرواح الإنسية، فإن علمه جزء من سفينته الحاوية للكل لتركبها من العلم والعمل، فمعلوميتهما محموليتهما وعالميته بهما حامليته إياهما فيها ﴿وأهلك﴾ ومن يتصل بك في دينك وسيرتك من أقاربك ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ أي: الحكم بإهلاكه في الأزل لكفره ﴿ومن آمن﴾ بالله من أمّتك.

[٤١] ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿وقال اركَبوا فيها بِسْم الله مجريها ومرساها﴾ أي: باسم الله الأعظم الذي هو وجود كل عارف كامل من أفراد نوع الإنسان إنفاذها وإجراء أحكامها وترويجها في بحر العالم الجسماني وإقامتها وأحكامها وإثباتها كما ترى من إجراء كل شريعة وإنفاذ أمرها وتثبيتها وأحكامها بوجود نبي أو إمام من أئمتها أو حبر من أحبارها ﴿إنّ ربي لغفور﴾ يغفر هيئات نفوسكم البدنية المظلمة وذنوب ملابس الطبيعة المهلكة إياكم، المغرقة في بحرها بمتابعة الشريعة ﴿رحيم﴾ يرحم بإفاضة المواهب العلمية والكشفية والهيئات النورانية التي ينجيكم بها لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل إخوانكم.

[٤٢ ـ ٤٣] ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وهي تجري بهم في موج﴾ من فتن بحر الطبيعة الجسمانية واستيلاء دواعيها على الناس وغلبة أهوائها بإنفاقهم على مقتضياتها كالجبال الحاجبة للنظر، المانعة للسير أو موج من انحرافات المزاج وغلبات الأخلاط المردية ﴿ونادىٰ نُوح أبنه﴾ المحجوب بعقله المغلوب بالوهم الذي هو عقل المعاش عن دين أبيه وتوحيده ﴿وكان في معزل﴾ عن دينه وشريعته ﴿يا

بُني أرْكب معنا﴾ أي: ادخل في ديننا **﴿ولا تكن مع الكافرين﴾** المحجوبين عن الحق، الهالكين بموج هوى النفس، المغرقين في بحر الطبع **﴿قال سآوي إلى جبل يَعْصمني من الماء﴾** يعني به الدماغ الذي هو محل العقل، أي: سأستعصم بالعقل والمعقول ليعصمني من استيلاء بحر الهيولى فلا أغرق فيه **﴿قال لا عاصِم اليوم من أمر الله إلا﴾** الذي **﴿رَحِم﴾** بدين التوحيد والشرع **﴿وحالَ بينهما﴾** موج هوى النفس واستيلاء ماء بحر الطبيعة، أي: حجبه عن أبيه ودينه وتوحيده **﴿فكان من المُغْرَقين﴾** في بحر الهيولى الجسمانية.

[٤٤] **﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾**

﴿وقيل يا أرض ٱبْلَعي ماءك ويا سماء أقْلَعِي﴾ أي: نودي من جهة الحق على لسان الشرع أرض الطبيعة الجسمانية أي: يا أرض انقصي بأمر الشريعة وامتثال أحكامها من غلبة هواك واستيلائه بفوران موادّك على القلب، وقفي على حدّ الاعتدال الذي به قوامه، ويا سماء العقل المحجوبة بالعادة والحس، المبثوثة بالوهم، المغيمة بغيم الهوى التي تمدّ النفس والطبيعة بتهيئة موادها وأسبابها بالفكر أقلعي عن مددها **﴿وغيض﴾** ماء قوة الطبيعة الجسمانية ومدد الرطوبة الحاجبة لنور الحق، المانعة للحياة الحقيقية **﴿وقضىٰ﴾** أمر الله بإنجاء من نجا وإهلاك من هلك **﴿وٱستوت﴾** أي: استقامت شريعته **﴿علىٰ﴾** جودي وجود نوح واستقرّت **﴿وقيل بُعْداً﴾** أي: هلاكاً **﴿للقوم الظالمين﴾** الذين كذّبوا بدين الله وعبدوا الهوى مكان الحق ووضعوا طريق الطبيعة مكان الشريعة.

[٤٥] **﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾**

﴿ونادىٰ نوح ربّه فقال ربّ إن ٱبْني من أهلي﴾ حمله شفقة الأبوة وتعطف الرحم والقرابة على طلب نجاته لشدّة تعلقه به واهتمامه بأمره، وراعى مع ذلك أدب الحضرة وحسن السؤال فقال: **﴿وإن وعْدَك الحقّ﴾** ولم يقل لا تخلف وعدك بإنجاء أهلي، وإنما قال ذلك لوجود تلوين وظهور بقية منه إذ فهم من الأهل ذوي القرابة الصورية والرحم الطبيعية وغفل لفرط التأسف على ابنه عن استثنائه تعالى بقوله: **﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾**(١) ولم يتحقق أنّ ابنه هو الذي سبق عليه القول ولا استعطف ربّه بالاسترحام وعرّض بقوله: **﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾** إلى أن العالم العادل والحكيم لا يخلف وعده.

(١) سورة هود، الآية: ٤٠.

[٤٦ ـ ٥١] ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ أي: إنّ أهلك في الحقيقة هو الذي بينك وبينه القرابة الدينية واللحمة المعنوية والاتصال الحقيقي لا الصوري كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنّ وليّ محمد من أطاع الله وإن بَعُدَتْ لحمته، ألا وإن عدو محمد من عصى الله وإن قَرُبَتْ لحمته»، ﴿إنه عمل غير صالح﴾ بين انتفاء كونه من أهله بأنه غير صالح تنبيهاً على أنّ أهله هم الصلحاء، أهل دينه وشريعته وأنه لتماديه في الفساد والغيّ كان نفسه عمل غير صالح. وأنّ سبب النجاة ليس إلا الصلاح لا قرابته منك بحسب الصورة، فمن لا صلاح له لا نجاة له. ولوّح إلى أنه صورة من صور الخطايا صدرت منك كما قيل: إنه سرّ من أسرار أبيه على ما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الولد سرّ أبيه» وذلك أنه لما بالغ في الدعوة وبلغ الجهد في المدة المتطاولة وما أجابه قومه غضب ودعا عليهم بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ... إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[1]، فذهل عن شهود قدرة الله وحكمته وأنه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[2] فكانت دعوته تلك ذنب حاله في خطيئة مقامه، فابتلاه الله بالفاجر الكفّار الذي زعم حال غضبه أنهم لا يلدون إلا مثله وحكم على الله بظنه فزكّاه عن خطيئته بتلك العقوبة. وفي الحديث: «خلق الكافر من ذنب المؤمن». ﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾ من إنجاء من ليس بصالح ولا من أهلك، واعلم أن الصلاح هو سبب النجاة دون غيره، وإن أهلك هو ذو القرابة المعنوية لا الصورية.

﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ الواقفين مع ظواهر الأمور، المحجوبين عن حقائقها، فتنبّه عليه السلام عند ذلك التأديب الإلٰهي والعتاب الرباني وتعوّذ بقوله: ﴿ربّ إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي﴾ تلويناتي وظهور بقاياي ﴿وترحمني﴾ بالاستقامة والتمكين ﴿أكن من الخاسرين﴾ الذين خسروا أنفسهم بالاحتجاب عن علمك

(١) سورة نوح، الآيات: ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

وحكمتك ﴿قيل يا نوح اهبط﴾ أي: اهبط من محل الجمع وذروة مقام الولاية والاستغراق في التوحيد إلى مقام التفصيل وتشريع النبوّة بالرجوع إلى الخلق ومشاهدة الكثرة في عين الوحدة لا مغضباً بالاحتجاب بهم عن الحق ولا راضياً بكفرهم بالاحتجاب بالحق عنهم ﴿بسلام﴾ أي: سلامة عن الاحتجاب بالكثرة وظهور النفس بالغضب ووجود التلوين وحصول التعلق بعد التجرد والضلال بعد الهدى ﴿منّا﴾ أي صادر منا وبنا ﴿وبركات﴾ بتقنين قوانين الشرع وتأسيس قواعد العدل الذي ينمو به كل شيء ويزيد ﴿عليك وعلى أمم﴾ ناشئة ﴿ممن معك﴾ وعلى دينك وطريقتك إلى آخر الزمان.

﴿وأمم﴾ أي: وينشأ ممن معك أمم ﴿سنُمَتعهم﴾ في الحياة الدنيا لاحتجابهم بها ووقوفهم ﴿ثم يمسّهم منا عذابٌ أليمٌ﴾ بإهلاكهم بكفرهم وإحراقهم بنار الآثار، وتعذيبهم بالهيئات، وإن شئت التطبيق أوّلت نوحاً بروحك والفلك بكمالك العلمي والعملي الذي به نجاتك عند طوفان بحر الهيولى حتى إذا فارّ تنور البدن باستيلاء الرطوبة الغريبة والأخلاط الفاسدة وأذن بالخراب، ركب هو فيها وحمل معه من كل صنفين من وحوش القوى الحيوانية والطبيعية وطيور القوى الروحانية اثنين، أي: أصليهما وبنيه الثلاثة حام القلب، وسام العقل النظري، ويافث العقل العملي، وزوجه النفس المطمئنة وأجراها باسم الله الأعظم فنجا بالبقاء السرمدي من الهلاك الأبدي بالطوفان وغرقت زوجه الأخرى التي هي الطبيعة الجسمانية وابنه منها الذي هو الوهم الآوي إلى جبل الدماغ، وأوّلت استواءها على الجودي وهبوطه بمثل نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

[٥٢] ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ويا قوم ٱستَغفروا ربّكم﴾ من ذنوب حجب صفات النفس والوقوف مع الهوى بالشرك ﴿ثم توبوا إليه﴾ بالتوجه إلى التوحيد والسلوك في طريقه بالتجرّد والتنوّر. يرسل سماء الروح ﴿عليكم مِدْراراً﴾ بماء العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية ﴿ويزدكم﴾ قوّة الكمال ﴿إلىٰ﴾ قوة الاستعداد ولا تعرضوا عنه ﴿مجرمين﴾ بظهور صفات نفوسكم وتوجهكم إلى الجهة السفلية بمحبة الدنيا ومتابعة الطبيعة٨

[٥٣ ـ ٦٣] ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ

وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا
كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ
مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ
مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن
يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة﴾ لقصور فهمهم وعمى بصيرتهم عن إدراك البرهان لمكان الغشاوات الطبيعية وإذا لم يدركوه أنكروه بالضرورة ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾ بين وجوب التوكل على الله وكونه حصناً حصيناً أولاً بأن ربوبيته شاملة لكل أحد، ومن يربّ يدبر أمر المربوب ويحفظه فلا حاجة له إلى كلاءة غيره وحفظه. ثم بأن كل ذي نفس تحت قهره وسلطانه أسير في يد تصرفه ومملكته وقدرته عاجز عن الفعل والقوة والتأثير في غيره لا حراك به بنفسه كالميت فلا حاجة إلى الاحتراز منه والتحفظ ثم بأنه ﴿على صِرَاطٍ مُسْتَقيم﴾ أي: على طريق العدل في عالم الكثرة الذي هو ظل وحدته فلا يسلط أحداً على أحد إلا عن استحقاق له لذلك بسبب ذنب وجرم ولا يعاقب أحداً من غير زلّة ولو صغيرة وقد يكون لتزكية ورفع درجة كالشهادة وفي ضمن ذلك كله نفي القدرة على النفع والضرّ عنهم وعن آلهتهم.

[٦٤ ـ ٦٨] ﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ
يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿ويا قوم هذه ناقة الله﴾ قد مرّ تأويل الناقة، وأما إنجاء صالح ومن معه على التأويل المذكور فكإنجاء عيسى عليه السلام من الصَلْب كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[١]، وفي قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٢]. وكإنجاء مؤمن

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة النساء، الآيات: ١٥٧ ـ ١٥٨.

آل فرعون على ما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾[1].

[٦٩ ـ ٨٥] ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ
بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا
أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)
قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ
الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ
يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨)
قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ
رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ
بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢)
مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)﴾

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبُشرىٰ﴾ إلى آخره، إن للنفوس الشريفة الإنسانية اتصالات بالمبادىء المجرّدة العالية والأرواح المقدّسة الفلكية من الأنوار القاهرة العقلية والنفوس المدبرة السماوية واختلاطات بالملأ الأعلى من أهل الجبروت وانخراطات في سلك الملكوت. ولكل نفس بحسب فطرتها مبدأ يناسبها من عالم الجبروت ومدبّر يربها من عالم الملكوت تستمد من الأول فيض العلم والنور، ومن الثاني مدد القوة والعمل كما أشار إليه قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)﴾[2] ومقرّ أصلي تأوي إليه من جناب اللاهوت إن تجرّدت، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أرواح الشهداء تأوي إلى قناديل من نور معلقة تحت العرش»، وكلما انجذبت إلى الجهة السفلية بالميل إلى اللذات الطبيعية احتجبت بغشاوتها عن ذلك الجناب

(١) سورة غافر، الآية: ٤٥.
(٢) سورة ق، الآية: ٢١.

وانقطع مددها من تلك الجهة من الأنوار الجبروتية والقوى الملكوتية، فضعفت في الإدراكات لاحتجابها عن قبول تلك الإشراقات. وفي المنّة والقوة لانقطاع مددها من تلك القوة. وكلما توجهت إلى الجهة العلوية بالتنزّه عن الهيئات البدنية، والتجرّد عن الملابس المادية، والتقرّب إلى الله تعالى، مبدأ المبادىء، ونور الأنوار بالزهد والعبادة.

والتشبث في المبادىء بالنظافة والنزاهة مقروناً عمله بالصدق في النية وإخلاص الطويّة أمدّه الله تعالى لمناسبته سكان حضرته من عالمهم إمداد النور والقوة، فتعلم ما لا يعلمه غيرها من أبناء جنسها وتقدر على ما لا يقدر عليه مثلها من بني نوعها، ويكون لها أوقات تنخرط فيها في سلكها بالانخلاع عن بدنها وأوقات تبعد فيها عنها بما هي ممنوّة به من تدبير جسدها. ففي أوقات اتصالها بها وانخراطها في سلكها قد تتلقى الغيب منها، إما كما هو على سبيل الوحي والإلهام والإلقاء في الروع والإعلام بمطالعة صورة الغيب المنتقشة هي بها منها، وإما على طريق الهتاف والإنهاء، وإما على صورة كتابة في صحيفة تطالعه منها وذلك بحسب جهة قبول لوح حسها المشترك واختصاصه بنوع بعض المحسوسات دون بعض للأحوال السابقة والاتفاقات العارضة. وقد يتراءى لها صور منها تناسبها في الحسن واللطافة فيتجسد لها إما بقوة تخيلها وظهورها في حسها المشترك لاستحكام الاتصال واستقراره ريثما تحاكيها المتخيلة، وإما بتمثلها في متخيلة الكل التي هي السماء الدنيا وانطباعها في متخيلتها بالانعكاس كما فيما بين المرايا المتقابلة فتخاطبها بصورة الغيب شفاهاً على ما يُرَىٰ في المنامات الصادقة من غير فرق، فإن الرؤيا الصادقة والوحي كلاهما من واد واحد لا تباين بينهما إلا بالنوم واليقظة، فإن صاحب الوحي يقدر على الغيبة من الحواس وإدراكاتها وعزلها عن أفعالها وتعطيلها في استعمالها فيتصل بالمجرّدات العلوية لقوة نفسه وحصول ملكة الاتصال لها، وصاحب الرؤيا الصادقة يقع له ذلك بحكم الطبع وتلك الرؤيا هي التي لا تحتاج إلى تعبير كما أشار إليه من رؤيا رسول الله ﷺ في القرآن بقوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[1] ولهذا جعل الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة، وكانت مقدمة وحيه المنامات الصادقة ستة أشهر ثم استحكمت وصارت إلى اليقظة. وقد تنتقل المتخيلة في الحالتين، أي: النوم واليقظة، إلى اللوازم، فيقع الاحتياج إلى التعبير والتأويل وقد يظهر على تلك النفس المتدربة بملكة الاتصال المتمرّنة فيها من خوارق العادات وأنواع الكرامات والمعجزات لوصول المدد من عالم القدرة ما ينكره من لا يعلمه من المحجوبين بالعادة

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

وأصحاب قسوة القلوب والجفوة والمحجوبين بالعقول الناقصة المشوبة بالوهم القاصرة عن بلوغ الحد وإدراك الحق، ويقبله من تنوّر قلبه بنور الهداية وعصم عن الضلالة والغواية استبصاراً وإيقاناً أو سلمت فطرته عن الحجب المظلمة والغباوة وخلصت عن الجهالة والغشاوة وتقليداً وإيماناً للين قلبه بالإرادة وقوة قبوله للصقالة، وذلك إما بتأييد نفسه من عالم الملكوت وتقويها بمبدأ الأبد والقوة كما قال علي عليه السلام عند قلعه باب خيبر: «والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، ولكن قلعته بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيّة». وإما بصدور ذلك عن تلك النفوس الملكوتية والمبادىء الجبروتية التي اتصل هو بها لإجابة دعوته بإطاعة الملكوت له بإذن الله تعالى وأمره وتقديره وحكمه وتسخيره. وقد دلت الآية على تمثل الملائكة لخليل الله عليه الصلاة والسلام وتجسدها على الحالات الثلاث: مخاطبتها إياه بالغيب الذي هو البشرى بوجود الولد، وإهلاك قوم لوط وإنجائه وتأييده بهم في خرق العادة من ولادة العجوز العقيم من الشيخ الفاني وتأثيرهم في إهلاك قوم لوط وتدميرهم بدعائه والله أعلم بحقائق الأمور.

﴿إني أراكُم بخير﴾ لما رأى شعيب عليه السلام ضلالتهم بالشرك واحتجابهم عن الحق بالجبت، وتهالكهم على كسب الحطام بأنواع الرذائل وتماديهم في الحرص على جمع المال بأسوأ الخصال منعهم عن ذلك وقال: إني أراكم بخير في استعدادكم من إمكان حصول كمال وقبول هداية فإني أخاف عليكم إحاطة خطيئاتكم بكم لاحتجابكم عن الحق ووقوفكم مع الغير وصرف أفكاركم بالكلية إلى طلب المعاش وإعراضكم عن المعاد، وقصور هممكم على إحراز الفاسدات الفانيات عن تحصيل الباقيات الصالحات، وانجذابكم إلى الجهة السفلية عن الجهة العلوية، واشتغالكم بالخواص البهيمية عن الكمالات الإنسية، فلازموا التوحيد والعدالة واعتزلوا عن الشرك والظلم الذي هو جماع الرذائل وأمّ الغوائل ﴿ولا تعثوا﴾ في إفسادكم أي: ولا تبالغوا ولا تمادوا في غاية الإفساد فإنّ الظلم هو الغاية في ذلك كما أن العدل هو الغاية في الصلاح وجماع الفضائل.

[٨٦ ـ ٨٧] ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

﴿بقية الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي: إن كنتم مصدّقين ببقاء شيء فما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخروية والمقتنيات العقلية والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية التي تشقون بها وتشقون على أنفسكم في كسبها وتحصيلها ثم

تتركونها بالموت ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبال التبعات والعذاب اللازم لما في نفوسكم من رواسخ الهيئات. ولما شاهد إنكارهم وعتوّهم في العصيان، واستهزاءهم بطاعته، وزهده وتوحيده وتنزّهه بقولهم: ﴿أصلاتك﴾ إلى آخره.

[٨٨ ـ ٩٠] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ
أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ (٩٠)﴾

﴿قال يقوم أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن كنت على﴾ برهان يقيني على التوحيد ﴿من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ من الحكمة العلمية والعملية والكمال والتكميل بالاستقامة في التوحيد، هل يصح لي أن أترك النهي عن الشرك والظلم والإصلاح بالتزكية والتحلية؟. وحذف جواب: أرأيتم، لما دل عليه في مثله كما مر في قصة نوح وصالح عليهما السلام وعلى خصوصيته هٰهنا من قوله: ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ إلى آخره، أي: أن أقصد إلى جرّ المنافع الدنيوية الفانية بارتكاب الظلم الذي أنهاكم عنه ﴿إن أريد إلا﴾ إصلاح نفسي ونفوسكم بالتزكية والتهيئة لقبول الحكمة ما دمت مستطيعاً وما كوني موفقاً للإصلاح ﴿إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

[٩١ ـ ١١١] ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا
رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ
جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ
قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ
بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ
أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ
شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ

مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ
وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ
مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه﴾ إنما لم يفقهوا لوجود الرين على قلوبهم بما كسبوا من الآثام وإنما منعهم خوف رهطه من رجمه دون خوف الله تعالى لاحتجابهم بالخلق عن الحق المسبب عن عدم الفقه كقوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾[(١)].

﴿فمنهم شقي وسعيدٌ﴾ لما أطلق الشقي والسعيد منكرين للتعظيم دل على الشقي والسعيد الأزليين الأبديين، ولما وصفهم في التقسيم التفصيلي استثنى عن خلود الشقي في النار وخلود السعيد في الجنة بقوله: ﴿إلا ما شاءَ ربك﴾ لأن المراد بالنار والجنة عذاب النفس بنار الحرمان عن المراد وآلام الهيئات والآثار وثواب النفس بجنة حصول المرادات واللذات وبالاستثناء عن الخلود فيهما خروج الشقيّ منها إلى ما هو أشدّ منه من نيران القلب في حجب الصفات والأفعال بالسخط والطرد والإذلال والإهانة، ونيران الروح بالحجب واللعن والقهر وخروج السعيد منها إلى ما هو ألّذ وأطيب من جنان القلب في مقام تجليات الصفات بالرضوان واللطف والإكرام والإعزاز وجنان الروح في مقام الشهود باللقاء وظهور سبحات الجلال، وما لا عين رأت، ولا أُذن سَمِعت، ولا خطر على قلب بشر، لكون الشقيّ في مقابلة السعيد وخروج السعيد من الجنة إلى النار محال، وقد دلّ عليه بقوله: ﴿عَطاء غير مَجْذُوذ﴾ أي: غير مقطوع، فكذا ما يقابله على أن قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ يشعر بذلك لكونه وعيداً شديداً. هذا لسان الأدب ومراعاة الظواهر في تحقيق البواطن، وأما الحقيقة فتحكم بأن الشقي لما كان في المراتب المذكورة في النار لم يخرج منها بل انتقل من طبقة منها إلى طبقة أخرى ومن دركة إلى دركة فكان في حكم الخلود فالمراد بالاستثناء غيره وهو أنه من حيث الأحدية مع ربّه والربّ آخذ بناصيته على صراط مستقيم يقوده ريح الدبور ـ التي هي هوىٰ نفسه ـ يسوقه إلى جهنم، فهو هنالك في عين القرب مع هوىٰ نفسه فيتلذذ بما

(١) سورة الحشر، الآية: ١٣.

يوافقه فتصير عين النعيم، فزال مسمىٰ النار في حقه وصار جنة لتلذذه به وإن كان بعيداً عن نعيم السعيد كما جاء في الحديث: «سينبت في قعر جهنم الجرجير». وفيه: «يأتي على جهنم زمان يصفق أبوابها ليس فيها أحد». وكذا السعيد، فإن انتقاله في الجنان ودرجاتها والخروج بحكم الاستثناء غير ذلك فهو بفنائه في أحدية الذات واحتراقه بلوعة العشق في سبحات الجمال حيث كان الحق شاهداً ومشهوداً لا في مقام المشاهدة بوجود الروح بل بالشهود الذاتي الأحدي الذي لم يبق فيه لغيره عين ولا أثر ولا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وإن جعل التنكير في قوله: ﴿شقي وسعيد﴾ للنوعية لا للتعظيم، جاز تأويل خروج الشقي من النار بالترقي إلى الجنة من مقامه بزكاء نفسه عن الهيئات المظلمة وتبعات المعاصي وحينئذ لا يكون شقيّ الأبد.

[١١٢] ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

﴿فَٱسْتَقِم كما أمِرت﴾ في القيام بحقوق الله بالله، فإنه عليه الصلاة والسلام مأمور بمحافظة حقوق الله والتعظيم لأمره والتسديد لخلقه بضبط أحكام التجليات الصفاتية بعد الرجوع إلى الخلق مع شهود الوحدة الذاتية بحيث لا يتحرك ولا يسكن ولا ينطق ولا يتفكّر إلا به من غير ظهور تلوين من بقايا صفاته أو ذاته ولا يخطر له خاطر بغيره من غير إخلال بشرط ما من شرائط التعظيم كما قال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» حين تورمت قدماه من قيام الليل وقيل له: أما بشرك الله بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]؟، ولا بدقيقة من باب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف والإنذار والدعوة وذلك في غاية الصعوبة. ولهذا قال: «شيبتني سورة هود». قيل: رأى رسول الله ﷺ بعض العرفاء في المنام، فسأله عن ذلك وقال: لماذا يا رسول الله؟ ألقصص الأنبياء وما نزل بأممهم المكّذبين من العذاب وما كانوا يقاسون من أممهم؟، قال: «لا، بل لقوله تعالىٰ: ﴿فاستقم كما أمرت﴾». ﴿ومن تاب﴾ عن أنيته وذنب وجوده ﴿معك﴾ من الموحدين الواصلين إلىٰ شهود الكثرة في عين الوحدة ومقام البقاء بعد الفناء ﴿ولا تطغوا﴾ بالاحتجاب بحجاب الأنائية ونسبة الكمالات الإلٰهية المطلقة إلى أنائيتكم المشخصة المقيدة برؤيتها لكم، الموجبة للاحتجاب بالتقيد عن الإطلاق، فإن الهوية الإلٰهية لا تتقيد بإشارة الهذية والأنائية ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ أتعملونه بي أم بأنفسكم؟.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ أي: أشركوا بهوى كامن، ناشىء عن وجود بقية خفية أو التفات خفيّ إلى إثبات غيره، فإنه هو الزيغ المقارن للطغيان في قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[1]، ﴿فتمسّكم﴾ نار السخط والحرمان بالاحتجاب والتعذيب بالفراق من نيران غيرة المحبوب، كما قال تعالى لحبيبه ﷺ: «بشر المذنبين بأني غفور، وأنذر الصديقين بأني غيور» ولهذا المعنى قال: «والمخلصون على خطر عظيم». فإن دقائق ذنوب أحوالهم أدقّ من أن تُدرك بالعقل وأشد عقاباً من أن تتوهم بالوهم ﴿وما لكم﴾ حينئذ ﴿من دون الله من أولياء﴾ يتولونكم من عقابه ويدبرون أموركم ويربونكم ﴿ثم لا تُنصَرون﴾ من بأسه، وهذا تهديد لأوليائه فكيف بأعدائه.

[١١٤ ـ ١١٧] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وأقِمِ الصلوٰة طرفي النهار﴾ لما كانت الحواس الخمس شواغل تشغل القلب بما يرد عليه من الهيئات الجسمانية، وتجذبه عن الحضرة الرحمانية، وتحجبه عن النور، والحضور بالإعراض عن جناب القدس والتوجه إلى معدن الرجس، وتبدّله الوحشة بالأنس، والكدورة بالصفاء، فرضت خمس صلوات يتفرغ فيها العبد للحضور ويسدّ أبواب الحواس لئلا يردّ على القلب شاغل يشغله ويفتح باب القلب إلى الله تعالى بالتوجه والنية لوصول مدد النور ويجمع همّه عن التفرّق ويستأنس بربّه عن التوحش مع اتحاد الوجهة، وحصول الجمعية، فتكون تلك الصلوات خمسة أبواب مفتوحة للقلب على جناب الربّ يدخل بها عليه النور بأزاء تلك الخمسة المفتوحة إلى جناب الغرور ودار اللعين الغرور التي تدخل بها الظلمة ليذهب النور الوارد آثار ظلماتها ويكسح غبار كُدُوراتها، وهذا معنى قوله: ﴿إنّ الحسنات يذهبنَ السيئات﴾ وقد ورد في الحديث: «إنّ الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر». وأمر بإقامتها في طرفي النهار لينسحب حكمها ببقاء الجمعية واستيلاء الهيئة النورية في أوله إلى سائر الأوقات، فعسى أن يكون من: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2] لدوام ذلك الحضور، وبقاء ذلك النور يكسح ويزيل في آخره ما حصل في سائر الأوقات من التفرقة

(١) سورة النجم، الآية: ١٧.
(٢) سورة المعارج، الآية: ٢٣.

والكدورة. ولما كانت القوى الطبيعية المدبّرة لأمر الغذاء سلطانها في الليل وهي تجذب النفس إلى تدبير البدن بالنوم عن عالمها الروحاني وتحجزها عن شأنها الخاص بها الذي هو مطالعة الغيب ومشاهدة عالم القدس يشغلها باستعمال آلات الغذاء لعمارة الجسد، فتسلبها اللطافة والطراوة وتكدرها بالغشاوة. واحتيج إلى تلطيفها وتصفيتها باليقظة وتنويرها وتطريتها بالصلاة فقال: ﴿وزلفاً من الليل﴾ ذلك الذي ذكر من إقامة الصلاة في الأوقات المذكورة وإذهاب السيئات بالحسنات تذكير لمن يذكر حاله عند الحضور مع الله في الصفاء والجمعية والأنس والذوق ﴿واْصْبِرْ﴾ بالله في الاستقامة ومع الله في الحضور في الصلاة وعدم الركون إلى الغير ﴿فإنّ الله لا يضيع أجرَ المُحسنين﴾ الذين يشاهدونه في حال القيام بحقوق الاستقامة ومراعاة العدالة والقيام بشرائط التعظيم في العبادة.

[١١٨ ـ ١٢٣] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة﴾ متساوية في الاستعداد متفقة على دين التوحيد ومقتضى الفطرة ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الوجهة والاستعداد ﴿إلا من رحم ربّك﴾ بهدايته إلى التوحيد وتوفيقه للكمال، فإنهم متفقون في المذهب والمقصد وموافقون في السيرة والطريقة، قبلتهم الحق، ودينهم التوحيد والمحبة ﴿ولذلك﴾ الاختلاف ﴿خلقهم﴾ ليستعدّ كل منهم لشأن وعمل، ويختار بطبعه أمراً وصنعة، ويستتبّ بهم نظام العالم، ويستقيم أمر المعاش، فهم محامل لأمر الله حمل عليهم حمول الأسباب والأرزاق وما يتعيش به الناس، ورتّب بهم قوام الحياة الدنيا كما أن الفئة المرحومة مظاهر لكماله، أظهر الله بهم صفاته وأفعاله وجعلهم مستودع حكمه ومعارفه وأسراره. ﴿وتمّت كلمة ربّك﴾ أي: أحكمت وأبرمت وثبتت وهي هذه ﴿لأملأنّ جهنم من الجِنة والناس أجمعين﴾ لأنّ جهنم رتبة من مراتب الوجود لا يجوز في الحكمة تعطيلها وإبقاؤها في كتم العدم مع إمكانها.

﴿وكلاً نَقُص عليكَ من أنْباء الرسل ما نُثبت به فؤادك﴾ أي: لما أطلعناك على مقاساتهم الشدائد من أمّتهم مع ثباتهم في مقام الاستقامة وعدم مزلتهم عنه وعلى معاتباتهم عند تلويناتهم وظهور شيء من بقياتهم كما في قصة نوح عليه السلام من سؤال إنجاء الولد، وعلى

قوة ثباتهم وشجاعتهم في يقينهم وتوكلهم كما في قصة هود عليه السلام من قوله: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[1] إلى قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2]، وعلى كمال كرمهم وفضيلتهم في العتوّ كما في قصة لوط عليه السلام من تفدية البنات لحفظ الأضياف من السوء، ثبت قلبك في ذلك كله واستحكمت استقامتك وقوي تمكينك بذهاب آثار التلوين عنك وقوي توكلك ورضاك ويقينك وشجاعتك، وكَمُلَ خلقك وكرمك ﴿وجاءك في هذه﴾ السورة ﴿الحق﴾ أي: ما يتحقق به اعتقاد المؤمنين ﴿وموعظة﴾ لهم يحترزون بها عما أهلك به الأمم، وتذكير لما يجب أن يتدينوا به ويجعلوه طريقهم وسيرتهم والله أعلم.

(١) سورة هود، الآية: ٥٤.
(٢) سورة هود، الآية: ٥٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة يوسف ﴾

[١ ـ ٥] ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾

﴿الر تِلكَ آيات الكتاب المُبين﴾ مرّ ذكره ﴿أحسن القِصَص﴾ لكون لفظه وتركيبه إعجازاً، وظاهر معناه مطابقاً للواقع وباطنه دالاً على صورة السلوك وبيان حال السالك كالقصص الموضوعة لذلك وأشدّ طباقاً، وأحسن وفاقاً منها ﴿يا أبت إني رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً﴾ إلى آخره، هذه من المنامات التي ذكرنا في سورة (هود) أنها تحتاج إلى تعبير لانتقال المتخيلة من النفوس الشريفة التي عرض على النفس من الغيب سجودها له إلى الكواكب والشمس والقمر وما كانت في نفس الأمر إلا أبويه وإخوته ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كَيداً﴾ هذا من الإلهامات المجملة، فإنه قد يلوح صورة الغيب من المجردات الروحانية على الوجه الكلي العالي عن الزمان في الروح ويصل أثره إلى القلب ولا يتشخص في النفس مفصلاً حتى يقع العلم به كما هو فيقع في النفس منه خوف واحتراز، إن كان مكروهاً، وفرح وسرور إن كان مرغوباً. ويسمى هذا النوع من الإلهام: إنذارات وبشارات، فخاف عليه السلام من وقوع ما وقع قبل وقوعه، فنهاه عن إخبارهم برؤياه احترازاً. ويجوز أن يكون احترازه كان من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته وزيادة قدره على إخوته، فخاف من حسدهم عليه عند شعورهم بذلك.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وكذلك يَجتَبيك ربك﴾ أي: مثل ذلك الاصطفاء بإراءة هذه الرؤيا العظيمة الشأن، يصطفيك للنبوّة إذ الرؤيا الصادقة، خصوصاً مثل هذه من مقدّمات النبوة، فعلم من رؤياه أنه من المحبوبين الذين يسبق كشوفهم سلوكهم ﴿ويتمّ نِعمته عليك﴾ بالنبوّة والمُلْك.

[٧ ـ ٣٢] ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ

أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ
لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي
غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ
وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن
تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ
عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا
نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾
وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ
فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ
لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ
أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن
يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ
قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ
أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ
بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ
أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي
لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ
ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيت للسائلين﴾ أي: آيات معظمات لمن يسأل عن قصتهم ويعرفها تدلهم أولاً على أن الاصطفاء المحض أمر مخصوص بمشيئة الله تعالى لا يتعلق بسعي ساع ولا إرادة مريد، فيعلمون مراتب الاستعدادات في الأزل. وثانياً: على أنّ من أراد الله به خيراً لم يكن لأحد دفعه ومن عصمه الله لم يكن لأحد رميه بسوء ولا قصده بشرّ، فيقوى يقينهم وتوكلهم ويشهدون تجليات أفعاله وصفاته. وثالثاً: على أنّ كيد الشيطان وإغواءه أمر لا يأمن منه أحد حتى الأنبياء، فيكونون منه على حذر، وأقوى من ذلك كله أنها تطلعهم من طريق الفهم الذي هو الانتقال الذهني على أحوالهم في البداية والنهاية وما بينهما وكيفية سلوكهم إلى الله فتثير شوقهم وإرادتهم وتشحذ بصيرتهم وتقوّي عزيمتهم وذلك أن مثل يوسف مثل القلب المستعدّ الذي هو في غاية الحسن، المحبوب، الموموق إلى أبيه يعقوب العقل، المحسود من إخوته من العلات، أي: الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والغضب والشهوة بنى النفس إلا الذاكرة، فإنها لا تحسده ولا تقصده بسوء، فبقيت إحدى عشرة على عددهم. وأما حسدهم عليه وقصدهم بالسوء فهو أنها تنجذب بطبائعها إلى لذاتها ومشتهياتها وتمنع استعمال العقل القوة الفكرية في تحصيل كمالات القلب من العلوم والأخلاق، وتكره ذلك ولا تريد إلا استعماله إياها في تحصيل اللذات البدنية ومشتهيات تلك القوى الحيوانية. ولا شك أن الفكر نظره إلى القلب أكثر، وميله إلى تحصيل السعادات القلبية من العلوم والفضائل أشدّ وأوفر، وذلك معنى قولهم: ﴿ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا﴾ وأخوه هو: القوّة العاقلة العملية من أمّ يوسف القلب التي هي راحيل النفس اللوامة التي تزوّجها يعقوب القلب بعد وفاة ليا النفس الأمّارة، وإنما قالوا ليوسف وأخوه لأن العقل كما يقتضي تكميل القلب بالعلوم والمعارف يقتضي تكميل هذه القوة باستنباط أنواع الفضائل من الأخلاق الجميلة والأعمال الشريفة ونسبتهم إياه إلى الضلال الذي هو البعد عن الصواب بقولهم: ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ قصورها عن النظر العقلي وبعد طريقه عن طريقتها في تحصيل الملاذ البدنية وإلقاؤهم إياه في غيابة الجبّ استيلاؤها على القلب وجذبها إياه إلى الجهة السفلية بحدوث محبّة البدن وموافقاته له حتى ألقي في قعر جبّ الطبيعة البدنية، إلا أنه أُلبِسَ قميصاً من الجنة أتى به جبريل إبراهيم عليهما السلام يوم جرّد وأُلقِيَ في النار، فألبسه إياه وورثه إسحق وورثه منه يعقوب فعلقه في تميمة على عنقه، فأتاه جبريل عليه السلام في البئر فأخرجه وألبسه إياه، وإلا لغمره الماء وظهرت عورته، كما قيل. وهو إشارة إلى صفة الاستعداد الأصلي والنور الفطريّ وذلك هو الذي منع إبراهيم عن النار وحماه بإذن الله حتى صارت عليه برداً وسلاماً. واستنزالها العقل إلى الفكر في باب المعاش وتحصيل أسبابه والتوجه نحوه هو معنى قولهم:

﴿يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ أي: في ترتيب المعاش وتهيئة

أسبابه على حسب المراد. ومراودتها للعقل عن القلب بالتسويلات الشيطانية والتعزيرات النفسانية مع كراهية العقل لذلك هو معنى قولهم عند مراودة يعقوب عنه: ﴿**أرسله معنا غداً يَرْتعْ ويَلعبْ**﴾ وافتراؤهم على الذئب هو أنّ القوة الغضبية إذا ظهرت واستشاطت حجبت القلب بالكلية عن أفعاله الخاصة به. والظاهر من حالها أنها أقوى إضراراً به وإبطالاً لفعله وحجباً له الذي هو معنى الأكل مع أن القوة الشهوانية والحواس وسائر القوى أشدّ نكاية في القلب وأضرّ به في نفس الأمر وأجذب له إلى الجهة السفلية وأشدّ إباء وامتناعاً من قبول السياسات العقلية وطاعة الأوامر والنواهي الشرعية وإذعان القلب بالموافقة في طلب الكمالات الروحية منها، وظهور ذلك الأثر من القوة الغضبية مع كونه بخلاف ذلك في الحقيقة هو الدم الكذب على قميصه وابيضاض عين يعقوب في فراقه عبارة عن كلال البصيرة وفقدان نور العقل عند كون يوسف القلب في غيابة جبّ الطبيعة، وبعض السيّارة الذي أخرجه من البئر هو القوّة الفكرية وشراؤه من عزيز مصر.

﴿**بثمن بخسٍ دراهم معدودة**﴾ تسليمهم له إلى عزيز الروح الذي هو من مصر مدينة القدس بما يحصل للقوة الفكرية من المعاني والمعارف الفائضة عليها من الروح عند استنارتها بنوره وقربها منه، فإن القوة الفكرية لما كانت قوة جسمانية، والقلب ليس بجسماني، لم تصل إلى مقامه إلا عند كونه مغشىً بغشاوات النفس في مقام الصدر أي: الوجه الذي يلي النفس منه. وأما إذا تجرّد في مقام الفؤاد أو وصل إلى مقام الروح الذي سموه السرّ فتتركه عند عزيز الروح وتسلمه إليه وتفارقه على الدريهمات التي تحصل لها بقربه من المعاني المذكورة.

وامرأة العزيز المسماة زليخاء التي أوصى إليها به بقوله: ﴿**أكرمي مثواه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولداً**﴾ هي النفس اللوّامة التي استنارت بنور الروح ووصل أثره إليها ولم تتمكن في ذلك ولم تبلغ إلى درجة النفس المطمئنة وتمكين الله إياه في الأرض إقداره بعد التزكية والتنوّر بنور الروح على مقاومة النفس والقوى وتسليطه على أرض البدن باستعمال آلاته في تحصيل الكمالات وسياستها بالرياضات حتى يخرج ما في استعداده من الكمال إلى الفعل كما قال: ﴿**ولنعلمه من تأويل الأحاديث**﴾ أي: ولنعلمه فعلنا ما فعلنا به من الإنجاء والتمكين ﴿**والله غالبٌ علىٰ أمره**﴾ بالتأييد والتوفيق والنصر حتى يبلغ غاية كمال أشدّه من مقامه الذي يقتضيه استعداده فيؤتيه العلم والحكمة كما قال: ﴿**ولما بَلَغ أشُدّه آتيناه حكماً وعلماً**﴾ والأشدّ هو نهاية الوصول إلى الفطرة الأولى بالتجرّد عن غواشي الخلقة الذي نسميه مقام الفتوة ﴿**ولٰكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ أن الأمر بيد الله في ذلك، فيضيفون إلى السعي والاجتهاد والتربية، ولا يعلمون أنّ السعي والاجتهاد والتربية والرياضة أيضاً من عند الله جعلها الله أسباباً ووسايط

لما قدّره، ولذلك لم يعزلها وقال بعد قوله: ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾.

﴿وكذٰلك نجزي المُحْسنين﴾ في الطلب والإرادة والاجتهاد والرياضة، ومراودة زليخاء إياه عن نفسه وتغليقها الأبواب عليه إشارة إلى ظهور النفس اللوّامة بصفتها. فإنّ التلوين في مقام القلب يكون بظهور النفس كما أن التلوين في مقام الروح يكون بوجود القلب وجذبها للقلب إلى نفسها بالتسويل والاستيلاء عليه وتزيين صفاتها ولذاتها، وسدّها طرق مخرجه إلى الروح بحجبها مسالك الفكر ومنافذ النور بصفاتها الحاجبة وهمه بها ميل القلب إليها لعدم التمكين والاستقامة ورؤيته لبرهان ربه إدراك ذلك التلوين بنور البصيرة ونظر العقل كما قيل في القصة: تراءى له أبوه، فمنعه أو صوّت به، وقيل: ضرب بكفه في نحره فخرجت شهوته من أنامله وذهبت، كل ذلك إشارة إلى منع العقل إياه عن مخالطة النفس بالبرهان ونور البصيرة والهداية وتأثيره فيه بالقدرة والأيد النوريّ الموجب لذهاب شهوتها وظلمتها النافذ فيها إلى أطرافها المزيل عنها بالهيئة النورية الهيئة الظلمانية، وقدّ قميصه من دبر إشارة إلى خرقها لباس الصفة النورية التي له من قبل الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة بتأثيرها في القلب بصفتها، فإنها صفة يكسبها القلب بالجهة التي تلي النفس المسماة بالصدر وهو الدبر لا محالة.

وقوله: ﴿ألفيا سيدها لدى الباب﴾ إشارة إلى ظهور نور الروح عند إقبال القلب إليه بواسطة تذكر البرهان العقلي وورود الوارد القدسي عليه، واستتباعه للنفس وهي تنازعه بالجذب إلى جهتها واستيلائه على القلب ثم على النفس بواسطته. وقولها: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءً﴾ تلويح إلى أن النفس تسوّل أغراضها في صور المصالح العقلية وتزينها بحيث تشتبه مفاسدها بالمصالح العقلية التي يجب على العقل مراعاتها والقيام بها وموافقتها فيها ومخالفته إياها فيها إرادة السوء بها ومقابحها بالمحاسن التي تتعلق بالمعاش كمماكرة النساء بالرجال وميل القلب إلى الجهة العلوية يكذب قولها ودعواها، والشاهد الذي شهد من أهلها قيل كان ابن عمّ لها، أي: الفكر الذي يعلم أنّ الفساد الواقع من جهة الأخلاق والأعمال لا يكون إلا من قبل النفس واستيلائها، إذ لو كان من جهة القلب وميله إلى النفس لوقع في الاعتقاد والعزيمة لا في مجرّد العمل. وقيل كان ابن خالتها، أي: الطبيعة الجسمانية التي تدلّ على الميل السفلي في النفس الجاذب للقلب من جهة الصدر المباشر للعمليات إلى أرض البدن وموافقاته واطلاع الروح بنور الهداية، على أن الخلل وقع في العمل لا في العقد والعزيمة وذلك لا يكون إلا من قبل الداعية النفسانية، وهو معنى قوله: ﴿فلما رأىٰ قَمِيصه قُدّ من دُبُر قال إنه من كيدكنّ إنّ كيدكنّ عظيم﴾.

وقوله: ﴿يوسف أعْرِضْ عن هٰذا واسْتَغفري لِذَنبك﴾ إشارة إلى إشراق نور الروح على

القلب وانجذابه إلى جانبه للنازل النوريّ والخاطر الروحي الذي يصرفه عن جهة النفس ويأمره بالإعراض عن عملها ويذكره لئلا يحدث الميل مرة أخرى. وتأثير ذلك الوارد والخاطر في النفس بالتنوير والتصفية فإن تنوّرها بنور الروح المنعكس إليها من القلب استغفارها عن الهيئة المظلمة التي غلبت بها على القلب، ولما بلغ القلب هذا المنزل من الاتصال بالروح والاستشراق من نوره وتنوّرت النفس بشعاع نور القلب وتصفت عن كدوراتها عشقته للاستنارة بنوره، والتشكّل بهيئته، والتقرّب إليه، وإرادة الوصول إلى مقامه لا لجذبه إلى نفسه وقضاء وطرها منه باستخدامها إياه في تحصيل اللذات الطبيعية واستنزالها إياه عن مقامه ومرتبته إلى مرتبتها ليتشكل بهيئتها ويشاركها في أفعالها ولذاتها، كما كانت عند كونها أمّارة فتتأثر قواها حينئذ حتى القوىٰ الطبيعية بتأثرها، وذلك معنى قول نسوة المدينة:

﴿اَمْرَأةُ العَزِيز تُرَاوِدُ فَتَاها عن نَفسه قد شَغَفَها حبّاً﴾ وكلما استولىٰ القلب عليها بهيئته النورية وحسنه الذاتي الفطري والصفاتي الكسبيّ من الترقي إلى مجاورة الروح وبلوغه منزل السرّ، استنارت جميع القوى البدنية بنوره لاستتباعه للنفس واستتباعها إياه، فشغلت عن أفعالها وتحيرت ووقفت عن تصرفاتها في الغذاء وذهلت عن سكاكين آلاتها التي كانت تدبر بها أمر التلذذ والتغذي والتفكه، وجرحت قدرتها التي تستعمل بها الآلات في تصرفاتها وبقيت مبهوتة في متكآتها التي هي محالها في أعضاء البدن التي هيأتها لها النفس في قراها وهو معنى قوله: **﴿فلما رأينه أكْبَرنه وقطعن أيديهنّ وقلن حاشا لله ما هذا بشراً إن هٰذا إلا ملك كريم﴾** وقولها: **﴿أخرج عليهن﴾** استجلاؤها لنوره بالإرادة واقتضاؤها طلوعه عليها بحصول استعداد التنوّر لها. ولما انخرطت النفس في سلك إرادة القلب، وقلّت منازعتها إياه في عزيمة السلوك، وتمرّنت لمطاوعته حان وقت الرياضة بالدخول في الخلوة لتجرّد القلب حينئذ عن علائقه وموانعه وتجريده عزمه بانتفاء التردد إذ بتردّد العزم بانجذابه إلى جهة النفس تارة وإلى جهة الروح أخرى لا تمكن الرياضة ولا السلوك ولا تصح الخلوة لفقدان الجمعية التي هي من شرطها وهذه الرياضة ليست رياضة النفس بالتطويع فإنها لا تحتاج إلى الخلوة بل إلى ترك ارتكاب المخالفات والإقدام على كسرها وقهرها بالمقاومات من أنواع الزهد والعبادة إنما هي رياضة القلب بالتنزّه عن صفاته وعلومه وكمالاته وكشوفه في سلوك طريق الفناء وطلب الشهود واللقاء وذلك بعد العصمة من استيلاء النفس عليه كما قالت: **﴿ولقد رَاوِدْته عن نَفسه فَاْسْتَعْصم﴾** طلب العصمة من نفسه واستزادها **﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾** من إيفاء حظي ليمنعنّ من اللذات البدنية وروح الهوى والمدركات الحسيّة بالخلوة والانقطاع عنها **﴿وليكوناً من الصاغرين﴾** لفقدان كرامته وعزّته عندنا واختذالنا عنه واعتزاله عن رياسة الأعوان والخدم في البدن. ولما حببت إليه الخلوة كما حببت إلى رسول الله ﷺ عند التحنث في حراء.

[٣٣ ـ ٣٤] ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قال ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه﴾ وإنما قال: ﴿مما يدعونني إليه﴾، ودعا ربّه أن يصرف عنه كيدهنّ بقوله: ﴿وإلا تَصْرف عني كيدهنّ أصب إليهنّ وأكن من الجاهلين﴾ لأنّ في طباعها الميل إلى الجهة السفلية وجذب القلب إليها وداعية استنزاله إليها بحيث لا يزول أبداً، وتنوّرها بنوره وطاعتها له أمر عارضي لا يدوم والقلب يمدّها في أعمالها دائماً فإنه ذو طبيعتين وذو وجهين ينزع بإحداهما إلى الروح وبالأخرى إلى النفس، ويقبل بوجه إلى هذه وبوجه إلى هذه، فلا شيء أقرب إليه من الصبوة إليها بجهالته لو لم يعصمه الله بتغليب الجهة العليا وإمداده بأنوار الملأ الأعلى كما قال النبي عليه السلام: «اللهمّ ثبّت قلبي على دينك»، قيل له: أو تقول ذلك وأنت نبيّ يوحىٰ إليك؟ قال ﷺ: «وما يؤمنني إنّ مثل القلب كمثل ريشة في فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت». وذلك الدعاء هو صورة افتقار القلب الواجب عليه أبداً ﴿فاستَجاب له ربّه فَصَرَف عنه كيدهنّ﴾ أي: أيدّه بالتأييد القدسيّ وقوّاه بالإلقاء السبوحيّ فصرف وجهه عن جناب الرجس إلى جناب القدس، ودفع عنه بذلك كيدهنّ ﴿إنه هو السميعُ﴾ لمناجاة القلب في مقام السرّ ﴿العليمُ﴾ بما ينبغي أن يفعل به عند افتقاره إليه.

[٣٥ ـ ٥٧] ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم

بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ
سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا
حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ
لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ
ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ
رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ
مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ
بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ
قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿**ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه**﴾ أي: ظهر لعزيز الروح ونسوة النفس والقوى وأعوان الروح من العقل والفكر وغيرهما رأي متفق عليه من جميعها وهو ليسجننه، أي: ليتركنه في الخلوة التي هي أحب إليه. أما الروح فلقهره إياه بنور الشهود ومنعه عن تصرفاته وصفاته، وأما النفس وسائر القوى فلامتناعها عن استجذابه إليها من بعدما رأوا آيات العصمة وصدق العزيمة وعدم الميل إليها وبهره عليها بنوره وإخلاصه في الافتقار إلى الله وإلا لما خلته وشأنه في الخلوة، وأما الوهم فلانهزامه عن نوره وفراره من ظله عند التصلب في الدين والتعوّد بالحق. وأما العقل فلتنوّره بنور الهداية، وأما الفكر فلحصول سلطانه في الخلوة، والفتيان اللذان دخلا معه السجن أحدهما قوّة المحبة الروحية اللازمة له وهو شرابيّ الملك الذي يسقيه خمر العشق كما قيل في القصة: إنه كان شرابيه، والثاني: هوى النفس التي لا تفارقه أيضاً بحال، فإنّ الهوى حياة النفس الفائضة إليها منه لاستبقائها وهو خبّاز الملك الذي يدبر الأقوات في المدينة كما قيل وهما يلازمانه في الخلوة دون غيرهما. ومنام الشرابيّ في قوله: ﴿**إني أراني أعصر خمراً**﴾ اهتداء قوة المحبة إلى عصر خمر العشق من كرم معرفة القلب في نوم الغفلة عن الشهود الحقيقي ومنام الخبّاز في قوله: ﴿**إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه**﴾ توجه الهوى بكليته إلى تحصيل لذات طير القوىٰ النفسانية وحظوظها وشهواتها، وشبّهت بالطير في جذب ما تجذبه من الحظوظ لسرعة حركتها نحوه.

وقوله: ﴿**لا يأتيكما طعام ترزقانه**﴾ الخ، إشارة إلى منعه إياهما عن حظوظهما إلا بعد

تبيينه لهما ما يؤول إليه أمرهما من شأنهما الذي يجب لهما القيام به بالسياسة والتسديد والتقويم والإصلاح وإظهار التوحيد لهما بقوله: ﴿إني تركت﴾ إلى آخره، بعثه إياهما على القيام بالأمر الإلٰهيّ الضروري وترك الفضول والامتناع عن تفرّق الوجهة وتشتت الهمّ، فإنّ خاصية الهوى التفرقة والتوزع وتعبد الشهوات المختلفة للقوىٰ المتنازعة، وخاصية المحبة في البداية وقبل الوصول إلى النهاية التعلق بحسن الصفات والتعبد لها دون جمال الذات، فدعاهما إلى التوحيد بقوله: ﴿إني تَرَكت ملّة قوم لا يؤمنون بالله﴾ أي: المشركين، العابدين لأوثان صفات النفس بل لوجود القلب وصفاته ﴿وَهم بالآخِرةِ﴾ أي: وهم عن البقاء في العالم الروحاني محجوبون، وبقوله: ﴿ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾.

وبقوله: ﴿أأرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحدِ القهار﴾ أي: إذا كان لكل منكما أرباب كثيرة كما قال تعالى: ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾(١) يأمره هذا بأمر وهذا بأمر متمانعون في ذلك، عاجزون إمّا للمحبة فكالصفات والأسماء، وإما للهوىٰ فكالقوىٰ النفسانية كان خيراً له أم ربّ واحد لا يأمره إلا بأمر واحد، كما قال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾(٢)، قهار، قويّ، يقهر كل أحد، لا يمانعه في أمره شيء، ولا يمتنع عليه. وأجبرهما بالسياسة على اتحاد الوجهة، فإنّ القلب إذا غلبت عليه الوحدة امتنعت محبته عن حب الصفات وانصرفت إلى الذات، وإذا تمرّن في التوحيد انقمع هواه عن تعبد الحظوظ والشهوات والتفرّق في تحصيل اللذات واقتصر على الحقوق والضرورات بأمر الحقّ لا بطاعة الشيطان.

وقوله: ﴿أمّا أحدكما فيسقي ربّه خَمراً﴾ تعيين لشأن الأول بعد السياسة بالمنع عن الشرك وهو تسليط حب اللذات على الروح ﴿وأما الآخر فيُصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ بيان لما يؤول إليه أمر الثاني. وصلبه: منعه عن أفعاله بنفسه وقمعه عن مقتضاه وتثبيته وتقريره على جذع القوة الطبيعية النباتية بحيث لا تصرّف للمتخيلة فيه ولا له فيها ولا في سائر القوىٰ الحيوانية وذلك هو إماتة الهوىٰ، فتأكل بعد الإماتة والصلب طير قوى النفس من رأسه بأمر الحق وهو الوقوف مع الحقوق ﴿قُضِي الأمرُ الذي فيه تَستَفْتِيان﴾ أي: ثبت واستقرّ أمركما على هذا وذلك وقت وصوله وتقرّبه من الله وأوان ظهور مقام الولاية بالفناء في الله. وإذا تمكنت القوّتان فيما عينه لهما من الأمر تم أمره بالوصول إلى مقام الشهود الذاتي وانقضت خلوته، فإنّ طول مدة السجن هو امتداد سلوكه في الله، فإذا تمّ له الفناء استوى أمر القوتين لكونهما بالله حينئذ لا بنفسهما وانتهى زمان الخلوة بابتداء زمان البقاء بالوجود الحقانيّ، ولكن

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.
(٢) سورة القمر، الآية: ٥٠.

لم يتم بعد لوجود البقية المشار إليها بقوله:

﴿اذْكُرني عِند ربِّك﴾ أي: اطلب الوجود في مقام الروح بالمحبة والاستقرار فيه، فإنّ المحبة إذا أسكرت الروح بخمر العشق ارتقىٰ الروح إلى مقام الوحدة والقلب إلى مقام الروح، ويسمى الروح في ذلك المقام خفياً والقلب سراً، وهو ليس بالفناء لكونهما موجودين حينئذ مغمورين بنور الحق. ومن الوقوف في هذا المقام ينشأ الطغيان والأنانية فلهذا قال: ﴿فأنساه الشيطان ذِكر ربّه﴾ أي: أنسى شيطان الوهم يوسف القلب ذكر الله تعالى بالفناء فيه لوجود البقية وطلبه مقام الروح وإلا ذهل عن ذكر نفسه ووجوده وللاحتجاب بهذا المقام وهذه البقية لبث ﴿في السجن بضع سِنين﴾ وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل اذكرني عند ربّك لما بقي في السجن بضع سنين»، أو أنسىٰ شيطان الوهم المقهور الممنوع المحجوب عن جناب الحق رسول المحبة المقرب عند ارتفاع درجته واستيلائه واستعلاء سلطانه، والتحيّر في الجمال الإلٰهي، والسكْر الغالب ذكر يوسف القلب في حضرة الشهود لأن المحب المشاهد للجمال حيران ذاهل عن الخلق كله وتفاصيل وجوده بل نفسه مستغرق في عين الجمع حتى يتم فناؤه وينقضي سكره ثم يرجع إلى الصحو فيذكر التفصيل ثم لما انتهى فناؤه بالانغماس في بحر الهوية والانطماس في الذات الأحدية وانقضى زمان السجن أحياه الله تعالى بحياته ووهب له وجوداً من ذاته وصفاته فأراه صورة التبديل في صفات النفس مدّة اعتزاله عنها بالخلوة والسلوك في الله بصورة أكل البقرات العجاف السمان، وفي صفات الطبيعة البدنية بصورة استيلاء السنبلات اليابسة على الخضر والملك الذي قال:

﴿إني أرىٰ﴾ قيل: هو ريان بن الوليد الذي مَلك قطفير على مصر وولاّه عليها لا العزيز المسمّى قطفير، وإن كان العزيز بلسان العرب هو الملك فعلى هذا يكون الملك إشارة إلى العقل الفعال ملك ملوك الأرواح المسمّى روح القدس، فإن الله تعالى لا يحيي أهل الولاية عند الفناء التامّ الذي هو بداية النبوّة إلا بواسطة نفخه ووحيه وبالاتصال به تظهر التفاصيل في عين الجمع ولهذا قالوا لما دخل عليه كلمه بالعبرانية فأجابه بها وكان عارفاً بسبعين لساناً فكلمه بها، فتكلم معه بكلمها والملأ الذين قالوا: ﴿أضغاثُ أحلام﴾ هي القوى الشريفة من العقل والفكر المحجوب بالوهم والوهم نفسه المحجوبة عن سرّ الرياضة والتبديل، كما ترى المحجوبين بها الواقفين معها يعدّون أحوال أهل الرياضات من الخرافات ورسول المحبة الذي ادّكر بعد أمة إنما يذّكر بواسطة ظهور ملك روح القدس وإيحائه وإراءته تفاصيل وجوده بالرجوع إلى الكثرة بعد الوحدة وإلا لكان فيه حالة الفناء ذاهباً في عين الجمع لا يرى فيها وجود القلب ولا غيره، فكيف يذّكره إنما يدّكره بظهوره بنور الحق بعد عدمه.

والعام الذي ﴿فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ هو وقت تمتيعه للنفس عند الاطمئنان التام والأمن الكلي. وقول نسوة القوى ﴿حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾.

وقول امرأة العزيز: ﴿الآن حصحص الحق﴾ إشارة إلى تنوّر النفس والقوى بنور الحق واتصافها بصفة الاتصاف والصدق وحصول ملكة العدالة بنور الوحدة وظهور المحبة حال الفرق بعد الجمع وكمال طمأنينة النفس لإقرارها بفضيلة القلب وصدقه وذنبها وبراءته فإنّ من كمال اطمئنان النفس اعترافها بالذنب واستغفارها عما فرط منها حالة كونها أمارة وتمسكها بالرحمة الإلٰهية والعصمة الربانية واستخلاص الملك إياه لنفسه استخلافه للقلب على الملك بعد الكمال التامّ، كما جاء في القصة: أجلسه على سريره وتوّجه بتاجه وختمه بخاتمه وقلّده بسيفه وعزل قطفير ثم توفيّ قطفير وزوّجه الملك امرأته زليخا واعتزل عن المُلْك وجعله في يده وتخلّى بعبادة ربه. كل ذلك إشارة إلى مقام خلافة الحق كما قال لداود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1]. وتوّفي العزيز إشارة إلى وصول القلب إلى مقامه وذهاب الروح في شهوده للوحدة. وتزوّجه بامرأة العزيز إشارة إلى تمتيع القلب النفس بعد الاطمئنان بالحظوظ فإن النفس الشريفة المتنوّرة تقوى بالحظوظ على محافظة شرائط الاستقامة وتقنين قوانين العدالة واستنباط أصول العلم والعمل وهما الولدان اللذان جاء في القصة أنها ولدتهما منه افرائيم وميشا. وروي أنه لما دخل عليها قال لها: أليس هذا خيراً مما طلبت؟ فوجدها عذراء وهو إشارة إلى حسن حالها في الاطمئنان مع التمتيع ومراعاة العدالة، وكونها عذراء إشارة إلى أنّ الروح لا يخالط النفس لتقدّسه دائماً وامتناع مباشرته إياها، فإن مطالبه كلية لا تدرك جزئياتها بخلاف القلب وإنما كانت امرأته لتسلطه عليها ووصول أثر أمره وسلطانه إليها بواسطة القلب ومحكوميتها له في الحقيقة وسؤال التولية على خزائن الأرض ووصف نفسه بالحفظ والعلم هو أن القلب يدرك الجزئيات المادية ويحفظها دون الروح فيقتضي باستعداده قبول ذلك المعنى من الواهب الذي هو ملك روح القدس وتمكينه في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء استخلافه بالبقاء بعد الفناء عند الوصول إلى مقام التمكين وهو أجر المحسن أي العابد لربّه في مقام الشهود لرجوعه إلى التفصيل من عين الجمع ﴿ولأجر الآخرة﴾ أي: الحظ المعنوي بلذّة شهود الجمال ومطالعة أنوار سبحات الوجه الباقي ﴿خيرٌ للذين آمنوا﴾ الإيمان العيني ﴿وكانوا يتقون﴾ بقية الأنائية.

[٥٨ ـ ٦٧] ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ
لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا
رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ
أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ
بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾»

ولما رجع إلى مقام التفصيل وجلس على سرير الملك للخلافة. جاءه أخوته القوى الحيوانية بعد طول مفارقته إياهم في سجن الرياضة والخلوة بمصر الحضرة القدسية والاستغراق في عين الجمع «**فدخلوا عليه**» متقربين إليه بوسيلة التأدب بآداب الروحانيين لاطمئنان النفس وتنوّرها وتنوّر تلك القوى بها وتدرّبها بهيئات الفضائل والأخلاق ممتارين لأقوات العلوم النافعة من الأخلاق والشرائع «**فعرفهم**» مع حسن حالهم وصلاحهم بالذكاء والصفاء وفقرهم واحتياجهم إلى ما يطلبون منه من المعاني «**وهم له منكرون**» لارتقائه عن رتبتهم بالتجرّد واتصافه بما لا يمكنهم إدراكه من الأوصاف ولهذا استحضر القوّة العاقلة العملية بقوله: «**أئتوني بأخ لكم من أبيكم**» إذ المعاني الكلية المتعلقة بالأعمال لا يدركها إلا تلك القوة. واعلم أنّ المحبوبين يسبق كشوفهم اجتهادهم فيعلمون قواهم الشرائع والأحكام ويسوسونها بعد الوصول وإن اطمأنت نفوسهم قبله.

وأما جهازهم الذي جهزهم به فهو الكيل اليسير من الجزئيات التي يمكنهم إدراكها والعمل بها، وقال: «**فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم**» من المعاني الكلية الحاصلة «**عندي ولا تقربون**» لبعد رتبتكم عن رتبتي إلا بواسطته. ولما كانت العاقلة العملية إذا لم تفارق مقام العقل المحض إلى مقام الصدر لم يمكنها مرافقة القوى الحسيّة وإلقاؤها المعاني الجزئية الباعثة إياها على العمل وتحريك القوة النزوعية الشوقية نحو المصالح العقلية «**قالوا سنراود عنه أباه**» أي: بتصفية الاستعداد لقبول فيضه وقوله «**لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم**» إشارة إلى أمر القلب فتيانه القوى النباتية عند تمتيع النفس حالة الاطمئنان بإيراد موادّ قواهم التي يتقوون بها ويقتدرون على كسب كمالاتهم إذ هي بضاعتهم التي يمكنهم بها الإمتيار، ورحالهم آلات إدراكاتهم ومكاسبهم «**لعلهم**» يعرفون قواهم وقدرهم على الاكتساب «**إذا**

انقلبوا إلى أهلهم﴾ من سائر القوى الحيوانية كالغضبية والشهوانية وأمثالهما ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى مقام الاسترباح والامتيار من قوت المعاني والعلوم النافعة بتلك البضاعة ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم﴾ بتصفية الاستعداد والتمرّن بهيئات الفضائل اقتضوه إرسال القوة العاقلة العملية معهم لإمدادهم في فضائل الأخلاق بالمعاني دائماً، أي: استمدّوا من فيضه ﴿نكتل﴾ أي: نستفد منه وإنا لا نستنزله إلى تحصيل مطالبنا فنهلكه كما فعلنا حالة الجاهلية بأخيه بل نحفظه بالتعهد له ومراعاته في طريق الكمال. وأخذ العهد منهم في إرساله معهم واستيثاقه عبارة عن تقديم الاعتقاد الصحيح الإيماني على العمل وإلزامهم ذلك العقد أولاً وإلا لم يستقم حالهم في العمل ولم ينجع.

﴿لا تدخلوا من باب واحد﴾ أي: لا تسلكوا طريق فضيلة واحدة كالسخاوة مثلاً دون الشجاعة أو لا تسيروا على وصف واحد من أوصاف الله تعالى فإن حضرة الوحدة هي منشأ جميع الفضائل والذات الأحدية مبدأ جميع الصفات، فاسلكوا طرق جميع الفضائل المتفرّقة حتى تتصفوا بالعدالة فتتطرّقوا إلى الحضرة الواحدية، وسيروا على جميع الصفات حتى يكشف لكم عن الذات. وقد ورد في الحديث: إن الله تعالى يتجلىٰ على أهل المذاهب يوم القيامة في صورة معتقدهم فيعرفونه ثم يتحوّل إلى صورة أخرى فينكرونه ﴿وما أُغني عنكم من الله من شيء﴾ أي: لا أدفع عنكم شيئاً إن منعكم توفيقه وحجبكم ببعض الحجب عن كمالاتكم فإن العقل ليس إليه إلا إفاضة العلم لا إجادة الاستعداد ورفع الحجاب.

[٦٨ ـ ٧٦] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ولما دخلوا﴾ أي: امتثلوا أمر العقل بسلوك طرق جميع الفضائل لم يغن عنهم من جهة الله ﴿من شيء﴾ أي: لم يدفع عنهم الاحتجاب بحجاب الجلال والحرمان عن لذة

الوصال لأن العقل لا يهتدي إلا إلى الفطرة ولا يهدي إلا إلى المعرفة. وأما التنوّر بنور الجمال، والتلذذ بلذة الشوق بطلب الوصال، وذوق العشق بكمال الجلال والجمال، بل جلال الجمال وجمال الجلال فأمر لا يتيسر إلا بنور الهداية الحقانية ﴿**إلا حاجة في نفس يعقوب**﴾ هي تكميلهم بالفضيلة ﴿**وإنه لذو علم**﴾ لتعليم الله إياه لا ذو عيان وشهود ﴿**ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**﴾ ذلك فيحسبون الكمال ما عند العقل من العلم أو ناس الحواس لا يعلمون علم العقل الكلي ﴿**آوىٰ إليه أخاه**﴾ للتناسب بينهما في التجرّد ﴿**جعل السقاية في رحل أخيه**﴾ مشربته التي يكيل بها على الناس، أي: قوة إدراكه للعلوم ليستفيد بها علوم الشرائع ويستنبط قوانين العدالة، فإن العاقلة العملية تقوى على إدراك المعقولات عند التجرّد عن ملابس الوهم والخيال كما تقوى النظرية وهي القوة المدبرة لأمر المعاش المشوبة بالوهم في أول الحال.

ونسبته إلى السرقة لتعوّده بإدراك الجزئيات في محل الوهم من المعاني المتعلقة بالمواد وبعده عن إدراك الكليات، فلما تقوّى عليها بالأوي إلى أخيه واستفادته منه تلك القوة بالتجرّد فكأنه قد سرق ولم يسرق. والمؤذن الذي نسبهم إلى السرقة هو الوهم لوجدان الموهم تغير حال الجميع عما كانت عليه، وعدم مطاوعتها له وتوهمه لذلك نقصاً فيهم.

والحمل الموعود لمن يجيىء بالصواع، وهو التكليف الشرعي الذي يحصل بواسطة العقل العملي عند استفادته علم ذلك من القلب، والصواع هو القوة الاستعدادية التي يحصل بها علمه. والفاقد لها المفتش لمتاعهم، المستخرج إياها من رحل أخيه هو الفكر الذي بعثه القلب لهذا الشأن. ولما كان دين روح القدس تحقق المعارف والحقائق النظرية مما لا يتعلق بالعمل ﴿**ما كان ليأخذ أخاه**﴾ بالبعث على العمليات والاستعمال على الفضائل ﴿**في دين الملك**﴾ لأن دينه العلم وعلمه التعقل ﴿**إلا أن يشاء الله**﴾ أي: وقت تنوّر النفس بنور القلب المستفاد منه وتفسح الصدر القابل للعمليات وذلك هو رفع الدرجات، لأن النفس حينئذ ترتفع إلى درجة القلب والقلب إلى درجة الروح في مقام الشهود ﴿**وفوق كل ذي علم**﴾ كالقوى ﴿**عليم**﴾ كالعقل العملي وفوقه القلب وفوقه العقل النظري وفوقه الروح وفوقه روح القدس والله تعالى فوق الكل، علاّم الغيوب كلها.

[٧٧ - ٨٢] ﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى
نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ
إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ
إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ

كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

ومعنى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل﴾ أن القلب استعدّ لهذا المعنى من قبل دون القوى، فبقوا منكرين لهما، متهمين إياهما عند أبيهما لتحصيل مطالبهما وطلب لذة وراء ما يطلبونها. وقيل: كان لإبراهيم صلوات الله عليه وسلامه منطقة يتوارثها أكابر أولاده، فورثها من إسحق عمة يوسف لكونها كبرى من أولاده، وقد حضنته بعد وفاة أمّه راحيل، فلما شبّ أراد يعقوب انتزاعه منها، فلم تصبر عنه، فحزمت المنطقة تحت ثيابه عليه السلام ثم قالت: إني فقدت المنطقة، فلما وجدت عليه سلّم لها وتركه يعقوب عندها حتى ماتت. وهي إشارة إلى مقام الفتوّة التي ورثها من إبراهيم الروح قبل مقام الولاية وقت شبابه. وقد حزمتها عليه النفس المطمئنة التي حضنتها وقت وفاة راحيل اللوّامة. وإرادة انتزاع يعقوب إياه منها إشارة إلى أن العقل يريد الترقي إلى كسب المعارف والحقائق، وإذا وجده موصوفاً بالفضائل في مقام الفتوّة رضي به، وتركه عند النفس المطمئنة سالكاً في طريق الفضائل حتى توفيت بالفناء في الله في مقام الولاية والله أعلم.

وإسرار يوسف في نفسه كلمته علمه بقصورهم عن إدراك مقامه ونقصانهم عن كماله، وهي قوله: ﴿أنتم شر مكاناً﴾ والذي اقترح أن يأخذه يوسف القلب مكان أخيه العقل العملي هو الوهم لمداخلته في المعقولات، وشوقه إلى الترقي إلى أفق العقل، وحكمه فيها لا على ما ينبغي وميلهم إلى سياسته إياهم دون العقل العملي للتناسب الذي بينهم في التعلق بالمادة ونزوعه إلى تحصيل مآربهم من اللذات البدنية. ولما وجد القلب متاعه من إدراك المعاني المعقولة عند العقل العملي دون الوهم ﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا﴾ إن أخذنا الوهم مكانه وآويناه إلينا وألقينا إليه ما ألقينا إلى أخينا كنا مرتكبين الظلم العظيم لوضعنا الشيء في غير محله ـ ويأسهم منه شعورهم بعدم تكفيل الوهم إياهم وتمتيعهم بدواعيه وحكمه ـ وكبيرهم الذي ذكرهم موثق أبيهم الذي هو الاعتقاد الإيماني، وتفريطهم في يوسف عند حكومة الوهم هو الفكر، ولهذا قال المفسرون: هو الذي كان أحسنهم رأياً في يوسف ومنعهم عن قتله.

وقوله: ﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي﴾ أي: لا أتحرك إلا بحكم العقل دون الوهم إلى أن أموت، وأمرهم بالرجوع إلى أبيهم سياسته إياهم بامتثال الأوامر العقلية ﴿وما

شهدنا إلا بما علمنا﴾ أي: إنّا لا نعلم كون ذلك المتاع عند العاقلة العملية إلا نقصاً وسرقة لعدم شعورنا به وبكونه كمالاً ﴿وما كنا﴾ حافظين للمعنى العقلي العيني لأنّا لا ندرك إلا ما في عالم الشهادة، وكذا أهل قريتنا التي هي مدينة البدن من القوى النباتية ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ من القوىٰ الحيوانية، فاسألهم ليخبروك بسرقة ابنك.

[٨٣ ـ ١٠٠] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي: زيّنت طبائعكم الجسمانية لكم أمر التلذذ باللذات البدنية والشهوات الحسيّة فحسبتموها كمالاً، وتتبع المعقولات والتزام الشرائع والتأمر بالفضائل نقصاً ﴿فصَبْرٌ جميلٌ﴾ أي: فأمركم صبر جميل في العمل بالشرائع والفضائل دائماً والوقوف مع حكم الشرع والعقل، أو صبر جميل على الاستمتاع على وجه الشرع أجمل بكم من الإباحة والاسترسال بحكم الطبيعة، أو فأمري صبر جميل في بقاء يوسف القلب وإخوته

على استشراق الأنوار القدسية واستنزال الأحكام الشرعية واستخراج قواعدها التي لا مدخل لي فيها، فلا بدّ لي من فراقهم إلى أوان فراغهم إلى رعاية مصالح الجانبين والوفاء بكلا الأمرين، أي: المعاش والمعاد، فإنّ العقل كما يقتضي طلب الكمال وإصلاح المعاد، يقتضي صلاح البدن وترتيب المعاش وتعديل المزاج بالغذاء وتربية القوىٰ باللذات، أو فأمري صبر جميل على ذلك ﴿عسىٰ الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ من جَهة الأفق الأعلىٰ والترقي عن طوري إلى ما يقتضيه نظري ورأيي من مراعاة الطرفين ومقامي ومرتبتي من اختيار التوسط بين المنزلتين ﴿إنه هو العليم﴾ بالحقائق ﴿الحكيم﴾ بتدبير العوالم، فلا يتركهم مراعين للجهة العلوية، ذاهلين عن الجهة السفلية، فيخرّب مدينة البدن ويهلك أهلها، وذلك قبل التمتيع التام الذي أشرنا إليه إذ هو مقام الاجتهاد بعد الكشف والسلوكَ في طريق الاستقامة بعد التوحيد ﴿وتولىٰ عنهم﴾ أي: أعرض عن جانبهم وذُهِلَ عن حالهم، لحنينه إلى يوسف القلب وانجذابه إلى جهته.

﴿وابْيضَّت عيناه مِن الحزن﴾ أولاً بوقوعه في غياهب الحبّ وكلال قوة بصيرته لفرط التأسف على فراقه ثم بترقيه عن طوره وفنائه في التوحيد وتخلفه عنه وعدم إدراكه لمقامه وكماله، فبقي بصره حسيراً غير بصير بحال يوسف ﴿وهو كظيم﴾ مملوء من فراقه.

وقولهم: ﴿تفتؤ تذكر يوسف﴾ إشارة إلى شدّة حنينه ونزوعه وانجذابه إلى جهة القلب في تلك الحالة دونهم لشدة المناسبة بينهما في التجرّد والميل إلى العالم العلوي. وقوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ إشارة إلى علم العقل برجوع القلب إلى عالم الخلق ووقوفه مع العادة بعد الذهاب إلى الجهة الحقانية وانخلاعه عن حكم العادة عن قريب، كما سئل أحدهم: ما النهاية؟ قال: الرجوع إلى البداية. ولهذا العلم قال: ﴿يا بني اذْهَبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ وذلك عند فراغه عن السلوك بالكلية ووصول أثر ذلك الفراغ إلى العقل بقربه إلى رتبته في التنزل والتدلي فيأمر القوى باستنزاله إلى مقامهم بطلب الحظوظ في صورة الجمعية البدنية وتدبير معاشهم ومصالحهم الجزئية، وذلك هو الروح الذي نهاهم عن اليأس منه، إذ المؤمن يجد هذا الروح والرضوان في الحياة الثانية التي هي بالله فيحيا به ويتمتع بحضوره بجميع أنواع النعيم ولذات جنّات الأفعال والصفات والذات بالنفس والقلب والروح دون الكافر كما قال: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

وقولهم: ﴿مسّنا وأهلنا الضرّ﴾ إشارة إلى عسرهم وسوء حالهم، وضيقهم في الوقوف مع الحقوق ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ إلى ضعفهم لقلّة مواد قواهم وقصور غذائهم عن بلوغ مرادهم.

وقولهم: ﴿فأوْفِ لنا الكيل﴾ استعطافهم إياه بطلب الحظوظ. وقوله: ﴿هل علمتم ما

فعلتم بيوسف وأخيه﴾ إشارة إلى تنزل القلب إلى مقامهم في محل الصدر ليعرفوه فيتذكروا حالهم في البداية وما فعلوا به في زمان الجهل والغواية. وقولهم: ﴿أئنك لأنت يوسف﴾ تعجب منهم عن حاله بتلك الهيئة النورانية والأبهة السلطانية وبعدها عن حال بدايته.

وقوله: ﴿قد منّ الله علينا﴾ إلى آخره، إشارة إلى علّة ذلك وسبب كمالهم. وقولهم: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا﴾ إشارة إلى تهدي القوىٰ عند الاستقامة إلى كماله ونقصها.

وقوله: ﴿لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم﴾ لكونها مجبولة على أفعالها الطبيعية. وقوله: ﴿يغفر الله لكم﴾ إشارة إلى براءتها من الذنب عند التنوّر بنور الفضيلة والتأمر بأمره عند الكمال. والقميص هو الهيئة النورانية التي اتصف بها القلب عند الوصول إلى الوحدة في عين الجمع والاتصاف بصفات الله تعالى. وقيل: هو القميص الإرثي الذي كان في تعويذة حين أُلقي في البئر، وهو إشارة إلى نور الفطرة الأصلية. كما أن الأول إشارة إلى نور الكمال الحاصل له بعد الوصول، والأول أولى بتبصير عين العقل فإنّ العقل لما لم تكتحل بصيرته بنور الهداية الحقانية عمي عن إدراك الصفات الإلٰهية. ﴿وائتوني بأهلكم أجمعين﴾ أي: ارجعوا إليّ عن آخركم في مقام الاعتدال ومراعاة التوسط في الأفعال، فإن القلب متوسط بين جهتي العلو والسفالة، وانضموا إليّ، واتمروا بأمري، واقربوا مني ولا تبعدوا عن مقامي في طلب اللذات البدنية بمقتضى طباعكم. وريحه الذي وجده من بعيد هو وصول أثر رجوع القلب إلى عالم العقل والمعقول، وإقباله إليه من محض التوحيد بتجهيز القوىٰ الحيوانية بجهاز الحظوظ على حكم العدالة وقانون الشرع والعقل، فقد قيل: إنه جهّز العير بأجمل ما يكون، ووجهها إلى كنعان. وضلاله القديم هو: تعشّقه بالقلب أزلاً وذهوله عن جهتهم.

وقوله: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ إشارة إلى سابق علمه برجوع القلب إلى مقام العقل. واستغفاره لهم: تقريره إياهم على حكم الفضائل العقلية بالاستقامة بعد صفائهم وذكائهم وقبولهم للهيئات النورانية بعد خلع الظلمانية. ودخولهم على يوسف هو وصولهم إلى مقام الصدر حال الاستقامة. ودخولهم مصر كون الكل في حضرة الجمعية الإلٰهية الواحدية مع تفاضل مراتبهم في عين جمع الوحدة. ورفع أبويه على العرش عبارة عن ارتفاع مرتبتي العقل والنفس عن مراتب سائر القوى وزيادة قربهما إليه وقوّة سلطنتهما عليها. وخرورهم له سجداً عبارة عن انقياد الكل وطاعتهم له بالأمر الوحداني بلا فعل حركة بأنفسهم بحيث لا يتحرك منها شعر ولا ينبض لها عرق إلا بالله. وتأويل رؤياه صورة ما تقرّر في استعداده الأول من قبول هذا الكمال.

﴿قد جعلها ربي حقاً﴾ أخرجها من القوة إلى الفعل ﴿وقد أحسن بي﴾ بالبقاء بعد الفناء

﴿إذ أخرجني من﴾ سجن الخلوة التي كنت فيها محجوباً عن شهود الكثرة في عين الوحدة ومطالعة الجمال في صفات الجلال ﴿وجاء بكم مِن﴾ بدو خارج مصر الحضرة الإلٰهية ﴿من بعد أن نزغ﴾ شيطان الوهم ﴿بيني وبين إخوتي﴾ بتحريضه إياهم على إلقائي في قعر بئر الطبيعة، بانهماكهم وتهالكهم على اللذات البدنية ﴿إنّ ربي لطيف﴾ يلطف بأحبابه بتوفيقهم للكمال وتدبير أمورهم بحسب مشيئته الأزلية وعنايته القديمة ﴿إنه هو العليم﴾ بما في الاستعدادات ﴿الحكيم﴾ بترتيب أسباب الكمال وتوفيق المستعدّ للوصول إليه.

[١٠١ ـ ١٠٨] ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ربّ قد آتيتني من المُلك﴾ أي: من توحيد الملك الذي هو توحيد الأفعال ﴿وعلّمتني منَ تأويل الأحاديث﴾ أي: معاني المغيبات وما يرجع إليه صورة الغيب، وهو من باب توحيد الصفات. ﴿فاطِر﴾ سمٰوات الصفات في مقام القلب وأرض توحيد الأفعال في مقام النفس ﴿أنتَ وليي﴾ بتوحيد الذات في دنيا المُلك وآخرة الملكوت ﴿توفني مسلماً﴾ أفنني عني في حالة كوني منقاداً لأمرك لا طاغياً ببقاء الأنية ﴿وألحِقني بالصالحين﴾ الثابتين في مقام الاستقامة بعد الفناء في التوحيد.

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ الإيمان العلمي ﴿إلا وهم مُشركون﴾ بإثبات موجود غيره أو الإيمان العيني إلا وهم مشركون باحتجابهم بأنانيتهم ﴿غاشية من عذاب الله﴾ حجاب يحجب استعدادهم عن قبول الكمال من هيئة راسخة ظلمانية ﴿أو تأتيهم﴾ القيامة الصغرىٰ ﴿بغتةً وهم لا يشعرون﴾ بنور الكشف والتوحيد، فلا يرتفع حجابهم فيبقون في الاحتجاب أبداً.

﴿قُلْ هذه﴾ السبيل التي أسلكها، وهي سبيل توحيد الذات ﴿سبيلي﴾ المخصوص بي، ليس عليه إلا أنا وحدي ﴿أدعو إلىٰ﴾ الذات الأحدية الموصوفة بكل الصفات في عين الجمع ﴿أنا ومن اتبعني﴾ في هذه السبيل وكل من يدعو إلى هذه السبيل فهو منّ أتباعي، إذ الأنبياء قبلي كلهم كانوا داعين إلى المبدأ والمعاد وإلى الذات الواحدية الموصوفة ببعض الصفات إلا إبراهيم عليه السلام فإنه قطب التوحيد، ولهذا كان ﷺ من أتباعه باعتبار الجمع دون التفصيل،

إذ لا متمم لتفاصيل الصفات إلا هو عليه الصلاة والسلام وإلا لكان غيره خاتماً السبيل الحق كما ختم لأن كل أحد لا يمكنه الدعوة إلا إلى المقام الذي بلغ إليه من الكمال ﴿**وسبحان الله**﴾ أنزهه من أن يكون غيره على سبيله، بل هو السالك سبيله والداعي إلى ذاته ﴿**وما أنا من المشركين**﴾ المثبتين للغير في مقام التوحيد الذاتي، المحتجبين عنه بالأنانية، بل أنا به، فإن عنىٰ فهو الداعي إلى سبيله.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نُوحي إليهم**﴾ أي: من كان فيه بقيّة من الرجولية من أهل قرى الصفات والمقامات لا من مصر الذات، فإن البقاء الحاصل لأهل التمكين لا يكون إلا بقدر الفناء. والرجوع إلى الخلق لا يكون إلا على حسب العروج. فالفناء التام والعروج الكامل لا يكون إلا للقطب الذي هو صاحب الاستعداد الكامل الذي لا رتبة إلا قد يبلغها ويلزم أن يكون الرجوع التامّ الشامل لجميع تفاصيل الصفات عند البقاء له وهو الخاتم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «كان بنيان النبوّة تم ورصف وبقي منه موضع لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللبنة». وإلى هذا المعنى أشار بقوله ﷺ: «بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق».

﴿**أفلم يسيروا في الأرض**﴾ أرض استعدادهم ﴿**فينظروا كيف كان**﴾ نهاية أمر ﴿**الذين من قبلهم**﴾ وغاية كمالهم، فيبلغوا منتهىٰ إقدامهم ويُحصلوا كمالاتهم بحسب استعداداتهم، فإنّ لكل أحد خاصية واستعداده الخاص يقتضي سعادة خاصة هي عاقبته، ومن الاطلاع على خواص النفوس وغايات إقدامهم في السير يحصل للنفس هيئة اجتماعية من تلك الكمالات هي كمال الأمّة المحمدية على حسب اختلاف استعداداتهم وهي الدار الآخرة التي هي خير للذين اتّقوا صفات نفوسهم التي هي حجب الاستعدادات ﴿**أفلا تعقلون**﴾ أنّ هذا المقام خير مما أنتم عليه من الدار الفانية وتمتعاتها، فإنها ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(١).

[١١٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿**حتىٰ إذا اَستيأس الرُسل**﴾ أي: ساروا واتّقوا وتراخى فتحهم ونصرهم في الكشوف على كفرة قوى النفس حتى إذا استيأس الرُسُل الذين هم أشراف القوم من بلوغ الكمال

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

﴿وظنوا أنهم قد﴾ كذّبتهم ظنونهم في استعدادهم للكمال أو رجائهم ﴿جاءهم نصرنا﴾ بالتأييد والتوفيق من إمداد أنوار الملكوت والجبروت ﴿فنُجّي من نَشاء﴾ من أهل العناية من الرُسُل وأتباعهم ﴿ولا يردّ﴾ قهرنا بالحجب والتعذيب ﴿عن القوم المجرمين﴾ بإظهار صفات نفوسهم على قلوبهم فيكسبونها الهيئات الغاسقة الحاجبة المؤذية.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿لقد كان في قصصهم عبرة﴾ أي: ما يعبر بها عن ظاهرها إلى باطنها، كما عبرنا في قصة يوسف عليه السلام لأولي العقول المجرّدة عن قشور الوهميات الخالصة عن غشاوات الحسيّات ﴿ما كان﴾ هذا القرآن ﴿حديثاً يُفترىٰ﴾ من عند النفس ﴿ولكن تصديق الذي﴾ كان ثابتاً قبله في اللوح ﴿وتفصيل كل شيء﴾ أجمل في عالم القضاء وهداية إلى التوحيد ﴿ورحمة﴾ بالتجليات الصفاتية من وراء أستار آياته ﴿لِقَوم يؤمنون﴾ بالغيب لصفاء الاستعداد.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة الرعد﴾

[١] ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١﴾

﴿المرٓ﴾ أي: الذات الأحدية، واسمه العليم، واسمه الأعظم، ومظهره الذي هو الرحمة التامّة على ما أُشير إليه ﴿تِلْكَ﴾ معظمات علامات كتاب الكل الذي هو الوجود المطلق وآياته الكبرىٰ ﴿وَ﴾ المعنى ﴿الذي أُنزِل إليك من ربك﴾ من العقل الفرقاني، وهذا الذي ذُكِر من درج المعاني في الحروف هو الحق ﴿ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون﴾.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢﴾

﴿بالله الذي رفع السمٰوات بغير عمد ترونها﴾ أي: بعمد غير مرئية هي ملكوتها التي تقوّمها وتحرّكها من النفوس السماوية أو سمٰوات الأرواح بلا مادة تعمدها فتقوم هي بها، بل مجرّدة قائمة بأنفسها ﴿ثم استوىٰ﴾ مستعلياً ﴿علىٰ العَرْش﴾ بالتأثير والتقويم أو على عرش القلب بالتجلي ﴿وسخر﴾ شمس الروح بإدراك المعارف الكلية واستشراق الأنوار العالية وقمر القلب بإدراك ما في العالمين جميعاً، والاستمداد من فوق ومن تحت ثم قبول تجليات الصفات بالكشف. ﴿كل يجري لأجلٍ مسمىٰ﴾ أي: غاية معينة هي كماله بحسب الفطرة الأولى ﴿يدّبر الأمر﴾ في البداية بتهيئة الاستعداد وترتيب المبادىء ﴿يُفَصّل الآيات﴾ في النهاية بترتيب الكمالات والمقامات المترتبة في السلوك على حسب تجليات الأفعال والصفات ﴿لعلّكم بلقاء ربّكم﴾ عند مشاهدات آيات التجليات ﴿توقنون﴾ عين اليقين.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾

﴿وهو الذي مدّ﴾ أرض الجسد ﴿وجعل فيها رواسي﴾ العظام وأنهار العروق ﴿ومن كل﴾ ثمرات الأخلاق والمدركات ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي: صنفين متقابلين كالجود والبخل، والحياء والقحة، والفجور والعفّة، والجبن والشجاعة، والظلم والعدالة وأمثالها. وكالسواد والبياض، والحلو والحامض، والطيب والنتن، والحرارة والبرودة، والملاسة والخشونة وأمثالها. ﴿يغشىٰ﴾ ليل ظلمة الجسمانيات على نهار الروحانيات كتغشية القوىٰ

الروحانية بآلاتها والروح بالجسد ﴿إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ في صنع الله وتطابق عالميه الأصغر والأكبر.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وفي﴾ أرض الجسد ﴿قطع مُتجاورات﴾ من العظم واللحم والشحم والعصب، وجنّات من أشجار القوىٰ الطبيعية والحيوانية والإنسانية من أعناب القوىٰ الشهوانية التي يعصر منها خمر هوى النفس، والقوى العقلية التي يعصر منها خمر المحبة، يعصر العشق وزرع القوى النباتية وتخيل سائر الحواس الظاهرة والباطنة ﴿صنوان﴾ كالعينين والأذنين والمنخرين ﴿وغير صنوان﴾ كاللسان وآلة الفكر والوهم والذكر ﴿تُسْقىٰ بماء واحد﴾ هو: ماء الحياة ﴿ونفضّل بعضها على بعض في﴾ أكل الإدراكات والملكات كتفضيل مدركات العقل على الحسّ والبصر على اللمس وملكة الحكمة على العفة وأمثالها ﴿لقوم يعقلون﴾ عجائب صنعه.

[٥] ﴿۞ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وإن تعجب﴾ عن قولهم فهو مكان التعجب لأن الإنسان في كل ساعة خلق آخر جديد، بل العالم لحظة فلحظة خلق جديد بتبدّل الهيئات والأحوال والأوضاع والصور، فكيف ينكر الخلق الجديد من نظر في عالم الكون والفساد بعين الاعتبار؟ ﴿أولٰئك الذين﴾ حجبوا عن شهود أفعال الربوبية وتجلياتها، فكيف عن تجليات الصفات الإلٰهية؟ ﴿وأولٰئك الأغلال في أعناقهم﴾ فلا يقدرون أن يرفعوا رؤوسهم المنتكسة إلى الأرض القاصر نظرها إلى ما يدانيها من الحسّ فيروا ملكوت الأرواح ويشاهدوا عالم القدرة وما يبعد عن منازل الحسّ من المعقولات ﴿وأولٰئكَ أصْحَابُ﴾ نيران جهنم الأفعال في قعر هاوية الطبيعة ﴿هم فيها خالدون﴾.

[٦] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ بمناسبة استعدادهم للشرّ لاستيلاء الهيئات المظلمة والرذائل عليها فينزعون إلى الشرّ لغلبة الشرّ عليهم. ﴿وقد خَلَتْ من قَبْلهم﴾ عقوبات أمثالهم ﴿وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس﴾ مع ظلمهم على أنفسهم باكتساب تلك الهيئات الغاسقة الحاجبة عن النور لمن لم ترسخ فيه ولم تبطل استعداده فيزيلها بنور رحمته ﴿وإنّ ربّك لشديد العقاب﴾ لمن ترسخت فيه وصارت ريناً وأبطلت الاستعداد.

[٧ ـ ٨] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾

﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربّه﴾ حجبوا، فلم يروا الآيات الشاهدة على النبوّة من اتصافه بصفات الله لعدم إدراكهم وعمى بصائرهم، فلذلك لم يعدوها آيات واقترحوها على حسب هواهم ما عليك إلا إنذارهم لا هدايتهم، إذ الهداية إلى الله ﴿ولكل قوم هادٍ﴾ يناسبهم بحسب الجنسية الفطرية فيألفونه عند كماله وتلقيه النور الإلهي، ويقبلون الهداية منه فيهديهم الله على مظهره، فمن ناسبك بتلك الجنسية الأصلية قبل الهداية منك ومن لا فلا، وتلك أسرار خفية لا يعلمها إلا ﴿الله﴾ الذي ﴿يعلم ما تحمل كل أنثىٰ﴾ فيعلم ما تحمل أنثىٰ النفس من ولد الكمال، أي ما في قوة كل استعداد وما تزيد أرحام الاستعداد بالتزكية والتصفية وبركة الصحبة من الكمالات وما تنقص منها بالانهماك في الشهوات ﴿وكل شيء﴾ من الكمالات ﴿عنده بِمقدار﴾ معين على حسب القابلية أو كل شيء من قوة قبول في استعداد مقدّر عنده بمقدار في الأزل من فيضه الأقدس لا يزيد ولا ينقص، أو لكل قوم هاد هو الله تعالىٰ كما قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[1] لعلمه بما في الاستعدادات من قوة القبول وزيادتها ونقصانها فيقدّر بحسبها كمالاتهم.

[٩] ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾

﴿عالِم﴾ غيب ما في الاستعدادات من قوة القبول وشهادة الكمالات الحاضرة الخارجة إلى الفعل ﴿الكبير﴾ الشأن الذي يجل عن إعطاء ما يقتضيه بعض الاستعدادات بل يسع كلها فيعطيها مقتضياتها ﴿المُتعال﴾ عن أن ينقطع فيضه فيتأخر عن حصول الاستعداد وينقص مما يقتضيه.

[١٠] ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾

﴿سواء منكم من أسَرّ القول﴾ في مكمن استعداده ﴿ومن جهرَ به﴾ بإبراز العلم من القوّة إلى الفعل ﴿ومن هو مُستَخف﴾ بليل ظلمة نفسه ﴿و﴾ من هو ﴿سارِبٌ﴾ بخروجه من مقام النفس وذهابه في نهار نور الروح.

[١١] ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦.

بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١)﴾

﴿له معقبات﴾ أمداد متعاقبة من الملكوت واصلة إليه من أمر الله ﴿يحفظونه من﴾ خطفات جنّ القوىٰ الخيالية والوهمية وغلبات البهيمية والسبعية وإهلاكها إياه ﴿إن الله لا يُغير ما بِقوم﴾ من نعمة وكمال ظاهر أو باطن ﴿حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾ من الاستعداد وقوة القبول، فإنّ الفيض الإلٰهي عامّ متصل كالماء الجاري، ألم تر إلى قوله تعالىٰ: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾(١) فيتلوّن بلون الاستعداد، فمن تكدّر استعداده تكدّر فيضه فزاد في شرّه، ومن تصفّى استعداده تصفّى فيضه فزاد في خيره، وكذا النِعَم الظاهرة لا بدّ في تغيرها إلى النقم من استحقاق جلي أو خفي، ولهذا قال المحققون: إنّ الدعاء الذي لا يتخلف عنه الاستجابة المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢) هو الذي يكون بلسان الاستعداد. وعن بعض السلف: أن الفأرة مزقت خفيّ، وما أعلم ذلك إلا بذنب أحدثته وإلا ما سلطها الله عليّ. وتمثل بقول الشاعر:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢)﴾

﴿هو الذي يُريكم﴾ برق لوامع الأنوار القدسية والخطفة الإلٰهية ﴿خوفاً﴾ أي: خائفين من سرعة انقضائه وبطء رجوعه ﴿وطَمَعاً﴾ أي: طامعين في ثباته وسرعة رجوعه ﴿ويُنشىء﴾ سحاب السكينة ﴿الثقال﴾ بماء العلم اليقيني والمعرفة الحقة.

[١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)﴾

﴿ويسبح﴾ رعد سطوة التجليات الجلالية أي يسبّح الله ويمجده عما يتصوّر في العقل من ترد عليه تلك التجليات لوجد أنه ما لا يدركه العقل ويحمده حق حمده بالكمال المستفاد من ذلك التجلي حمداً فعلياً فيكون التسبيح للرعد الموجب لذلك أو السطوة تسبح بنفس التجلي المنزّه عن أن يدرك بالإدراك العقلي ﴿والملائكة﴾ أي: ملكوت القوى الروحانية من هيبته وجلاله ﴿ويرسل﴾ صواعق السبحات الإلٰهية بتجلي القهر الحقيقي المتضمن للطف الكلي فيسلب الوجود عن المتجلي عليه ويفنيه عن بقية نفسه، كما ورد في الحديث: «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». ﴿فيُصِيبُ بها من يشاء﴾ من عباده المحبوبين والمحبين العشاق المشتاقين ﴿وهم يُجَادِلون في

(١) سورة الرعد، الآية: ٤.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

الله﴾ بالتفكر في صفاته والنظر العقلي في إثباته وما يجب له ويمتنع عليه من الصفات ﴿وهو شديدُ المحالُ﴾ القوي في رفع الحيل العقلية في الإدراك وطمس نور بصيرته بالتجلي وإحراقه بنور العشق.

[١٤] ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿له دعوة الحق﴾ أي: الدعوة الحقيّة التي ليست بالباطل له لا لغيره يدعو نفسه فيستجيب كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[1] أي: الدين الخالص ليس إلا دينه ومعناه: أنّ الدعوة الحقّة الحقيقة بالإجابة هي دعوة الموحد الفاني عن نفسه، الباقيَ بربّه، وكذا الدين الخالص دينه. والدعاة القائمون بأنفسهم لا يدعون إلا من تصوّروه ونحتوه في خيالهم فلا يستجاب لهم إلا كاستجابة الجماد الذي يطلب منه الشيء، ولعمري أنه لا يدعو الله إلا الموحد وغيره يدعو الغير الموهوم الذي لا قدرة له ولا وجود فلا استجابة، وهو الذي حجب استعداده بصفات نفسه فلا يعلم ما استحقه فضاع دعاؤه ولا يكون مثل هذا الدعاء إلا في ضياع أو دعوة الحق جل وعلا، لا تكون إلا له، أو دعوة المدعوّ الذي هو الحق هي الدعوة المختصة بذاته لا يدعىٰ بها غيره من أسمائه وصفاته والواصفيون الذين يدعون أسماءه وصفاته من دون ذاته لا يستجيبهم المدعو إلا استجابة كاستجابة داعي الماء بالإشارة لكونهم محجوبين ﴿وما دُعاء﴾ المحجوبين ﴿إلا في﴾ ضياع.

[١٥ ـ ١٦] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿ولله﴾ ينقاد ﴿من في السموات والأرض﴾ من الحقائق الروحانيات كأعيان الجواهر وملكوت الأشياء ﴿وظلالهم﴾ أي: هياكلهم وأجسادهم التي هي أصنام تلك الروحانيات وظلالها، ولهذا قرأ النبي ﷺ في هذه السجدة: «سجد لك وجهي، وسوادي، وخيالي» أي: حقيقة ذاتي وسواد شخصي وخيال نفسي، أي: وجودي وعيني وشخصي ﴿طوعاً وكرهاً﴾ أي: شاؤوا أو أبوا، والمعنى يلزمهم ذلك اضطراراً، لا أن بعضهم طائع وبعضهم كاره ﴿بالغدوّ والآصال﴾ أي: دائماً ﴿قل أفاتخذتم من دُونه﴾ أي: من كل ما عداه كائناً من كان ﴿أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً﴾ إذ القادر المالك هو الله لا غير.

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

[١٧] ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أنزل﴾ من سماء روح القدس ماء العلم ﴿فسالت﴾ أودية القلوب بقدر استعداداتها ﴿فاحتمل﴾ سيل العلم ﴿زبداً﴾ من خبث صفات أرض النفس ورذائلها ودناياها ﴿ومما توقدون عليه﴾ في نار العشق من المعارف والكشوف والحقائق والمعاني التي تهيج العشق ﴿ابتغاء﴾ زينة النفس وبهجتها بها لكونها كمالات لها ﴿أو متاع﴾ من الفضائل الخلقية التي يحصل بسببها، فإنها مما يتمتع به النفس ﴿زبد مثله﴾ خبث كالنظر إليها ورؤيتها وتصور النفس كونها كاملة أو فاضلة متزينة بزينة تلك الأوصاف وإعجابها واحتجابها وسائر ما يعدّ من آفات النفس وذنوب الأحوال ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ مرمياً به منفياً بالعلم كما قال تعالى: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[١]، ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ من المعاني الحقيّة والفضائل الخالصة ﴿فيمكث﴾ في أرض النفس.

[١٨ ـ ٢١] ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿للذين استجابوا لربهم﴾ بتصفية الاستعداد عن كدورات صفات النفس ﴿الحسنى﴾ أي: المثوبة الحسنى وهو الكمال الفائض عليهم عند الصفاء المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[٢]، ﴿والذين لم يستجيبوا﴾ لم يتزكوا عن الرذائل البشرية والكدورات الطبيعية لا يمكنهم الافتداء بكل ما في الجهة السفلية من الأموال والأسباب التي انجذبوا إليها بالمحبة فأهلكوا نفوسهم، لأن تلك سبب زيادة البعد والهلاك، فكيف تكون سبباً لخلاصهم عن تلك الظلمات وتبرئهم عنها؟، لا ينفعهم عند رسوخ هيئات التعلق بها في أنفسهم ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ لوقوفهم مع الأفعال في مقام النفس الذي هو مقام العدل الإلهي، فلا بد لهم من المناقشة في الحساب ﴿ومأواهم جهنم﴾ صفات النفس ونيران الحرمان وهيئات السوء ﴿ويخشون ربهم﴾ عند تجلي الصفات في مقام القلب، فيشاهدون جلال صفة العظمة ويلزمهم

(١) سورة الأنفال، الآية: ١١.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

الهيبة والخشية ﴿ويخافُونَ سُوء الحِساب﴾ عند تجلي الأفعال في مقام النفس فينظرون إلى البطش والعقاب فيلزمهم الخوف.

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)﴾

﴿والذينَ صَبَروا﴾ في سلوك سبيله عن المألوفات طلباً لرضاه واشتغلوا بالتزكية بالعبادات المالية والبدنية ويدفعون بالفضيلة رذيلة النفس ﴿أولٰئكَ لهم عُقبىٰ الدار﴾ بالرجوع إلى الفطرة أو صبروا عن صفات نفوسهم ابتغاء وجه ربّهم، أي: لمحبة الذات لا لمحبة الصفات، وأقاموا صلاة المشاهدة وأنفقوا مما رزقناهم من المقامات والأحوال والكشوف والأعمال سرّاً بالتجريد عن هيئاتها وهيئات الركون إليها والمحبة إياها، وعلانية بتركها وعدم الالتفات إليها، ويدرؤن بالحسنة الحاصلة من تجلي الصفة الإلٰهية السيئة التي هي صفة النفس ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي: البقاء بعد الفناء.

[٢٣ ـ ٢٧] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)﴾

﴿جنّات عدنٍ﴾ أي: ثلاثتها، يدخلون جنة الذات مع من صلح من آباء الأرواح، وجنّة الصفات بالقلوب، وجنّة الأفعال بمن صلح من أزواج النفوس وذريّات القوى ﴿والملائكة﴾ من أهل الجبروت والملكوت ﴿يدخلون عليهم من كل باب﴾ من أبواب الصفات مسلمين محيين إياهم بتحايا الإشراقات النورية والأمداد القدسية كل ذلك بسبب صبرهم على اللذات الحسيّة ﴿قل إنّ الله يضلّ من يشاء﴾ أي: ليس الهداية والضلال بالآيات فإن في كل شيء آية، وكفى بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ وإنما هما بالمشيئة الإلٰهية، يضلّ من يشاء لعدم الاستعداد أو لحجبهم بالغواشي الظلمانية ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ بتصفية الاستعداد من المحبين. وكما أن أهل الضلال فريقان عديم الاستعداد وحاجبه بظلمة البشرية، فكذلك أهل الهداية قسمان: محبوبون يهتدون بغير الإنابة لقوة الاستعداد ومحبّون يهديهم الله بعد الإنابة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(١).

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

[٢٨ ـ ٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ
بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ
ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿الذين آمنوا﴾ أي: المنيبون الذين آمنوا الإيمان العلميّ بالغيب ﴿وتطْمئن قلوبهم بذِكرِ الله﴾ ذكر النفس باللسان والتفكّر في النِعم، أو ذكر القلب بالتفكّر في الملكوت ومطالعة صفات الجمال والجلال، فإن للذكر مراتب ذكر النفس باللسان والتفكر في النِعَم، وذكر القلب بمطالعة الصفات، وذكر السرّ بالمناجاة، وذكر الروح بالمشاهدة، وذكر الخفاء بالمناغاة في المعاشقة، وذكر الله بالفناء فيه. والنفس تضطرب بظهورِ صفاتها وأحاديثها وتطيش فيتلون القلب بسببها ويتغيّر بأحاديثها، فإذا ذكر الله استقرت النفس وانتفت الوساوس كما قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ الشيطان يضع خرطومه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس فاطمأن القلب». وكذا ذكر القلب بالتفكر في الملكوت ومطالعة أنوار الجبروت، وأما سائر الأذكار فلا تكون إلا بعد الاطمئنان. والعمل الصالح هُهنا: التزكية والتحلية و ﴿طوبىٰ لهم﴾ بالوصول إلى الفطرة وكمال الصفات ﴿وحسن مآب﴾ بالدخول في جنة القلب، جنّة الصفات.

[٣٣ ـ ٤٠] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ
تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ
مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ
عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ
وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ
مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن
يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ
ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا
ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أفمن هو قائمٌ علىٰ كل نفس بما كَسبتَ﴾ أي: يقوم عليها بإيجاد كل ما ينسب إليها من مكاسبها، قيوم لها وبمكسوباتها، وإنما سمي مكسوبها وإن كان بخلق الله تعالى لأنه إنما أظهره عليها لاستعداد فيها يناسبه به قبلته من الله تعالى، فمن جهة قبول المحل وصلاحيته لمظهريته ومحليته ينسب إلى كسبها مع قيام الحق تعالىٰ بإيجاده لأنها اقتضته، أو قائم عليها بحسب كسبها وبمقتضاه أي كما يقتضي مكسوباتها من الصفات والأحوال التي تعرض لاستعدادها يفيض عليها من الجزاء الذي هو الهيئات الكمالية النورانية المثيبة إياها، أو الهيئات الكدرة الظلمانية المعذّبة إياها.

﴿لكل أجلٍ كِتاب﴾ لكل وقت أمر مكتوب مقدّر أو مفروض في ذلك الوقت علىٰ الخلق، فالشرائع معينة عند الله بحسب الأوقات في كل وقت يأتي بما هو صلاح ذلك الوقت رسول من عنده وكذا جميع الحوادث من الآيات وغيرها. ﴿وما كان لرسول أن يأتي﴾ بشيء منها إلا بإذنه في وقته لأنها معينة بأزاء الأوقات التي تحدث فيها من غير تغير وتبدّل وتقدّم وتأخر ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ عن الألواح الجزئية التي هي النفوس السماوية من النقوش الثابتة فيها فيعدم عن المواد ويفنىٰ ﴿ويُثبت﴾ ما يشاء فيها فيوجد. ﴿وعنده أمّ الكتاب﴾ أي: لوح القضاء السابق الذي هو عقل الكل المنتقش بكل ما كان ويكون أزلاً وأبداً على الوجه الكليّ المنزّه عن المحو والإثبات، فإن الألواح أربعة: لوح القضاء السابق العالي عن المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول. ولوح القدر أي: لوح النفس الناطقة الكليّة التي يفصل فيها كليات اللوح الأول ويتعلق بأسبابها وهو المسمىٰ بـ: اللوح المحفوظ. ولوح النفوس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم بشكله وهيأته ومقداره وهو المسمىٰ بالسماء الدنيا وهو بمثابة خيال العالم كما أن الأول بمثابة روحه والثاني بمثابة قلبه. ثم لوح الهيولىٰ القابل للصور في عالم الشهادة والله أعلم.

[٤١ ـ ٤٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أو لم يَروا أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرض الجسد وقت الشيخوخة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بتواكل الأعضاء وتخاذل القوىٰ وكلالة الحواس شيئاً فشيئاً حتى يموت ﴿والله يحكم﴾ على هذا الوجه ﴿لا معقب لحكمه﴾ لا رادّ ولا مبدّل لحكمه، أو نأتي أرض النفس وقت السلوك ننقصها من أطرافها بإفناء أفعالها بأفعالنا أولاً كما قال تعالىٰ: «بي يسمع وبي

يبصر»، ثم بإفناء صفاتها بصفاتها ثانياً، كما قال تعالىٰ: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر». ثم بإفناء ذاتها بذاتنا كما قال تعالىٰ: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[1] وأجاب نفسه بقوله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1] لفناء الخلق كله، وحينئذ لا حكم إلا لله، يحكم كما يشاء لا معقب لحكمه لعدم غيره.

(١) سورة غافر، الآية: ١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إبراهيم (عليه السلام)

[١ ـ ٢] ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ (١) ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ (٢)﴾

﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتُخرج الناس﴾ من ظلمات الكثرة إلى نور الوحدة، أو من ظلمات صفات النشأة إلى نور الفطرة، أو من ظلمات حجب الأفعال والصفات إلى نور الذات ﴿بإذن ربّهم﴾ بتيسيره بإيداع ذلك النور فيهم بهيئة الاستعداد من الفيض الأقدس من عالم الألوهية وتوفيقه بتهيئة أسباب خروجه إلى الفعل من حضرة الربوبية، إذ الإذن منه هبة الاستعداد وتهيئة الأسباب وإلا لم يكن لأحد إخراجهم ﴿إلى صراطِ العزيز﴾ القوي الذي يقهر ظلمات الكثرة بنور وحدته ﴿الحميد﴾ بكمال ذاته. وعلى المعنىٰ الثاني: صراط العزيز الذي يقهر صفات النفس بنور القلب الحميد الذي يهب نِعَم الفضائل والعلوم عند صفاء الفطرة. وعلى الثالث: العزيز الذي يقهر بسبحات ذاته أنوار صفاته ويفنىٰ بحقيقة هويته جميع مخلوقاته الحميد الذي يهب الوجود الباقي الكامل بعد فناء الرذائل الناقص بوجود ذاته وجمال وجهه. ﴿وويلٌ للكافرينَ﴾ المحجوبين عن الوحدة أو الفطرة أو تجلي الذات وكشفه. ويترتب على الوجوه الثلاثة مراتب العذاب، فهو إما عذاب محبّة الأنداد في جحيم التضادّ وإما عذاب هيئات الرذائل ونيران صفات النفس ومقتضيات الطبائع أو عذاب حجب الأفعال والصفات والحرمان عن نور الذات.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ (٣)﴾

﴿الذين﴾ يؤثرون ﴿الحياة الدنيا﴾ الحسيّة على العقلية والصورية على المعنوية لوصفه الضلال بالبعد وكون عالم الحسّ في أبعد المراتب عن الله تعالىٰ.

[٤ ـ ٢١] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٤) وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ (٥) وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ

يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَظِيمٌ (٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ
مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ
إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم
مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا
كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ
ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ
لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ
وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا
هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ
بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٨) أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم
مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا
لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١)﴾

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بِلِسَان قومه﴾ أي: بكلام يناسب ما عليه حالهم بحسب استعدادهم وعلى قدر عقولهم وإلا لم يفهموا لبعد ذلك المعنى عن أفهامهم وعدم مناسبته لمقامهم، فلم يمكنه أن يبين لهم ما في استعدادهم الأول بالقوة من الكمال اللائق به وما تقتضيه هوياتهم بحسب الفطرة ﴿فيضلّ الله من يشاء﴾ لزوال استعداده بالهيئات الظلمانية ورسوخها والاعتقادات الباطلة واستقرارها ﴿ويهدي من يشاء﴾ ممن بقي على استعداده أو لم يترسخ فيه حواجب هيئاته وصور اعتقاداته ﴿وهو العزيز﴾ القويّ الذي لا يغلب على مشيئته فيهدي من يشاء هدايته ويضلّ من يشاء ضلالته ﴿الحكيم﴾ الذي يدبر أمر هداية المهتدي بأنواع اللطف وأمر ضلال الضالّ بأصناف الخذلان على مقتضى الحكمة البالغة.

﴿إنّ في ذٰلكَ لآيات لكل صبار شكور﴾ أي: لكل مؤمن بالإيمان الغيبي إذ الصبر والشكر مقامان للسالك قبل الوصول حال العقد الإيماني والسير في الأفعال لتحصيل رتبة التوكل، وحينئذ آياته التي يعتبر بها ويستمدها يتمسك بها ويعتمدها في سلوكه هي الأفعال، فكلما رأى نعمة أو سمع بها أو وصلت إليه من هداية وغيرها شكره باللسان وبالقلب بتصوره من عند الله، وبالجوارح بحسن التلقي والقبول والطاعة والعمل بمقتضاها على ما ينبغي، وكلما رأى أو سمع ببلاء أو نزل به صبر بحفظ اللسان عن الجزع. وقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1] وربط القلب وتصوّر أن له فيه خير أو مصلحة وإلا لما ابتلاه الله به ومنع الجوارح عن الاضطراب. ﴿أفي الله شكّ﴾ مع وضوحه، أي: كيف تشكون فيما ندعوكم إليه وهو الذي لا مجال للشك فيه لغاية ظهوره وإنما يوضح ما يوضح به.

﴿يدْعُوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ ليستر بنوره ظلمات حجب صفاتكم فلا تشكّون فيه عند جلية اليقين ﴿ويؤخركم إلىٰ﴾ غاية يقتضيها استعدادكم من السعادة إذ كل شخص عين له بحسب استعداده الأول كمال هو أجله المعنوي كما أن لكل أحد بحسب مزاجه الأول غاية من العمر هي أجله الطبيعي، وكما أن الآجال الاخترامية تقطع العمر دون الوصول إلى الغاية المسمّاة بسبب من الأسباب فكذلك الآفات والموانع التي هي حجب الاستعداد تحول دون الوصول إلى الكمال المعين.

﴿وبرَزوا لله جميعاً﴾ للخلائق ثلاث برزات، برزة عند القيامة الصغرى بموت الجسد وبروز كل أحد من حجاب جسده إلى عرصة الحساب والجزاء، وبرزة عند القيامة الوسطىٰ بالموت الإرادي عن حجاب صفات النفس والبروز إلى عرصة القلب بالرجوع إلى الفطرة، وبرزة عند القيامة الكبرى بالفناء المحض عن حجاب الأنية إلى فضاء الوحدة الحقيقية وهذا هو البروز المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2]، ومن كان من أهل هذه القيامة يراهم بارزين لا يخفى على الله منهم شيء. وأما ظهور هذه القيامة للكل وبروز الجميع لله، وحدوث التقاول بين الضعفاء والمستكبرين، فهو بوجود المهديّ القائم بالحق، الفارق بين أهل الجنة والنار عند قضاء الأمر الإلٰهي بنجاة السعداء وهلاك الأشقياء.

[٢٢ ـ ٢٦] ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.

أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وقال الشيطان﴾ ظهر سلطان الحق على شيطان الوهم وتنوّر بنوره، فأسلم وأطاع وصار محقاً عالماً بأن الحجة لله في دعوته للخلق إلى الحق لا له، ودعوته إلى الباطل بتسويل الحطام وتزيين الحياة الدنيا عليهم واهية فارغة عن الحجة، وأقرّ بأن وعده تعالى بالبقاء بعد خراب البدن والثواب والعقاب عند البعث حق قد وفى به. ووعدي بأن ليس إلا الحياة الدنيا باطل اختلقته، فاستحقاق اللوم ليس إلا لمن قبل الدعوة الخالية عن الحجة فاستجاب لها وأعرض عن الدعوة المقرونة بالبرهان فلم يستجب لها ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾. ﴿كلمة طيبة﴾ أي: نفساً طيبة، كما مرّ في تسمية عيسى عليه السلام (كَلِمَةً). ﴿كشجرة طيبة﴾ كما شبهها بالزيتونة في القرآن وبالنخلة في الحديث ﴿أصلها ثابت﴾ بالاطمئنان وثبات الاعتقاد بالبرهان ﴿وفرعها في﴾ سماء الروح ﴿تؤتي أكلها﴾ من ثمرات المعارف والحِكَم والحقائق ﴿كل﴾ وقت ﴿بإذن ربّها﴾ بتسهيله وتيسيره بتوفيق الأسباب وتهيئتها ﴿ومثل﴾ نفس ﴿خبيثة كشجرة خبيثة﴾ مثل الحنظلة أو الشرجط ﴿اجتثت من فوق الأرض﴾ استؤصلت للطيش الذي فيها وتشوش الاعتقاد وعدم القرار على شيء.

[٢٧ ـ ٢٩] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ الإيمان اليقيني بالبرهان الحقيقي ﴿في الحياة﴾ الحسيّة لاستقامتهم في الشريعة وسلوكهم في تحصيل المعاش طريق الفضيلة والعدالة ﴿وفي الآخرة﴾ أي: الحياة الروحانية لاهتدائهم بنور الحق في الطريقة وكونهم في تحصيل المعارف على بصيرة من الله وبيّنة من ربّهم ﴿ويضلّ الله الظالمين﴾ في الحياتين لنقص استعداداتهم بحظوظ صفات النفس وبقائهم في الحيرة للاحتجاب عن نور الحق ﴿بدلوا نِعْمَة الله﴾ التي أنعم بها عليهم في الأزل من الهداية الأصلية والنور الاستعدادي الذي هو بضاعة النجاة ﴿كُفراً﴾ أي: احتجاباً وضلالة، كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[1] أضاعوا النور الباقي واستبدلوا به اللذة الحسية الفانية، فبقوا في الظلمة الدائمة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦.

﴿وأحلوا قومهم﴾ من في قوى نفوسهم أو من اقتدىٰ بطريقتهم وتأسىٰ بهم وتابعهم في ذلك ﴿دار البوار﴾.

[٣٠ ـ ٣١] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ من متاع الدنيا وطيباتها ومشتهياتها يحبونها كحبّ الله، إذ كل ما غلب حبه فهو معبود. قال الله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾[١] الخ، ﴿ليضلوا عن سَبيله﴾ كل من نظر إليهم من الأحداث المستعدّين ومن دان بدينهم. ﴿قلْ تَمتعوا﴾ أي: اذهبوا فيه بأمر الوهم فإنّ تمتعكم قليل سريع الزوال، وشيك الفناء، وعاقبته وخيمة بالمصير إلى النار.

[٣٢ ـ ٣٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿الله الذي خَلَقَ﴾ سموات الأرواح وأرض الجسد ﴿وأنْزَلَ من﴾ سماء عالم القدس ماء العلم ﴿فأخرَج به﴾ من أرض النفس ثمرات الحكم والفضائل ﴿رِزقاً لكم﴾ وتقوىٰ القلب بها ﴿وسَخرَ لكم﴾ أنهار العلم بالاستنتاج والاستنباط والتفريع والتفصيل ﴿وسخر لكم﴾ شمس الروح وقمر القلب ﴿دائِبين﴾ في السير بالمكاشفة والمشاهدة ﴿وسخر لكم﴾ ليل ظلمة صفات النفس ونهار نور الروح لطلب المعاش والمعاد والراحة والاستنارة ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ بألسنة استعداداتكم، فإنّ كل شيء يسأله بلسان استعداده كمالاً يفيض عليه مع السؤال بلا تخلف وتراخ كما قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[٢].

﴿وإن تعدّوا نِعْمة الله﴾ من الأمور السابقة على وجودكم الفائضة من الحضرة الإلٰهية ومن اللاحقة بكم من أمداد التربية الواصلة عن الحضرة الربوبية ﴿لا تحصوها﴾ لعدم تناهيها كما تقرّر في الحكمة ﴿إنّ الإنسان لظلوم﴾ بوضع نور الاستعداد ومادة البقاء في ظلمة الطبيعة ومحل الفناء وصرفه فيها، أو بنقص حقّ الله أو حق نفسه بإبطال الاستعداد ﴿كفّار﴾ بتلك النِعَم التي لا تحصىٰ باستعمالها في غير ما ينبغي أن تستعمل وغفلته عن المنعم عليه بها واحتجابه بها عنه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٩.

[٣٥] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم﴾ الروح بلسان الحال عند التوجه إلى الله في طلب الشهود ﴿ربِّ اْجعَل هٰذا البلد﴾ أي: بلد البدن ﴿آمناً﴾ من غلبات صفات النفس وتنازع القوىٰ وتجاذب الأهواء ﴿واْجنبني وبنيّ﴾ القوىٰ العاقلة النظرية والعملية والفكر والحدس والذكر وغيرها. ﴿أن نعبد﴾ أصنام الكثرة عن المشتهيات الحسية والمرغوبات البدنية والمألوفات الطبيعية بالمحبة.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس﴾ بالتعلق بها، والإنجذاب إليها، والاحتجاب بها عن الوحدة ﴿فمن تَبعني﴾ في سلوك طريق التوحيد ﴿فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور﴾ تستر عنه تلك الهيئة المظلمة بنورك ﴿رحيم﴾ ترحمه بإفاضة الكمال عليه بعد المغفرة.

[٣٧] ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ربنا إني أسكَنت من﴾ ذريّة قواي ﴿بوادٍ غيرَ ذِي زَرْع﴾ أي: وادي الطبيعة الجسمانية الخالية عن زرع الإدراك والعلم والمعرفة والفضيلة ﴿عند بيتك المحرّم﴾ الذي هو القلب ﴿ربنا ليقيموا﴾ صلاة المناجاة والمكاشفة ﴿فاْجعَل أفئِدة﴾ من ناس الحواس ﴿تهوي إليهم﴾ فتميزهم بأنواع الإحساسات وتمدّهم بإدراك الجزئيات وتميل إليهم بالمشايعة وترك المخالفة بالميل إلى الجهة السفلية واللذة البدنية ﴿واْرزقهم﴾ من ثمرات المعارف والحقائق من الكليات ﴿لعلهم يَشكرون﴾ نعمتك فيستعملون تلك المدركات في طلب الكمال.

[٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ربنا إنك تعلم ما نَخفي﴾ مما فينا بالقوّة ﴿وما نُعلن﴾ مما أخرجناه إلى الفعل من الكمالات ﴿وما يُخفىٰ على الله من شيء﴾ في أرض الاستعداد ولا في سماء الروح.

[٣٩] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿الحمد لله الذي وهب لي على﴾ كبر الكمال ﴿إسماعيل﴾ العاقلة النظرية ﴿وإسحاق﴾ العلمية ﴿إن ربّي لسميع الدعاء﴾ أي: لسميع لدعاء الاستعداد، كما قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

[٤٠ ـ ٤٧] ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝٤٤ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝٤٦ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧﴾

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ﴾ صلاة الشهود ﴿ومن ذريتي﴾ كلاً منهم مقيم صلاة تخصه ﴿ربنا وتقبل دعاءِ﴾ أي: طلبي للفناء التامّ فيك ﴿ربنا ٱغفر لي﴾ بنور ذاتك ذنب وجودي فلا أحتجب بالطغيان ﴿ولوالديّ﴾ ولما يتسبب لوجودي من القوابل والفواعل فلا أرى غيرك ولا ألتفت إلى سواك فأبتلى بزيغ البصر، ولمُؤمِني القوىٰ الروحانية ﴿يوم يَقُوم﴾ حساب الهيئات الروحانية النورانية والنفسانية الظلمانية أيها أرجح.

[٤٨ ـ ٥٢] ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾

﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض﴾ تبدّل أرض الطبيعة بأرض النفس عند الوصول إلى مقام القلب وسماء القلب بسماء السرّ وكذا تبدّل أرض النفس بأرض القلب وسماء السرّ بسماء الروح، وكذا كل مقام يعبره السالك يبدّل ما فوقه وما تحته كتبدّل سماء التوكل في توحيد الأفعال بسماء الرضا في توحيد الصفات، ثم سماء الرضا بسماء التوحيد عند كشف الذات ثم يطوى الكل ﴿وبرزوا لله الواحد﴾ الذي لا موجود غيره ﴿القهار﴾ الذي يفنى كل ما عداه بتجليه ﴿وترىٰ المُجْرمين﴾ المحتجبين بصفات النفوس وهيئات الرذائل ﴿مقرنين﴾ في أماكنهم من سجين الطبيعة وهاوية هوى النفس بقيود علائق الطبيعيات وأرسان محبات السفليات ﴿سرابيلهم من قطران﴾ لاستيلاء سواد الهيئات المظلمة من تعلقات الجواهر الغاسقة عليها ﴿وتغشىٰ وجوههم﴾ نار القهر والإذلال والاحتجاب عن لذّة الكمال، وفيه سرّ آخر لا ينكشف إلا لأهل القيامة ممن شاهد البعث والنشور، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الحجر ﴾

[١ - ٢٠] ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وقرآن مُبين﴾ أي: جامع لكل شيء، مظهر له ﴿ولقد جعلنا﴾ في سماء العقل ﴿بروجاً﴾ مقامات ومراتب من العقل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد ﴿وزيناها﴾ بالعلوم والمعارف ﴿للناظرين﴾ المتفكرين فيه ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ من الأوهام الباطلة ﴿إلا من اسْتَرَق السمع﴾ فاختطف الحكم العقليّ باستراق السمع لقربه من أفق العقل ﴿فأتبعه شهاب مُبين﴾ أي: برهان واضح فنطرده ونُبطِل حكمه. وأرض النفس ﴿مددناها﴾ بسطناها بالنور القلبيّ ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ الفضائل ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء﴾ من الكمالات الخلقية والأفعال الإرادية والملكات الفاضلة والمدركات الحسيّة ﴿موزون﴾ معين مقدّر بقدر عقلي عدلي غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط لكل قوة بحسبها ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ بالتدابير الجزئية والأعمال البدنية ﴿ومن لستُم له برازقين﴾ ممن ينسب إليكم ويتعلق بكم، أو جعلنا في سماء القلب بروجاً مقامات كالصبر والشكر والتوكل والرضا والمعرفة والمحبة، وزيناها بالمعارف والحِكَم والحقائق وحفظناها من كل شيطان رجيم من الأوهام والتخيلات ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾[1] أي: إشراق نوري من طوالع أنوار الهداية.

(١) سورة الحجر، الآية: ١٨.

[٢١] ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾

﴿وإنْ من شيء إلاّ عندنا خزائِنه﴾ أي: ما من شيء في الوجود إلا له عندنا خزانة في عالم القضاء أولاً بارتسام صورته في أمّ الكتاب الذي هو العقل الكليّ على الوجه الكليّ، ثم خزانة أخرى في عالم النفس الكليّة وهو اللوح المحفوظ بارتسام صورته فيه متعلقاً بأسبابه، ثم خزانة أخرى بل خزائن في النفوس الجزئية السماوية المعبّر عنها بسماء الدنيا ولوح القدر بارتسام صورته فيها جزئية مقدّرة بمقدارها وشكلها ووضعها ﴿وما نُنزله﴾ في عالم الشهادة ﴿إلا بقَدرٍ مَعْلوم﴾ من شكل وقدر ووضع ووقت ومحل معينة واستعداد مختص به في ذلك الوقت.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝٢٢﴾

﴿وأرسلنا﴾ رياح النفحات الإلٰهية ﴿لواقح﴾ بالحكم والمعارف، مصفيّة للقلوب، معدّة للاستعدادات لقبول التجليات ﴿فأنزلنا﴾ من سماء الروح ماء من العلوم الحقيقية ﴿فأسقيناكموه﴾ وأحييناكم به ﴿وما أنتم﴾ لذلك العلم ﴿بخازِنين﴾ لخلوكم عنها.

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝٢٣﴾

﴿وإنّا لنحن نُحيي﴾ بالحياة الحقيقية بماء الحياة العلمية والقيام في مقام الفطرة ﴿ونُميت﴾ بالإفناء في الوحدة ﴿ونحنُ الوارثون﴾ للوجود، الباقون بعد فنائكم.

[٢٤ ـ ٢٥] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۝٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٢٥﴾

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ أي: المستبصرين، المشتاقين من المحبين الطالبين للتقدّم ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ المنجذبين إلى عالم الحس ومعدن الرجس باستيلاء صفات النفس ومحبة البدن ولذاته، الطالبين للتأخر عن عالم القدس ﴿وإنّ ربّك هو يحشرهم﴾ مع من يتولونه ويجمعهم إلى من يحبونه وينزعون إليه ﴿إنه حكيمٌ﴾ يدّبر أمرهم في الحشر على وفق الحكمة بحسب المناسبة ﴿عليمٌ﴾ بكل ما فيهم من خفايا الميل والانجذاب والمحبة وما تقتضيه هيئاتهم وصفاتهم فسيجزيهم وصفهم.

[٢٦ ـ ٤٣] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ

أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ
لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ
إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون**﴾ أي: من العناصر الأربعة الممتزجة إذ الحمأ هو الطين المتغير والمسنون ما صبّ عليه الماء حتى خلص عن الأجزاء الصلبة الخشنة الغير المعتدلة المنافية لقبول الصورة التي يراد تصويرها منه. والصلصال ما تخلخل منه بالهواء وتجفّف بالحرارة ﴿**والجانّ**﴾ أي: أصل الجنّ وهو جوهر الروح الحيواني الذي تولّد منه قوى الوهم والتخيل وغيرهما ﴿**خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ أي: من الحرارة الغريزية ومن بخارية الأخلاط ولطافتها المستحيلة بها، وإنما قال من قبل لتقدّم تأثير الحرارة في التركيب بالتمزيج والتعديل وإثارة ذلك البخار على صور الأعضاء بل القوى الفعالة المؤثرة متقدّمة على التركيب في الأصل وقد مرّ معنى انقياد الملائكة له وعدم انقياد إبليس.

﴿**فاخرج**﴾ من جنّة عالم القدس التي ترتقي إلى أفقه ﴿**فإنك**﴾ مرجوم، مطرود منها لكونك غير مجرّد عن المادة ﴿**وإن عليك**﴾ لعنة البعد في الرتبة ﴿**إلىٰ يوم**﴾ القيامة الصغرى وتجرّد النفس عن البدن بقطع علاقتها أو الكبرى بالفناء في التوحيد ﴿**لأزينن لهم**﴾ الشهوات واللذات في الجهة السفلية ﴿**ولأغوينهم أجمعين إلا عِبادك**﴾ أي: المخصوصين بك، الذين أخلصتهم من شوائب صفات النفس وطهّرتهم من دنس تعلق الطبيعة، وجرّدتهم بالتوجه إليك من بقايا صفاتهم وذواتهم، أو الذين أخلصوا أعمالهم لك من غير حظ لغيرك فيها ﴿**هذا صراطٌ عليّ**﴾ حق نهجه ومراعاته ﴿**مستقيم**﴾ لا اعوجاج فيه، وهو أن لا سلطان لك على عبادي المخلصين إلاّ الذين يناسبونك في الغواية والبعد عن صراطي فيتبعونك.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿**لها سَبعة أبوَاب**﴾ هي الحواس الخمس والشهوة والغضب ﴿**لكلّ باب منهم جزء مَقسوم**﴾ عضو خاص به، أو بعض من الخلق يختصون بالدخول منه لغلبة قوّة ذلك الباب عليهم.

[٤٥ ـ ٤٦] ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿**إنّ المتّقينَ**﴾ الذين تزّكوا عن الغواشي الطبيعية وتجرّدوا عن الصفات البشرية ﴿**في**

جنّات﴾ من روضات عالم القدس ﴿وعُيُون﴾ من ماء حياة العلم مقولاً لهم ﴿ادخلوها﴾ بسلامة من الهيئات الجسدانية وأمراض القلوب المانعة عن الوصول إلى ذلك المقام ﴿آمنين﴾ من آفات عالم التضادّ وعوارض الكون والفساد، وتغيرات أحوال الأزمنة والموادّ.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾ أي: حقد راسخ وكل هيئة متصاعدة من النفس إلى وجه القلب الذي يليها بفيض النور واستيلاء قوة الروح وتأييد القدس، وهم الذين غلبت أنوارهم على ظلماتهم من أهل العلم واليقين فاضمحلت وزالت عنهم الهيئات النفسانية الغاسقة وآثار العداوة اللازمة لهبوط النفس والميل إلى عالم التضادّ، وأشرقت فيهم قوّة المحبة الفطرية بتعاكس أشعة القدس وأنوار التوحيد واليقين من بعضهم إلى بعض، فصاروا إخواناً بحكم العقد الإيمانيّ والتناسب الروحاني. ﴿على سررٍ﴾ مراتب عالية ﴿مُتقابلين﴾ لتساوي درجاتهم وتقارب مراتبهم وكونهم غير محتجبين.

[٤٨ ـ ٨٦] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟
عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى
عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن
يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ
قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ
بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ
أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ
مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ
فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟
يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ

الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

﴿لا يمسّهم فيها نصب﴾ لامتناع أسباب المنافاة والتضادّ هناك **﴿وما هم منها بمُخرجين﴾** لسرمدية مقامهم وتنزّهه عن الزمان وتغيراته. وأما كيفية نزول الملائكة على النبيين وتجسد الأرواح العالية للمتجرّدين المنسلخين عن الهيئات البدنية المتقدّسين، فقد مرّت الإشارة إليها في سورة (هود).

[٨٧ ـ ٩٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿ولقد آتيناك سَبعاً﴾ أي: الصفات السبع التي ثبتت لله تعالى وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلّم **﴿من المثاني﴾** التي كرّر وثنّى ثبوتها لك أولاً في مقام وجود القلب عند تخلقك بأخلاقه، واتصافك بأوصافه، فكانت لك. وثانياً: في مقام البقاء بالوجود الحقاني بعد الفناء في التوحيد **﴿والقرآن العظيم﴾** أي: الذات الجامعة لجميع الصفات وإنما كانت لمحمد عليه الصلاة والسلام سبعاً، ولموسىٰ تسعاً لأنه ما أوتي القرآن العظيم بل كان مقامه التكليم، أي: مقام كشف الصفات دون كشف الذات، فله هذه السبع مع القلب والروح.

[٩٨ ـ ٩٩] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فسبح﴾ بالتجريد عن عوارض الصفات المتعلقة بالمادة لتكون منزّهاً لله تعالى بلسان الحال، حامداً لربّك بالاتصاف بالصفات الكمالية لتكون حامداً لِنِعَم تجليات صفاته بأوصافك **﴿وكن من الساجدين﴾** بسجود الفناء في ذاته **﴿واعبد ربّك﴾** بالتسبيح والتحميد والسجود المذكورة **﴿حتى يأتيك﴾** حق **﴿اليقين﴾** فتنتهي عبادتك بانقضاء وجودك، فيكون هو العابد والمعبود جميعاً لا غيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة النحل ﴾

[١ ـ ٢٧] ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾
وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ
ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن
كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ
لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا
وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ
غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم
مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ
ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿أتى أمر الله﴾ لما كان ﷺ من أهل القيامة الكبرى يشاهدها ويشاهد أحوالها في عين الجمع، كما قال ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين». أخبر عن شهوده بقوله تعالىٰ: ﴿أتى أمر

الله﴾ ولما كان ظهورها على التفصيل بحيث تظهر لكل أحد لا يكون إلا بوجود المهدي عليه السلام قال: ﴿فلا تستعجلوه﴾ لأن هذا ليس وقت ظهوره، ثم أكد شهوده لوجه الله وفناء الخلق في القيامة بقوله: ﴿سبحانه وتعالىٰ عمّا يُشركون﴾ من إثبات وجود الغير. ثم فصّل ما شهد في عين الجمع لكونه في مقام الفرق بعد الجمع يشاهد كثرة الصفات في عين أحدية الذات بحيث لا يحتجب بالوحدة عن الكثرة ولا بالعكس، كما ذكر في قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾[1] الآية، فقال: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ أي: العِلْم الذي يحيي به القلوب، يعني: القرآن ﴿من﴾ عالم ﴿أمره﴾ الذي انتقش فيه ﴿علىٰ من يشاء من عباده﴾ المخصوصين بمزيد عنايته، إن أخبروهم بالتوحيد والتقوىٰ، فبين بعد بيان أحديّة الذات عالم الصفات الحقيقية بتنزيل الروح الذي هو العلم، وإثبات المشيئة التي هي الإرادة، وعالم الأسماء بإثبات الملائكة، وعالم الأفعال بالإنذار. ثم عدّ الصفات الإضافية كالخلق والرزق، وفصّل النِعَم المتعددة كالنعم وغيرها. ولما ظهر الحق والخلق ظهر طريق الحق والباطل، فقال: ﴿وعلىٰ الله قصد السبيل﴾ أي: عليه لزوم السبيل المستقيم والهداية إليها لأهله، كما قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] أي: كل من كان علىٰ هذا الصراط الذي هو طريق التوحيد لا بدّ وأن يكون من أهله تعالىٰ لأنه طريقه الذي يلزمه.

ومن السبيل ﴿جائر﴾ يعني بعض السبل، وهي السبل المتفرقة مما عدا سبيل التوحيد جائر عادل عن الحق، موصل إلى الباطل لا محالة، فهي سبيل الضلالة كيفما كانت. ولم يشأ هداية الجميع إلى السبيل المستقيم لكونها تنافي الحكمة.

[٢٨ - ٣٤] ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ قد مرّ أن السابقين الموحدين يتوفاهم الله

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٦.

تعالى بذاته، وأما الأبرار والسعداء فقسمان: فمن ترقىٰ عن مقام النفس بالتجرّد ووصل إلى مقام القلب بالعلوم والفضائل يتوفّاهم ملك الموت، ومن كان في مقام النفس من العباد والصلحاء والزهّاد والمتشرّعين الذين لم يتجرّدوا عن علائق البدن بالتزكية والتحلية تتوفاهم ملائكة الرحمة بالبشرىٰ بالجنة، أي: جنّة الأفعال والآثار. وأما الأشرار الأشقياء فكيفما كانوا تتوفاهم ملائكة العذاب، إذ القوىٰ الملكوتية المتصلة بالنفوس تتشكل بهيئات تلك النفوس، فإذا كانت محجوبة ظالمة كانت هيئاتهم غاسقة ظلمانية هائلة، فتتشكل القوىٰ الملكوتية القابضة لنفوسهم بتلك الهيئات لمناسبتها، ولهذا قيل: إنما يظهر ملك الموت على صورة أخلاق المحتضر، فإذا كانت رديئة، ظلمانية، كانت صورته هائلة، موحشة، غلب على من يحضره الخوف والذعر، وتذلّل وتمسكن، ونزل عن استكباره، وأظهر العجز والمسكنة، وهذا معنىٰ قوله: ﴿فألقوا السلم﴾ أي: سالموا، وهانوا، ولانوا، وتركوا العناد والتمرّد وقالوا: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فأجيبوا بقولهم: ﴿بلىٰ إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم﴾ الأفعال. وأما المتّقون عن المعاصي والمناهي، الواقفون مع أحكام الشريعة، المعترفون بالتوحيد والنبوّة على التقليد لا التحقيق، وإلا لتجرّدوا بعلم اليقين عن صفات النفس إلى مقام القلب، فتتوفاهم الملائكة طيبين على صورة أخلاقهم وأعمالهم الطيبة الجميلة، فرحين مستبشرين ﴿يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة﴾ أي: الجنة المعهودة عندهم، وهي جنة النفوس من جنات الأفعال ﴿بما كنتم تعملون﴾.

[٣٥ ـ ٣٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ إنما قالوا ذلك عناداً وتعنتاً عن فرط الجهل، وإلزاماً للموحدين بناء على مذهبهم، إذ لو قالوا ذلك عن علم ويقين لكانوا موحدين لا مشركين بنسبة الإرادة والتأثير إلى الغير، لأن من علم أنه لا يمكن وقوع شيء بغير مشيئة من الله، عَلِم أنه لو شاء كل من في العالم شيئاً لم يشأ الله ذلك لم يمكن وقوعه، فاعترف بنفي القدرة والإرادة عما عدا الله تعالى فلم يبق مشركاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ

شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾(١). ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ في تكذيب الرسل بالعناد.

[٤٠ ـ ٤٧] ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ الفرق بين إرادة الله تعالى وعلمه وقدرته لا يكون إلا بالاعتبار، فإن الله تعالى يعلم كل شيء ويعلم وقوعه في وقت معين بسبب معين على وجه معين، فإذا اعتبرنا علمه بذلك قلنا بعالميته، وإذا اعتبرنا تخصيصه بالوقت المعين والوجه المعين قلنا بإرادته، وإذا اعتبرنا وجوب وجوده بوجود ما يتوقف عليه وجوده في ذلك الوقت على ذلك الوجه المعلوم قلنا بقدرته، فمرجع الثلاثة إلى العلم. ولو اقتضى علمنا وجود شيء ولم يتغير ولم يحتج إلى تروّ وعزيمة غير كونه معلوماً وتحريك الآلات لكان فينا أيضاً كذلك.

[٤٨] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾ أي: ذات وحقيقة مخلوقة، أية ذات كانت من المخلوقات ﴿يتفيأ ظلاله﴾ أي: يتجسد ويتمثل هياكله وصوره، فإن لكل شيء حقيقة هي ملكوت ذلك الشيء وأصله الذي هو به هو كما قال تعالى: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾(٢). وظلاله هو: صفته ومظهره، أي: جسده الذي به يظهر ذلك الشيء. ﴿عن اليمين و﴾ عن ﴿الشمائل﴾ أي: عن جهة الخير والشرّ ﴿سُجّداً لله﴾ منقادة بأمره، مطواعة لا تمتنع عما يريد فيها، أي: يتحرك هياكله إلى جهات الأفعال الخيرية والشرّية بأمره ﴿وهم داخرون﴾ صاغرون، متذللون لأمره، مقهورون.

[٤٩ ـ ٥٣] ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٣.

ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ
تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولله يَسْجُد﴾ ينقاد ﴿ما في السموات﴾ في عالم الأرواح من أهل الجبروت والملكوت والأرواح المجرّدة المقدّسة ﴿وما في الأرض﴾ في عالم الأجساد من الدواب والأناسيّ والأشجار وجميع النفوس والقوى الأرضية والسماوية ﴿وهم لا يَسْتَكبِرون﴾ لا يمتنعون عن الانقياد والتذلّل لأمره ﴿يخافون ربّهم﴾ أي: يتكسرون ويتأثرون وينفعلون منه انفعال الخائف ﴿من فوقهم﴾ من قهره وتأثيره وعلوّه عليهم ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ طوعاً وانقياداً بحيث لا يسعهم فعل غيره.

[٥٤ ـ ٥٥] ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ
ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إذا فريق منكم بربهم يُشركون﴾ بنسبة النعمة إلى غيره ورؤيته منه، وكذا بنسبة الضرّ إلى الغير وإحالة الذنب في ذلك عليه، والاستعانة في رفعه به. قال الله تعالى: «أنا والجنّ والإنس في نبأ عظيم، أخْلُق ويُعْبَد غيري، وأرزُق ويُشكر غيري»، وذلك هو كفران النعمة والغفلة عن المنعم المشار إليهما بقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ وبال ذلك الاعتقاد عليهم، أو فسوف تعلمون بظهور التوحيد أن لا تأثير لغير الله في شيء.

[٥٦ ـ ٧٤] ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾
وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ
كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا
يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوۡ
يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا
يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ
ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ
مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ
وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا
يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ

فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا
ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ
جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ
يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ويجعلون لما لا يعلمون﴾ وجوده مما سواه ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ فيقولون: هو أعطاني كذا، ولو لم يعطني لكان كذا، وفلان رزقني وأعانني، فيجعلون لغيره تأثيراً في وصول ذلك إليه، وإن لم يثبتوا له تأثيراً في وجوده فقد جعلوا له نصيباً مما رزقهم الله.

[٧٥ ـ ٧٦] ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ
ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا
يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ضرَبَ الله مثلاً﴾ للمجرّد والمقيد والمُشرك والموحد ﴿عبداً مملوكاً﴾ محبّاً لغير الله، مؤثراً له بهواه، فإن المقيد بالشيء يدين بدينه ويصدر عن حكمه، ويتصرّف بأمره، فهو عبده إذ كل من أحب شيئاً أطاعه، وإذا أطاعه فقد عبده. فمنهم من يعبد الشيطان ومنهم من يعبد الشهوة ومنهم من يعبد الدنيا أو الدينار أو اللباس، كما قال عليه الصلاة والسلام: «تَعِسَ عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، وتعس عبد الخميصة»، وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[1] وإذا عبده كان مملوكه ورقيقه. ﴿لا يقدر على شيء﴾ لأن المحب والعابد لا يرتقي همته وتأثيره وقوّة نفسه من محبوبه ومعبوده وإلا لما كان مقهوراً له، أسيراً في وثاقه، بل ينقص منه ومعبوده عاجز لا تأثير له، بل لا وجود سواء كان جماداً أو حيواناً أو إنساناً أو ما شئت، فهو أعجز منه وأذلّ، ولهذا قيل: إن الدنيا كالظلّ، إذا تبعته فاتك وإن تركته تبعك، فإن تابع الدنيا أحقر قدراً من الدنيا وأقلّ خطراً، ولا تأثير للدنيا فكيف به حتى يحصل له وبسببه شيء؟ وإنّ الدنيا ظلّ زائل، فهو ظل الظل ولا ظلّ لظلّ الظلّ، بل الظلّ للذات ولا ذات له فلا ملك له ولا قدرة.

﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ ومن أحبنا وأقبل بقلبه علينا، وتجرّد عما سوانا، وانقطع إلينا، أعطيناه الأيد والقوة، ورزقناه المُلْك والحكمة، وأسبغنا عليه النعمة الظاهرة والباطنة لأنه

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

متوجه إلى مالك المُلك، منعم الكل، منيع القوىٰ والقدر، فأكسب نفسه القوة والتأثير والقدرة منه، وتأثر منه الأكوان والأجرام وأطاعه الملك والملكوت كما أوحىٰ الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يا دنيا اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك». ثم إذا ربت همّته الشريفة عن الأكوان ولم تقف بمحبته مع غير الله ولم يلتفت إلى ما سواه زدنا في رزقه فآتيناه صفاتنا ومحونا عنه صفاته، فعلمناه من لدنا علماً وأقدرناه بقدرتنا، كما قال تعالىٰ: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»، الحديث. ﴿**فهو يُنفِق منه سرّاً وجهراً**﴾ يُنفق من النعم الباطنة كالعلم والحكمة سرّاً، ومن الظاهرة جهراً، أو ينفق من كلتيهما سرّاً كالذي يصل إلى الناس من غير تسببه لوصوله ظاهراً وهو في الحقيقة منه وصل لأنه حينئذ واسطة الوجود الإلٰهي ووكيل حضرته وجهراً كالذي يتسبب هو بنفسه ظاهراً لوصوله ﴿**هل يستوون**﴾ استفهام بطريق الإنكار وكذا المشرك كالأبكم الذي لم يكن له استعداد النطق في الخلقة لأنه ما استعدّ للإدراك والعقل الذي هو خاصية الإنسان، فيدرك وجوب وجود الحق تعالىٰ وكماله وإمكان الغير ونقصانه فيتبرأ عن غيره ويلوذ به عن حول نفسه وغيره وقوّتهما.

﴿**لا يقدر علىٰ شيء**﴾ لعدم استطاعته وقصور قوته للنقص اللازم لاستعداده ﴿**وهو كلّ علىٰ مولاه**﴾ لعجزه بالطبع عن تحصيل حاجته، فهو عبد بالطبع محتاج، متذلّل للغير، ناقص عن رتبة كل شيء لكونه أقل من لا شيء، فإن الممكن الذي يعبده ليس بشيء سواء كان ملكاً أو ملكاً أو فلكاً أو كوكباً أو عقلاً أو غيرها ﴿**أينما يوجهه لا يأت بخير**﴾ لعدم استعداده وشرارته بالطبع فلا يناسب إلا الشرّ الذي هو العدم فكيف يأتي بالخير ﴿**هل يستوي هو**﴾ والموحد القائم بالله، الفاني عن غيره حتى نفسه يقوم بالحق، ويعامل الخلق بالعدل، ويأمر بالعدل، لأن العدل ظلّ الوحدة في عالم الكثرة فحيث قام بوحدة الذات وقع ظله على الكل، فلم يكن إلا آمراً بالعدل ﴿**وهو على صراط مستقيم**﴾ أي: صراط الله الذي عليه خاصته من أهل البقاء بعد الفناء الممدود على نار الطبيعة لأهل الحقيقة يمرّون عليه كالبرق اللامع.

[٧٧ ـ ٧٨] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾

﴿**ولله غيبُ السمٰوات والأرض**﴾ أي: ولله علم الذي خفي في السموات والأرض من أمر القيامة الكبرى، أو علم مراتب الغيوب السبعة التي أشرنا إليه من غيب الجنّ والنفس والقلب والسرّ والروح والخفي وغيب الغيوب أو ما غاب من حقيقتهما أي: ملكوت عالم

الأرواح وعالم الأجساد ﴿وما أمر﴾ القيامة الكبرى بالقياس إلى الأمور الزمانية ﴿إلا﴾ كأقرب زمان يعبر عنه مثل لمح البصر ﴿أو هو أقرب﴾ وهو بناء على التمثيل وإلا فأمر الساعة ليس بزماني وما ليس بزماني يدركه من يدركه لا في الزمان ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ يقدر على الإماتة والإحياء والحساب لا في زمان كما يشاهد أهله وخاصته.

[٧٩ ـ ٨٢] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ألم يروا إلى الطير﴾ القوى الروحانية والنفسانية من الفكر والعقل النظري والعملي، بل الوهم والتخيل ﴿مسخرات في جوّ السماء﴾ أي: فضاء عالم الأرواح ﴿ما يمسكهن﴾ من غير تعلق بمادة ولا اعتماد على جسم ثقيل ﴿إلا الله﴾.

[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿يعرفون نعمة الله﴾ أي: هداية النبي أو وجوده لما ذكرنا أنّ كل نبيّ يبعث على كمال يناسب استعدادات أمّته ويجانسهم بفطرته، فيعرفونه بقوّة فطرتهم ﴿ثم ينكرونها﴾ لعنادهم وتعنتهم بسبب غلبة صفات نفوسهم من الكبر والأنفة وحبّ الرياسة أو لكفرهم واحتجابهم عن نور الفطرة بالهيئات الغاسقة الظلمانية وتغير الاستعداد الأول ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ في إنكاره لشهادة فطرهم بحقيته.

[٨٤ ـ ٨٦] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ أي: نبعث نبيهم على غاية الكمال الذي يمكن لأمته الوصول إليه أو التقرّب منه والتوجه إليه لإمكان معرفتهم إياه فيعرفونه، ولهذا يكون لكل أمة شهيد غير شهيد الأمة الأخرى، ويعرف كل من قصر وخالف نبيه بالإعراض عن الكمال الذي هو يدعو إليه، والوقوف في حضيض النقصان قصوره واحتجابه فلا حجة له ولا نطق، فيبقى متحيّراً متحسراً، وهو معنى قوله: ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ ولا سبيل له إلى إدراك ما فاته

من كماله لعدم آلته، ولا يمكن أن يرضى بحاله لقوّة استعداده الفطري الذي جُبِلَ عليه، وشوقه الأصلي الغريزي إليه، فهو مكظوم لا يستعتب ولا يسترضى.

[٨٧ ـ ٩٠] ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وألقوا إلىٰ الله يومئذ السلم﴾ أي: الاستسلام والانقياد. وقد جاء إنكارهم كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾(١) وذلك بحسب المواقف، فالإنكار في الموقف الأول وقت قوّة هيئات الرذائل وشدّة شكيمة النفس في الشيطنة، وغاية البعد عن النور الإلٰهي للاحتجاب بالحجب الغليظة والغواشي المظلمة حتى لا يعلم أنه كان يراه ويطلع عليه ونهاية تكدّر نور الفطرة حتى يمكنه إظهار خلاف مقتضاه. والاستسلام في الموقف الثاني بعد مرور أحقاب كثيرة من ساعات اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة حين زالت الهيئات، ورقّت وضَعُفَت شراشر النفس في رذائلها، وقرب من عالم النور لرقّة الحجب ولمعان نور فطرته الأولى، فيعترف وينقاد، هذا إذا كان الاستسلام والإنكار لنفوس بعينها. وقد يكون الاستسلام للبعض الذين لم ترسخ هيئات رذائلهم، ولم تغلظ حجبهم، ولم ينطفىء نور استعدادهم. والإنكار لمن ترسخت فيه الهيئات وقويت وغلبت عليه الشيطنة، واستقرّت وكثف الحجاب، وبطل الاستعداد والله أعلم.

﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ قد مرّ في سورة (النساء)، ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ أي: العقل الفرقاني بعد الوجود الحقاني ﴿تبياناً لكل شيء﴾ تبييناً وتحقيقاً لحقّية كل شيء، وهداية لمن استسلم وانقاد لسلامة فطرته إلى كماله ﴿ورحمة﴾ له بتبليغه إلى ذلك الكمال بالتربية والإمداد وبشارة له ببقائه على ذلك الكمال أبداً سرمداً في الجنان الثلاث.

[٩١ ـ ٩٦] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٨.

بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿**وأوفوا بعهد الله**﴾ الذي هو تذكر العهد السابق وتجديده بالعقد اللاحق بالبقاء على حكمه في الإعراض عن الغير والتجرّد عن العوائق والعلائق في التوجه إليه ﴿**إذا عاهدتم**﴾ أي: تذكرتموه بإشراق نور النبيّ عليكم وتذكيره إياكم.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿**من عَمِل صالحاً من ذكر أو أنثى**﴾ أي: عملاً يوصله إلى كماله الذي يقتضيه استعداده، إذ الصلاح في الشخص توجهه إلى كماله أو كونه على ذلك الكمال، والفساد بالضدّ وفي العمل كونه وصلة وسيلة إليه من صاحب قلب بالغ إلى كمال الرجولية أو صاحب نفس قابلة لتأثير القلب مستفيضة منه ﴿**وهو مؤمن**﴾ أي: معتقد للحق اعتقاداً جازماً، إذ صلاح العمل مشروط بصحة الاعتقاد وإلا لم يتصور كماله على ما هو عليه ولم يعتقده على الوجه الذي ينبغي فلم يمكنه عمل يوصله إليه فلا يكون ما يعمله صالحاً حينئذ في الحقيقة. وإن كان في صورة الصلاح ﴿**فلنحيينه حياة طيبة**﴾ أي: حياة حقيقية لا موت بعدها بالتجرّد عن المواد البدنية والانخراط في سلك الأنوار السرمدية، والتلذّذ بكمالات الصفات في مشاهدات التجليات الأفعالية والصفاتية ﴿**ولنجزينهم أجرهم**﴾ من جنان الأفعال والصفات ﴿**بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ إذ عملهم يناسب صفاتهم التي هي مبادىء أفعالهم وأجرهم يناسب صفاتنا التي هي مصادر أفعالنا، فانظر كم بينهما من التفاوت في الحسن.

[٩٨ ـ ٩٩] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله**﴾ فادرج عن مقام النفس بالعروج إلى جناب القدس، فإن النفس مأوى كل كدورة ومنبع كل رجس تناسب وساوس الشيطان، وتجرّدها بأحاديثها، فإن ارتقيت من مقرّها لم يكن للشيطان عليك سلطان لأنه لا يطيق نور حضور الحق وحضرة القلب مهبط أنواره وجناب صفاته المقدّسة ومحل تجلياته النورية، فعذ إليها وعذ بنور الله فيها تستحكم بنيان إيمانك باليقين فإن الإيمان الذي لا يبقى معه سلطان الشيطان كما قال تعالى: ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا**﴾ أقل درجاته اليقين العلمي الذي محله القلب الصافي ولا يكفي هذا اليقين في نفي سلطانه إلا إذا كان مقروناً بشهود الأفعال الذي هو مقام التوكل

كما قال تعالىٰ: ﴿وعلىٰ ربّهم يتوكلون﴾ والفناء في الأفعال لا يمكن مع بقاء صفات النفس، إذ بقاء صفاتها يستدعي أفعالها، ولهذا قيل: لا يمكن إيفاء حق مقام وتصحيحه وأحكامه إلا بعد الترقي إلى ما فوقه، فبالترقي إلى مقام الصفات يتم فناء الأفعال فيصح التوكل.

[١٠٠ ـ ١٠٥] ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا
بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ في مقام النفس بالمناسبة التي بينهما في الظلمة والكدورة، إذ التولي مرتب على الجنسية ﴿والذين هم به مشركون﴾ بنسبة القوة والتأثير إليه، بل بطاعته وانقياد أوامره للتولي المذكور.

[١٠٦ ـ ١٠٧] ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ
بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ لكون الظلمة له ذاتية بحسب استعداده الأول والنور عارضياً، فهو في حجاب خلقي عن نور الإيمان إن اعتراه شعاع قدسيّ من نفس الرسول أو من فيض القدس أو أثر فيه وعداً ووعيداً، أو كلمة حق في دعوته إلى الحق في حال إقبال من قلبه ودعاه داعية نفسانية من حصول نفع ودفع ضرّ ماليين أو جاه وعزّة بسبب الإسلام، آمن ظاهراً، ومقامه ومقرّه الكفر، فقد استحق غضب الله لأنه محجوب بحسب الاستعداد عن أول مراتب الإيمان الذي هو شهود الأفعال بالاستدلال من الصنع على الصانع فعقابه من باب الأفعال والصفات لا الذي ﴿أكره﴾ على الكفر بالإنذار والتخويف ﴿وقلبه مطمئن﴾ ثابت متمكن مملوء ﴿بالإيمان﴾ لنورية فطرته في الأصل وكون النور ذاتياً له بحسب الفطرة، والكفر والاحتجاب إنما عرض بمقتضى النشأة. وقد زال الحجاب العارضي. ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ أي: طاب به نفساً ورضي واطمأن لكونه مستقرّه ومأواه الأصلي ﴿فعليهم غضب﴾ عظيم، أي: غضب ﴿من الله ولهم عذاب عظيم﴾ لاحتجابهم عن جميع مراتب الأنوار من الأفعال والصفات والذات، فما أغلظ حجابهم وما أعظم عذابهم.

﴿ذلك﴾ أي: انشراح الصدر بالكفر والرضا به ﴿بـ﴾ سبب ﴿أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ لكونها مبلغ علمهم ونهايته، وما بلغ علمهم إلى الآخرة لانسداد بصائر قلوبهم ومناسبة استعدادهم للأمور الغاسقة السفلية من المواد الجسمية، فأحبوا ما شعروا به ولاءم حالهم. وحبّ الدنيا رأس كل خطيئة لاستلزامه الحجاب الأغلظ الذي لا خطيئة إلا تحته وفي طيّه ﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ أي: المحجوبين بأغلظ الحجب لامتناع قبولهم للهداية.

[١٠٨ ـ ١٠٩] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿أولٰئكَ الذين طَبَع الله علىٰ قلوبهم﴾ بقساوتها وكدورتها في الأصل فلم ينفتح لهم طريق الإلهام والفهم والكشف ﴿وسمعهم وأبصارهم﴾ بسدّ طريق المعنى المراد من مسموعاتهم وطريق الاعتبار من مبصراتهم إلى القلب، فلم يؤثر فيهم شيء من أسباب الهداية من طريق الباطن من فيض الروح وإلقاء الملك وإشراق النور ولا من طريق الظاهر بطريق التعليم والتعلم والاعتبار من آثار الصنع ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ بالحقيقة لعدم انتباههم بوجه من الوجوه وامتناع تيقظهم من نوم الجهل بسبب من الأسباب.

﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ الذين ضاعت دنياهم التي استنفدوا في تحصيلها وسعهم، وأتلفوا في طلبها أعمارهم، وليسوا من الآخرة في شيء إلا في عذاب هيئات التعلقات ووبال التحسرات.

[١١٠ ـ ١١١] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿ثم إنّ ربّك للذين هاجروا﴾ أي: تباعد بين هؤلاء المحجوبين الذين: إنّ ربّك عليهم بالغضب والقهر، وبين الذين: إنّ ربّك لهم بالرضا والرحمة وهم الذين هاجروا عن مواطن النفس بترك المألوفات والمشتهيات ﴿من بعد ما فُتِنوا﴾ وابتلوا بحكم النشأة البشرية ﴿ثم جاهدوا﴾ في الله بالرياضات وسلوك طريقه بالترقي في المقامات والتجريد عن الهيئات والتعلقات ﴿وصبروا﴾ على ما تحب النفس وتكرهه بالثبات في السير ﴿إن ربك من﴾ بعد هذه الأحوال ﴿لغفور﴾ لهم بستر غواشي الصفات النفسانية ﴿رحيم﴾ بإفاضة الكمالات وإبدال صفاتهم بالصفات الإلهية.

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وضرب الله مثلاً﴾ للنفس المستعدّة، القابلة الصافية عن الكدورات، المستفيدة من فيض القلب، الثابتة في طريق اكتساب الفضائل، الآمنة من خوف فواتها وفنائها، المطمئنة باعتقادها ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ من العلوم النافعة والفضائل الحميدة والأنوار الشريفة ﴿من كل مكان﴾ أي: من جميع جهات الطرق البدنية كالحواس الممتارة إياها قوت العلوم الجزئية، والجوارح، والآلات التي تطاوعها في الأعمال الجميلة، وتمرين الفضيلة إذا كانت منقادة للقلب مطواعة له، قابلة لفيضه، باقية على معتقدها من الحق تقليداً. ومن جهة القلب كإمداد الأنوار، وهيئات الفضائل، فظهرت بصفاتها بطراً وإعجاباً بزينتها وكمالها. ونظراً إلى ذاتها ببهجتها وبهائها فاحتجبت بصفاتها الظلمانية عن تلك الأنوار ومالت إلى الأمور السفلية من زخارف الدنيا واللذات الحسيّة وانقطع إمداد القلب عنها، وانقلبت المعاني الواردة إليها من طرق الحس هيئات غاسقة من صور المحسوسات التي انجذبت إليها ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ بانقطاع مدد المعاني والفضائل والأنوار من القلب والخوف من زوال مقتنياتها من الشهوات والمألوفات الحسيّة والمشتهيات ﴿بما كانوا يصنعون﴾ من كفران نِعَم الله باستعمالها في طلب اللذات الحسيّة والزخارف الدنيوية ولظهورها بصفاتها وإعجابها بكمالاتها وركونها إلى الدنيا ولذاتها واستيلائها على القلب بهيئاتها وأفعالها وحجب صاحبها عن نوره ومدده بطلب شهواتها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى» بقرية صفتها ما ذكر.

[١١٣ ـ ١١٩] ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا
عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ
لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ
مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

﴿ولقد جاءهم رسولٌ منهم﴾ أي: من جنسهم وهي القوة الفكرية التي هي من جملة قوى النفس بالمعاني المعقولة والآراء الصادقة ﴿فكذبوه﴾ بعدم التأثر بها والانقياد لأوامرها ونواهيها العقلية والشرعية وترك العمل بمقتضاها وقلّة المبالاة بها، ولم يرفعوا بها رأساً عن

الانهماك فيما هم عليه ﴿فأخذهم﴾ عذاب الاحتجاب والحرمان عن لذة الكمال في حالة ظلمهم وزيغهم عن طريق الفضيلة ونقصهم لحقوق صاحبهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ قد مرّ أن كل نبي يبعث في قوم يكون كماله شاملاً لجميع كمالات أمته وغاية لا يمكن لأمته الوصول إلى رتبة إلا وهي دونه، فهو مجموع كمالات قومه ولا يصل إليهم الكمال في صفة من صفات الخير والسعادة إلا بواسطته بل وجوداتهم فائضة من وجوده فهو وحده أمة لاجتماعهم بالحقيقة في ذاته، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لو وزنت بأمتي لرجحت بهم». ﴿قانتاً﴾ لله مطيعاً له، منقاداً بحيث لا يتحرك منه شعرة إلا بأمره لاستيلاء سلطان التوحيد عليه ومحو صفاته بصفاته، واتحاده بذاته، ولهذا سمي خليل الله لمخالة الحق إياه في شهوده. فمخالته عبارة عن مزج بقية من ذاته تؤذن بالاثنينية أما ترى رسول الله ﷺ لما لم يبق منه شيء من بقيته سمي حبيب الله فمحو صفاته في صفات الحق بالكلية وبقاء أثر من ذاته دون العين قنوته لله وإلا كان قانتاً بالله لا لله، كما قال لمحمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[١] ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن كل باطل حتى عن وجوده ووجود كل ما سواه تعالى معرضاً عن إثباته. وما كان ﴿من المشركين﴾ بنسبة الوجود والتأثير إلى الغير.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾

﴿شاكراً لأنعمه﴾ أي: مستعملاً لها على الوجه الذي ينبغي لكونه متصرفاً فيها بصفات الله فتكون أفعاله إلهية مقصودة لذاتها لا لغرض فلا يمكنه ولا يسعه إلا توجيه كل نعمة إلى ما هو كمالها على مقتضى الحكمة الإلهية والعناية السرمدية ﴿اجتباه﴾ اختاره في العناية الأولى بلا توسط عمل منه وكذا لكونه من المحبوبين الذين سبقت لهم منه الحسنى، فتتقدم كشوفهم على سلوكهم ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ أي: بعد الكشف والتوحيد والوصول إلى عين الجمع هداه إلى سلوك صراطه ليقتدي به، وردّه من الوحدة إلى الكثرة وإلى الفرق بعد الجمع لإعطاء كل ذي حق حقه من مراتب التفاصيل، وتبيين أحكام التجليات في مقام التمكين والاستقامة وإلا لم يصلح للنبوّة.

[١٢٢] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ من تمتيعه بالحظوظ لتقوى نفسه على تقنين القوانين الشرعية والقيام بحقوق العبودية في مقام الاستقامة والإطاقة بحمل أعباء الرسالة وآتيناه المُلْك العظيم

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

مع النبوة، كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[١] ليتمكن من تقرير الشريعة ويضطلع بأحكام الدعوة والذكر الجميل كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[٢] والصلاة والسلام عليه كما قال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾[٣] ﴿وإنه في الآخرة﴾ أي: في عالم الأرواح ﴿لمن الصالحين﴾ المتمكنين في مقام الاستقامة بإيفاء كل ذي حق حقه، وتبليغه إلى كماله وحفظه عليه ما أمكن.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ثم أوحينا إليك﴾ أي: بعد هذه الكرامات والحسنات التي أعطيناه إياها في الدارين شرّفناه وكرمناه بأمرنا باتباعك إياه ﴿أن اتبع ملّة إبراهيم﴾ في التوحيد وأصول الدين التي لا تتغير في الشرائع كأمر المبدأ والمعاد والحشر والجزاء وأمثالها، لا في فروع الشريعة وأوضاعها وأحكامها، فإنها تتغير بحسب المصالح واختلاف الأزمنة والطبائع وما عليه أحوال الناس من العادات والخلائق.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ أي: ما فُرِض عليك إنما فرض عليهم فلا يلزمك اتباع موسىٰ في ذلك بل اتباع إبراهيم.

[١٢٥] ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿ادع إلى سبيل ربّك﴾ الخ، أي: لتكن دعوتك منحصرة في هذه الوجوه الثلاثة لأن المدعو إما أن يكون خالياً عن الإنكار أو لا، فإن كان خالياً لكونه في مقام الجهل البسيط غير معتقد لشيء، فإما أن يكون مستعداً غير قاصر عن درك البرهان بل يكون برهاني الطباع أو لا. فإن كان الأول فادعه بالحكمة وكلمه بالبرهان والحجة واهده إلى صراط التوحيد بالمعرفة، وإن كان قاصر الاستعداد فادعه بالموعظة الحسنة والنصيحة البالغة من الإنذار والبشارة والوعد والوعيد والزجر والترهيب واللطف والترغيب، وإن كان منكراً ذا جهل مركب واعتقاد باطل فجادله بالطريقة التي هي أحسن من إبطال معتقده بما يلزم من مذهبه بالرفق

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٠٨ ـ ١٠٩.

والمداراة على وجه يلوح له أنك تثبت الحق وتبطل الباطل لا غرض لك سواه.

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله﴾ في الأزل لشقاوته الأصلية فلا ينجع فيه أحد هذه الطرق الثلاثة ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ المستعدّين، القابلين للهداية لصفاء الفطرة.

[١٢٦] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وإن عاقبتم﴾ الخ، أي: الزموا سيرة العدالة والفضيلة لا تجاوزوها فإنها أقلّ درجات كمالكم، فإن كان لكم قدم في الفتوة وعرق راسخ في الفضل والكرم والمروءة فاتركوا الانتصار والانتقام ممن جنىٰ عليكم وعارضوه بالعفو مع القدرة واصبروا على الجناية فإنه ﴿لهو خير للصابرين﴾ ألا تراه كيف أكده بالقسم واللام في جوابه وترك المضمر إلى المظهر حيث ما قال: لهو خير لكم، بل قال: ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[١] للتسجيل عليهم بالمدح والتعظيم بصفة الصبر، فإن الصابر ترقىٰ عن مقام النفس وقابل فعل نفس صاحبه بصفة القلب فلم يتكدّر بظهور صفة النفس وعارض ظلمة نفس صاحبه بنور قلبه، فكثيراً ما يندم ويتجاوز عن مقام النفس، وتنكسر سورة غضبه فيصلح، وإن لم يكن لكم هذا المقام الشريف فلا تعاقبوا المسيء لسورة الغضب بأكثر مما جنىٰ عليكم فتظلموا، أو تتورطوا بأقبح الرذائل وأفحشها فيفسد حالكم ويزيد وبالكم على وبال الجاني.

[١٢٧] ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿واصْبِرِ وما صبرك إلا بالله﴾ اعلم أنّ الصبر أقسام: صبر لله، وصبر في الله، وصبر مع الله، وصبر عن الله، وصبر بالله. فالصبر لله هو من لوازم الإيمان وأول درجات أهل الإسلام. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر»، وهو حبس النفس عن الجزع عند فوات مرغوب أو وقوع مكروه، وهو من فضائل الأخلاق الموهوبة من فضل الله لأهل دينه وطاعته المقتضىٰ للثواب الجزيل. والصبر في الله هو الثبات في سلوك طريق الحق، وتوطين النفس على المجاهدة بالاختيار، وترك المألوفات واللذات، وتحمل البليّات، وقوّة العزيمة في التوجه إلى منبع الكمالات، وهو من مقامات السالكين، يهبه الله لمن يشاء من فضله من أهل الطريقة. والصبر مع الله هو لأهل الحضور، والكشف عند التجرّد عن ملابس الأفعال والصفات، والتعرّض لتجليات الجمال والجلال، وتوارد واردات الأنس والهيبة، فهو بحضور القلب لمن كان له قلب، والاحتراس عن الغفلة والغيبة عند

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

التلوينات بظهور النفس وهو أشقّ على النفس من الضرب على الهام، وإن كان لذيذاً جداً. والصبر عن الله هو لأهل الجفاء والحجاب، نورانياً كان أو ظلمانياً، وهو مذموم جداً، وصاحبه ملوم حقاً وكلما كان أصبر كان أسوأ حالاً وأبعد، وكلما كان في ذلك أقوى كان ألوم وأجفىٰ أو لأهل العيان والمشاهدة من العشاق والمشتاقين المتقلبين في أطوار التجلي والاستتار، والمنخلعين عن الناسوت المتنوّرين بنور اللاهوت ما بقي لهم قلب ولا وصف كلما لاح لهم نور من سبحات أنوار الجمال احترقوا وتفانوا، وكلما ضرب لهم حجاب ورد وجودهم تشويقاً وتعظيماً ذاقوا من ألم الشوق وحرقة الفرقة ما عيل به صبرهم وتحقق موتهم وهو من أحوال المحبين ولا شيء أشق من هذا الصبر وأشد تحملاً وأقتَل، فإن أطاقه المحب كان خافياً وإن لم يطق كان فانياً فيه هالكاً، وفي هذا المقام قال الشبلي:

صابر الصبر فاستغاث به الصبـ ـر فصاح المحب بالصبر صبراً

أي: صابر الحبيب الصبر، فاستغاث به الصبر عند إشرافه على النفاد فصاح المحب بالصبر صبراً على النفاد والهلاك، فإن فيه النجاح والفلاح. والصبر بالله هو لأهل التمكين في مقام الاستقامة الذين أفناهم الله بالكلية وما ترك عليهم شيئاً من بقية الأنية والإثنينية ثم وهب لهم وجوداً من ذاته حتى قاموا به وفعلوا بصفاته وهو من أخلاق الله تعالى ليس لأحد فيه نصيب ولهذا أمره به. ثم بيّن أن ذلك الصبر الذي أمرت به ليس من سائر أقسام الصبر حتى يكون بنفسك أو بقلبك بل هو صبري لا تباشره إلا بي ولا تطيقه إلا بقوّتي، ولعدم وفاء قوته بهذا الصبر قال: «شيّبتني سورة هود».

﴿ولا تحزن عليهم﴾ بالتلوين بظهور القلب بصفته لأن صاحب هذا الصبر يرى الأشياء بعين الحق فكل ما يصدر عنهم يراه فعل الله وكل صفة تظهر عليهم يراه تجلياً من تجلياته وينكر المنكر بحكمه لأن الله بصّره بأنواع التجليات القهرية واللطفية والغضبية والرضوية وعرّفه أحكامه وأمره بإنفاذ الأحكام في مواقعها. ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ لانشراح صدرك بي، فكن معهم كما تراني معهم سائراً بسيري، قائماً بي وبأمري.

[١٢٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿إنّ الله مع الذين اتّقوا﴾ بقاياهم وآنياتهم بالاستهلاك في الوحدة والاستغراق في عين الجمع ﴿والذين هم مُحْسِنون﴾ بشهود الوحدة في عين الكثرة، والطاعة في عين المعصية، والقيام بالأمر والنهي في مقام الاستقامة، وإبقاء حقوق التفاصيل في عين الجمع، فلا يحجبهم الفرق عن الجمع ولا الجمع عن الفرق، ويسعهم مراعاة الحق والخلق للرجوع إلى الكثرة بوجود القلب الحقاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة بني إسرائيل ﴾

[١] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾

﴿سبحان الذي أسرىٰ﴾ أي: أنزهه عن اللواحق المادية والنقائص التشبيهية بلسان حال التجرّد والكمال في مقام العبودية الذي لا تصرف فيه أصلاً ﴿ليلاً﴾ أي: في ظلمة الغواشي البدنية والتعلقات الطبيعية لأنّ العروج والترقي لا يكون إلا بواسطة البدن ﴿من المسجد الحرام﴾ أي: من مقام القلب المحرّم عن أن يطوف به مشرك القوىٰ البدنية ويرتكب فيه فواحشها وخطاياها ويحجّه غوى القوىٰ الحيوانية من البهيمية والسبعية المنكشفة سوأتا إفراطها وتفريطها لعروها عن لباس الفضيلة ﴿إلى المسجد الأقصىٰ﴾ الذي هو مقام الروح الأبعد من العالم الجسماني بشهود تجليات الذات وسبحات الوجه، وتذكر ما ذكرنا أن تصحيح كل مقام لا يكون إلا بعد الترقي إلى ما فوقه لتفهم من قوله.

﴿لنريه من آياتنا﴾ مشاهدة الصفات، فإن مطالعة تجليات الصفات وإن كانت في مقام القلب لكن الذات الموصوفة بتلك الصفات لا تشاهد على الكمال بصفة الجلال والجمال إلا عند الترقي إلى مقام الروح، أي: لنريه آيات صفاتنا من جهة أنها منسوبة إلينا ونحن المشاهدون بها، البارزون بصورها ﴿إنه هو السميع﴾ لمناجاته في مقام السر لطلب الفناء ﴿البصير﴾ بقوة استعداده وتوجهه إلى محل الشهود وانجذابه إليه بقوة المحبة وكمال الشوق.

[٢، ٣] ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ② ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ③﴾

﴿وآتينا موسىٰ﴾ القلب كتاب العلم ﴿وجعلناه هدىً لبني إسرائيل﴾ أي: القوىٰ التي هي أسباط إسرائيل الروح ﴿ألاّ تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ لا تستبدوا بأفعالكم ولا تستقلوا بطلب كمالاتكم وحظوظكم ولا تكتسبوا بمقتضى دواعيكم ولا تكلوا أمركم إلى شيطان الوهم فيسوّل لكم اللذات البدنية ولا إلى عقل المعاش فيستعملكم في ترتيبه وإصلاحه، بل كلوا أمركم إليّ لأدبركم بأرزاق العلوم والمعارف وهيئات الأخلاق والفضائل، وأكملكم بإمداد الأنوار من عالم القلب والروح بتأييد القدس وأنزل عليكم من عوالم الملكوت والجبروت ما يغنيكم عن مكاسب الناسوت أعني ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ العقل في فلك الشريعة والحكمة العلمية

﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ لمعرفته بِنِعَم الله واستعمالها على الوجه الذي ينبغي.

[٤] ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ القوى في كتاب اللوح المحفوظ أي: حكمنا فيه ﴿لتفسدنّ في الأرض مرتين﴾ مرة في مقام النفس حالة كونها أمّارة لتفسدنّ في طلب شهواتكم ولذاتكم ﴿ولتعلنّ علوّاً كبيراً﴾ باستيلائكم على القلب وغلبتكم واستعلائكم عليه ومنعكم إياه عن كماله واستخدام قوته المفكرة في تحصيل مطالبكم ومآربكم، ومرة في مقام القلب عند تزينكم بالفضائل وتنوّركم بنور القلب وظهوركم ببهجة كمالاتكم لتفسدنّ بالظهور بكمالاتكم واحتجاب القلب بفضائلكم عن شهود تجلي التوحيد والحجب النورية أقوى من الحجب الظلمانية لرقتها ولطافتها وتصوّرها كمالات يجب الوقوف معها، ولتعلن في مقام الفطرة بالسلطنة بالهيئات العقلية والكمالات الأنسية.

[٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾

﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ أي: وعد وبال أولاهما ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ من الصفات القلبية والأنوار الملكوتية والآراء العقلية ﴿أولي بأسٍ شديد﴾ ذوي سلطنة وقهر ﴿فجاسوا خلال﴾ ديار أماكنكم ومحالكم وقتلوا بعضكم بالقمع والقهر وسبوا ذراري الهيئات البدنية والرذائل النفسانية ونهبوا أموال المدركات الحسيّة واللذات البهيمية والسبعية ﴿وكان وعداً﴾ على الله ﴿مفعولاً﴾ لإيداعه قوة الكمال وطلبه في استعدادكم وركزه أدلة العقل في فطرتكم.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿ثم رددنا لكم﴾ الدولة بتنوّركم بنور القلب وإقبالكم على الصدر وانصرافكم إلى مقتضىٰ نظر العقل ورأيه ﴿وأمددناكم بأموال﴾ العلوم النافعة والحِكَم العقلية والشرعية والمعارف القلبية ﴿وبنين﴾ من الفضائل الخلقية والهيئات النورانية ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ بكثرة الفضائل والملكات الفاضلة والأخلاق الحسنة.

[٧] ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

﴿إن أحسنتم﴾ بتحصيل الكمالات الخلقية والآراء العقلية ﴿أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم﴾ باكتساب الرذائل والهيئات البدنية ﴿فلها فإذا جاء وعد﴾ المرة ﴿الآخرة﴾ بالفناء في

التوحيد بعثنا عليكم عباداً من الأنوار القدسية والتجليات الجلالية والسبحات القهرية من الصفات الإلٰهية وجنود سلطان العظمة والكبرياء ﴿ليسوؤا وجوهكم﴾ أي: وجوداتكم بالفناء في التوحيد، فيغلب عليكم كآبة فقدان الكمالات بقهرها وسلبها ﴿وليدخلوا﴾ مسجد القلب ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ ووصل أثرها عليكم من العلوم والفضائل ﴿وليتبروا ما علوا﴾ بالظهور بكماله وفضيلته والإعجاب برؤية زينته وبهجته ﴿تتبيراً﴾ بالإفناء بصفات الله.

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿عسىٰ ربكم أن يرحمكم﴾ بعد القهر بالفناء والمحو بتجليات الصفات بالإحياء ويبعثكم بالبقاء بعد الفناء، ويثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿وإن عدتم﴾ بالتلوين في مقام الفناء بالظهور بأنائيتكم ﴿عدنا﴾ بالقهر والإفناء كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[1] ﴿وجعلنا جهنم﴾ الطبيعة ﴿للكافرين﴾ المحجوبين عن الأنوار، الذين بقوا على فساد المرة الأولى ﴿حصيراً﴾ محبساً وسجناً يحصرهم في عذاب الاحتجاب والحرمان عن الثواب.

[٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي: يبين أحوال الفرق الثلاث من السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال يهدي إلى طريقة التوحيد التي هي أقوم الطرق للسابقين ﴿ويبشر المؤمنين﴾ من أصحاب اليمين الذين آمنوا تقليداً جازماً أو تحقيقاً علمياً وداوموا على أعمال التزكية والتحلية الصالحة لأن يتوصل بها إلى الكمال ﴿أن لهم أجراً كبيراً﴾ من نعيم جنات الأفعال والصفات في عوالم الملك والملكوت والجبروت.

[١٠، ١١] ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

﴿وأن الذين لا يؤمنون﴾ من أصحاب الشمال ﴿بالآخرة﴾ لكونهم بدنيين محجوبين عن عالم النور، محبوسين في ظلمات الطبيعة ﴿أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ في قعر سجين الطبيعة، مقيدين بسلاسل محبة السفليات وأغلال التعلقات ونيران الحرمان عن اللذات والشهوات، والتعذب بالعقارب والحيّات من غواسق الهيئات.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٤، ٧٥.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وجعلنا﴾ ليل الكون وظلمة البدن ونهار الإبداع ونور الروح يتوصل بهما وبمعرفتهما إلى معرفة الذات والصفات ﴿فمحونا آية الليل﴾ بالفساد والفناء ﴿وجعلنا آية النهار﴾ بينة باقية أبداً، منيرة بكمالها، تبصر بنورها الحقائق ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أي: كمالكم الذي تستعدّونه ﴿ولتعلموا عدد﴾ المراتب والمقامات أي: لتحصوها من أول حال بدايتكم إلى كبر نهايتكم بالترقي فيها وحساب أعمالكم وأخلاقكم وأحوالكم، فلا تجدوا شيئاً من سيئات أعمالكم إلا وتكفرونه بحسنة مما يقابله من جنسه ولا رذيلة من أخلاقكم إلا وتكفرونها بضدها من الفضيلة، ولا ذنباً من ذنوب أحوالكم إلا وتكفرونه بالإنابة إلى جناب الحق ﴿وكل شيء﴾ من العلوم والحكم ﴿فصلناه﴾ بنور عقولكم عند الكمال ونزول العقل الفرقاني ﴿تفصيلا﴾ أي: علماً تفصيلياً مستحضراً لا إجمالياً مغفولاً عنه كما في العقل القرآني عند البداية.

[١٣ ـ ١٥] ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي: جعلنا سعادته وشقاوته وسبب خيره وشره لازماً لذاته لزوم الطوق في العنق، كما قال: «السعيد من سعد في بطن أمه والشقيّ من شقىٰ في بطن أمه».

﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ الصغرى عند الخروج من قبر جسده ﴿كتاباً﴾ هيكلاً مصوراً بصور أعماله مقلّداً في عنقه ﴿يلقاه﴾ للزومه إياه ﴿منشوراً﴾ لظهور تلك الهيئات فيه بالفعل مفصلة لا مطوياً كما كان عند كونها فيه بالقوة، يقال له: ﴿اقرأ كتابك﴾ أي: اقرأه قراءة المأمور الممتثل لأمر آمر مطاع يأمره بالقراءة، أو تأمره القوى الملكوتية سواء كان قارئاً أو غير قارىء، لأن الأعمال هناك ممثلة بهيئاتها وصورها يعرفها كل أحد لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الأميّ ﴿كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ لأن نفسه تشاهد ما فعلته لازماً إياها نصب عينها مفصلاً لا يمكنها الإنكار، فبين لها غيرها ﴿ولا تزر وازرة وِزْرَ أخرىٰ﴾ لرسوخ هيئة ما فعلته فيها وصيرورتها ملكة لازمة دون الذي فعل غيرها، ولم يعرض لها منه شيء، وإنما يتعذب من يتعذب بالهيئات التي فيه لا من خارج.

﴿وما كنّا مُعذّبين حتى نَبعث رسولا﴾ رسول العقل بإلزام الحجة وتمييز الحق والباطل.

ألا ترى أن الصبي والسفيه غير مكلفين؟، أو رسول الشرع لظهور ما في الاستعداد من الخير والشرّ والسعادة والشقاوة بسببه ومقابلته بالإقرار والإنكار، فإن المستعد للكمال يتحرك ما فيه بالقوة عند سماع الدعوة فيشتاق ويطلب متلقياً لها بالإقرار والقبول لما يدعوه إليه لمناسبته إياه وقربه وغير المستعد ينكر ويعاند لمنافاته لما يدعوه إليه ويعده.

[١٦، ١٧] ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ۝١٦ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ۝١٧﴾

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ الخ، إنّ لكل شيء من الدنيا زوالاً وزواله بحصول استعداد يقتضي ذلك. وكما أن زوال البدن بزوال الاعتدال وحصول انحراف يبعده عن ظل الوحدة التي هي سبب بقاء كل شيء وثباته فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن الجادة المستقيمة التي هي صراط الله وهي الشريعة الحافظة للنظام، فإذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك، وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله فلما تعلقت إرادته بإهلاكها تقدّمه أولاً بالضرورة فسق مترفيها من أصحاب الترف والنِعَم بطراً وأشراً بنعمة الله واستعمالاً لها فيما لا ينبغي وذلك بأمر من الله وقدر منه لشقاوة كانت تلزم استعداداتهم وحينئذ وجب إهلاكهم.

[١٨] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ۝١٨﴾

﴿من كان يريد العاجلة﴾ لكدورة استعداده وغلبة هواه وطبيعته ﴿عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ أي: لا نزيده بإرادته زيادة على ما قدرنا له من النصيب في اللوح ولذلك قيده بالمشيئة ثم بقوله لمن نريد يعني: لو لم نقدر له شيئاً مما أراده لم نعجل له تخليصه، إنّا لا نعطي إلا ما أردنا من أردنا ﴿ثم جعلنا له جهنّم﴾ أي: قعر بئر الطبيعة الظلمانية لانجذابه بإرادته إلى الجهة السفلية وميله إليها ﴿يصلاها﴾ بنيران الحرمان ﴿مذموماً﴾ عند أهل الدنيا والآخرة ﴿مدحوراً﴾ من جناب الرحمة والرضوان في سخط الله وقهره.

[١٩، ٢٠] ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ۝١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠﴾

﴿ومن أراد الآخرة﴾ لصفاء استعداده وسلامة فطرته وقام بشرائط إرادته من الإيمان والعمل الصالح شكر سعيه بحصول مراده كما قيل: من طلب وجدَّ وَجَدَ، لأن الطلب الحقيقي والإرادة الصادقة لا يكونان إلا عند حصول استعداد المطلوب، وإذا قارن الاستعداد الدالّ على أن المطلوب حاصل له بالقوة، مقدّر له في اللوح أسباب خروج المطلوب إلى

الفعل وبروزه من الغيب إلى الشهادة وهو السعي الذي ينبغي له ومن حقه أن يسعى له على هذا الوجه المعنيّ بقوله: ﴿**وسعىٰ لها سعيها**﴾ أي: السعي الذي يحق لها بشرط الإيمان الغيبي اليقيني وجب حصوله له ﴿**كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء**﴾ أي: كلهم من طالبي الدنيا وطالبي الآخرة نمد من عطائنا ليس بمجرد إرادتهم وسعيهم شيء وإنما إرادتهم وسعيهم معرّفات وعلامات لما قدّرنا لهم من العطاء ﴿**وما كان عطاء ربّك**﴾ ممنوعاً من أحد، لا من أهل الطاعة ولا من أهل المعصية.

[٢١] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾

﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض**﴾ في الدنيا بمقتضى مشيئتنا وحكمتنا ﴿**وللآخرة أكبر درجات**﴾ إذ بقدر رجحان الروح على البدن يكون رجحان درجات الآخرة على الدنيا وبقدر تفاضلهما يكون تفاضل درجاتهما.

[٢٢ ـ ٤٣] ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (٢٢) ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا
تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ
وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا
(٢٥) وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ
ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ
قَوْلًا مَّيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)
إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ
إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً
وَسَآءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ
يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا (٣٤) وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ
ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ
طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا
تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُل لَّوْ كَانَ
مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)﴾

﴿لا تجعل مع الله إلٰهاً آخر﴾ بتوقع العطاء منه وجعله سبباً لوصول شيء لم يقدر الله لك إليك، فتصير ﴿مذموماً﴾ برذيلة الشرك والشك عند الله وعند أهله ﴿مخذولاً﴾ من الله يكلك إليه ولا ينصرك ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾[1]. قال النبي ﷺ: «إنّ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا ما كتب الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا ما كتب الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجُفّت الصحف».

قرن سبحانه وتعالى إحسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصه بالعبادة لأنه من مقتضى التوحيد لكونهما مناسبين للحضرة الإلٰهية في سببيتهما لوجودك وللحضرة الربوبية لتربيتهما إياك، عاجزاً، صغيراً، ضعيفاً لا قدرة لك ولا حراك بك، وهما أول مظهر ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية والرحمة والرأفة بالنسبة إليك ومع ذلك فإنهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما والله غنيّ عن ذلك، فأهمّ الواجبات بعد التوحيد إذن إحسانهما والقيام بحقوقهما ما أمكن.

[٤٤ ـ ٥١] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾

﴿تسبح له السمٰوات السبع﴾ إلى آخره، إنّ لكل شيء خاصية ليست لغيره، وكمالاً يخصه دون ما عداه، يشتاقه ويطلبه إذا لم يكن حاصلاً له ويحفظه ويحبه إذا حصل فهو بإظهار خاصيته ينزّه الله عن الشريك وإلا لم يكن متوحداً فيها، فكأنه يقول بلسان الحال: أوحده على ما وحدني، وبطلب كماله ينّزهه عن صفات النقص كأنه يقول: يا كامل كمّلني، وبإظهار كماله يقول: كملني الكامل المُكمل. وعلى هذا القياس، حتى أنّ اللبوة مثلاً بإشفاقها على ولدها تقول: أرأفني الرؤف وأرحمني الرحيم. وبطلب الرزق: يا رزاق، فالسمٰوات السبع تسبحه بالديمومة والكمال والعلوّ والتأثير والإيجاد والربوبية، وبأنه كل يوم هو في شأن، والأرض بالدوام والثبات والخلاقية والرزاقية والتربية والإشفاق والرحمة وقبول الطاعة والشكر

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

عليها بالثواب، وأمثال ذلك. والملائكة بالعلم والقدرة والذوات المجرّدة منهم بالتجرّد عن المادة والوجوب أيضاً مع ذلك كله فهم مع كونهم مسّبحين إيّاه، مقدّسون له ﴿**ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ لقلة النظر والفكر في ملكوت الأشياء وعدم الإصغاء إليهم وإنما يفقه ﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[(١)].

﴿**إنّه كان حليماً**﴾ لا يعاجلكم بترك التسبيح في طلب كمالاتكم وإظهار خواصكم، فإن من خواصكم تفقه تسبيحهم وتوحيده كما وحدوه ﴿**غفوراً**﴾ يغفر لكم غفلاتكم وإهمالاتكم ﴿**جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ لقصور نظرهم عن إدراك الروحانيات وقصر هممهم على الجسمانيات ﴿**حجاباً مستوراً**﴾ من الجهل وعمىٰ القلب فلا يرون حقيقة القارىء وإلا آمنوا وإنما لا يبصرونك لأنهم لا يحسبونك إلا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين في بحر الهيولىٰ محجوبين بالغواشي الطبيعية وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله إذ لو عرفوا الحق لعرفوك ولو عرفوا صفاته لعرفوا كلامه، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية ﴿**أن يفقهوه**﴾ ولو عرفوا أفعاله لعلموا القراءة ولم يكن في آذانهم وقر لرسوخ أوساخ التعلقات ﴿**ولوا على أدبارهم نفوراً**﴾ لتشتت أهوائهم وتفرّق هممهم في عبادة متعبداتهم من أصنام الجسمانيات والشهوات، فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة لتألفها بالكثرة واحتجابها بها.

[٥٢ ـ ٦٣] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى
يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ
إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾
وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا
نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ
إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا
ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ أي: تتعلق إرادته ببعثكم فتنبعثون في أقرب من طرفة عين حامدين له بحياتكم وعلمكم وقدرتكم وإرادتكم حمداً واصفين له بالكمال بإظهار هذه الكمالات ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾ أي: في القبور والمضاجع لذهولكم عن الزمان كما يجيىء في قصة أصحاب (الكهف) أو في الحياة الأولى لاستقصاركم إياها بالنسبة إلى الحياة الآخرة فيتناول اللفظ القيامات الثلاث، إلا أن الآية السابقة ترجح الصغرى.

[٦٤ ـ ٦٩] ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿واستفزز﴾ إلى آخره، تمكن الشيطان من إغواء العباد على أقسام، لأن الاستعدادات متفاوتة فمن كان ضعيف الاستعداد استفزه أي استخفه بصوته يكفيه وسوسة وهمس بل هاجسة ولمة، ومن كان قويّ الاستعداد فإن أخلص استعداده عن شوائب الصفات النفسانية أو أخلصه الله تعالى عن شوائب الغيرية فليس له إلى إغوائه سبيل كما قال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ وإلا فإن كان منغمساً في الشواغل الحسيّة غارزاً رأسه في الأمور الدنيوية شاركه في أمواله وأولاده بأن يحرضه على إشراكهم بالله في المحبة بحبهم كحب الله ويسوّل له التمتع بهم والتكاثر والتفاخر بوجودهم ويمنيه الأماني الكاذبة ويزين عليه الآمال الفارغة وإن لم ينغمس فإن كان عالماً بصيراً بتسويلاته أجلب عليه بخيله ورجله، أي: مكر به بأنواع الحيل وكاده بصنوف الفتن وأفتى له في تحصيل أنواع الحطام والملاذ بأنها من جملة مصالح المعاش وغره بالعلم وحمله على الإعجاب، وأمثال ذلك، حتى يصير ممن أضلّه الله على علم وإن لم يكن عالماً بل عابداً متنسكاً أغواه بالوعد والتمنية وغرّه بالطاعة والتزكية أيسر ما يكون ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أي: عبادي الخاصة لا يكلون أمرهم إلا إلى الله وحده لا إلى الشيطان ولا إلى غيره، وهو كافيهم بتدبير الأمور ولا يتوكلون إلا عليه بشهود أفعاله وصفاته.

[٧٠] ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة ﴿وحملناهم في البرّ والبحر﴾ أي: يسرنا لهم أسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبها فيهما وتحصيلها ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي: المركبات التي لم ترزق غيرهم من المخلوقات ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا﴾ أي: ما عدا الذوات المقدّسة من الملأ الأعلى، وأما أفضلية بعض الناس كالأنبياء على الملائكة المقرّبين فليست من جهة كونهم بني آدم فإنهم من تلك الحيثية لا يتجاوزون مقام العقل بل من جهة السرّ المودع فيهم المشار إليه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1] وهو ما أعدّ لذلك البعض من المعرفة الإلهية التامة بواسطة الجمعية التي فيه، أي: مقام الوحدة، وحينئذ ليس هو بهذا الاعتبار من بني آدم كما قيل:

وإنسي وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

بل هو عين المكرّم المعروف كما قيل:

رأيت ربي بعين ربي ... فقال من أنت قلت أنت

وقد فنيَ ابن آدم في هذا المقام وما بقي منه شيء وإلا فما للتراب وربّ الأرباب، أو ولقد كرّمنا بنيَ آدم بالتقريب ومعرفة التوحيد وحملناهم في بر عالم الأجساد وبحر عالم الأرواح بتسييره فيهما لتركيبه منهما وإرقائه عنهما في طلب الكمال ورزقناهم من طيبات العلوم والمعارف، وفضلناهم على الجم الغفير ممن خلقنا، أي: جميع المخلوقات، على أن تكون من للبيان والمبالغة في تعظيمه بوصف المفضل عليهم بالكثرة وتنكير الوصف وتقديمه على الموصوف أي كثير، وأي كثير وهو جميع مخلوقاتنا لدلالة من على العموم ﴿تفضيلا﴾ تاماً بيّناً.

[٧١] ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١﴾

﴿يوم ندعوا﴾ إلى آخره، أي: نحضر ﴿كل﴾ طائفة من الأمم مع شاهدهم الذي يحضرهم ويتوجهون إليه من الكمال ويعرفونه سواء كان في صورة نبيّ آمنوا به كما ذكر في تفسير قوله: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾[2] أو إمام اقتدوا به أو دين أو كتاب أو ما شئت على أن تكون الباء بمعنى مع أو ننسبهم إلى إمامهم وندعوهم باسمه لكونه هو الغالب عليهم وعلى أمرهم المستعلي محبتهم إياه على سائر محباتهم ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ أي: من جهة العقل الذي هو أقوى جانبيه وبعث في صورة السعداء ﴿فأولئك يقرأون

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

كتابهم﴾ دون غيرهم لاستعدادهم للقراءة والفهم لأن الذي أوتي كتابه بشماله، أي: من جهة النفس التي هي أضعف جانبيه لا يقدر على قراءة كتابه وإن كان مقروؤاً لذهاب عقله وفرط حيرته ﴿ولا يظلمون﴾ أي: لا ينقصون من صور أعمالهم وكمالاتهم وأخلاقهم شيئاً قليلاً.

[٧٢] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ عن الاهتداء إلى الحق ﴿فهو في الآخرة﴾ كذلك ﴿وأضلّ سبيلاً﴾ مما هنا لأن له في هذه الحياة آلات وأدوات وأسباباً يمكنه الاهتداء بها وهو في مقام الكسب باقي الاستعداد إن كان ولم يبق هناك شيء من ذلك.

[٧٣، ٧٤] ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الخ، هو من باب التلوينات التي تحدث لأرباب القلوب بظهور النفس ولأرباب الشهود والفناء بوجود القلب، فإنه عليه السلام لفرط شغفه وحرصه على إيمانهم بوجود القلب كاد يميل إليهم في بعض مقترحاتهم ويرضى ببعض ما هو خلاف شريعته، ويضيف إلى الله ما ليس منه طلباً للمناسبة التي كان يتوقع أن تحدث بينه وبينهم بذلك فيحبوه كما قال: ﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ عسى أن يقبلوا قوله ويهتدوا به. واستمالة وتطييباً لقلوبهم عسى أن يلينوا وينزلوا عن شدّة إنكارهم فيرّق حجابهم وتتنوّر قلوبهم، فشدد وأقيم من عند الله، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن» تعني أنه عليه الصلاة والسلام كلما ظهرت نفسه وهمّت بما ليس بفضيلة نبّه من عند الله وثبت بتنزيل آية تقوّمه وتردّه إلى الاستقامة حتى بلغ مقام التمكين، وهذا وأمثاله من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾[1]، وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[3]، وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾[4] يدل على أنه كان أكثر سلوكه في الله بعد الوصول في زمان النبوة وزمان الوحي.

[٧٥ ـ ٧٧] ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٤) سورة عبس، الآية: ١.

﴿إذاً لأذقناك﴾ أي: لو قاربت فتنتهم وكدت توافقهم لأذقناك عذاباً مضاعفاً في الحياة وعذاباً مضاعفاً في الممات، فإنّ شدّة العذاب بحسب علوّ المرتبة وقوة الاستعداد إذ النقصان الموجب للعذاب يقابل الكمال الموجب للذة. فكلما كان الاستعداد أتمّ والإدراك أقوى، كانت المرتبة في الكمال والسعادة واللذة أقوىٰ فكذا ما يقابله من النقص والشقاوة أبعد وأسفل والألم أشدّ.

[٧٨] ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿أقِم الصَّلاة لدلوك الشمس﴾ إعلم أنّ الصلاة على خمسة أقسام: صلاة المواصلة والمناغاة في مقام الخفاء، وصلاة الشهود في مقام الروح، وصلاة المناجاة في مقام السرّ، وصلاة الحضور في مقام القلب، وصلاة المطاوعة والانقياد في مقام النفس. فدلوك الشمس هو علامة زوال شمس الوحدة عن الاستواء على وجود العبد بالفناء المحض، فإنه لا صلاة في حال الاستواء إذ الصلاة عمل يستدعي وجوداً، وفي هذه الحالة لا وجود للعبد حتى يصلي كما ذكر في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[1]. ألا ترىٰ الشارع عليه السلام كيف نهىٰ عن الصلاة وقت الاستواء، فأما عند الزوال، إذا حدث ظل وجود العبد سواء عند الاحتجاب بالخلق حالة الفرق قبل الجمع أو عند البقاء حالة الفرق بعد الجمع، فالصلاة واجبة ﴿إلىٰ غسق﴾ ليل النفس ﴿وقرآن﴾ فجر القلب، فأول الصلوات وألطفها صلاة المواصلة والمناغاة وأفضلها وأشرفها صلاة الشهود للروح المشار إليها بصلاة العصر كما فسرت الصلاة الوسطى، أي: الفضلىٰ في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾[2] والصلاة الوسطىٰ بها، وأوحاها وأخفها صلاة السرّ بالمناجاة أول وقت الاحتجاب بظهور القلب لسرعة انقضاء وقتها ولهذا استحب التخفف في صلاة المغرب في القراءة وغيرها لكونها علامة لها، وأزجر الصلاة للشيطان، وأوفرها تنويراً لباطن الإنسان صلاة الحضور للقلب المومىء إليها بقرآن الفجر، فإنها في وقت تجليات أنوار الصفات ونزول المكاشفات ولهذا استحب التكثر في جماعة صلاة الصبح وأكد استحباب الجماعة فيها خاصة، وتطويل القراءة، وقال تعالىٰ: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ أي: محضوراً بحضور ملائكة الليل والنهار إشارة إلى نزول صفات القلب وأنوارها وذهاب صفات النفس وزوالها، وأشدّها تثبيتاً للنفس وتطويعاً لها صلاة النفس للطمأنينة والثبات، ولهذا سنّ فيما جعل آية لها من صلاة العشاء السكوت

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

بعده حتى النوم إلا بذكر الله، وحيث أمكن للشيطان سبيل إلى الوسوسة استحب، فيما جعل علامة لها الجهر كصلاة النفس والقلب والسرّ للزجر ولا مدخل له في مقام الروح والخفاء فأمر بالإخفات.

[٧٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾

﴿ومن الليل فتهجد به﴾ أي: خصّص بعض الليل بالتهجد ﴿نافلة لك﴾ زيادة على ما فرض خاصة بك، لكونه علامة مقام النفس، فيجب تخصيصه بزيادة الطاعة لزيادة احتياج هذا المقام إلى الصلاة بالنسبة إلى سائر المقامات فيقتدي بك السالكون من أمّتك في تطويع نفوسهم ويقوىٰ تمكنك في مقام الاستقامة، كما قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً». ﴿عسىٰ أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾ أي: في مقام يجب على الكل حمده وهو مقام ختم الولاية بظهور المهدي، فإن خاتم النبوّة في مقام محمود من وجه هو جهة كونه خاتم النبوة غير محمود من وجه هو جهة ختم الولاية، فهو من هذا الوجه في مقام الحامدية فإذا تم ختم الولاية يكون في مقام محمود من كل وجه.

[٨٠] ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾

﴿وقل ربّ أدخلني﴾ حضرة الوحدة في عين الجمع ﴿مدخل صدق﴾ مدخلاً حسناً مرضياً به بلا آفة زيغ البصر بالالتفات إلى الغير ولا الطغيان بظهور الأنائية ولا شوب الأثنينية ﴿وأخرجني﴾ إلى الكثرة عند الرجوع إلى التفصيل بالوجود الموهوب الحقاني ﴿مخرج صدق﴾ مخرجاً حسناً مرضياً به من غير آفة التلوين بالميل إلى النفس وصفاته ولا الضلال بعد الهدى بالانحراف عن جادّة الاستقامة والزيغ عن سنن العدالة إلى الجور كالفتنة الداودية ﴿واجعَل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ حجة ناصرة بالتثبيت والتمكين بأن أكون بك في الأشياء في حال البقاء بعد الفناء لا بنفسي كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، أو عزاً وقوة قهرية بك، أقوي بها دينك وأظهره على الأديان كلها.

[٨١، ٨٢] ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾

﴿وقل جاء الحق﴾ أي: الوجود الثابت الواجب الحقاني الذي لا يتغير ولا يتبدّل ﴿وزهق الباطل﴾ أي: الوجود البشري الإمكاني القابل للفناء والتغير والزوال ﴿إنّ الباطل﴾ أي: الوجود الممكن ﴿كان﴾ فانياً في الأصل لا شيئاً ثابتاً طرأ عليه الفناء ففنى، بل الفاني فانٍ في الأزل والباقي باقٍ لم يزل، وإنما احتجبنا بتوهم فاسد باطل فكشف ﴿وننزل من﴾

العقل القرآني الجامع بالتدريج نجوم تفاصيل العقل الفرقاني نجماً فنجماً على الوجود الحقاني على حسب ظهور الصفات أي: نفصل ما في ذاتك مجملاً مكنوناً تفصيلاً بارزاً ظاهراً عليك ليكون شفاء لأمراض قلوب المستعدّين المؤمنين بالغيب من أمّتك كالجهل والشك والنفاق وعمىٰ القلب والغلّ والحقد والحسد وأمثالها فنزكيهم ورحمة تفيدهم الكمالات والفضائل وتحليهم بالحكم والمعارف ﴿ولا يزيد الظالمين﴾ الناقصين استعدادهم بالرذائل والحجب الظلمانية الباخسين حظوظهم من الكمال بالهيئات البدنية والصفات النفسانية ﴿إلاّ خساراً﴾ بزيادة ظهور أنفسهم بصفاتها كالإنكار والعناد والمكابرة واللجاج والرياء والنفاق منضمة إلى ما لهم من الشك والجهل والعمى والعمه.

[٨٣] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ بنعمة ظاهرة ﴿أعرض﴾ لوقوفه مع النفس والبدن وكون القوى البدنية متناهية لا تتدبر الأمور الغير المتناهية الممكنة الوقوع من سبب النعمة وردّها عند عدمها وسائر الغير ولا يرى إلا العاجل، وتكبر لاستعلاء نفسه على القلب وظهوره بأنائيته وتفرعنه فنأى، أي: بعد عن الحق في جانب النفس وطوىٰ جنبه معرضاً وكذا في جانب الشرّ إذا مسّه يئس لاحتجابه عن القادر وقدرته ولو نظر بعين البصيرة شاهد قدرة الله تعالى في كلتا الحالتين وتيقن في الحالة الأولى أن الشكر رباط النعم، وفي الثانية أن الصبر دفّاع النقم، فشكر وصبر وعلم أن المنعم قدر فلم يعرض عند النعمة بطراً وأشراً خائفاً زوالها، غير غافل عن المنعم، ولم ييأس عند النقمة جزعاً وضجراً راجياً كشفها، مراعياً لجانب المبلي.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿قل كل يعمل علىٰ شاكلته﴾ أي: خليقته وملكته الغالبة عليه من مقامه فمن كان مقامه النفس وشاكلته مقتضى طباعها عمل ما ذكرنا من الإعراض واليأس ومن كان مقامه القلب وشاكلته السجيّة الفاضلة عمل بمقتضاها الشكر والصبر ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلاً﴾ من العاملين عامل الخير بمقتضى سجيّة القلب وعامل الشرّ بمقتضى طبيعة النفس فيجازيهما بحسب أعمالهما.

[٨٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ أي: ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لا يتجاوز إدراكهم عن الحسّ والمحسوس بالتشبيه ببعض ما شعروا به والتوصيف بل من عالم الأمر، أي: الإبداع الذي هو عالم الذوات المجرّدة عن الهيولى والجواهر المقدّسة عن الشكل واللون والجهة والأين، فلا يمكنكم إدراكه أيها

المحجوبون بالكون لقصور إدراككم وعلمكم عنه ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ هو علم المحسوسات وذلك شيء نزر حقير بالنسبة إلى علم الله تعالى والراسخين في العلم.

[٨٦، ٨٧] ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك﴾ بالطمس في محل الفناء أو الحجب بعد الكشف بالتلوين ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ يتوكل علينا بردّه ﴿إلا﴾ مجرّد رحمة عظيمة خاصة بك من فرط عنايتنا وهي أعلى مراتب الرحمة الرحيمية المتكفلة من عند الله تعالى بإفاضة الكمال التام عليه، أي: لو تجلينا بذاتنا لما وجدت الوحي ولا ذاتك إلا إذا تجلينا بصفة الرحمة واسمنا الرحيم فتوجد وتجد الوحي، وكذا لو تجلينا بصفة الجلال لاحتجبت عن الوحي والمعرفة ﴿إنّ فضله﴾ بالإيحاء والتعليم الرباني بعد موهبة الوجود الحقاني ﴿كان عليك كبيراً﴾ في الأزل.

[٨٨ ـ ٩٦] ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ لكون الاستعداد الكامل الحامل له مخصوصاً بك وأنت قطب العالم يرشح إليهم ما يطفح منك فلا يمكنهم الإتيان بمثله ولا يطيقون حمله، ولهذا المعنى أبى أكثرهم ﴿إلا كفوراً﴾ واقترحوا الآيات الجسمانية المناسبة لاستعدادهم وإدراكهم كتفجير العيون من الأرض وجنّة النخيل والأعناب وإسقاط السماء عليهم كسفاً والرقي فيها والإتيان بالملائكة وسائر الممتنعات المتخيلة وأجيبوا بقوله:

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ أي: ما أمكن نزول الملائكة مع كونهم نفوساً مجرّدة على الهيئة الملكية في الأرض، بل لو نزلت لم ينزلوا إلا متجسدين، كما

قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾[1] وإلا لم يمكنكم إدراكهم فبقيتم على إنكاركم، وإذا كانوا مجسدين ما صدّقتم كونهم ملائكة فشأنكم الإنكار على الحالين بل على أيّ حال كان كإنكار الخفاش ضوء الشمس.

[٩٧ - ٩٩] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿**ومن يهد الله**﴾ بمقتضى العناية الأزلية في الفطرة الأولى بنوره ﴿**فهو المهتد**﴾ خاصة دون غيره ﴿**ومن يضلل**﴾ بمنع ذلك النور عنه ﴿**فلن تجد لهم**﴾ أنصاراً يهدونه ﴿**من دونه**﴾ أو يحفظونه من قهره ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم**﴾ أي: ناكسي الرؤوس لانجذابهم إلى الجهة السفلية أو على وجوداتهم وذواتهم التي كانوا عليها في الدنيا كقوله: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون» إذ الوجه يعبر به عن الذات الموجودة مع جميع عوارضها ولوازمها أي على الحالة الأولى من غير زيادة ونقصان ﴿**عمياً**﴾ عن الهدىٰ، كما كانوا في الحياة الأولى ﴿**وبكماً**﴾ عن قول الحق، لعدم إدراكهم المعنى المراد بالنطق إذ ليسوا ذوي قلوب يفهم بها ويفقه، فكيف التعبير عما لم يفهم ﴿**وصمّاً**﴾ عن سماع المعقول، لعدم الفهم أيضاً، فلا يؤثر فيهم موجب الهداية لا من جهة الفهم من الله تعالى بالإلهام ولا من طريق السمع من كلام الناس ولا من طريق البصر بالاعتبار ﴿**كلما خبت زدناهم سعيراً**﴾ كقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[2] بل أبلغ منه ذلك بسبب احتجابهم عن صفاتنا خصوصاً قدرتنا على البعث وإنكارهم له. أنكروا وما استدلوا بخلق السموات والأرض على القدرة.

[١٠٠ - ١٠٤] ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٦.

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم﴾ لوقوفكم مع صفات نفوسكم التي من لوازمها الشح الجبلي لكون إدراكها مقصوراً على ما يدرك بالحسّ من الأمور المادية المحصورة واحتجابها عن البركات الغير المتناهية والرحمة الواسعة الغير المنقطعة التي لا تدرك إلا عند اكتحال البصيرة بنور الهداية فتخشى نفادها وانقطاعها ﴿تسع آيات بيّنات﴾ مرّت الإشارة إليها في سورة (الحجر).

[١٠٥، ١٠٦] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦)﴾

﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي: ما أنزلنا القرآن إلا بعد زوال بشرية النبي ﷺ بالكلية في مقام الفناء وانتفاء الحدثان عن وجه القدم وانقشاع ظلمة الإمكان عن سبحات الوجه الواجب الباقي بالفرق الثاني ليكون له محل وجودي فما كان إنزاله إلا ظهور أحكام التفاصيل من عين الجمع على المظهر التفصيلي فكان إنزاله بالحق من الحق على الحق ونزوله بالحق على هذا التأويل هو كما يقال: نزل بكذا إذا حل به، على أن تكون الباء الثانية للظرفية كقولك: نزلت ببغداد والأولى للحال أي: ملتبساً بالحق على معنيين إما بالحق الذي هو نقيض الباطل أي: بالحقيقة والحكمة، وإما بالحق الذي هو الله تعالى أي: أنزل على صفته وهو الحق ﴿وقرآناً فرقناه﴾ على حسب ظهور استعدادات المظاهر المقتضية لقبوله بحسب الأحوال والمصالح والصفات كما أشرنا إليه في قوله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾[١].

[١٠٧ ـ ١٠٩] ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾

﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ أي: إن وجوداتكم كالعدم عندنا. ليس المراد منه هدايتكم لكونكم مطبوعاً على قلوبكم لا محل لكم عند الله ولا في الوجود لكونكم أحلاس بقعة الإمكان معدومي الأعيان بالذات إنما الاعتبار بالعلماء الذين لهم وجود عند الله في عالم البقاء المعتدّ بهم في الأنباء، فانظر كيف تراهم عند تلاوته عليهم وسماعهم إياه ﴿يخرّون﴾ أي: ينقادون له ويعترفون به ويعرفون حقيقته لعلمهم به ومعرفتهم إياه بنورية الاستعداد ومناسبته له، وبنور كمالهم لتجرّدهم وعلمهم بأنه كان كتاباً من عند الله موعوداً ليس هو إلا إياه لما وجدوه مطابقاً لما اعتقدوه يقيناً فإن الاعتقاد الحق لا يكون إلا واحداً ﴿ويزيدهم خشوعاً﴾ باللين والانقياد لحكمه لتأثرهم به وحسن تلقيهم لقبوله.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.

[١١٠] ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قل ادعوا الله﴾ بالفناء في الذات الجامعة لجميع الصفات ﴿أو ادعوا الرحمٰن﴾ بالفناء في الصفة التي هي أمّ الصفات ﴿أيّاً ما﴾ طلبت من هذين المقامين لست هناك بموجود ولا لك بقية ولا اسم ولا عين ولا أثر إذ الرحمن لا يصلح اسماً لغير تلك الذات ولا يمكن ثبوت تلك الصفة أي: الرحمة الرحمانية لغيرها فلا يلزم وجود البقية بخلاف سائر الأسماء والصفات ﴿فله الأسماء الحسنىٰ﴾ كلها في هذين المقامين لا لك ﴿ولا تجهر﴾ في صلاة الشهود بإظهار صفة الصلاة عن نفسك فيؤذن بالطغيان وظهور الأنانية ﴿ولا تخافت﴾ غاية الإخفات فيؤذن بالانطماس في محل الفناء دون الرجوع إلى مقام البقاء، فلا يمكن أحداً الاقتداء بك، ﴿وٱبْتَغِ بين ذٰلك سبيلاً﴾ يدل على الاستقامة ولزوم سيرة العدالة في عالم الكثرة وملازمة الصراط المستقيم بالحق.

[١١١] ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿وقل الحمد لله﴾ أي: أظهر الكمالات الإلٰهية والصفات الرحمانية التي لا تكون إلا للذات الأحدية ﴿الذي لم يتخذ ولداً﴾ أي: لم يكن علة لموجود من جنسه لضرورة كون المعلول محتاجاً إليه ممكناً بالذات معدوماً بالحقيقة فكيف يكون من جنس الموجود حقاً الواجب بذاته من جميع الوجوه ﴿ولم يكن له﴾ من يساويه في قوة القهر والمملكة من الشريك في الملك وإلا لكانا مشتركين في وجوب الوجود والحقيقة. فامتياز كل واحد منهما عن الآخر لا بد وأن يكون بأمر غير الحقيقة الواجبية فلزم تركبهما فكانا كلاهما ممكنين لا واجبين وأيضاً فإن لم يستقلا بالتأثير لم يكن أحدهما إلهاً، وإن استقلّ أحدهما دون الآخر فذلك هو الإلٰه دونه فلا شريك له وإن استقلا جميعاً لزم اجتماع المؤثرين المستقلين على معلول واحد إن فعلا معاً وإلا لزم إلٰهية أحدهما دون الآخر رضي بفعله أو لم يرض ﴿ولم يكن له وليّ من الذلّ﴾ أي: لم يكن له ناصر علة كان أوجزء علة تقويه وتنصره من ذلّة الانفعال والعدم وإلا لم يكن إلهاً واجباً بل ممكناً لتكون حبيباً قائماً به لا بنفسك ﴿وكبّره﴾ من أن يتقيد بصفة دون أخرى أو صورة غير أخرى أو يلحقه شيء من هذه النقائص فينحصر في وجود خاص تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ﴿تكبيراً﴾ لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه لامتناع وجود شيء غيره يفضل عليه وينسب إليه بل كل ما يتصور ويعقل ولا يكبر غيره بهذا التكبير والله الحق الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الكهف ﴾

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ أثنىٰ الله تعالى بلسان التفصيل على نفسه باعتبار الجمع من حيث كونه منعوتاً بإنزال الكتاب وهو إدراج معنى الجمع في صورة التفصيل فهو الحامد والمحمود تفصيلاً وجمعاً، فالحمد إظهار الكمالات الإلهية والصفات الجمالية والجلالية على الذات المحمدية باعتبار العروج بعد تخصيصه إياه بنفسه في العناية الأزلية المشار إليه بالإضافة في قوله: عبده، وذلك جعل عينه في الأزل قابلة للكمال المطلق من فيضه وإيداع كتاب الجمع فيه بالقوة التي هي الاستعداد الكامل وإنزال الكتاب عليه إبراز تلك الحقائق عن ممكن الجمع الوحداني على ذلك المظهر الإنساني فهما متعاكسان باعتبار النزول والعروج والإنزال في الحقيقة حمداً لله تعالى لنبيه إذ المعاني الكامنة في غيب الغيب ما لم ينزل على قلبه فلم يمكنه حمد الله حق حمده فما لم يحمده الله لم يحمد الله بل حمد حمده كما قال: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، حمد أولاً في عين الجمع نفسه باعتبار التفصيل ثم عكس فقال: الحمد لله.

﴿ولم يجعل له﴾ أي: لعبده ﴿عوجاً﴾ أي: زيغاً وميلاً إلى الغير كما قال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[(١)] أي: لم ير الغير في شهوده.

[٢ ـ ٤] ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾

﴿قيماً﴾ أي: جعله قيماً، يعني: مستقيماً كما أمر بقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[(٢)]، والمعنى: جعله موحداً فانياً فيه غير محتجب في شهوده بالغير ولا بنفسه لكونها غيراً أيضاً ممكناً مستقيماً حال البقاء، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾[(٣)]، أو جعله قيماً بأمر العباد وهدايتهم إذ التكميل يترتب على الكمال لأنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تقويم نفسه وتزكيتها أقيمت نفوس أمته مقام نفسه فأمر بتقويمها وتزكيتها ولهذا المعنى سمىٰ

(١) سورة النجم، الآية: ١٧.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤.

إبراهيم صلوات الله عليه أمة، وهذه القيمية أي القيام بهداية الناس داخلة في الاستقامة المأمور هو بها في الحقيقة ﴿لينذر﴾ متعلق بعامل قيماً أي: جعله قيماً بأمر العباد لينذر ﴿بأساً شديداً﴾ وحذف المفعول الأول للتعميم لأن أحداً لا يخلو من بأس مؤمناً كان أو كافراً، كما قال تعالى: «أنذر الصدّيقين بأني غيور، وبشّر المذنبين بأني غفور». إذ البأس عبارة عن قهره ولذلك عظمه بالتنكير، أي: بأساً يليق بعظمته وعزّته ووصفه بالشدّة وخصصه بقوله: ﴿من لدنه﴾ والقهر قسمان: قهر محض ظاهره وباطنه قهر كالمختص بالمحجوبين بالشرك، وقسم ظاهره قهر وباطنه لطف، وكذا اللطف كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: سبحان من اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة نعمته، واتسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته. ومن القسم الثاني القهر المخصوص بالموحدين من أهل الفناء أطلق الإنذار للكل تنبيهاً ثم فصل اللطف والقهر مقيدين بحسب الصفات والاستحقاقات فقال: ﴿ويبشّر المؤمنين﴾ أي: الموحدين لكونهم في مقابلة المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً.

﴿الذين يعملون الصٰلحات﴾ أي: الباقيات من الخيرات والفضائل لأن الأجر الحسن هو من جنة الآثار والأفعال التي تستحق بالأعمال. واعلم أن الإنذار والتبشير اللذين هما من باب التكميل اللازم لكونه قيماً عليهم كلاهما أثر ونتيجة عن صفتي القهر واللطف الإلٰهيين اللذين محل استعداد قبولهما من نفس العبد الغضب والشهوة، فإنّ العبد ما استعدّ لقبولهما إلا بصفتي الغضب والشهوة وفنائهما كما لم يستعدّ لفضيلتي الشجاعة والعفة إلا بوجودهما، فلما انتفتا قامتا مقامهما لأن كلاً منهما ظل لواحدة من تينك يزول بحصولها فعند ارتواء القلب منهما وكمال التخلق بهما حدث عن القهر الإنذار عند استحقاقية المحل بالكفر والشرك وعن اللطف التبشير باستحقاقية الإيمان والعمل الصالح، إذ الإفاضة لا تكون إلا عند استحقاق المحل.

[٥] ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾

﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم﴾ أي: ما لهم بهذا القول من علم بل إنما يصدر عن جهل مفرط وتقليد للأباء لا عن علم ويقين ويؤيده قوله: ﴿كبرت كلمة﴾ أي: ما أكبرها كلمة ﴿تخرج من أفواههم﴾ ليس في قلوبهم من معناه شيء لأنه مستحيل لا معنى له إذ العلم اليقيني يشهد أن الوجود الواجبي العلي أحديّ الذات لا يماثله الوجود الممكن المعلول. والولد هو المماثل لوالده في النوع المكافىء له في القوة والشهود الذاتي يحكم بفناء الخلق في الحق والمعلول في المشهود فلم يكن، ثم سوّاه شيء غيره فضلاً عن الشبيه والولد كما قال أحدهم:

هذا الوجود وإن تكثر ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم

﴿إن يقولون إلاّ كذباً﴾ لتطابق الدليل العقلي والوجدان الذوقي الشهوديّ على إحالته.

[٦، ٧] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾

﴿فلعلك باخع﴾ أي: مهلك ﴿نفسك﴾ من شدّة الوجد والأسف على توليهم وإعراضهم، وذلك لأن الشفقة على خلق الله والرحمة عليهم من لوازم محبة الله ونتائجه ولما كان ﷺ حبيب الله ومن لوازم محبوبيته محبته لله لقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[1] وكلما كانت محبته للحق أقوى كانت شفقته ورحمته على خلقه أكثر لكون الشفقة عليهم ظلّ محبته لله اشتدّ تعطفه عليهم، فإنهم كأولاده وأقاربه بل كأعضائه وجوارحه في الشهود الحقيقي، فلذلك بالغ في التأسف عليهم حتى كاد يهلك نفسه. وأيضاً علم أن المحب إذا تقوّى بالمحبوب في استمرار الوصل ظهر قبوله في القلوب لمحبة الله إياه فلما لم يؤمنوا بالقرآن استشعر ببقية من نفسة وتوجس بنقصان حاله فعلاه الوجد وعزم على قهر النفس بالكلية طلباً للغاية وكان ذلك من فرط شفقته عليهم وكمال أدبه مع الله حيث أحال عدم إيمانهم على ضعف حاله لا على عدم استعدادهم ولذلك سلاّه بقوله: ﴿إنّا جعلنا﴾ أي: لا تحزن عليهم فإنه لا عليك أن يهلكوا جميعاً، إنّا نخرج جميع الأسباب من العدم إلى الوجود للابتلاء ثم نفنيها ولا حيف ولا نقص، أو إنّا جعلنا ما على أرض البدن من النفس ولذاتها وشهواتها وقوىٰ صفاتها وإدراكاتها ودواعيها ﴿زينة﴾ لها ليظهر أيهم أقهر لها وأعصى لهواها في رضاي وأقدر على مخالفتها لموافقتي.

[٨، ٩] ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾

﴿وإنّا لجاعلون﴾ بتجلينا وتجلي صفاتنا ﴿ما عليها﴾ من صفاتها هامدة كأرض ملساء لا نبات فيها أي: نفنيها وصفاتها بالموت الحقيقي أو بالموت الطبيعي ولا نبالي، بل ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ أي: إذا شاهدت هذا الإنشاء والإفناء فليس حال أصحاب الكهف آية عجيبة من آياتنا بل هذه أعجب. واعلم أن أصحاب الكهف هم السبعة الكمل القائمون بأمر الحق دائماً الذين يقوم بهم العالم ولا يخلو عنهم الزمان على عدد الكواكب السبعة السيّارة وطبقها فكما سخرها الله تعالىٰ في تدبير نظام عالم الصورة كما أشار

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

إليه بقوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾[١] على بعض التفاسير وكل نظام عالم المعنى وتكميل نظام الصورة إلى سبعة أنفس من السابقين كل يتتسب بحسب الوجود الصوري إلى واحد منهم، والقطب هو المنتسب إلى الشمس والكهف هو باطن البدن والرقيم ظاهره الذي انتقش بصور الحواس والأعضاء إن فسر باللوح الذي رقمت فيه أسماؤهم والعالم الجسماني إن جعل اسم الوادي الذي فيه الجبل والكهف والنفس الحيوانية إن جعل اسم الكلب والعالم العلوي إن جعل اسم قريتهم على اختلاف الأقوال في التفاسير ومنهم الأنبياء السبعة المشهورون المبعوثون بحسب القرون والأدوار، وإن كان كل نبيّ منهم على ذكر وهم: آدم وإدريس ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لأنه السابع المخصوص بمعجزة انشقاق القمر، أي: انفلاقه عنه لظهوره في دورة ختم النبوة وكمل به الدين الإلٰهي كما أشار إليه بقوله ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض». إذ المتأخر بالزمان والظهور أي: الوجود الحسيّ هو الحائز لصفات الكلّ وكمالاتهم كالإنسان بالنسبة إلى سائر الحيوانات، ولهذا قال ﷺ: «كأنّ بنيان النبوّة قد تمّ وبقي منه موضع لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللبنة». وقد اتفق الحكماء المتألهة من قدماء الفرس أن مراتب العقول والأرواح على مذهبهم في التنازل تتضاعف إشراقاتها، فكل ما تأخر في الرتبة كان حظه من إشراقات الحق وأنواره وسبحات أشعة وجهه وإشراقات أنوار الوسائط أوفر وأزيد فكذا في الزمان فهو الجامع الحاصر لصفات الكل وكمالاتهم الحاوي لخواصهم ومعانيهم مع كماله الخاص به اللازم للهيئة الاجتماعية، كما قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ومن هذا ظهر تقدّمه عليهم بالشرف والفضيلة ومن جهة أن إبراهيم عليه السلام كان مظهر التوحيد الأعظمي الذاتي، وكان هو الوسط في الترتيب الزماني بمنزلة الشمس في الرتبة كان قطب النبوة، ولزمهم كلهم اتباعه وإن لم يظهر في المتقدمين عليه بالزمان كارتباط الكواكب الستة في سيرها بها، ولكن لا كالقمر، فتبعه بالحقيقة محمد ﷺ. واعلم أن الأرواح في عالمها مراتب متعينة، وصفوف مترتبة واستعدادات متفاوتة متهيئة في الأزل بمحض العناية الأولى والفيض الأقدس فأهل الصف الأول هم السابقون المفردون المقرّبون المحبوبون المخصوصون بفضل عنايته وسابقة كرامته المتعارفون بنوره المتحابون فيه، والباقون يتباينون في الدرجات وبحسب تقاربها وتباعدها، يتعارفون ويتناكرون، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف إلى آخر الصفوف، فلها مراكز ثابتة، وأصول راسخة في العالم العلوي وعند التعلق بالأبدان يتفاوت درجات كمالاتها وغاية سعاداتها بحسب ما لها من الاستعداد الأول

(١) سورة النازعات، الآيات: ٤ ـ ٥.

المخصوص بكل منها من مباديها في الأزل كما قال عليه الصلاة والسلام: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»، حتى انتهت الدرجات في العلوّ إلى الفناء في التوحيد الذاتي، فبهذا الاعتبار يكون محمد عليه السلام عين آدم بل عين السبعة وكذا باعتبار كونه جامعاً لصفاتهم كما قيل أنه سأله أبو يزيد رحمة الله عليه: أنت من السبعة؟ فقال ﷺ: «أنا السبعة». وباعتبار علوّ مرتبته ومكانته، وسبقه في القدم وارتفاع درجة كماله وفضيلته، كان أقدمهم وأولهم وأفضلهم كما قال: «أول ما خلق الله نوري وكنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين». فهو متقدم عليهم بالرتبة والعلية والشرف والفضيلة، متأخر عنهم بالزمان وهو عينهم باعتبار السر والوحدة الذاتية، فالحاصل أن اختلافهم وتباينهم روحاً وقلباً ونفساً لا ينافي اتحادهم في الحقيقة وكذا افتراقهم بالأزمنة لا ينافي معيتهم في الأزل والأبد وعين الجمع كما قال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] مع قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾[2]. ويجوز أن يكون المراد بأصحاب الكهف روحانيات الإنسان التي تبقى بعد خراب البدن. وقول من قال: ثلاثة، إشارة إلى الروح والعقل والقلب. والكلب هي النفس الملازمة لباب الكهف. ومن قال: خمسة إشارة إلى الروح والقلب والعقل النظري والعقل العمليّ والقوة القدسية للأنبياء التي هي الفكر لغيرهم. ومن قال: سبعة فتلك الخمسة مع السرّ والخفاء والله أعلم.

[١٠] ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي: كهف البدن بالتعلق به ﴿فقالوا﴾ بلسان الحال ﴿ربنا آتنا من لدنك﴾ أي: من خزائن رحمتك التي هي أسماؤك الحسنى ﴿رحمة﴾ كما لا يناسب استعدادنا ويقتضيه ﴿وهيىء لنا من أمرنا﴾ الذي نحن فيه من مفارقة العالم العلوي والهبوط إلى العالم السفلي للاستكمال ﴿رشداً﴾ استقامة إليك في سلوك طريقك والتوجه إلى جنابك، أي: طلبوا بالاتصال البدني والتعلق بآلات الكمال وأسبابه الكمال العلمي والعملي.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿فضربنا على آذانهم﴾ أي: أنمناهم نومة الغفلة عن عالمهم وكمالهم نومة ثقيلة لا ينبههم صفير الخفير ولا دعوة الداعي الخبير. في كهف البدن ﴿سنين﴾ ذوات عدد، أي: كثيرة أو معدودة أي: قليلة هي مدة انغماسهم في تدبير البدن وانغمارهم في بحر الطبيعة مشتغلين بها، غافلين عما وراءها من عالمهم إلى أوان بلوغ الأشد الحقيقي، والموت الإرادي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

والطبيعي، كما قال: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

[١٢، ١٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

﴿ثم بعثناهم﴾ أي: نبهناهم عن نوم الغفلة بقيامهم عن مرقد البدن ومعرفتهم بالله وبنفوسهم المجرّدة ﴿لنعلم﴾ أي: ليظهر علمنا في مظاهرهم أو مظاهر غيرهم من سائر الناس ﴿أيّ الحزبين﴾ المختلفين في مدة لبثهم وضبط غايته الذين يعينون المدة أم يكلون علمه إلى الله، فإن الناس مختلفون في زمان الغيبة. يقول بعضهم: يخرج أحدهم على رأس كل ألف سنة وهو يوم عند الله، لقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]. ويقول بعضهم: على رأس كل سبعمائة عام أو على رأس كل مائة، وهو بعض يوم، كما قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[2]. والمحققون المصيبون هم الذين يكلون علمه إلى الله كالذين قالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[3] ولهذا لم يعين رسول الله ﷺ وقت ظهور المهديّ عليه السلام، وقال: «كذب الوقاتون».

﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ إيماناً يقيناً علمياً على طريق الاستدلال أو المكاشفة ﴿وزدناهم هدىً﴾ أي: هداية موصلة إلى عين اليقين ومقام المشاهدة بالتوفيق.

[١٤، ١٥] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ قويناها بالصبر على المجاهدة، وشجعناهم على محاربة الشيطان ومخالفة النفس، وهجر المألوفات الجسمانية، واللذات الحسية، والقيام بكلمة التوحيد، ونفي إلٰهية الهوى، وترك عبادة صنم الجسم بين يدي جبّار النفس الأمّارة من غير مبالاة بها حين عاتبتهم على ترك عبادة إله الهوىٰ وصنم البدن، وأوعدتهم بالفقر والهلاك، إذ النفس داعية إلى عبادته وموافقته، وتهيئة أسباب حظوظه مخيفة للقلب من الخوف والموت، أو جسرناهم على القيام بكلمة التوحيد، وإظهار الدين القويم والدعوة إلى الحق عند كل جبّار هو دقيانوس وقته كنمروذ وفرعون وأبي جهل وأضرابهم ممن دان بدينهم واستولى عليه النفس الأمّارة فعبد الهوى، أو ادّعىٰ الطغيان، وتمرد أنائيته وعدوانه الربوبية من غير مبالاة عند معاتبته إياهم على

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٩.
(٣) نفس الهامش السابق.

ترك عبادة الصنم المجعول كما هو عادة بعضهم أو صنم نفسه، كما قال فرعون اللعين: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[١] و ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٢].

﴿هؤلاء قومنا﴾ إشارة إلى النفس الأمارة وقواها، لأن لكل قوم إلهاً تعبده وهو مطلوبها ومرادها، والنفس تعبد الهوىٰ كقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾[٣]، أو إلى أهل زمان كل من خرج منهم داعياً إلى الله، إذ كل من عكف على شيء يهواه فقد عبده. ﴿لولا يأتون عليهم﴾ أي: على عبادتهم وإلهيتهم وتأثيرهم ووجودهم ﴿بسلطان بيّن﴾ أي: حجة بيّنة دليل على فساد التقليد وتبكيت بأن إقامة الحجة على إلهية غير الله وتأثيره ووجوده محال، كما قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[٤] أي: أسماء بلا مسميات لكونها ليست بشيء.

[١٦] ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ أي: فارقتم نفوسكم وقواها بالتجرّد ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ من مراداتها وأهوائها ﴿فأووا إلى الكهف﴾ إلى البدن لاستعمال الآلات البدنية في الاستكمال بالعلوم والأعمال، وانخزلوا فيه منكسرين، مرتاضين، كأنهم ميتون بترك الحركات النفسانية والنزوات البهيمية والسطوات السبعية، أي: موتوا موتاً إرادياً ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ حياة حقيقية بالعلم والمعرفة ﴿ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾ كما لا ينتفع به بظهور الفضائل وطلوع أنوار التجليات، فتلتذون بالمشاهدات وتتمتعون بالكمالات كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾[٥]، وقال عليه السلام في أبي بكر رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر ميتاً يمشي على وجه الأرض فلينظر أبا بكر»، أي: ميتاً عن نفسه يمشي بالله. أو وإذا اعتزلتم قومكم ومعبوداتهم غير الله من مطالبهم المختلفة، ومقاصدهم المتشتتة، وأهوائهم المتفننة، وأصنامهم المتخذة، فأووا إلى كهوف أبدانكم وامتنعوا عن فضول الحركات والخروج في أثر الشهوات، واعكفوا على الرياضات، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[٦] زيادة كمال وتقوية ونصرة بالأمداد الملكوتية، والتأييدات القدسية،

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢٣.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٦) سورة الكهف، الآية: ١٦.

فيغلبكم عليهم ويهيىء لكم ديناً وطريقاً ينتفع به، وقبولاً يهتدي بكم الخلائق ناجين. وفي الأوي إلى الكهف عند مفارقتهم سر آخر يفهم من دخول المهدي في الغار إذا خرج ونزل عيسى والله أعلم. وفي نشر الرحمة وتهيئة المرفق من أمرهم عند الأوي إلى الكهف إشارة إلى أنّ الرحمة الكامنة في استعدادهم إنما تنتشر بالتعلق البدني والكمال بتهيئاته.

[١٧] ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿**وترى الشمس**﴾ أي: شمس الروح ﴿**إذا طلعت**﴾ أي: ترقت بالتجرّد عن غواشي الجسم وظهرت من أفقه تميل بهم من جهة البدن وميله ومحبته إلى جهة اليمين أي: جانب عالم القدس وطريق أعمال البرّ من الخيرات والفضائل والحسنات والطاعات. وسيرة الأبرار، فإن الأبرار هم أصحاب اليمين. ﴿**وإذا غربت**﴾ أي: هوت في الجسم واحتجبت به، واختفت في ظلماته وغواشيه، وخمد نورها، تقطعهم وتفارقهم كائنين في جهة الشمال، أي: جانب النفس وطريق أعمال السوء فينهمكون في المعاصي والسيئات والشرور والرذائل. وسيرة الفجار الذين هم أصحاب الشمال ﴿**وهم في فجوة منه**﴾ أي: في مجال متسع من بدنهم هو مقام النفس والطبيعة، فإن فيه متفسحاً لا يصيبهم فيه نور الروح. واعلم أن الوجه الذي يلي الروح من القلب موضع منور بنور الروح يسمى العقل وهو الباعث على الخير والمطرق لإلهام الملك والوجه الذي يلي النفس منه مظلم بظلمة صفاتها يسمى الصدر وهو محل وسوسة الشيطان كما قال: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾[١]، فإذا تحرك الروح وأقبل القلب بوجهه إليه تنور وتقوى بالقوة العقلية الباعثة المشوقة إلى الكمال ومال إلى الخير والطاعة، وإذا تحركت النفس وأقبل القلب بوجهه إليها تكدر واحتجب عن نور الروح وأظلم العقل ومال إلى الشر والمعصية. وفي هاتين الحالتين تطرق الملك للإلهام والشيطان للوسواس وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. وفي الآية لطيفة هي: أنه استعمل في الميل إلى الخير الإزورار عن الكهف، وفي الميل إلى الشر قرضهم أي: قطعهم، وذلك أن الروح يوافق القلب في طريق الخير ويأمره به ويوافقه معرضاً عن جانب البدن وموافقاته ولا يوافقه في طريق الشر بل يقطعه ويفارقه وهو منغمس في ظلمات النفس وصفاتها الحاجبة إياه عن النور وهو إشارة إلى تلوينهم في السلوك، فإن السالك ما لم يصل إلى مقام التمكين وبقي في التلوين قد تظهر عليه النفس وصفاته فيحتجب عن نور الروح ثم يرجع ذلك أي: طلوع نور

(١) سورة الناس، الآية: ٥.

الروح واختفاؤه من آيات الله التي يستدل بها ويتوصل منها إليه وإلى هدايته.

﴿من يهد الله﴾ بإيصاله إلى مقام المشاهدة والتمكين فيها ﴿فهو المهتد﴾ بالحقيقة لا غير ﴿ومن يضلل﴾ بحجبه عن نور وجهه فلا هادي له ولا مرشد، أو من يهد الله إليهم وإلى حالهم بالحقيقة ومن يضلله يحجبه عن حالهم.

[١٨] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ يا مخاطب لانفتاح أعينهم وإحساساتهم وحركاتهم الإرادية الحيوانية ﴿وهم رقود﴾ بالحقيقة في سنة الغفلة تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴿ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ أي: نصرفهم إلى جهة الخير وطلب الفضيلة تارة، وإلى جهة الشر ومقتضى الطبيعة أخرى ﴿وكلبهم﴾ أي: نفسهم ﴿باسطٌ ذراعيه﴾ أي: ناشرة قوتيها الغضبية والشهوانية ﴿بالوصيد﴾ أي: بفناء البدن، ولم يقل: وكلبهم هاجع لأنها لم ترقد بل بسطت القوتين في فناء البدن ملازمة له لا تبرح عنه، والذراع الأيمن هو الغضب لأنه أقوى وأشرف وأقبل لدواعي القلب في تأديبه، والأيسر هو الشهوة لضعفها وخستها ﴿لو اطّلعت عليهم﴾ أي: على حقائقهم المجردة وأحوالهم السنية وما أودع الله فيهم من النورية والسنا، وما ألبسهم من العز والبهاء ﴿لوليت عنهم﴾ فاراً لعدم اعتقادك بالنفوس المجردة وأحوالها وعدم استعدادك لقبول كمالهم، أو لوليت منهم للفرار عنهم وعن معاملاتهم لميلك إلى اللذات الحسيّة والأمور الطبيعية ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ من أحوالهم ورياضاتهم، أو لو اطلعت عليهم بعد الوصول إلى الكمال وعلى أسرارهم ومقاماتهم في الوحدة لأعرضت عنهم وفررت من أحوالهم وملئت منهم رعباً لما ألبسهم الله من عظمته وكبريائه. وأين الحدث من القدم، وأنى يسع الوجود العدم.

[١٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وكذلك بعثناهم﴾ أي: مثل ذلك البعث الحقيقي والإحياء المعنوي بعثناهم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ أي: ليتباحثوا بينهم عن المعاني المودعة في استعدادهم الحقائق المكنونة في ذواتهم فيكملوا بإبرازها وإخراجها إلى الفعل، وهو أول الانتباه الذي تسميه المتصوفة اليقظة ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ مرّ تأويله، والمحققون منهم هم الذين ﴿قالوا ربّكم أعلم بما لبثتم فأبعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة﴾ هذا هو زمان استبصارهم واستفادتهم واستكمالهم.

والورق هو ما معهم من العلوم الأولية التي لا تحتاج إلى كسب، إذ بها تستفاد الحقائق الذهنية من العلوم الحقيقة والمعارف الإلٰهية. والمدينة محل الاجتماع، إذ لا بد من الصحبة والتربية أو مدينة العلم من قوله عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». وإنما بعثوا أحدهم لأن كمال الكل غير موقوف على التعليم والتعلم بل الكمال الأشرف هو العلمي فيكفي تعلم البعض عن كل فرقة وتنبيه الباقين كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾[١].

﴿فلينظر أيها أزكىٰ طعاماً﴾ أي: أهلها أطيب وأفضل علماً وأنقى من الفضول واللغو والظواهر كعلم الخلاف والجدل والنحو وأمثالها التي لا تتقوىٰ ولا تكمل بها النفس كقوله: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾[٢]، إذ العلم غذاء القلب كالطعام للبدن وهو الرزق الحقيقي الإلٰهي ﴿وليتلطف﴾ في اختيار الطعام ومن يشتري منه أي: ليختر المحقق الزكي النفس، الرشيد السمت، الفاضل السيرة، النقي السريرة، الكامل المكمل دون الفضولي الظاهري الخبيث النفس، المتعالم، المتصدّر، لإفادة ما ليس عنده ليستفيد بصحبته ويظهر كماله بمجالسته ويستبصر بعلمه فيفيدنا أو ليتلطف في أمره حتى لا يشعر بحالكم ودينكم، جاهل من غير قصد له ﴿ولا يشعرنّ بكم أحداً﴾ من أهل الظاهر المحجوبين وسكان عالم الطبيعة المنكرين، وإن أولنا أصحاب الكهف بالقوى الروحانية فالمبعوث هو الفكر، والمدينة محل اجتماع القوىٰ الروحانية والنفسانية والطبيعة والذي هو أزكىٰ طعاماً العقل دون الوهم والخيال والحواس، لأن كل مدرك له طعام والرزق هو العلم النظري على كلا التقديرين، ولا يشعرنّ بكم أحداً من القوىٰ النفسانية.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٢٠﴾

﴿إنهم إن يظهروا﴾ أي: يغلبوا ﴿عليكم يرجموكم﴾ بحجارة الأهواء والدواعي من الغضب والشهوة وطلب اللذة فيقتلوكم بمنعكم عن كمالكم ﴿أو يعيدوكم في ملّتهم﴾ باستيلاء الوهم وغلبة الشيطان والإمالة إلى الهوىٰ وعبادة الأوثان وعلى التأويل الأول ظهور العوام، واستيلاء المقلدة والحشوية المحجوبين، وأهل الباطل المطبوعين، ورجمهم أهل الحق، ودعوتهم إياهم إلى ملّتهم ظاهر كما كان في زمان رسول الله ﷺ.

[٢١] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الغاشية، الآية: ٧.

يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي: مثل ذلك البعث والإنامة أطلعنا على حالهم المستعدّين القابلين لهديهم ومعرفة حقائقهم ﴿ليعلموا﴾ بصحبتهم وهدايتهم ﴿إنّ وعد الله﴾ بالبعث والجزاء ﴿حق وأنّ الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ أي: حين يتنازع المستعدون الطالبون بينهم أمرهم في المعاد، فمنهم من يقول: إن البعث مخصوص بالأرواح المجردة دون الأجساد، ومنهم من يقول: إنه بالأرواح والأجساد معاً، فعلموا بالاطلاع عليهم ومعرفتهم أنه بالأرواح والأجساد وأن المعاد الجسماني حق، فقالوا: ﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾ أي: فلما توفوا قالوا ذلك كالخانقاهات والمشاهد والمزارات المبنية على الكمل، المقربين من الأنبياء والأولياء كإبراهيم ومحمد، وعلى سائر الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿ربّهم أعلم بهم﴾ من كلام أتباعهم من أممهم والمقتدين بهم، أي: هم أجلّ وأعظم شأناً من أن يعرفهم غيرهم، الموحدون الهالكون في الله، المتحققون به، فهو أعلم بهم كما قال تعالى: «أوليائي تحت قبائي، لا يعرفهم غيري».

﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ من أصحابهم والذين يلون أمرهم تبركاً بهم وبمكانهم ﴿لنتخذنّ عليهم مسجداً﴾ يصلي فيه.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سيقولون﴾ أي: الظاهريون من أهل الكتاب والمسلمين الذين لا علم لهم بالحقائق. وقوله: ﴿رجماً بالغيب﴾ أي: رمياً بالذي غاب عنهم، يعني: ظنّاً خالياً عن اليقين بعد قولهم: ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ و ﴿خمسة سادسهم كلبهم﴾ وتوسيط الواو الدالة على أن الصفة مجامعة للموصوف ولا تفارقه، وإنه لا عدد وراءه بين قوله: ﴿ويقولون سبعة﴾ وبين ﴿وثامنهم كلبهم﴾. وقوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ بعده، يدل على أنّ العدد هو سبعة لا غير، فالقليل هم المحققون القائلون به وإن أوّلناهم بالقوى الروحانية فهم العاقلتان: النظرية والعملية، والفكر والوهم، والتخيل والذكر، والحسّ المشترك المسمىٰ بنطاسيا، والكلب النفس والشمس والروح على كلا التأويلين. ولهذا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنهم كانوا سبعة، ثلاثة عن يمين الملك وثلاثة عن يساره، والسابع هو الراعي صاحب الكلب»، فإن صحت الرواية فالملك هو دقيانوس النفس الأمّارة، والثلاثة الذين كانوا عن

يمينه يستشيرهم هم العاقلتان والفكر، والثلاثة الذين كانوا عن يساره يستوزرهم هم التخيل والوهم والذكر، والراعي هو بنطاسيا صاحب أغنام الحواس، والذين قالوا هم ثلاثة أرادوا القلب والعاقلتين، والذين قالوا خمسة زادوا عليهم الفكر والوهم وتركوا المدرك للصور والذكر لعدم تصرفهما وكون كل منهما كالخزانة.

وعلى هذا التأويل فالاطلاع للفئة المحققين من الحضرة الإلٰهية على بقاء النفس بعد خراب البدن، والتنازع، هو التجاذب والتغالب الواقع بين القوى في الاستيلاء على البدن الذي يبعثون فيه وهو البنيان المأمور ببنائه والآمرون هم الغالبون الذين قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[١] يسجد، أي: ينقاد فيه جميع القوى الحيوانية والطبيعية والنفسانية والمأمورون هم المغلوبون الفاعلون في البدن المبعوث فيه والله أعلم.

[٢٣، ٢٤] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿**ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك**﴾ أدّبه بالتأديب الإلٰهي بعدما نهاه عن المماراة والسؤال، فقال: «لا تقولنّ إلا وقت أن يشاء الله» بأن يأذن لك في القول فتكون قائلاً به وبمشيئته أو إلا بمشيئته على أنه حال، أي: ملتبساً بمشيئته، يعني: لا تقولنّ لما عزمت عليه من فعل إني فاعل ذلك في الزمان المستقبل إلا ملتبساً بمشيئة الله، قائلاً: إن شاء الله، أي: لا تسند الفعل إلى إرادتك بل إلى إرادة الله، فتكون فاعلاً به وبمشيئته ﴿**واذكر ربك**﴾ بالرجوع إليه والحضور ﴿**إذا نسيت**﴾ بالغفلة عند ظهور النفس والتلوين بظهور صفاتها ﴿**وقل عسىٰ أن يهدين ربي لأقرب من هذا**﴾ أي: من الذكر عند التلوين وإسناد الفعل إلى صفاته بالتمكين والشهود الذاتي المخلص عن حجب الصفات ﴿**رشداً**﴾ استقامة، وهو التمكين في الشهود الذاتي.

[٢٥، ٢٦] ﴿وَلَبِثُوا۟ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿**ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين**﴾ من التي تبتنى على دور القمر فتكون كل سنة شهراً ومجموعها خمسة وعشرون سنة، وذلك وقت انتباههم وتيقظهم ﴿**وَٱزْدَادُوا تِسْعاً**﴾ هي مدة الحمل. وروعيت في الآية نكتة، هي أنه: لم يقل ثلثمائة سنة وتسعاً، أو ثلثمائة وتسع سنين،

(١) سورة الكهف، الآية: ٢١.

لاستعمال السنة في العرف وقت نزول الوحي في دورة شمسية لا قمرية، فأجمل العدد ثم بيّنه بقوله: سنين، فاحتمل أن يكون المميز غيرها كالشهر مثلاً، ثم بين أنّ المدة سنين مبهمة غير معينة، إذ لو قيل: ثلثمائة شهر سنين، فأبدل سنين من مجموع العدد، كانت العبارة صحيحة والمراد سنين كذا عدداً، أي: خمسة وعشرين. ويؤيده قوله بعده: ﴿قل الله أعلم بما لَبِثوا﴾ وقال قتادة: هو حكاية كلام أهل الكتاب من تتمة سيقولون: وقوله: ﴿قل الله أعلم﴾ ردّ عليهم. وفي مصحف عبد الله: وقالوا: لبثوا، وذلك أن اليقين غير محقق ولا مطرد.

[٢٧] ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿واتْلُ ما أوحي إليك من كتاب ربّك﴾ يجوز أن تكون من لابتداء الغاية، والكتاب هو اللوح الأول المشتمل على كل العلوم الذي منه أوحىٰ إلى من أوحىٰ إليه، وأن تكون بياناً لما أوحىٰ. والكتاب هو العقل الفرقاني وعلى التقديرين ﴿لا مبدّل لكلماته﴾ التي هي أصول الدين من التوحيد والعدل وأنواعهما ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ تميل إليه لامتناع وجود ذلك.

[٢٨، ٢٩] ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿واصبر نفسك﴾ أمر بالصبر مع الله وأهله وعدم الالتفات إلى غيره وهذا الصبر هو من باب الاستقامة والتمكين لا يكون إلا بالله ﴿مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ﴾ أي: دائماً هم الموحدون من الفقراء المجرّدين الذين لا يطلبون غير الله ولا حاجة لهم في الدنيا والآخرة، ولا وقوف مع الأفعال والصفات ﴿يريدون وجهه﴾ أي: ذاته فحسب، يدعونه ولا يحتجبون عنه بغيره وقت ظهورها غداة الفناء ووقت احتجابها بهم عند البقاء، فالصبر معهم هو الصبر مع الله، ومجاوزة العين عنهم المنهي عنها هو الالتفات إلى الغير.

﴿إنّا أعتدنا للظالمين﴾ أي: المشركين المحجوبين عن الحق لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] ﴿ناراً﴾ عظيمة ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ من مراتب الأكوان كالطباع العنصرية والصور النوعية المادية المحيطة بالأشخاص الهيولانية ﴿بماء كالمهل﴾ من جنس الغساق والغسلين، أي: المياه المتعفنة التي تسيل من أبدان أهل النار مسوّدة فيها دسومات يغاثون بها

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

أو غسالاتهم القذرة أو من جنس الغصص والهموم المحرقة.

[٣٠، ٣١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾

﴿إنّ الذين آمنوا﴾ بالتوحيد الذاتي لكونهم في مقابلة المشركين ﴿وعملوا الصالحات﴾ من الأعمال المقصودة لذاتها في مقام الاستقامة ﴿إنّا لا نضيع﴾ أجرهم، وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن الأجر إنما يستحق بالعمل دون العلم، إذ به يستحق ارتفاع الدرجة والرتبة ﴿جنات عدن﴾ من الجنان الثلاث ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ أي: يزينون فيها بأنواع الحليّ من حقائق التوحيد الذاتي ومعاني التجليات العينية الأحدية، إذ الذهبيات من الحليّ هي العينيات والفضيات هي الصفاتيات النورانيات كقوله: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾[1]. ﴿ويلبسون ثياباً خضراً﴾ يتّصفون بصفات بهيجة، حسنة، نضرة، موجبة للسرور ﴿من سندس﴾ الأحوال والمواهب لكونها ألطف ﴿وإستَبرق﴾ الأخلاق والمكاسب لكونها أكثف ﴿متكئين فيها على﴾ أرائك الأسماء الإلٰهية التي هي مبادىء أفعاله لاتصافهم بأوصافه وكون الصفة مع الذات هي الاسم المستند هو عليه في جنة الصفات والأفعال ﴿نعم الثواب وحسنت مرتفقاً﴾ في مقابلة: ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾.

[٣٢ ـ ٤٧] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾﴾

﴿ويوم نسّير الجبال﴾ أي: نُذهب جبال الأعضاء بالتفتيت فنجعلها هباءً منثوراً ﴿وترى﴾ أرض البدن ﴿بارزة﴾ ظاهرة مستوية، مسطحة بسيطة، كما كانت، لا صورة عليها ولا

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢١.

تركيب، فيها تراباً خالصاً ﴿وحشرناهم﴾ الضمير إما للقوى المذكورة وإما لأفراد الناس ﴿فلم نغادر منهم أحداً﴾ غير محشور.

[٤٨] ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وعرضوا على ربك﴾ عند البعث ﴿صفاً﴾ أي: مصطفين مترتبين في المواقف لا يحجب بعضهم بعضاً، كل في رتبته ﴿لقد جئتمونا﴾ أي: قلنا لهم ذلك اليوم: لقد جئتمونا حفاة عراة، غرلاً فرادى، أي: ﴿كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم﴾ بإنكاركم البعث ﴿ألن نجعل لكم موعداً﴾ وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور.

[٤٩ ـ ٥٩] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿ووضع الكتاب﴾ أي: كتاب القالب المطابق لما في نفوسهم من هيئات الأعمال الراسخة فيهم ﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ لعثورهم به على ما نسوا ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ يدعون الهلكة التي هلكوا بها من أثر العقيدة الفاسدة والأعمال السيئة ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ لكون آثار حركاتهم وأعمالهم كلها باقية في نفوسهم صغيرة كانت أو كبيرة، ثابتة في ألواح النفوس الفلكية أيضاً، مضبوطة فيها، تظهر عليهم على التفصيل في نشأتهم الثانية لا محيص لهم عنها، وهذا معنى قوله: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً

ولا يظلم ربّك أحداً﴾ مرّ معنىٰ سجود الملائكة وإباء إبليس.

وقوله: ﴿وكان من الجنّ﴾ كلام مستأنف، كأن قائلاً قال: ما بال إبليس لم يسجد؟ قال: كان من الجنّ، أي: من القوىٰ البدنية المختفية بالمواد، فلذلك فسق ﴿عن أمر ربّه﴾ أي: لاحتجابه بالمادة ولواحقها.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وإذ قال موسىٰ لفتاه﴾ ظاهره على ما ذكر في القصص ولا سبيل إلى إنكار المعجزات. وأما باطنه فأن يقال: وإذ قال موسىٰ القلب لفتى النفس وقت التعلق بالبدن: ﴿لا أبرح﴾ أي: لا أنفك عن السير والمسافرة، أو لا أزال أسير ﴿حتىٰ أبلغ مجمع البحرين﴾ أي: ملتقىٰ العالمين: عالم الروح وعالم الجسم، وهما العذاب والأجاج في صورة الإنسانية ومقام القلب ﴿أو أمضي حقباً﴾ أي: أسير مدة طويلة.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ في الصورة الحاضرة الجامعة ﴿نسيا حوتهما﴾ وهو الحوت الذي ابتلع ذا النون عليه السلام بالنوع لا بالشخص، لأن غداءهما كان قبل الوصول إلى هذه الصورة في الخارج من ذلك الحوت الذي أمر بتزوده في السفر وقت العزيمة ﴿فاتخذ سبيله﴾ في بحر الجسد حياً كما كان أو لا ﴿سرباً﴾ نقباً واسعاً كما قيل: بقي طريقه في البحر منفرجاً، لم ينضم عليه البحر.

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿فلما جاوزا﴾ مكان مفارقة الحوت وألقىٰ على موسىٰ النصب والجوع، ولم ينصب في السفر ولا جاع قبل ذلك على ما حكىٰ، تذكر الحوت والاغتذاء منه وطلب الغداء من فتاه وإنما قال: ﴿آتنا غداءنا﴾ لأن حاله ذلك نهاراً بالنسبة إلى ما قبله في الرحم ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ هو نصب الولادة ومشقتها.

[٦٣] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿قال أرأيت﴾ ما عراني ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ أي: النحر للارتضاع ﴿فإني نسيت الحوت﴾ لاستغنائنا عنه ﴿وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره﴾ أي: وما أنساني أن أذكره إلا الشيطان على إبدال أن أذكره من الضمير، وذلك لأن موسىٰ كان راقداً حين اتخذ الحوت

سبيله في البحر على ما قيل. وفتىٰ النفس يقظان، فأنسىٰ شيطان الوهم الذي زيّن الشجرة لآدم ذكر النفس الحوت لموسىٰ لكون الحال حال ذهول والسبيل المتعجب منه هو السرب المذكور.

[٦٤ ـ ٦٩] ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿**قال ذٰلك**﴾ أي: تملص الحوت واتخاذه سبيله الذي كان عليه في جبلته ﴿**ما كنا**﴾ نطلبه، لأن هناك مجمع البحرين الذي وعد موسىٰ عنده بوجود من هو أعلم منه، إذ الترقي إلى الكمال بمتابعة العقل القدسي لا يكون إلا في هذا المقام ﴿**فارتدا على آثارهما**﴾ في الترقي إلى مقام الفطرة الأولى كما كانا أولاً يقصّان ﴿**قصصاً**﴾ أي: يتبعان آثارهما عند الهبوط في الترقي إلى الكمال حتى وجد العقل القدسي، وهو عبد من عباد الله مخصوص بمزية عناية ورحمة ﴿**آتيناه رحمة من عندنا**﴾ أي: كمالاً معنوياً بالتجرّد عن المواد والتقدّس عن الجهات. والنورية المحضة التي هي آثار القرب والعندية ﴿**وعلمناه من لدنا علماً**﴾ من المعارف القدسية والحقائق الكلية اللدنية بلا واسطة تعليم بشري. وقوله: ﴿**هل أتبعك**﴾ هو ظهور إرادة السلوك والترقي إلى الكمال ﴿**إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾ لكونك غير مطلع على الأمور الغيبية والحقائق المعنوية لعدم تجرّدك واحتجابك بالبدن وغواشيه، فلا تطيق مرافقتي، وهذا معنى قوله: ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً**﴾ لقوّة استعدادي وثباتي على الطلب ﴿**ولا أعصي لك أمراً**﴾ لتوجهي نحوك وقبولي أمرك، لصفائي وصدق إرادتي. والمقاولات كلها بلسان الحال.

[٧٠، ٧١] ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾

﴿**فإن اتبعتني**﴾ في سلوك طريق الكمال ﴿**فلا تسألني عن شيء**﴾ أي: عليك بالاقتداء والمتابعة في السير بالأعمال والرياضات والأخلاق والمجاهدات، ولا تطلب الحقائق والمعاني ﴿**حتىٰ**﴾ يأتي وقته، فـ﴿**أحدث لك منه**﴾ أي: من ذلك العلم ﴿**ذكراً**﴾ وأخبرك بالحقائق الغيبية عند تجرّدك بالمعاملات القالبية والقلبية ﴿**فانطلقا حتى إذا ركبا**﴾ في سفينة البدن البالغ إلى حدّ الرياضة الصالح للعبودية إلى العالم القدسي في بحر الهيولىٰ للسير إلى الله ﴿**خرقها**﴾ أي: نقصها بالرياضة وتقليل الطعام وأضعف إحكامها وأوقع الخلل في نظامها وأوهنها ﴿**قال**

أخرقتها لتغرق أهلها﴾ أي: أكسرتها لتغرق القوىٰ الحيوانية والنباتية التي فيها في بحر الهيولىٰ فتهلك ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ وهذا الإنكار عبارة عن ظهور النفس بصفاتها وميل القلب إليها، والتضجر عن حرمان الحظوظ في الرياضة، وعدم القناعة بالحقوق.

[٧٢ - ٧٦] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦)﴾

﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ تنبيه روحي وتحريض قدسي على أن العزيمة في السلوك يجب أن تكون أقوى من ذلك ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾ إلى آخره، اعتذاره في مقام النفس اللوّامة ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً﴾ هو النفس التي تظهر بصفاتها فتحجب القلب فتكون أمّارة بالسوء. وقتله بإماتة الغضب والشهوة وسائر الصفات ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ اعتراض لتحنن القلب على النفس و ﴿ألم أقل لك﴾ تذكير وتعبير روحي و ﴿إن سألتك عن شيء﴾ إلى آخره، إعتذار وإقرار بالذنب واعتراف، وكلها من التلوينات عند كون النفس لوّامة.

[٧٧] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)﴾

﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ هم القوى البدنية، واستطعامهما منهم هو طلب الغذاء الروحاني منهم، أي: بواسطتهم كانتزاع المعاني الكلية من مدركاتها الجزئية وإنما أبوا أن يضيفوهما وإن أطعموهما قبل ذلك لأن غذاءهما حينئذ كان من فوقهم من الأنوار القدسية والتجليات الجمالية والجلالية والمعارف الإلٰهية والمعاني الغيبية لا من تحت أرجلهم كما كان قبل خرق السفينة، وقتل الغلام بالرياضة والقوى والحواس مانعة من ذلك لا ممدة، بل لا تتهيأ إلا بعد نعاسهم وهدوّهم كما قال موسى لأهله: امكثوا. والجدار الذي ﴿يريد أن ينقض﴾ هو النفس المطمئنة وإنما عبر عنها بالجدار لأنها حدثت بعد قتل النفس الأمّارة وموتها بالرياضة، فصارت كالجماد غير متحركة بنفسها وإرادتها، ولشدة ضعفها كادت تهلك، فعبر عن حالها بإرادة الانقضاض. وإقامته إياها تعديلها بالكمالات الخلقية والفضائل الجميلة بنور القوة النطقية حتى قامت الفضائل مقام صفاتها من الرذائل. وقول موسىٰ عليه السلام: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ تلوين قلبي لا نفسي، وهو طلب الأجر والثواب باكتساب الفضائل واستعمال الرياضة، ولهذا أجابه بقوله:

[٧٨] ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ أي: هذا هو مفارقة مقامي ومقامك ومباينتهما والفرق بين حالي وحالك، فإن عمارة النفس بالرياضة والتخلق بالأخلاق الحميدة ليست لتوقع الثواب والأجر وإلا فليست فضائل ولا كمالات لأن الفضيلة هي التخلق بالأخلاق الإلٰهية بحيث تصدر عن صاحبها الأفعال المقصودة لذاتها لا لغرض. وما كان لغرض فهو حجاب ورذيلة لا فضيلة والمقصود هو طرح الحجاب وانكشاف غطاء صفات النفس، والبروز إلى عالم النور لتلقي المعاني الغيبية بل الاتصاف بالصفات الإلٰهية بل التحقق بالله بعد الفناء فيه لا الثواب كما زعمت ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ أي: لما اطمأنت النفس واستقرّت القوى أمكنك قبول المعاني وتلقي الغيب الذي نهيتك عن السؤال عنه حتى أحدث لك منه ذكراً فسأذكر لك وأنبئك بتأويل هذه الأمور إذا استعددت لقبول المعاني والمعارف.

[٧٩ ـ ٨١] ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ في بحر الهيولى، أي: القوى البدنية من الحواس الظاهرة والقوى الطبيعية النباتية، وإنما سماها مساكين لدوام سكونها وملازمتها لتراب البدن وضعفها عن ممانعة القلب في السلوك والاستيلاء عليه كسائر القوى الحيوانية. وحكي أنهم كانوا عشرة أخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر، وذلك إشارة إلى الحواس الظاهرة والباطنة ﴿فأردت أن أعيبها﴾ بالرياضة لئلا يأخذها ملك النفس الأمّارة غصباً وهو الملك الذي كان وراءهم أي: قدّامهم ﴿يأخذ كل سفينة غصباً﴾ بالاستيلاء عليها واستعمالها في أهوائه ومطالبه ﴿وأما الغلام فكان أبواه﴾ اللذان هما الروح والطبيعة الجسمانية ﴿مؤمنين﴾ مقرين بالتوحيد لانقيادهما في سلك طاعة الله وامتثالهما لأمر الله وإذعانهما لما أراد الله منهما ﴿فخشينا أن يرهقهما﴾ أي: يغشيهما ﴿طغياناً﴾ عليهما بظهوره بالأنانية عند شهود الروح ﴿وكفراً﴾ لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه أو كفراً بالحجاب فيفسد عليهما أمرهما ودينهما ويبطل عبوديتهما لله ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾ كما بدّلهما بالنفس المطمئنة التي هي خير منه زكاة، أي: طهارة ونقاء ﴿وأقرب رحماً﴾ تعطفاً ورحمة لكونها أعطف على الروح والبدن وأنفع لهما، وأكثر شفقة. ويجوز أن يكون المراد بالأبوين الجدّ والأب، فكان كناية عن الروح والقلب. وكونه أقرب رحماً أنسب لهما وأشدّ تعطفاً.

[٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة**﴾ أي: العاقلتين النظرية والعملية المنقطعتين عن أبيهما الذي هو روح القدس لاحتجابهما عنه بالغواشي البدنية أو القلب الذي مات أو قتل قبل الكمال باستيلاء النفس في مدينة البدن ﴿**وكان تحته كنز لهما**﴾ أي: كنز المعرفة التي لا تحصل إلا بهما في مقام القلب لإمكان اجتماع جميع الكليات والجزئيات فيه بالفعل وقت الكمال وهو حال بلوغ الأشد واستخراج ذلك الكنز. وقال بعض أهل الظاهر من المفسرين: كان الكنز صحفاً فيها علم ﴿**وكان أبوهما**﴾ على كلا التأويلين ﴿**صالحاً**﴾ وقيل: كان أباً أعلىٰ لهما حفظهما الله له، فعلى هذا لا يكون إلا روح القدس.

[٨٣ ـ ٨٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

قصة ذي القرنين مشهورة وكان رومياً قريب العهد والتطبيق، إن ذا القرنين في هذا الوجود هو القلب الذي ملك قرنيه، أي: خافقيه شرقها وغربها ﴿**إنّا مكنا له**﴾ في أرض البدن بالإقدار والتمكين على جمع الأموال من المعاني الكلية والجزئية والسير إلى أيّ قطر شاء من المشرق والمغرب. ﴿**وآتيناه من كل شيء**﴾ أراده من الكمالات ﴿**سبباً**﴾ أي: طريقاً يتوصل به إليه ﴿**فأتبع**﴾ طريقاً بالتعلق البدني والتوجه إلى العالم السفلي.

[٨٦] ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿**حتى إذا بلغ مغرب الشمس**﴾ أي: مكان غروب شمس الروح ﴿**وجدها تغرب في عين حمئة**﴾ أي: مختلطة بالحمأة، وهي المادة البدنية الممتزجة من الأجسام الغاسقة كقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[١].

﴿**ووجد عندها قوماً**﴾ هم القوىٰ النفسانية البدنية والروحانية ﴿**قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تُعذب**﴾ بالرياضة والقهر والإماتة ﴿**وإما أن تتخذ فيهم حسناً**﴾ بالتعديل وإيفاء الحظ.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿**قال أمّا من ظلم**﴾ بالإفراط وعدم الاستسلام والانقياد كالشهوة والغضب والوهم والتخيل ﴿**فسوف نعذّبه**﴾ بالرياضة ﴿**ثم يرد إلى ربّه**﴾ في القيامة الصغرى ﴿**فيعذّبه**﴾ بالإلقاء في نار الطبيعة ﴿**عذاباً نكراً**﴾ أي: منكراً أشدّ من عذابي، أو في القيامة الكبرى فيعذبه عذاب القهر والإفناء.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿وأما من آمن﴾ بالعلم والمعرفة كالعاقلتين والفكر والحواس الظاهرة ﴿وعَمِل صالحاً﴾ بالسعي في اكتساب الفضائل والانقياد والطاعة ﴿فله جزاء﴾ المثوبة ﴿الحسنىٰ﴾ من جنة الصفات وتجليات أنوارها وأنهار علومها ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أي: قولاً ذا يسر بحصول الملكات الفاضلة.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿ثم أتبع﴾ طريقاً هي طريق الترقي والسلوك إلى الله بالتجرّد والتزكي ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ أي: مطلع شمس الروح ﴿وجدها تطلع على قوم﴾ هم العاقلتان والفكر والحدس والقوة القدسية ﴿لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ أي: حجاباً لتنوّرهم بنورها وإدراكهم المعاني الكلية/﴿كذٰلك﴾ أي: أمره كما وصفنا ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من العلوم والمعارف والكمالات والفضائل ﴿خبراً﴾ أي: علماً، ومعناه: لم يحط به غيرنا لكونه الحضرة الجامعة للعالمين فليس في الوجود من يقف على معلوماته إلا الله ولأمر ما سمي عرش الله.

[٩٢، ٩٣] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿ثم أتبع﴾ طريقاً بالسير في الله ﴿حتىٰ إذا بلغ بين السدّين﴾ أي: الكونين، وذلك مرتبته ومقامه الأصلي بين صدفي جبلي الإله والسير في المشرق والمغرب سفرة تنزلاً وترقياً ﴿وجد من دونهما قوماً﴾ هم القوى الطبيعية البدنية والحواس الظاهرة ﴿لا يكادون يفقهون قولاً﴾ لكونها غير مدركة للمعاني ولا ناطقة بها.

[٩٤] ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

﴿قالوا﴾ بلسان الحال ﴿إن يأجوج﴾ الدواعي والهواجس الوهمية ﴿ومأجوج﴾ الوساوس والنوازع الخيالية ﴿مُفسدون﴾ في أرض البدن بالتحريض على الرذائل والشهوات المنافية للنظام والحث على الأعمال الموجبة للخلل فيه وخراب القوانين الخيرية والقواعد الحكمية وإحداث النوائب والفتن والأهواء والبدع المنافية للعدالة المقتضية لفساد الزرع والنسل ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ بإمدادك بكمالاتنا وصور مدركاتنا ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً﴾ لا يتجاوزونه وحاجزاً لا يعلونه، وذلك هو الحد الشرعي والحجاب القلبي من الحكمة العملية.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿قال ما مكني فيه ربي﴾ من المعاني الكلية والجزئية الحاصلة بالتجربة والسير في المشرق والمغرب ﴿خير فأعينوني بقوة﴾ أي: عمل وطاعة ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ هو الحكمة العملية والقانون الشرعي.

[٩٦] ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿آتوني زُبَرَ الحديد﴾ من الصور العملية وأوضاع الأعمال ﴿حتىٰ إذا ساوىٰ بين الصدفين﴾ بالتعديل والتقدير ﴿قال﴾ للقوىٰ الحيوانية ﴿أنفخوا﴾ في هذه الصور نفخ المعاني الجزئية والهيئات النفسانية من فضائل الأخلاق ﴿حتىٰ إذا جعله ناراً﴾ أي: علماً برأسه من جملة العلوم يحتوي على بيان كيفية الأعمال ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ النية والقصد الذي يتوسط بين العلم والعمل، فيتحد به روح العلم وجسد العمل كالروح الحيواني المتوسط بين الروح الإنساني والبدن، فحصل سدّ، أي: قاعدة وبنيان من زبر الأعمال ونفخ العلوم والأخلاق وقطر العزائم والنيات، واطمأنت به النفس وتدّبرت فآمنت.

[٩٧] ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿فما اَسطَاعوا أن يظهروه﴾ ويعلوه لارتفاع شأنه وكونه مشتملاً على علوم وحجج لم يمكنهم دفعها والاستيلاء عليها ﴿وما اَستطاعوا له نقباً﴾ لاستحكامه بالملكات والأعمال والأذكار.

[٩٨] ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

﴿قال هذا﴾ السدّ، أي: القانون ﴿رحمة من ربّي﴾ على عباده، يوجب أمنهم وبقاءهم ﴿فإذا جاء وعد ربّي﴾ بالقيامة الصغرىٰ ﴿جعله دكّاً﴾ باطلاً، منهدماً، لامتناع العمل به عند الموت وخراب الآلات البدنية.

[٩٩] ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ بالاضطراب والاختلاط، أي: تركناهم يختلطون لاجتماعهم في الروح مع عدم الحيلولة ﴿ونفخ في الصور﴾ للبعث في النشأة الثانية ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ أو بالقيامة الكبرى حال الفناء وظهور الحق. جعله دكّاً لارتفاع العلم والحكمة هناك، وظهور معنى الحل والإباحة بتجلي الأفعال الإلٰهية وانتفاء الغير وفعله، وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض، حيارىٰ، مختلطين شيئاً واحداً لا حراك بهم. ونفخ في الصور بالإيجاد بالوجود الحقّاني حال البقاء فجمعناهم جمعاً في التوحيد والاستقامة والتمكين وكونهم بالله لا بأنفسهم.

[١٠٠ ـ ١٠٨] ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿**وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين**﴾ أي: يوم القيامة الصغرى يتعذب المحجوبون عن الحق بأنواع العذاب والنيران كما ذكر في سورة (الأنعام) أو في ذلك الشهود، أي: ظهر لصاحب القيامة الكبرى تعذبهم في نار جهنم ﴿**كانت أعينهم في غطاء عن ذكري**﴾ أي: محجوبة عن آياتي وتجليّات صفاتي الموجبة لذكري ﴿**لا يبغون عنها حولاً**﴾ أي: تحولاً لبلوغهم الكمال الذي يقتضيه استعدادهم، فلا شوق لهم إلى ما وراءه وإن وجد كمال وراء ذلك لعدم إدراكهم له فلا ذوق ولا شوق، وكونهم في مقابلة المشركين المحجوبين عن الحق بالغير. وكون جنّاتهم جنّات الفردوس يدلان على أن المراد بهم هم الموحدون الكاملون الاستعداد الذين لا كمال فوق كمالهم، فلا يبقى شيء وراء مرتبتهم، يريدون التحوّل إليه.

[١٠٩] ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿**قل لو كان البحر**﴾ أي: بحر الهيولى القابلة للصور الممدّة لها في الظهور ﴿**مداداً لكلمات ربّي**﴾ من المعاني والحقائق والأعيان والأرواح ﴿**لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي**﴾ لكونها غير متناهية وامتناع وفاء المتناهي بغير المتناهي، والله أعلم.

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوّله سورة مريم)

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
سورة الفاتحة ٧
سورة البقرة ١١
سورة آل عمران ٩٥
سورة النساء ١٣٧
سورة المائدة ١٦٥
سورة الأنعام ١٩٢
سورة الأعراف ٢٢٧
سورة الأنفال ٢٤٩
سورة التوبة ٢٦١
سورة يونس (عليه السلام) ٢٧٧
سورة هود ٢٩٣
سورة يوسف ٣١٤
سورة الرعد ٣٣٥
سورة إبراهيم (عليه السلام) ٣٤٥
سورة الحجر ٣٥٢
سورة النحل ٣٥٧
سورة بني إسرائيل ٣٧٤
سورة الكهف ٣٩٢